الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تهامة اليمن
1918 – 1962

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب الحديث والمعاصر .

إشراف

أ.د . سمر بهلوان

إعداد

الطالب / علي مصلح محمد هائل

2012 / 1433

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

((رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)) [1]

صدق الله العظيم

1 - سورة النمل، الآية 19.

الإهـــــــــــــــداء

إلى من كنت أتمنى أن يشهدا هذا العمل، رحمهما الله.

أبي وأمي

إلى رفيقة الدرب، وشريكة الحياة، التي شاطرتني متاعب غربتي، ومنحتني وقتها ورعايتها .

زوجتي الغالية

إلى نبضات قلبي، وسر صمودي، وامتداد حياتي، فلذتا كبدي.

أميرة وشهد

فوق ذلك أهديها إلى من جسمي بترابها، وروحي معلقة بها، إلى الشموخ والعزة اليمن الحبيب، والى بلد العروبة موطني الثاني، التي احتضنتني أيام دراستي سوريا المجد والحضارة.

إلى كل هؤلاء،أهدي ثمرة جهدي، وفاءاً وعِرفاناً .

الباحث

الـشكــر والـتقــديــر

عرفاناً بالجميل، وتعبيراً عن الإجلال والتقدير، ووفاءاً لأهل الفضل، وتأسياً بهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله : ((من لم يشكر الناس لا يشكر الله)) [1] .

فلِي أولاً وأخيراً أشكر الله سبحانه وتعالى، الذي ألهمني الطموح وسدد خطاي .

كما أتقدم بالشكر والعرفان الجزيل، للأستاذة الدكتوره/ سمر بهلوان، التي أشرفت على هذا العمل، ولم تبخل علي بجهد ونصيحة، من خلال ما بذلته معي من جهد صادق، وعطف كريم، فقد أمدتني بعلمها، وسعة خلقها وحلمها، الأمر الذي يجعل قلمي عاجزاً عن صياغة ما يَكِنه قلبي لها .

كما أتقدم بخالص التقدير وحسن الثناء لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الموقرة وهم : الأستاذة الدكتوره/ نجاح محمد، والأستاذة الدكتوره/ كاميليا أبو جبل، والأستاذ الدكتور/ فاروق العمر، والأستاذ الدكتور/أحمد خضر.

على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الأطروحة، والذين تحملوا العبء في قراءتها وتدقيقها، وإبداء ملاحظاتهم، وإرشاداتهم القيمة، لتصويبها، وإكمال نواقصها،ووعداً مني بأن كل ملاحظاتهم ستكون محل تقدير وعناية واهتمام.

كما أتقدم بخالص تقديري إلى عمادة كلية الآداب بجامعة دمشق، وجميع موظفيها، ورئاسة قسم التاريخ، وجميع أساتذته .

كما أوجه عظيم شكري وامتناني إلى جامعتي الموقرة (جامعة الحديدة)، والشكر موصول لإدارة الدراسات العليا بالجامعة، التي هيأت لي الفرصة لمواصلة الدراسة، لنيل هذه الدرجة العلمية، ولعمادة كلية التربية بزبيد، وجميع موظفيها، ولجميع أساتذتي بقسم العلوم الاجتماعية.

كما أشكر كل العاملين في كل من : مكتبة الأشاعر بزبيد، ومكتبة المؤرخ عبد الرحمن الحضرمي الخاصة بزبيد، والمكتبة العامة بزبيد، ومكتبة كلية التربية بزبيد، ومكتبة المستقبل بمدينة حيس، والمكتبة المركزية بجامعة الحديدة، والمكتبة المركزية بجامعة صنعاء، والمركز الوطني للوثائق بصنعاء وعلى رأسه القاضي العلامة/ علي أحمد أبو الرجال رئيس المركز، والدكتور فؤاد الشامي، على حسن تعاملهما معي، وتزويدي ببعض الوثائق، ومكتبة السعيد بتعز، ومكتبة التقوى ببيت الفقيه، ومكتبة الأسد بدمشق، ومركز الدراسات والبحوث بصنعاء، والمركز الفرنسي بصنعاء، ودار الكتب بصنعاء .

كما أعبر عن امتناني لكل من قدم لي يد العون أثناء جمع المعلومات وهم: عرفات الحضرمي، وهشام ورو، وداود بازي، وجمال مهدي، وعبد الجبار باجل، والدكتور الزميل خالد الأهدل،

1 - الترمذي ، محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح ، تح/ أحمد محمد شاكر ، دار الكتب ، بيروت ، ج4 ، (د.ط)، ص 298 .

وأحمد الغزي، وعبد الودود مقشر، وأحمد المصعبي، وعبد الحبيب الذبحاني، وعبد الرحمن المزجاجي .

ولكل من أسدى إلي معروفاً ، أو أعارني كتاباً ، أو أرشدني إلى مرجع، أو زودني بقصاصة، أو أفادني ولو بكلمة. فلهم جميعاً مني كل الشكر والتقدير .

والله من وراء القصد .

الباحث

المختصرات المستعملة

- تح : تحقيق.
- تر : ترجمة.
- ج: الجزء.
- (د. ت): بدون تاريخ النشر.

- (د. ط) : بدون رقم الطبعة.
- (د. م) : دون مكان النشر.
- (د. ن) دون ناشر.
- ص: الصفحة.
- ط: الطبعة.
- ق : ورقة بالنسبة للمصدر المخطوط .
- مج: مجلد.
- ت : توفي .
- سم2: سنتيمتر مربع.
- م2: متر مربع.
- ع : العدد بالنسبة للدوريات .
- كم2 : كيلو متر مربع .
- م: ميلادي.
- هـ : هجري .

فـــهـرس الـمـحتــويـــات

المقـــــدمــة :

1-حول اختيار موضوع البحث وأهميته:

تشكل دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي العمق الأهم لدراسة التاريخ السياسي، وإذا كان تاريخ اليمن السياسي قد حظي بالكثير من الدراسات والبحوث، فإن دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي اليمني لا تزال غير مطروقة بالشكل اللازم، على الرغم من أهميتها، حيث يشكل هذا التاريخ مجالاً خصباً للبحث فيه، لما له من فوائد جمة في المجال المعرفي للحضارة العربية في تلك المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية ،أي اليمن، وانعكاساتها الايجابية على مساعي تطوير المجتمع، وتحسين هياكله الاقتصادية والاجتماعية. كما أن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي أصبح وسيلة ليس فقط لفهم الأحداث السياسية، وإنما للفهم الأدق للاتجاهات الفكرية التي تسود أو تنحسر من فترة لأخرى، ومدى ارتباط ذلك بالفئات الاجتماعية التي تتبنى هذه الاتجاهات أو تعارضها .

ولعل ذلك من أهم الأسباب التي دفعتني للعمل في هذه الدراسة، وذلك لما لها من أهمية كونها ستتناول قراءة تاريخية جديدة لمنطقة تهامة اليمن، حول الواقع الاقتصادي . الاجتماعي مابين 1918 – 1962م وبخاصةً لما تتميز به المنطقة من موقع جغرافي استراتيجي مفتوح على البحر الأحمر، مما جعلها مدخلاً لأجناس كثيرة ومتنوعة إلى جانب اليمنيين الأصلاء مما أثّر على تركيبة بنيتها الاقتصادية . الاجتماعية . وبالتالي شكّل عامل بحث واهتمام، خاصةً وأنه لم يتوفر لدينا ما يكفي من الدراسات التاريخية الأكاديمية الوافية عن دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية لتلك المنطقة. هذا إلى جانب أن فهم الواقع الاقتصادي والاجتماعي (كبنية تحتية)، يعكس واقع تهامة كاملاً، بما في ذلك واقع الحياة السياسية والفكرية وحتى العسكرية .

أمّا الإطار الزمني لاختيار زمن البحث وبدايته مع عام 1918 فهو الوقت الذي انهارت فيه الدولة العثمانية مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وخروج قواتها من اليمن ومنها تهامة، وتسلم حكم البلاد إلى أسرة آل حميد الدين ، أمّا عام 1962 فهو العام الذي قامت فيه الثورة، وانتهى دور تلك الأسرة من حكم البلاد، وقيام الجمهورية العربية اليمنية .

لقد جاء هذا البحث كمحاولة لدراسة واقع تهامة الاقتصادي . الاجتماعي خلال فترة حكم أسرة حميد الدين، وانعكاس هذا الواقع على بنية المجتمع، وتركيبته السكانية، وطرق الإنتاج،

والمعيشة، وعلاقة أبناء المجتمع فيما بينهم، وأعرافهم وتقاليدهم الاجتماعية . وهذا يعني أن دراسة تلك المرحلة تؤسس للمرحلة المعاصرة التي يعيشها المجتمع اليمني عامة وتهامة خاصة، وهذا الهدف يعد من أركان علم التاريخ الأساسية، إذ أنّ في الفهم الصحيح لتاريخ وماضي المنطقة أهمية في بناء حاضرها ومستقبلها .

2- حول إشكالية البحث وأهدافه:

يهدف هذا البحث إلى دراسة تاريخ الواقع الاقتصادي لمنطقة تهامة خلال حكم أسرة آل حميد الدين (1918- 1962)، وانعكاس ذلك على التركيبة الاقتصادية . الاجتماعية في تهامة، ودراسة بنية الفئات التي شكّلت المجتمع، وأوضاعها في النمط الاقتصادي السائد، وتأثير ذلك في مظاهر حياتها العامة، في الأفراح والأتراح، والعلاقات القائمة بين أفرادها، وموقع كل فئة من المجتمع، كما يهدف إلى توضيح طرق الحياة الاجتماعية التي كان يمارسها المجتمع خلال تلك الفترة، وذلك بهدف معرفة الأسلوب والكيفية والمستوى المعيشي لجميع فئات المجتمع، كما يهدف إلى معرفة واقع الخدمات الاجتماعية عامة من تعليم وصحة وغيرها...

أمّا إشكالية البحث فتتركز حول دراسة الواقع الاقتصادي والاجتماعي لمنطقة تهامة، وذلك لمعرفة الأسباب التي حالت دون تغير هذا الواقع بشكلٍ كبير، على الرغم من انفتاح المنطقة على البحر الأحمر، مما جعلها ملتقى للكثير من الجنسيات، وهذا ما يختلف عن بقية مناطق الوطن العربي المفتوحة على العالم . وإيضاح ما للحياة الاقتصادية من تأثير في التركيبة الاجتماعية . وهل غيّر الوافدون (عبر موقع تهامة المفتوح على العالم) في بنية المجتمع، وتركيبته التقليدية الأساس ؟. وما هي أهم المتغيرات التي حصلت في بنية الحياة الاجتماعية ؟، إلى جانب معرفة طبيعة وقوى وعلاقات الإنتاج في اليمن ومنها تهامة.

3- منهج البحث:

استوجب إعداد هذه الدراسة، إتباع المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي لعناصر المجتمع وفئاته وأوضاعه الاقتصادية . ((أي دراسة المعطيات التاريخية، وتحليلها تحليلاً معمقاً ، بحيث يتمكن من توضيح الأساس الذي يقوم عليه الواقع لاقتصادي . الاجتماعي في تهامة، وما أثّر فيه من عوامل جديدة من خلال الموقع، وطبيعة البلاد بحد ذاتها)) .

4-حول مضمون البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع، تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وبابين أساسيين، يتضمن كل منهما فصلين رئيسيين وعدد من البنود الفرعية التفصيلية عن كل فصل، وخاتمة تضمنت نتائج البحث الأهم.

تضمنت المقدمة موجزاً عن البحث برمته، من حيث أهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، وإشكاليته، والمنهج المتبع في الدراسة، فضلاً عن الصعوبات التي واجهها الباحث، وأهم المصادر والمراجع المعتمدة .

بينما خصص التمهيد لدراسة جيواستراتيجية المنطقة من حيث التسمية، والموقع الاستراتيجي وأهميته، والتضاريس والمناخ، ثم مدخل تاريخي للفترة التي سبقت زمن دراستنا الممتدة مابين (1918 – 1962) وعنت بتناول الأوضاع السياسية التي شهدتها اليمن بشكل عام وتهامة تحديداً منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى بداية فترة الدراسة، وما تعرضت له المنطقة من صراعات في ظل الحكم العثماني الثاني على اليمن، وانعكاس ذلك على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة .

أمّا الباب الأول فجاء بعنوان : ((الحياة الاقتصادية في تهامة اليمن مابين 1918- 1962)) واحتوى على فصلين أساسيين وفقاً لطبيعة الموضوع : **تضمن الفصل الأول** دراسة البنية المادية للحياة الاقتصادية في تهامة اليمن، متناولاً أشكال الملكية الزراعية في تهامة، التي اتخذت ثلاثة أشكال هي: الملكية الخاصة التي شكّلت القسم الأكبر بين الملكيات الزراعية الأخرى، بمختلف أحجامها الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، وملكية الأوقاف التي احتلت المرتبة الثانية بين أشكال الملكية، وملكية الدولة التي جاءت في المرتبة الثالثة . كما تّمت دراسة الطرق التي كان يتم بها استغلال الأراضي الزراعية، والتي تمثلت بطريقة الإجارة، والمشاركة في المحصول، التي كانت أوسع انتشاراً خلال تلك الفترة، وخاصة لدى أصحاب الملكيات الكبيرة، وطريقة الاستئجار. كّما تناول أدوات العمل الزراعي، ونظام الري، مركزاً في نهايته على الضرائب الزراعية وأشكالها، وطرائق تقديرها وجبايتها، وانعكاس ذلك على أوضاع الفلاحين المعيشية خلال تلك الفترة.

ودرس الفصل الثاني مجالات الحياة الاقتصادية في تهامة، مع التركيز على أهمية المجالات الاقتصادية المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة وأثرها في حياة المجتمع. ففي المجال

الزراعي، تّمت دراسة الواقع الزراعي، والإنتاج الحيواني، مع توضيح المقومات التي ساعدت على ازدهار الزراعة في تهامة المتمثلة بالموقع، ونوعية التربة، والمناخ، وتوفر مصادر المياه، وتفصيل الحياة الزراعية، وأهم المحاصيل وأنواعها.

كّما تناول هذا الفصل دراسة الصناعات الحرفية في تهامة، ومنها صناعة المنسوجات، والصباغة، والصناعات الفخارية، والصناعات الجلدية، والخشبية، وبعض الصناعات الغذائية المتمثلة باستخراج زيت السمسم، وصناعة الحصير، ومواد وأدوات البناء.

كما تناول تجارة تهامة الداخلية والخارجية، وأبرز العوائق التي أثرت في النشاط التجاري خلال تلك الفترة، والأسواق التجارية، والمؤسسات التجارية، وأبرز التجار وعلاقتهم بالسلطة السياسية.

وفي مجال الاستثمارات المالية تناول البحث: العملة والبنوك والمقاييس والمكاييل والأوزان المستعملة في البيع والشراء. كما أبرزت الدراسة في هذا الفصل أهم صادرات المنطقة وحجمها، وأهم وارداتها المتمثلة بالأقمشة القطنية، والمواد الغذائية كالسكر، والدقيق، والأرز، ومشتقات النفط، والاسمنت، والحديد، وأدوات الكتابة.

كما تناول أهم موانئ تهامة، والضرائب الجمركية على السلع التجارية، والطرق التجارية البرية والبحرية، ووسائط النقل البري والبحري والجوي.

أما الباب الثاني المعنون بـ: ((الحياة الاجتماعية في تهامة اليمن 1918– 1962)) ، وضّم أيضاً فصلين أساسيين، **غطى الفصل الأول منه**، التركيبة الاجتماعية للسكان في تهامة، موضحاً فيه انعكاس البنية الاقتصادية (المادية) على هذه التركيبة، التي كان على رأسها فئة السادة، والقضاة، وكبار الملاك وشيوخ القبائل، ثم التجار والفلاحون، ثم الحرفيون وأرباب المهن، ثم العبيد والخدم الذين يأتي ترتيبهم في أسفل السلم الاجتماعي .

كّما تضمن هذا الفصل، دراسة شاملة للتعريف بجميع هذه الفئات الاجتماعية، وأدوارها ومهامها في الحياة العامة، وموقعها الاجتماعي، وما تقدمه كل فئة للأخرى من خدمات.

وخصص الفصل الثاني والأخير للتعرف على مظاهر الحياة الاجتماعية في تهامة، من خلال دراسة العادات والتقاليد من خلال الأفراح والأتراح، كعادات الزواج ومراسيمه، ولباس الناس وزّيهم وزينتهم، وطعامهم وشرابهم، وبناء البيوت ومكوناتها، وعادات الولادة والختان والمآتم، وما يحدث فيها من أمور فرضتها طبيعة المنطقة، فضلاً عن عادات الأعياد والاحتفالات الدينية

الأخرى، كالمولد النبوي الشريف، وليلة السابع والعشرين من رجب، وليلة النصف من شعبان، والاحتفال بعودة الحاج، والعادات الموسمية المتمثلة بالاحتفال بنضوج التمر، والرقصات والأغاني الشعبية .

كما أفرد في هذا الفصل عنواناً للتعليموأنواعه في تهامة، والذي يُعد إحدى الواجهات الاجتماعية، الذي يقاس المجتمع من خلاله بتقدمه أو تطوره، حيث كان التعليم خلال فترة الدراسة، يقتصر في أغلبه على التعليم الديني واللغوي في المساجد والمدارس الملحقة بالمساجد، وكان يخدم فكرة تثبيت الإمامة في أذهان الناس، أما التعليم النظامي الحديث فكان شبه غائب ولاسّيما في الفترة الأولى من حكم الإمام يحي حميد الدين، وأوضحنا العوامل التي ساهمت بشكل كبير في غياب هذا النوع من التعليم .

كما ركز هذا الفصل في نهايته على الوضع الصحي في تهامة، الذي اتسم بالتخلف، وجاء انعكاساً للوضع الاقتصادي العام للمجتمع، الذي تميز بعدم وجود فائض نقدي يمكّن الأفراد والسلطة من إقامة هياكل اقتصادية حديثة في جميع المجالات، ومنها المجال الصحي، فضلاً عن تدني مستوى دخل الأفراد، وعدم القدرة على مواجهة متطلبات الرعاية الصحية، كما كان للبنية الاجتماعية للمجتمع، وظروف العزلة الداخلية والخارجية التي فرضتها الإمامة على اليمن ومنها تهامة، دوراً في تردي الحالة الصحية، مما جعل أغلب الأفراد يبحثون عن وسائل شفاء لمرضاهم، حيث وجدوا في الطب الشعبي بنوعيه التقليدي والغيبي وسيلة لمداواة مرضاهم. هذا الواقع الاجتماعي الذي لا يختلف كثيراً عن غيره من مناطق الوطن العربي، بحكم الظروف العربية المتشابهة، والتي تكاد تكون واحدة بحكم السيطرة العثمانية من جهة، وفتح المجال لتغلغل رؤوس الأموال الأجنبية في مختلف مرافق الحياة العربية عامة واليمن خاصة .

أما الخاتمة: وتضمنت أبرز النتائجالتي تّم التوصل إليها.

5- حول الصعوبات والتعريف بأبرز المصادر والمراجع:

وبعد، رغم المحاولة الجادة للدراسة فقد واجهتني أثناء إعدادها صعاب كثيرة، أبرزها: قلة المصادر المتعلقة بالموضوع، وتناثر المعلومات وشحتها، وغلبة الجزئية عليها، إذ ركزت معظم المصادر والدراسات التاريخية على جزء من اليمن دون آخر، إلى جانب تكرار المعلومات في المراجع المطبوعة، كما واجهتني بعض الصعوبات في الحصول على الوثائق المتعلقة بتهامة، ويرجع ذلك إلى احتفاظ أصحابها بها، وعدم إخراجها للباحثين، فضلاً عن الظروف المادية التي حالت بيني

وبين سفري لبعض الدول العربية للاستعانة بمكتباتها، أو حتى السفر إلى تركيا للإطلاع على وثائق اليمن .

اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر والمراجع، من أبرزها الوثائق والتقارير المحفوظة بالمركز الوطني للوثائق في صنعاء، والتي أفادت الدراسة بشكل كبير، وبخاصة في الفصل الأول والثاني من الباب الأول، حيث وضحت الحركة التجارية في موانئ تهامة، وأهم السلع التي كانت تأتي إلى تهامة من الخارج، فضلاً عن مقدار الضرائب للمحاصيل الزراعية . إلى جانب الوثائق التي تّم الحصول عليها من بعض الشخصيات المهتمة بالمنطقة، والتي وضحت واقع بعض الجوانب الزراعية المتمثلة بكيفية توزيع مياه السيول على الأراضي الزراعية في تهامة، كما وضحت بعض الجوانب التعليمية.

كما أفادت الدراسة من الصحف اليمنية المعاصرة لفترة الدراسة، منها صحيفة الإيمان الرسمية، التي عكست صورة عن السياسة الداخلية والخارجية للنظام الإمامي آنذاك، وآثار هذه السياسة على الوضع الاقتصادي للبلاد، إلاّ أنها أبرزت الإيجابيات، وتحاشت ذكر السلبيات، ويعزى ذلك لأنها كانت تصدر عن السلطة، وتحت إشراف الإمام يحي حميد الدين مباشرة، وصحيفة فتاة الجزيرة التي كانت تصدر في عدن، وتضمنت معلومات مغايرة للصحف الرسمية، التي كانت تؤكد السلبيات ومساوئ النظام التي أهملتها الصحف الرسمية.

فضلاً عن الصحف والمجلات اليمنية التي صدرت بعد الثورة، والتي نشرت على صفحاتها كثيراً من البحوث المتعلقة بفترة الدراسة، ومنها صحيفة الجمهورية، وصحيفة 26 سبتمبر، وصحيفة اليمن، والثقافية، ومجلة الإكليل، ومجلة دراسات يمنية، وحوليات العفيف، وحوليات يمنية، ومجلة اليمن الجديد، ومجلة الغراء بزبيد، ومجلة المتحف العربي، والمؤرخ العربي، فضلاً عن المجلات التي أصدرتها الجامعات اليمنية .

كما اعتمدت الدراسة على المقابلات الشخصية التي أنجزتها مع بعض الشخصيات التي لها اهتمام بالموضوع نفسه.

كما أفادت الدراسة من الرسائل والأطروحات الجامعية الواردة في ثبت المصادر بمعلومات قيمة، ومنها رسالة البكري، والدودحي، والشرفي، والعبادي، والغليسي، ونجوى مطهر.

كما أفادت الدراسة من الكتب العربية والمترجمة ذات الصلة بالموضوع، ومن أهمها الكتب التي صدرت عن بعض الشخصيات التي زارت اليمن خلال فترة الدراسة، منها كتاب عشرون عاماً

فـي خدمـة الـيمن لمؤلفه نجيـب أبـو عـز الـدين، وكتـاب مملكـة الإمـام يحـي الـذي تـرجم للعربيـة، لسلفاتور أبونتي، وكتاب تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن عام 1940 لمؤلفه سيف الدين سعيد، ورحلتي إلى اليمن لأحمد وصفي زكريا، ورحلة في بلاد العربية السعيدة لنزيه مؤيد العظم، وكتاب ((كنت طبيبة في اليمن)) الذي ترجم للعربية، لكلودي فايان، والذي أفادت منه الدراسة فيما يتعلق بالوضع الصحي .

ومن الكتب التي صدرت لبعض الشخصيات اليمنية التي عاصرت فترة الدراسة، مثل كتاب مـذكرات المقبلـي، والرحلـة الحسينية فـي الـديار اليمنيـة لحسـين الوصـابي، ونشـر الثنـاء الحسـن للوشلي، وتاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن للواسعي، والدرة الفريدة في تاريخ مدينة الحديدة لعثمـان مطيـر، ومـذكرات أحمـد محمـد نعمـان، وشـاهد علـى الـيمن للعفيـف، وتهامـة فـي التـاريخ للحضرمي، وصفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي وقصة حياتي للأكوع وغيرها من المصادر.

فضلاً عن الكتب المعاصرة التي حوت في طياتها بعض المعلومات عن موضوع الدراسة، ومـن أهمهـا التخلـف الاقتصـادي والاجتمـاعي فـي الـيمن لمحمـد سـعيد العطـار، والـذي أفـادت منـه الدراسة في معظم فصولها، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه، وكتاب البنية القبلية في اليمن لفضل أبو غانم، والشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني لقائد الشرجبي، وطريق الثورة اليمنية لمحمد الشهاري .

كما أفادت الدراسة من القواميس والموسوعات وكتب التراجم، ومنها الموسوعة اليمنية، وهجر العلـم ومعاقلـه فـي الـيمن، ومجمـوع بلـدان الـيمن وقبائلـه، ومعجـم البلـدان والقبائـل اليمنيـة، ولسـان العرب، ومختار الصحاح، والمعجم الوسيط، والتي أفادت في التعريف بالأماكن والمواقع الجغرافية، وبعض الشخصيات التي وردت أسمائها في الدراسة .

ولـم تغفـل الدراسـة المراجـع الأجنبيـة التـي حـوت بعـض المعلومـات المتنـاثرة عـن موضـوع الدراسة، ومنها كتاب Ingram's وكتاب Pocok, Richard وكتاب Robert, Stookey وكتاب Wenner W, Manfred والذي تضمن معلومات في المدة التي تناولتها فترة الدراسة. وكتب أخرى مثبتة في قائمة المراجع الأجنبية .

وأخيراً فهذ ا جُهد الُمقل، فإن كنت قد وفقت فللّه الحمد والمنة، وإن تكن الأخرى فلا التمس من أساتذتي الأجلاء سوى سعة الصدر والتوجيه، فالسهو والخطأ من لوازم الإنسان، وصدق الله القائل: ((وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)) [1]. فالكمال لله وحده .

والله الموفق

الـبـاحــث

1 – النساء، الأية، 82 .

التمهيد :

موجز عن أوضاع تهامة منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى نهاية الحكم العثماني وبداية حكم أسرة آل حميد الدين:

1- التسمية.

2- الموقع والوصف الجغرافي.

3- الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

-1 التسمية :

تِهامةُ بكسر التاء: مصطلح يطلق على المنطقة السهلية الواقعة بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الأحمر، حتى سلسلة أقدام الجبال [1] . وهو اسم تاريخي عُرفت به المنطقة الممتدة من الليث شمالاً [2]، حتى باب المندب جنوباً [3] .

كما تحدد بعض المصادر امتدادها مابين خليج العقبةشمالاً مروراً بمكة والحجاز حتى عدن جنوباً ، وتقُسّم إلى ثلاث تهائم: تهامة الحجاز في الشمال، التيتقع بين سلسلة جبال السراة شرقاً ، والمنطقة الساحلية غرباً ، أي من شمال ميناء الليث حتى خليج العقبة في الأردن، وتهامة عسير في الوسط، وتمتد من جنوب ميناء الليث حتى حدود اليمن البحرية جنوباً ، وتهامة اليمن التي تقع ضمن أراضي الجمهورية اليمنية[4]، وهي ما تعنينا في هذه الدراسة .

تعددت التفسيرات حول أصل كلمة تهامة، وسبب تسميتها، ففي اللغات القديمة تأتي الكلمة بمعنى (وخم)، إشارة إلى شدة حرارتها، كما أتت بمعنى (بحر أو عميق)، أما في النقوش اليمنية القديمة فقد وردت التسمية مقابلة للاسم(طود)، والطود هو الجبل ويقابله السهل، أمّا في العربية الفصحى اليوم، فهي تعني ما انخفض من الأرض[5] .

وفي معجم البلدان يذكر أن سبب تسمية تِهامة بهذا الاسم يرجع لشدة حرها، وركود ريحها، وهي من التّهم، أي شدّة الحر وركود الريح، يُقال تَهَم الحر إذا اشتدّ، وقيل سميت بذلك لتغير هوائها يُقال تهم الدهن إذا تغير ريحه[6] .

1- العقيلي، محمد: تاريخ المخلاف السليماني، منشورات دار اليمامة ، الرياض، ط2، 1402هـ/ 1982م، ج1، ص 62 .

2 – الليث : ميناء على البحر الأحمر، يقع شمال ميناء القنفذة في المملكة العربية السعودية .

3 – المندب لغة : المعبر أو المجاز، ويطلق على المضيق الواقع عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وترجع تسميته بباب المندب إلى خطورته، وتعرض السفن للاصطدام بالصخور البارزة حوله ، وتحطمها، ومقتل ربانها ، حتى قيل أن عائلات البحارة كانت تندبهم وقت رحيلهم إلى باب المندب . أنظر: سالم، السيد عبد العزيز: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ط) ، 1413/1993، ص 173.؛ وليد جرادات: الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1407/1986، ص23.

4 – البلادي ، عاتق غيث : معجم معالم الحجاز ، دار مكة للطباعة ، مكة المكرمة ، ط1، 1401/ 1981 ،ج2، ص 47 .

5 – أستون ، فرانسين : تهامة ، تر/ يوسف محمد عبدالله، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1412/ 1992، ج1، ص 286 .

6 – الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، 1416/ 1996، ج1، ص 469 .

أما لسان العرب فيذكر أن : ((تِهامةُ بلد والنسب إليه تِهامِيّ، وتَهامٍ على غير قياس، كأنهم بَنَوا الاسم على تَهْمِيّ أو تَهَمِّي، ثم عوّضوا الألف قبل الطّرف من إحدى الياءين اللاحقتين بعدها، والتَّهَم شدّة الحرّ وسكون الريح)) [1] .

بينما في المعجم الوسيط : ((تِهامة أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز واليمن، وجمعها تهائم، والنسبة إلى تهامة تهامي وتهام)) [2] . وتهامة بالتحريك هي الأرض المنصوبة إلى البحر كالتهم [3] .

ومن خلال ماسبق يتضح أن الآراء والتفسيرات حول تسمية تهامة، متفقة إلى حدٍ ما في المفهوم، والتي تعني الأرض المنخفضة، شديدة الحرارة، وخاصة في فصل الصيف، مما يجعلها منطقة مختلفة عن بقية أقاليم الجزيرة العربية من حيث الظروف المناخية والتضاريسية.

2- الموقع والوصف الجغرافي:

أ- موقع اليمن وأهميته الجيواستراتيجية :

يقع اليمن فلكياً بين خطي عرض (30ْ ، 12) و(30ْ ،17) شمال خط الاستواء، ومابين خطي طول(30ْ ،42) و(30ْ ،56) شرق خط جرينتش[4] .

أّما جغرافياً فيقع اليوم في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، يحدّه من الشمال المملكة العربية السعودية، ومن الجنوب خليج عدن والمحيط الهندي، ومن جهة الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق سلطنة عمان[5] . وبهذا الموقع يعد اليمن دون أي شك جزء لايتجزء عن باقي مناطق الوطن العربي المتوسط لقارات العالم الثلاث(آسيا وإفريقيا وأوربا)، والذي يشكّل جسر العبور لشعوب العالم عبر التاريخ، بكل ما يمتلكه هذا الموقع من ممرات وصل فيما بين مناطقه، وبتموضع اليمن عند الممر الدولي الأهم تاريخياً(باب المندب) فيما بين المحيط الهندي والبحر العربي والبحر الأحمر يوضح ويؤكد الدور الحضاري العربي له منذ أقدم العصور، وما أنجزه من

---

1 – ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، (د.ت)، ج12، ص 72، مادة (تهُم).

2 – مصطفى، إبراهيم ، وآخرون : المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، تركيا، ط2، 1972، ج1، ص 90 .

3 – الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت، ط1، 1415/ 1995، ص 978، مادة (تهم) .

4 – آغا، شاهر جمال: جغرافية اليمن الطبيعية (الشطر الشمالي)، مكتبة الأنوار، دمشق، (د.ط) ،1403/ 1983، ص7.

5 – عباس، شهاب محسن: جغرافية اليمن الطبيعية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 1416/ 1996، ص9. ينظر ملحق (1) خارطة توضح موقع اليمن وموقع تهامة منه .

نهوض اقتصادي لاسيما في المجالين الزراعي والتجاري وليس سد مأرب إلاّ مثالاً مازالت آثاره قائمة إلى يومنا هذا، وكذلك مازالت وثائق التبادل الدبلوماسي والاقتصادي والثقافي ماثلة تحكي عن نشاطات الممالك اليمنية القديمة وبخاصة مملكة سبأ مع ممالك سوريا القديمة وبلاد الرافدين.

إن موقع اليمن الاستراتيجي هذا كجزء لايتجزء عن باقي مناطق الوطن العربي، جعله محط أطماع قوى الاستعمار عبر العصور وحتى عصرنا الحالي، وبالتالي فإن وقوع اليمن في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، أكسبه تميزاً وأهمية منذ القدم مكنته من التحكم في مدخل البحر الأحمر، والإطلال على المحيط الهندي في نفس الوقت، إذ جعل منه طريقاً تجارياً يربط بين دول الشرق والغرب[1]، وذلك مما أسهم في نشاط اليمنيين التجاري الذين اشتهروا به منذ القدم، وتأسيسهم للعديد من المراكز التجارية لتكون نقاط وصل لشبكة المواصلات الداخلية، ومن ثّم معبراً للملاحة العالمية إلى كل الحضارات القديمة[2].

كما كان لقرب اليمن من مكة المكرمة أثره في نمو التبادل التجاري، وازدياد حجم التجارة في موسم الحج، فقد كان اليمن يرتبط بمكة بطرق عدة برية وبحرية تنطلق منه، وكانت تلك الطرق تنشط في موسم الحج، وتتحول بعض المدن اليمنية مثل عدن، وزبيد، وصنعاء، وصعدة التي تقع على تلك الطرق مراكز لتجمع هؤلاء الحجيج والتجار القادمين من شرق إفريقيا، والهند، وجنوب شرق آسيا [3] . وهذا ماكان له آثاره المهمة في حياة اليمن الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وبالرجوع إلى تاريخ التجارة العالمية نجد أن اليمنيون قد استفادوا من اتجاه الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في فصل الصيف، والشمالية الشرقية في الشتاء، في تطوير تجارة مزدهرة مع إفريقيا الشرقية، وأجزاء من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام [4] . كما تتضح أهمية موقع اليمن من خلال دوره الحضاري، حيث شكّل اليمن جسراً للتواصل الحضاري بين الشرق والغرب، وذلك لقربه

---

1 – فخري، أحمد: اليمن ماضيها وحاضرها، مراجعة عبد الحليم نور الدين، منشورات المدينة، بيروت، ط2، 1409/ 1988، ص 106-107.

2 – شمسان، إيمان أحمد : اليمن في العصر العباسي الأول (132 – 203 هـ / 750 – 818 م) ، دار الثقافة العربية للنشر والتوزيع ، الشارقة ، در جامعة عدن ، اليمن ، ط1، 2001 ، ص 33 . ؛ الويسي، حسين بن علي: اليمن الكبرى، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط2، 1412 / 1991، ج1، ص 247- 248 .

3 – المندعي، داوود : تاريخ اليمن الاقتصادي من القرن الرابع إلى القرن السادس للهجرة،رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا . الجامعة الأردنية ، 1418 / 1997 ، ص 33 .

4 – عباس، مرجع سابق، ص 10.

من قارة إفريقيا الذي لا يفصله عنها سوى مضيق باب المندب الذي لا يزيد عرضه عن 20 كم، مما جعله همزة الوصل بين قارتي آسيا وإفريقيا مما سهل من عملية الاختلاط السكاني والحضاري مع شعوب البلدان المجاورة له [1] .

كما أنّ لإشراف اليمن على مضيق باب المندب جعله يتحكم في الملاحة البحرية بين دول الشرق المنتجة للمواد الخام، ودول الغرب الصناعية، فعن طريق اليمن يتصل المحيط الهندي بالبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط (بعد فتح قناة السويس)، وعبر اليمن يتم الاتصال بين آسيا وإفريقيا عبر مضيق باب المندب [2] .

كما تزايدت أهمية موقع اليمن في العصر الحديث، حيث أصبحت عدن محطة لتموين السفن بالفحم أولاً ، ثم النفط الذي يشكل عصب الحياة الاقتصادية في العالم اليوم، ولهذا سارعت بعض القوى الأوربية لتكثيف نشاطها في البحر الأحمر، كان على رأس هذه القوى بريطانيا، وكان هدفها من ذلك المحافظة على مستعمراتها في الهند،التي كانت تُعد درة التاج البريطاني؛ ولأجل ذلك وجدت بريطانيا لزاماً عليها، أن توجد نقاطاً حيوية لتأمين الطريق البحري المؤدي إلى الهند، ولذا سارعت باحتلال جزيرة ميون عام 1799، التي كانت تعرف عند المؤرخين باسم(جزيرة بريم)[3]، كونها تقع عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وجاء ذلك الاحتلال كرد فعل لاحتلال فرنسا لمصر عام 1798 . كما كانت بريطانيا تخشى من أي تنافس على اليمن وبخاصة المناطق الساحلية، ولذا وقفت بقوة ضد تقدم قوات محمد علي باشا والي مصر حينذاك إلى المنطقة، وسارعت باحتلال عدن عام 1839؛ لكي تُحكِم السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، ولم يهدأ لها بال حتى أجبرت القوات المصرية على ترك شبه جزيرة العرب نهائياً عام 1840، وبذلك خلا لها الجو في المنطقة لتربط سلاطينها بمعاهدات ضمنت من خلالها تبعيتهم لها [4] .

---

1 - Whalen, N. M (1993 – 1994) is the Early Man found his way through Bab AL– Mandab strait from Africa to Yemen, P.P. 3-4.

2 – الأشعب، خالص : اليمن (دراسة في البناء الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي)، دار الرشيد للنشر، العراق، (د.ط)، 1982/1402، ص 21 .

3 - George, H,P : A historical Gogrophy of British Empire seven Edition, London 1924 P. 145.

4 – رميض، صباح مهدي: إمارة عسير ((دراسة في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعلاقاتها العربية والدولية 1876 – 1932)) ، دار جوامع الكلم ، دمشق ، ط1 ، 1431/ 2011، ص 34- 35 .

فضلاً عن ذلك فإن وفرة الأمطار وبخاصة في المناطق الوسطى والجبلية، قد ساعد على تطوير النشاط الزراعي، وتنوع المحاصيل الزراعية، تبعاً لتنوع المناخ، وهو ما أدى إلى استقرار السكان، وقيام حضارات مزدهرة، لم تنغلق على نفسها، بل كان لها علاقات متبادلة مع الحضارات الأخرى، حيث استخدم اليمنيون المجال البحري والبري في تطوير هذه العلاقات التجارية، وقد ارتبطت قوة هذه العلاقات بدرجة الاستقرار الذي تمتع به اليمن خلال فترات تاريخية، فكلما ساد الاستقرار السياسي كلما ازدهرت التجارة، وكلما ساد الاضطراب والفوضى السياسية، كلما زادت عزلة اليمن وقوقعته، مما يؤدي إلى اضمحلال النشاط الاقتصادي بكل مجالاته، وهو ما انطبق على فترة الدراسة، حيث مرّ اليمن ومنها تهامة خلال حكم أسرة حميد الدين بمرحلة ذات طابع اقتصادي تقليدي ضعيف، مما انعكس بدوره على التركيبة الاجتماعية للمجتمع، وهو ما سنتحدث عنه في ثنايا هذه الدراسة .

ب- موقع تهامة اليمن وأهميته:

يقع إقليم تِهامة فلكياً بين دائرتي عرض(20- 12 ْ) (20- 16 ْ) شمالاً، وبين خطي طول (42 ْ- 43 ْ) شرقاً [1].

بينما تقع جغرافياً في الأجزاء الغربية من الجمهورية اليمنية، على امتداد الشريط الساحلي للبحر الأحمر، من باب المندب جنوباً إلى آخر نقطة حدودية مع المملكة العربية السعودية (شمال ميدي)، بطول 500كم2، وبعرض يتراوح من 30- 60كم [2]، ويتراوح ارتفاعه من مستوى سطح البحر إلى 200 متر باتجاه الشرق[3]، وبمساحة تبلغ حوالي 20,000 كم2، أي ما نسبته 3,6% من مساحة الجمهورية اليمنية حالياً [4] .

---

1 - الفقيه، عيدروس علوي : جغرافية الجمهورية اليمنية ، دار جامعة عدن ، اليمن، ط1، 1997/1418 ، ص 49 . ينظر ملحق رقم (2)، خارطة توضح موقع تهامة فلكياً.

2- حيدر، عبد الله : المناخ وعلاقته بالأنشطة الصناعية والتلوث في البيئة الساحلية اليمنية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة دمشق ، 2008 ، ص13 .

3- متولي، محمد، محمود أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب (جغرافية اليمن الشمالي)، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط3، 1988/1409، ج3، ص 92-94 .

4 - حيدر، مرجع سابق، ص 13 . ينظر ملحق رقم (3) ، خارطة توضح موقع تهامة الجغرافي بالنسبة لليمن وحدودها الإدارية .

وكان لهذا الموقع الجغرافي أثره على حياة السكان الاجتماعية والاقتصادية. فبسبب وقوع المنطقة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وانفتاحها على البحر جعلها مدخلاً لأجناس كثيرة ومتنوعة إلى جانب اليمنيين الأصلاء، مما أثّر على تركيبتها الاجتماعية، فبقرب تهامة من الساحل الإفريقي، جعلها همزة وصل بين قارتي آسيا وإفريقيا، مما سهل من عملية الاختلاط السكاني، حيث انتقلت جماعات إفريقية منذ القدم عبر الهجرات، واستقروا ببعض قرى ومدن تهامة، حاملين معهم عاداتهم وتقاليدهم إلى سكان تهامة الأصلاء، يتضح ذلك من خلال ملابس سكان تهامة التي تحمل الطابع الإفريقي، والمساكن البسيطة التي تسمى بالعشش ذو الشكل المخروطي [1] . كما يظهر ملامح الاختلاط بين سكان تهامة في لون بشرة أغلب السكان والتي تميل إلى السمرة الداكنة، وذلك على عكس سكان المناطق الجبلية [2] .

ويبدو أن عامل الاختلاط ليس السبب الوحيد في لون بشرة السكان، بل إنّ لطبيعة المنطقة، ومناخها الحار أثر في ذلك.

فضلاً عن ذلك، فقد كانت تهامة قديماً هي طريق التجار والحجاج الهنود إلى شبه الجزيرة العربية، حيث كانوا يأتون إلى عدن عبر البحر، ثم يسلكون الطريق البري عبر سهل تهامة إلى مكة، وقد استوطن بعضاً منهم سهل تهامة، وخاصة في المدن الرئيسية كزبيد، وبيت الفقيه والحديدة، وقد ذابت هذه الجاليات في نسيج المجتمع التهامي وأصبحت جزءاً منه، حيث عمل بعضاً منهم في التجارةوأصبحوا يُعدون من كبار التجار، ففي زبيد مثلاً نجد أن أكثر عائلاتها هم من أصول هندية، ويعدون من كبار ملاك الأراضي في زبيد [3] .

وزاد من أهمية تهامة الاقتصادية، خصوبة تربتها، ومساحة أراضيها الواسعة، وكثرة أوديتها التي شكّلت عامل جذب للاستقرار السكاني، الأمر الذي ساعد على وفرة إنتاجها الزراعي والحيواني، وتنوع محاصيلها الزراعية المتمثلة بالقطن، والذرة بأنواعها والسمسم والبطيخ والمانجو والموز والعديد من الخضروات[4].

---

1 - متولي، مرجع سابق، ص 333.

2 - الأشعب، مرجع سابق، ص 64 .

3- الأهدل، خالد يحي : الشعر الشعبي اليمني في تهامة (أشكاله الفنية، وأبعاده الموضوعية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء، (د.ت)، ص9 .

4- الحفيان، عوض إبراهيم عبد الرحمن: الجغرافيا العامة للجمهورية اليمنية، منشورات جامعة صنعاء، اليمن، ط1، 2004، ص 73.

كما تميز إقليم تهامة بطول شريطه الساحلي على البحر الأحمر، مما جعله يشرف على عدد من موانئ اليمن الرئيسية، التي أعطت للمنطقة أهمية كبيرة، وتأثير على النشاط التجاري، من حيث التبادل التجاري مع البلدان المجاورة، أو من خلال التجارة الداخلية عبر الأسواق الأسبوعية الدائمة، التي انتشرت في أغلب مناطق تهامة، ومثلت مراكز تجارية أسهمت في عملية التبادل التجاري لبعض المنتجات المحلية، والبضائع المستوردة [1]وهو ما جعل لسكان هذا الإقليم نصيباً في التجارة منذ فترة مبكرة، حيث ازدهرت تجارة البن منذ أواخر القرن السادس عشر، وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، الذي كان يزرع في الهضبة الوسطى والمنحدرات المطلة على تهامة، وكانت تهامة ممراً لنقل هذه السلعة إلى موانئ اليمن لتصديرها، فازدهر لذلك ميناء المخا، الذي كان يُعد الميناء الرئيسي لتصدير البن آنذاك، كما انتعشت بفضل تجارة البن بعض المدن التهامية، كبيت الفقيه، والـلُحَيّة والحديدة، وكان للأجانب من الأوربيين والهنود نصيب من التجارة والصناعة في هذه المدن[2] .

يتضح مما سبق الأهميةالإستراتيجية لموقع اليمن عموماً، وتهامة خصوصاً، مما كان له أثر في تركيبتها الاجتماعية، وتنوع نشاطها الاقتصادي، كما أنّ موقع تهامة جعلها هدفاً لمنافسة بعض القوى الاستعمارية لإمكانية الاستفادة القصوى من سواحلها الطويلة، وموانئها التجارية، فضلاً عن مواردها الاقتصادية، وأراضيها الخصبة، ووفرة مياهها الجوفية، والأهم من ذلك التحكم بطريق التجارة الدولي عبر البحر الأحمر.

فعن طريق تهامة دخل الأيوبيون اليمن، وجعلوا منهامركزاً حيوياً لهم، وعن طريق تهامة جاءت كل الحملات العثمانية، واتخذوا منها قاعدة للهجوم على المناطق الجبلية، مما جعلها مركزاً للصراع والحروب، ولم تنعم تهامة بالاستقرار حتى بعد خروج العثمانيين، حيث استولى عليها الأدارسة بعد الحرب العالمية الأولى، وظلت تحت سيطرتهم حتى عام 1925، وعند قيام الحرب اليمنية السعودية عام 1934 كانت تهامة ميداناً ومسرحاً لهذه الحرب، حتى اتفاقية الطائف عام 1934 التي خرجت بموجبها القوات السعودية من تهامة.

ج- التضاريس:

1- متولي، مرجع سابق، ص 153.

2 - أستون، مرجع سابق، ص 287- 288.

شكل سهل تهامة غور كبير يجاور البحر الأحمر، يتكون من سهل منبسط قليل الانحدار نحو البحر، وسطح متموج تموجاً بسيطاً في شكل موجات عرضية متتابعة، يشغل مقعرا ته مجاري روافد الوديان التي تصب في البحر الأحمر، أمّا محدباته فتتكون أحياناً إمّا من الكثبان الرملية قليلة الارتفاع، أومن بعض الكتل المتراجعة نحو الداخل[1] .

ويُعد السهل أكثر أراضي اليمن انخفاضاً، ويرجع ذلك إلى هبوط قشرة الأرض على أثر الانكسارات التي تعرضت لها المنطقة عند تكّون أخدود البحر الأحمر[2].

وتبعاً لذلك نجد أن سهل تهامة ينقسم تضاريسياً إبتداءاً من الغرب إلى الشرق إلى قسمين هما:

1- الشريط الساحلي:

وهو عبارة عن سهل تراكمي، يتراوح عرضه من 10 – 40 كم، يتألف من مجموعة من الإرسابات البحرية، والصخور الجيرية الدقيقة، والرمال والحصى والطين[3] .

يتميز هذا القسم بقلة تعرجاته، كما أنه عرضة للتعرية البحرية، كالنحت والإرساب، حيث تلعب التيارات البحرية دوراً كبيراً في تشكّل هذا القسم، ويظهر ذلك في تكوين النتوءات والفجوات، وأشباه الجزر وخاصة في القسم الأوسط من الساحل، والمنحصرة مابين مدينة الحديدة جنوباً، وشبه جزيرة الصليف شمالاً [4] . كما يتميز هذا القسم بانتشار السبخات، والشعاب المرجانية والأملاح على طول الساحل، ويظهر ذلك واضحاً في جنوب وشمال منطقة اللُحَيّة، كما يوجد في هذا القسم عدد من الخلجان شبه المغلقة وتسمى (الأخوار)، مثل خور ابن عباس الواقع في شبه جزيرة الصليف، وخور الكثيب الواقع شمال مدينة الحديدة [5] .

2- سهل حافة الجبال (السهل الشرقي):

وهو سهل محاذي للكتلة الجبلية الواقعة شرق تهامة، وينحصر ارتفاعه مابين 100- 200 م[6]، أما عرضه فيختلف من منطقة إلى أخرى، ففي بعض المناطق لا يزيد عرضه عن بضع كيلو

1- جعفر، محمد حلمي: تهامة اليمن (الدراسات الخاصة)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، (د.ط)، 1976، ص9.

2- آغا، مرجع سابق ، ص41 . ينظر ملحق (4) خارطة توضح تضاريس تهامة بالنسبة لتضاريس اليمن .

3- الحفيان، مرجع سابق، ص 73.

4 - آغا، مرجع سابق ، ص 57 .

5 - الفقيه، مرجع سابق، ص50.

6 - الحفيان، مرجع سابق، ص 73.

مترات، خاصة في المناطق التي تقترب من البحر، كما في منطقة الزيدية، وجبل ملحان, بينما نراه يتوغل أحياناً ضمن الكتل الجبلية في بعض المناطق، إذ يصل عرضه الى20 كم، وبخاصةً في المناطق التي تتوغل فيها الأودية كوادي مور ووادي سهام[1] .

يتميز هذا القسم بالتموج في بعض أجزائه، كما تسوده إرسابات من الحصى والرمال الدقيقة الناتجة من جريان الأودية نحو الغرب، كما تعمل الأودية فيه على الحت الصخري، وخاصة عند مخارجها، وذلك على شكل مراوح فيضية وتُعد الأراضي الواقعة في هذا الجزء من أخصب الأراضي الزراعية في تهامة، حيث يستغل معظمها في الزراعة، لوفرة مياه الأودية التي تتخللها أثناء انحدارها من الجبال بعد سقوط الأمطار[2] .

د- المناخ:

يختلف مُناخ اليمن باختلاف أقاليمه التضاريسية، ووفقاً للقرب والبعد من خط الاستواء، ولذا فإن مناخ تهامة يُعد من أشد أقاليم اليمن حرارة، حيث يتميز بصيف طويل حار، وشتاء قصير دافئ، يصل متوسط درجة الحرارة في فصل الصيف إلى 34ْ مئوية، وقلّ أن تنخفض شتاءاً عن 24ْ مئوية[3].

وبالرغم من وقوع المنطقة ضمن المناخ شبه المداري، الذي يتصف بارتفاع درجة حرارته، إلاّ أنّ وقوع إقليم تهامة على البحر مباشرة لطف من حدة تلك الحرارة [4]، بحيث لا يظهر تأثير البحر إلاّ في زيادة معدلات الرطوبة، التي ترتفع بنسبة عالية لتصل مابين 70 –90% [5].

أمّا الأمطار التي تسقط على إقليم تهامة فهي قليلة جداً، حيث تتراوح من بضعة مليمترات عند خط الساحل لتصل إلى 200مم قرب مقدمات الجبال [6]. هذا النقص في كمية المطر، يعوضه تراكم الضباب، وزيادة معدلات الندى في الصباح، وانخفاض درجة الحرارة أثناء الليل، مما يؤدي إلى زيادة نسبة الرطوبة [7] .

---

1 – آغا، مرجع سابق، ص 63.

2 – المرجع نفسه .

3 – جعفر، مرجع سابق، ص 13 – 14.

4 – متولي، مرجع سابق، ص 107.

5 – عباس، مرجع سابق، ص 76 –77.

6 – المرجع نفسه، ص 78 .

7 – المرجع نفسه .

وبالرغم من قلة سقوط الأمطار في سهل تهامة، إلاّ أنّ الموارد المائية متوفرة، حيث يحوي السهل على سديمات مائية باطنية تغذيها مياه الأمطار والأودية، وقد أكدت بعض الدراسات التطبيقية أهمية المخزون المائي الباطني لسهل تهامة، الذي يمكن أن يفي بحاجيات المنطقة لمدة لاتقل عن مائتي سنة [1] . أمّا بالنسبة للرياح فتهب على المنطقة الرياح الشمالية الشرقية الجافة شتاءاً، والجنوبية الغربية الموسمية صيفاً، التي تتسبب في سقوط الأمطار الذي يقل عند الساحل، ويزداد عند أقدام المرتفعات[2].

وتسود في تهامة العواصف الترابية في فصل الصيف، والتي تُعد من الظواهر المناخية المرتبطة بحرارة النهار، فحين يسخن الهواء عند الظهيرة تهب العواصف الترابية الرملية الساخنة لدرجة انعدام الرؤية أحياناً، ويلاحظ أن هذه العواصف يقل معدلها في مواسم الأمطار، إذ أنّ تماسك التربة نتيجة لرطوبتها يحول دون تناثرها مع الرياح[3] .

3- الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

إن فهم البنية الاجتماعية والاقتصادية لليمن، ومنها تهامة خلال فترة الدراسة، لا يمكن أن تتم بمعزل عن معرفة تاريخ تلك المنطقة الحديث، للوقوف عند الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. حيث كان التشكيل الاجتماعي للمنطقة بشكل عام يسير ضمن إشكالية خاصة (متمثلة بالنمط الإقطاعي المتخلف) ترجع أسبابها إلى السمات التي اتسم بها المشرق العربي خلال حقبة الوجود العثماني، وفترة الاحتلال الاستعماري.

سيطر على إقليم اليمن في تلك الفترة التوجهات المناطقية، والنزعات القبلية التي أدت دوراً كبيراً في الحياة العامة، وانعكست على مجمل الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

---

1 - الشريف، عبد الله : زبيد وظهيرها الزراعي من خلال المؤلفات ((قراءة جغرافية في العلاقة بين الريف والمدينة))، المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب. جامعة الحديدة ، 2002م ، ص 232 .

2 - عباس، مرجع سابق، ص 77 – 78.

3 - جعفر، مرجع سابق، ص 15.

لقد هيأ موقع تهامة الإستراتيجي . كسهل منبسط ومفتوح على البحر الأحمر مسرحاً للكثير من الأحداث التاريخية المهمة، فعن طريقها دخل الإسلام اليمن، وعلى أراضيها توالت دول عدة[1]، وعبر تهامة جاءت كل الحملات العثمانية إلى اليمن، التي كانت تتخذ منها مركزاً للهجوم على بقية المناطق الجبلية في اليمن كما أشرنا[2].

وفي العصر الحديث، ونتيجة للانقلاب الكبير الذي أحدثه اكتشاف رأس الرجاء الصالح في التجارة العالمية، تعرضت المنطقة لمحاولات الغزو الأوربي، وبخاصة الغزو البرتغالي والهولندي، اللذان حاولا القضاء على التجارة العربية الشرقية التي تمر عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي، من خلال احتلال بعض الموانئ الرئيسية في الجزيرة العربية، وذلك مما حذا باليمنيين الاستنجاد بالقوى الإسلامية لصد ذلك الغزو، حيث استنجدوا بالمماليك في مصر، ثم بالعثمانيين الذين نجحوا في صد الغزو البرتغالي على مناطق الجزيرة العربية، ومنها اليمن، حيث أغلقوا منطقة البحر الأحمر في وجه البرتغاليين[3] .

وكان لموقع اليمن من الأهمية بمكان أن أبرزت تحقيق الأهداف العثمانية ضد البرتغاليين، فموقع اليمن في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، وإطلاله على البحر الأحمر والعربي، والتحكم في مضيق باب المندب جعله منطقة ذات دفاع عن حدود الإمبراطورية العثمانية من الجنوب، وقد أدى هذا إلى اقتناع العثمانيين بأن سيطرتهم على اليمن بما فيها تهامة المطلة على البحر الأحمر، يضمن لهم سلامة الأماكن المقدسة في الحجاز، والتحكم في البحرين الأحمر والعرب، وامتلاك موطئ صالح للوثوب على البحرية البرتغالية في البحار الشرقية، وتطويق أعدائهم الصفويين في إيران من الجنوب، وتحقيق أحلامهم بمد سيطرتهم شرقاً إلى أقاصي العالم الإسلامي[4] .

1- من أبرز هذه الدول دولة بني زياد (820-1052م)، التي استطاعت أن توسع سيطرتها على معظم أجزاء اليمن، مروراً بالدولة النجاحية (1052-1149م)، والدولة المهدية(1158-1174م) . أنظر: البطريق، عبد الحميد: من تاريخ اليمن الحديث (1517- 1840)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، (د.ط)، 1969، ص 10-17 .

2 - البطريق، مرجع سابق، ص 10-17. ؛ جعفر، مرجع سابق، ص 7- 8 .

3 - بن بريك، أحمد محمد: اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر (1869- 1914م)، دار الثقافة العربية، الشارقة، ط1، 2001، ص24.

4 - أباظه، فاروق عثمان: الحكم العثماني في اليمن (1872- 1918م)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1986م، ص 20- 21 .

ومنذ بدء الحكم العثماني الأول لليمن في النصف الأول من القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن السابع عشر لم تنعم منطقة تهامة بالاستقرار نتيجة الصراعات والحروب التي كانت تدور بين الأئمة الزيديين في الشمال وبين العثمانيين، فضلاً عن حركات المقاومة القبلية التي كانت تبديها بعض قبائل تهامة ضدهم، حيث لم يستطيعوا أن يضمنوا سيطرة حقيقية على البلاد، وبخاصة المناطق الشمالية والشرقية من اليمن، مما أثر بدوره على الحياة الاقتصادية في المنطقة[1].

بنهاية الحكم العثماني الأول عام 1635 من اليمن على إثر المقاومة العنيفة من قبل السكان والثورات المستمرة من قبل الأئمة الزيديين والقبائل، جعلهم يتكبدون خسائر فادحة في الأموال والأرواح، إلى جانب ضعف سيطرتهم على مصر في منتصف القرن السابع عشر، وضعف نفوذهم في البحار الشرقية [2]، تمتعت المناطق اليمنية ومنها تهامة باستقلالها الذاتي لمدة قرنين من الزمن تحت حكم الأئمة الزيديين، وكان لتهامة خلال تلك الفترة وضعها الخاص، حيث حظيت بعناية من قبل الأئمة الزيديين، وعينوا لها حكاماً من ذويهم، وذلك مما يشير إلى أهمية موقعها التجاري وما تدّره على الحكومة من عائدات، حيث يشير أحد الرحالة أن ضريبة البن الذي كان يصدر عبر موانئ تهامة، كان يمثل أهم مصدر من مصادر إيرادات الإمام الزيدي في صنعاء[3]

.

إلاّ أنّ حكم الأئمة الزيديين اعتراه الضعف والانهيار نتيجة التنافس على الإمامة، وعدم الاستقرار الكامن في نظام الحكم ذاته، وذلك مما شجّع بعض حكام المناطق على الانفصال والاستقلال، حيث انفصلت حضرموت، وأعلن شيخ العبادل في لحج استقلاله[4] .

أما تهامة وبخاصة المناطق الشمالية منها، والتي كانت تسمى بالمخلاف السليماني، فقد أسند الأئمة حكمها لأسرة آل خيرات، وذلك مما هيأ لاستقلالها وانفصالها فيما بعد عن الدولة المركزية في صنعاء[5] . ونتيجة لضعف السلطة المركزية في صنعاء، بدأت موازين القوى في

---

1 - المرجع نفسه، ص30 .

2 - المرجع نفسه، ص 29 .

3 - الصائدي، أحمد قائد : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1 ، 1410هـ / 1990م، ص 166 .

4 - أباظه، مرجع سابق، ص 32.

5 - المرجع نفسه، ص33 .

تهامة تتغير لصالح قوة الأشراف في تهامة، التي بدأت تظهر في تلك الفترة، حيث تحول ولاء أغلب السكان في تهامة لهذه القوة الجديدة ويُعد الشريف حمود بن أحمد الحسين التهامي أبرز من حكموا تهامة خلال تلك الفترة [1] . ويرجع السبب في تحول ولاء السكان في تهامة ودخولهم تحت حكم الأشراف، إلى الظلم الذي عانوه من قبل الأئمة الزيديين، إلى جانب ضعف سلطة الأئمة التي لم تستطع الدفاع عن مناطق نفوذها في تهامة من قبل القوى المنافسة لها، فضلاً عن أن الأشراف كانوا على المذهب السني، الذي كان عليه أغلب سكان تهامة[2] .

ظلت تهامة تحت حكم الأشراف حتى قدوم الحملة العثمانية الثانية إلى اليمن عام 1872 وقبيل قدوم الحملة كان الشريف الحسين بن علي حيدر هو من يحكم تهامة باسم السلطان العثماني، ولقد لقبه السلطان العثماني بأمير الأمراء ، لكن الشريف الحسين واجه في نهاية حكمه لتهامة بعض الأخطار الداخلية، حيث تمردت عليه قبيلة القُحرى في باجل، كما دخل في صراعات مع الأئمة الزيديين في صنعاء، وإزاء هذه الأخطار لم يستطع الصمود أمامها، بل طلب المعونة من الدولة العثمانية لحماية المنطقة [3]، ورأى أن يستنجد بالسلطان العثماني عبد المجيد عله يعيد إلى المنطقة حالة من الأمن والاستقرار، ولهذا طلب الحسين بن علي حيدر من السلطان العثماني إعفاءه من منصبه وإرسال من يتسلم منه حكم المنطقة، باعتبارها أمانة في عنقه، كما أتجار تهامة وأعيانها طالبوا السلطان العثماني بالتدخل لإقرار الأمور في المنطقة بعد أن كسدت متاجرهم، ونهبت أموالهم أثناء المعارك التي دارت رحاها بين قوات الحسين بن حيدر التهامية، والقوات الإمامية المهاجمة [4] . وإزاء هذه الدعوات من قبل حاكم تهامة، وتجار المنطقة وأعيانها وجدت الدولة العثمانية فرصة لا تعوض لإعادة سيطرتها الفعلية على اليمن، ومنها تهامة، لذا أمر السلطان العثماني نائبه في الحجاز توفيق باشا، وأمير مكة محمد بن عون بالتحرك على رأس قوة عثمانية، أبحرت من ميناء جدة، كان قوامها 3000 فرد، وقد وصلت الحملة إلى ميناء الُلحّية واتجهت بعد ذلك إلى الحديدة، حيث استقبلها الحسين مرحباً، وكان ذلك في عام 1849، واتخذت

---

1 – مقشر، عبد الودود قاسم : الزرانيق والحكم العثماني في اليمن، مركز ذؤال للتراث والدراسات التاريخية، صنعاء، ط1 ، 1429/ 2008م ، ص97 – 98 .

2 – المرجع نفسه، ص 99 .

3 – البشري، إسماعيل محمد : الحملة العثمانية على إمارة أبي عريش والسواحل اليمنية (1265هـ/ 1849)، دراسة وثائقية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1423/ 2002 ، ص 11 .

4 – أباظه، مرجع سابق، ص 48– 49.

من الحديدة مركزاً لها لسهولة الاتصال بينها وبين موانئ تهامة حتى يمكنهم تلقي الإمدادات، والمؤن اللازمة للاستيلاء على بقية الداخل اليمني، والذي تّم في عام 1872[1] . ظلت تهامة تحت حكم العثمانيين حتى عام 1918، حينها تعرضت للقصف من قبل القوات البريطانية، ومن ثم الاستيلاء على مدينتي اللُحّية والحديدة وميناؤها، وقد ظل الاحتلال البريطاني لهذه المدن ثلاث سنوات، وفي عام 1921 سلمتها إلى حليفها في عسير محمد الإدريسي [2] . وبتسلم الإدريسي لمناطق تهامة اشتعلت الحرب بين الإمام يحي والأدارسة، والتي استمرت حتى عام 1925، حيث تم استرداد كل المناطق التهامية من تحت سيطرة الأدارسة، وعّين الإمام يحي لهذه المناطق عمالاً وحكاماً من قبله، وبذلك أصبحت تهامة تحت حكم الإمامة حتى قيام ثورة سبتمبر/ أيلول 1962[3].

كان لهذه الأحداث السياسية التي مرت بها تهامة خلال تلك الفترة، تأثيرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ففي الجانب الاقتصادي تأثرت الزراعةالتي كانت تُعد الحرفة الرئيسية لأغلب السكان، نتيجة لعدم وجود الأمن والطمأنينة، بسبب الصراعات والحروب التي شهدتها المنطقة، وانعدام وسائل المواصلات الحديثة، والمؤسسات المالية، فضلاً عن الضرائب التي كانت تثقل كاهل الفلاحين، وكان معظم الإنتاج الزراعي يستهلك محلياً، عدا مادة البن التي كان تصدّر إلى الخارج [4] .

أّما عن أشكال ملكية الأراضي فطوال فترة التاريخ اليمني، كانت حيازة الأراضي مركزة في أيدي النخبة الحاكمة، حيث عمد هؤلاء الحكام إلى امتلاك أخصب الأراضي الزراعية، وإعطاء مساحات كبيرة منها لكبار موظفي الدولة من مدنيين وعسكريين لاستغلالها لحسابهم الخاص، كمكافأة لهم ليس بوصفهم أفراداً عاديين، وإنما بوصفهم جزءاً من جهاز الدولة، أّما أغلبية الفلاحين فكانوا

---

1 - المرجع نفسه .

2- العطار، محمد سعيد: التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر، ط1، 1965م، ص 35.

3- الواسعي، عبد الواسع يحي: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، (د.ن)، القاهرة، (د.ط) ، 1928، ص334 .

4 - غالب، محمد أنعم: نظام الحكم والتخلف الاقتصادي في اليمن، دار الهناء، القاهرة، (د.ط)، 1962م ،ص 122.

محرومين من حق تملك الأراضي الزراعية، وإن امتلكوا جزءاً يسيراً من الأراضي فإنها لا تلبي حاجات أسرهم الضرورية، حيث كانوا يعيشون على الكفاف[1].

إلاّ أنّ هذا المفهوم لحيازة الأرض وتملكها أخذ يفقد تماسكه نهاية الحكم العثماني الثاني في اليمن، وبخاصة بعد أن لجأت الدولة إلى مبدأ الضمان أو الالتزام في الأراضي[2] . كما كان لعدم استقرار الحكم العثماني في اليمن ومنها تهامة ، نتيجة الاضطرابات والثورات المستمرة ضدهم دوراً في عدم تمكن العثمانيون من فرض النظام الإقطاعي بحذافيره على الرغم من أنهم فرضوه على أغلب البلدان العربية التي دخلت تحت حكمهم .

وللمحافظة على هيبة الدولة، قامت الإدارة العثمانية بتقسيم المنطقة الواحدة إلى عدة أقسام بين أفراد القبيلة الواحدة فأوجدت بهذا الإجراء تنافساً كبيراً بين شيخ القبيلة وبين منافسيه، وكانت تهدف من وراء ذلك إيجاد أو خلق زعامات جديدة تنافس بها الزعامات القديمة(المعارضة لحكمها)، بمعنى أن العثمانيين أعطوا فرصة كبيرة لفئة معينة في المجتمع اليمني لتملك أراضٍ زراعية واسعة، وذلك بحكم طبيعة الحياة الاقتصادية حينذاك، التي تعتمد على النظام الإقطاعي أساساً ، مما جعل هذه الفئات منذ مطلع القرن العشرين تحتل مواقع اجتماعية وإدارية مهمة في البلاد [3] . كما تضررت التجارة في تهامة خلال الوجود العثماني في اليمن، حيث أن طمع العثمانيين في فرض ضرائب مرتفعة على التصدير والاستيراد في موانئ تهامة الخاضعة لنفوذهم، الذي أدى إلى تحول الجزء الأكبر من التجارة اليمنية إلى عدن، التي كانت تخضع للاستعمار البريطاني، وذلك مما أثّر على اقتصاد اليمن بشكل عام وتهامة بشكل خاص.

أمّا عن السياسة العثمانية الضرائبية التي أتبعتها في اليمن ومنه تهامة فكانت تقوم على التعسف في جمع الضرائب من الفلاحين، وذلك حتى يتمكنوا من تغطية نفقات قواتهم العثمانية في اليمن، وإقامة بعض المرافق العامة التي تخدم مصالحهم بصفة خاصة، ومصالح اليمنيين بصفة عامة، إلاّ أنّ أغلب الولاة العثمانيين استغلوا جمع الضرائب لمصالحهم الشخصية، واستخدموا في ذلك طرق عدة، مما أثار حفيظة اليمنيين، وأشعل ثوراتهم ضد الحكم العثماني، وعن هذه الوسائل

---

1 – المسعودي، عبد العزيز: القوى الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية، مكتبة السنحاني، صنعاء، ط1، 1992م،ص 80

2 – مبدأ الضمان أو الالتزام: ويتمثل بتقبل أحد الأفراد أراضي زراعية يقوم باستغلالها، مقابل دفع مبلغ (الضمان) النقدي أو العيني السنوي الذي يحدد من قبل الإدارة المعنية بالمنطقة.

3 – المسعودي، مرجع سابق، ص82 .

والطرق يصف لنا نزيه العظم في كتابه ما نصه : ((كان يخرج المتصرف أو الوالي العثماني من محل وظيفته إلى الأرياف والجبال يجمع الأعشار، ويجبي الضرائب، فيأخذ لنفسه جميع ما يمكنه تحصيله من الأهالي الفقراء، ويعود إلى محل وظيفته دون أن يعطيهم سنداً أو وصلاً ، ويقول لحكومته بأن الأهالي عاصون عليه لا يرغبون في دفع الضرائب، فتسير الحكومة (أي حكومة الولاية) الجيوش عليهم، فتنهبهم وتخرب بيوتهم ..، ويكتب إلى الباب العالي في الأستانة بأن أهل اليمن عصوا الحكومة العثمانية، وأنهم أشقياء لا يعترفون بالخلافة العثمانية، ولما كان أولوا الأمر والنهي في القسطنطينية لا يفهمون ماهو المذهب الزيدي، وما هي حقيقة أخبار اليمن، كانوا يأخذون بهذه الدعايات الكاذبة، ويؤيدون سياسة موظفيهم في اليمن ويمدونهم بالجند والسلاح، ويأمرونهم بإخضاع اليمنيين بالسيف والمدفع، ولذلك كانت اليمن في حرب دائمة مع الأتراك)) [1].

أمّا عن البنية الاجتماعية في تهامة، فقد اتسمت بغلبة المكون القبلي، وتأثيره الفاعل في الحياة السياسية والاقتصادية، حيث كان رابط القبيلة أقوى من رابطة الدم والنسب، ولهذا فقد شكّلت القبيلة العمود الفقري لتكوين الدولة والمجتمع ولعبت دوراً بارزاً ورئيساً في أغلب الصراعات التي واجهها اليمن خلال مراحل تاريخه، وكان للنظام الإمامي الذي حكم اليمن ما يقارب من عشرة قرون دوراً في إذكاء التقسيم الفئوي، حيث ظل المجتمع اليمني في عهود الأئمة محتفظاً بتوجهاته المناطقية ونزعاته القبلية، التي استمدها من مراحل تاريخية سابقة، استطاعت السلطة السياسية توظيفها للبقاء في الحكم لمدة طويلة [2] .

وعليه فقد كانت التركيبة الإجتماعية للمجتمع في تهامة تنقسم إلى عدة فئات [3]، يأتي على رأسها فئة السادة، الذين يتميزون بانحدارهم من نسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويتمتعون بامتيازات خاصة، وبوضع اجتماعي له قدره وقيمته، حيث كان لهم حق الأولوية في اعتلاء المناصب الرئيسية في الدولة، وذلك لشعورهم بأنهم متميزون عن الآخرين، يلي السادة في الترتيب فئة القضاة الذين ينحدرون من الأسر التي تهتم بعلوم الشريعة الإسلامية، ويتوارثون عن بعضهم

---

1 – العظم، نزيه مؤيد: رحلة في بلاد العربية السعيدة، دار قتيبة، بيروت، ط2 ، 1405هـ/ 1985م، ج1، ص 154 .

2– الشماحي، عبد الله : اليمن (الإنسان والحضارة)، منشورات المدينة، بيروت، ط3، 1406/ 1985، ص 119.

3– أبو غانم، فضل علي أحمد: البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغير، مكتبة الكاتب العربي، دمشق، (د.ط)، 1985، ص 195 – 247 .

البعض هذه المهمة، وكانوا يقاسمون السادة في وظائف الإدارة والقضاء، يلي ذلك فئة كبار الملاك والشيوخ والتجار، الذين كانوا يسيطرون على جزء من احتكار التجارة، وكانوا يكرهون أي تغيير في نظام الحكم، كما أنهم كانوا تقليديين في نظرتهم، وقد ظلوا عاجزين عن إقامة أي استقرار سياسي طويل الأمد، وكانوا يظهرون الولاء ويقدمونه من أجل مصلحتهم الشخصية إلى الدرجة التي توقعهم في الاضطراب عند اختيار الجانب الذي يساندونه في حالات الصراع السياسي[1]. يلي ذلك فئة الفلاحين والحرفيين وذووا المهن، الذين كانوا يشكّلون الغالبية العظمى من السكان، وتُعد هذه الفئة هي المنتجة، فمن عرقها تأتي موارد البلاد [2]، وكانت هذه الفئة تثقل بالضرائب الباهظة، وكانوا مجبرين على تسليمها وأدائها، وإذا عجزوا عن أدائها، فإن السلطات تتخذ ضدهم إجراءات ووسائل تزيدهم فقراً على فقرهم . فضلاً عن هذه الفئات، فقد كانت هناك جماعات من الناس لهم مراكز اجتماعية مختلفة، ويعيشون على هامش المجتمع، كفئة الخدم الذين ينحدرون من أصل حبشي، حيث كانوا يعيشون في أحياء خاصة بهم تسمى بالمحاوي، ويقومون بخدمات اجتماعية مختلفة كالرقص، وضرب الطبول في الأفراح والمناسبات، وكانوا يلاقون احتقاراً من المجتمع، لا توصف بالعدل أو الإنسانية . ظلت هذه التركيبة الاجتماعية في تهامة حتى فترة الدراسة، وهو ما سنوضحه في ثنايا بحثنا هذا .

الباب الأول

الحياة الاقتصادية في تهامة اليمن خلال حكم أسرة آل حميد الدين (1918- 1962) :

مدخل: موجز عن الأوضاع السياسية في اليمن بين عامي 1918- 1962 وأثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تهامة.

الفصل الأول

البنية المادية للحياة الاقتصادية في تهامة اليمن :

1- الملكية الزراعية، أشكالها وطرق استغلالها في تهامة:

1- أباظه، مرجع سابق، ص 67 .

2- العطار، مرجع سابق، ص 118.

أ- تعريف الملكية.

ب- أشكال الملكية الزراعية في تهامة .

ج- طرق استغلال الأراضي الزراعية في تهامة.

2- أدوات العمل الزراعي في تهامة.

3- نظام الري.

4- أنواع الضرائب الزراعية وطرق تقديرها وجبايتها.

مدخل

موجز عن الأوضاع السياسية في اليمن مابين عامي 1918-1962 وأثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تهامة.

لعب العامل الديني دوراً كبيراً في حصول أسرة حميد الدين على السلطة في اليمن، حيث أنّه بموت الهادي الحسيني إمام الزيدية عام 1307هـ بصعدة، أصبحت الإمامة الزيدية بدون إمام بالرغم من وجود سيف الإسلام محمد بن الهادي المعروف بأبو نيب، الذي توفرت فيه شروط الإمامة الزيدية، غير أنّه لم يبلغ درجة الاجتهاد الذي يُعد من الشروط الأساسية للإمامة، وبعد مداولات ومناقشات جرت بين أعيان الزيدية لاختيار الشخص الذي تتوفر فيه شروط الإمامة، ووجدوا أن الأصلح لهذا المنصب هو السيد محمد بن يحي حميد القاسمي، فاستدعوه إلى صعده، وبعد مناظرة عميقة ثبت فيها نجاحه، تّم اختياره ليكون إماماً للزيدية، وبايعوه في أواخر سنة 1307 هـ، وتلقب بالمنصور بالله. وبوصول محمد بن يحي حميد الدين إلى الحكم، تسلمت أسرة حميد الدين السلطة في اليمن[1] .

---

1 - الشماحي، مرجع سابق، ص 182 - 184 .

لقد تولت تلك الأسرة حكم اليمن نتيجة لاعتبارات تاريخية وسياسية، تمثلت في بروز تلك الأسرة من بين الأسر اليمنية، خلال مرحلة النضال اليمنى التركي، هذا النضال جعلها محط أنظار للسلطات التركية، ومناط أمل للشعب اليمنى[1].

لقد استطاع الأئمة من أسرة حميد الدين أن يكسبوا إلى صفهم معظم أبناء الشعب اليمنى للالتفاف حولهم، مستغلين بذلك سخط الشعب على الحكم التركي وفساد موظفيه، فارتفع بذلك شأن أسرة حميد الدين، مما مهد بعد ذلك أن يتقلدوا حكم اليمن بعد خروج العثمانيين في عام 1918[2]. وبوفاة المنصور عام 1904. كانت دعوة الإمام يحي بن محمد حميد الدين لنفسه بالإمامة في التاريخ المذكور، الذي تلقب بالمتوكل على الله[3].

أحس الإمام يحي حميد الدين بعد تولية السلطة، أن بيعته مهزوزة، وأن البعض من ذوى الحل والعقد لم يجمعوا بالموافقة على أحقيته بالإمامة، لذا عمل بدهائه وحنكته على ترسيخ أقدامه في السلطة من خلال كسب ولاء مشايخ القبائل والرجال الأقوياء إلى صفه، واعداً لهم بعد تخلصه من الأتراك، إقامة حكم محلى، وإدخال الإصلاحات لليمن، يكونون هم في مقدمة المشاركين له في الحكم، وإزاء هذه الوعود تعاون معه الكثير من أبناء الأسر المنافسة له في الإمامة، وبعض شيوخ القبائل[4].

قام الإمام يحي بعد تثبيت السلطة بمواصلة الحرب ضد العثمانيين لإخراجهم من اليمن من أجل بسط نفوذه على المناطق التي كانت تحت أيديهم، وبعد معارك دارت مابين الجانبين، اضطرت الولاية العثمانية لتسليم صنعاء للإمام يحي حسب شروط اتفق عليها الجانبان، ودخل الإمام صنعاء لأول مرة بعد توليه الإمامة في 21 إبريل/نيسان 1905[5]. بعد دخول الإمام يحي

---

1 – الحلوة، محمد إبراهيم: التحديث السياسي في اليمن الشمالي، مجلة دراسات يمنية، ع(13)، سبتمبر/أيلول 1983، ص 42.

2 – المرجع نفسه، ص 43 .

3 – العز عزى، عبد الله فارع: اليمن من الإمامة إلى الجمهورية، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، صنعاء، ط1، 1422/ 2001، ص21.

4 – عبده ، على محمد : لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين، المعهد الفرنسي للآ ثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ط1، 2003، ج1،ص 26 .

5 – الأشول، ناجى على: الجيش والحركة الوطنية في اليمن (1919. 1969) ، دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، ط3 ، 2005، ص52 .

صنعاء، سقطت جميع المناطق التي كانت تحت سيطرة الأتراك بيد أصحابها، عدا تعز والحديدة ومناخه[1] وبهذا النصر كسب الإمام يحي شعبية واسعة، قللت من المعارضين له في الداخل.

ولكن اليمن فوجئ في شهر يونيو/حزيران 1905 بدخول القوات التركية بقيادة أحمد فيضي، الذي استطاع أن يعيد صنعاء إلى الأتراك في أوائل سبتمبر/أيلول 1905 ، وبدون أي مقاومة من جانب الإمام يحي، حيث انسحب الإمام يحي من صنعاء، وقد علل انسحابه من صنعاء بالخوف عليها من نهبها وتخريبها بالمدافع العثمانية[2].

وبسبب الأوضاع الدولية في تلك الفترة، أخذت الأخطار تحيط بالدولة العثمانية من كل جانب، ففي الغرب قامت الدول الأوربية وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا وروسيا بتنسيق جهودها للقضاء عليها، وذلك من خلال زرع القلاقل والحركات الانفصالية في بلاد العرب، بالإضافة إلى ظهور محمد بن على الإدريسى عام 1907 في عسير، وقيامه بثورة ضد الأتراك بمساعدة بريطانيا له في ذلك[3].

وبناءاً على ما سبق، اضطرت تركيا لعقد اتفاقية بينها وبين الإمام يحي عرفت باتفاقية دعان عام 1911 [4] . وذلك لكي تتفرغ للمؤامرات الأوربية التي تحاك ضدها[5].

واستمرت المؤامرات تحاك ضد الدولة العثمانية حتى قامت الحرب العالمية الأولى عام 1914، ووجدت الدولة العثمانية نفسها مضطرة للدخول في الحرب إلى جانب الألمان ضد دول الحلفاء (فرنسا وبريطانيا وروسيا) . انتهت الحرب العالمية الأولى عام 1918 بهزيمة ألمانيا والدولة العثمانية، نتج عنها تمزق أراضى الدولة العثمانية، ووقوع معظم الأقطار العربية تحت الاستعمار الأوربي[6].

---

1 – الحداد، محمد يحي: التاريخ العام لليمن، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1986، ج5، ص6 -7 .

2 – المرجع نفسه، ص7 .

3- الأشول، مرجع سابق، ص 54 .

4-عَدّ ان : بفتح الدال وتشديد العين المهملة ، قرية من قرى جبل عيال يزيد شمال عمران ، بمسافة 18 كم ، عقد بها صلح عام 1911م بين الإمام يحي والعثمانيين .أنظر: المقحفى، أحمد إبراهيم ، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ط4، 2002/1422 ،ج1، ص 242 .

5- علي، صادق عبده: الحركات السياسية والاجتماعية في اليمن(1918 – 1967)، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ط1، 1992، ص 65.

6- عبده، لمحات من تاريخ حركة الأحرار، مرجع سابق، ص 28.

أما اليمن (الشمالي)، فبسبب موقف الإمام يحي المحايد من الحرب، وتغاضيه عن عدم وفاء العثمانيين بالتزاماتهم المالية له حسب ما نصت عليه إتفاقية دعان، قام الوالي التركي في صنعاء بعد الحرب، وعرض على الإمام يحي بدخول صنعاء وتسلم السلطة من الأتراك، وذلك عقب الهدنة مابين بريطانيا والدولة العثمانية عام 1918 [1]. وبخروج العثمانيين من اليمن عام 1918، حصل اليمن على استقلال أراضيه الواقعة تحت السيطرة العثمانية، لتصبح أسرة حميد الدين هي المتسلطة على البلاد حتى عام 1962، تحت اسم المملكة المتوكلية اليمنية[2].

بعد أن تسلم الإمام يحي مقاليد الحكم من الأتراك، بدأ بانتهاج سياسة اتسمت بالفردية المطلقة والجمود والعزلة. ولتطبيق هذه السياسة، اعتمدت الإمامة على مجموعة من الأساليب والوسائل منها:

1- استغلال الدين الإسلامي والمذهب الزيدى كوسيلة للسيطرة الروحية على الشعب اليمنى من خلال نشر مجموعة من المفاهيم والأفكار التي روجت من أجل ترسيخ نظام الإمامة، وضرورة طاعة الإمام، ومن هذه المفاهيم على سبيل المثال: ((الصلاة لا تصح إلا بالإمام، والزكاة لا تدفع إلاّ له، وأنّ طاعة الإمام واجبة، والخروج عنه هو خروج عن الدين يستوجب أقصى العقوبات)) [3]. وغيرها من المفاهيم .

2- استمالة بعض القبائل اليمنية إلى جانبها والدفاع عن نظامها، حيث لعبت القبيلة دورا مؤثرا في تاريخ الإمامة والدفاع عنها، وذلك لما امتاز به رجال القبائل من الشهامة والشجاعة، ونجدة الملهوف فاستغل الإمام يحيى هذه القبائل للوصول إلى السلطة، وقد استخدم الإمام عدة وسائل لكسب القبائل إلى صفه منها:

أ- الرشوة والمعونات السنوية التي كانت تدفع لبعض القبائل.

ب- مصاهرة الإمام لمشايخ بعض القبائل القوية، لتقوية العلاقة بينهما، مثال ذلك، تزوج الإمام يحي من أخت شيخ قبيلة بكيل[4].

1- الحداد، مرجع سابق، ص 47.

2 - الشر جبي، قائد: الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، دار الحداثة لبنان، ط1، 1986، ص 70 - 71 .

3 - الشر جبي، مرجع سابق، ص 72.

4 - جولوبوفسكايا، إيلينا: ثورة 26 سبتمبر في اليمن، تر/ قائد محمد طربوش، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1982، ص 150 .

ج-اعتماد الإمامة على سياسة فرق تسد، ضد خصومها من القبائل، محاولةً بذلك ضرب قبيلة بأخرى.

د- الاعتماد على القوة لإخضاع القبائل المتمردة، كما فعل بقبيلة الزرانيق في تهامة.

هـ- استخدام نظام الرهائن[1]، والذي يعد من الأنظمة القبلية القديمة في اليمن، وقد وجد فيه الإمام يحي ومن بعده ابنه أحمد وسيلة لضمان خضوع القبائل لطاعة الدولة، ولضمان تلبية القبيلة بتقديم الأعداد المخصصة عليها لخدمة التجنيد[2].

3- استغلال الإمامة جهل الشعب، والسيطرة على عقولهم من خلا ل بث وترويج إشاعات، تثبت أن للإمام كرامات، وأن له خدم من الجن، يأتونه بالأخبار عن كل فرد ، حتى أصبح المواطن اليمنى يصدق هذه الدعايات، ويعتقد أن جن الإمام يراقبون كل حركاته[3].

لقد استطاع الإمام يحي بهذه الأساليب أن يمسك بزمام الأمور في البلاد، مركزا السلطة كلها في يديه، ولم يسمح بالتصرف في صغائر الأمور إلاّ بعلمه وموافقته، لقد كانت دولته كما شبهها الدكتور سيد مصطفى سالم بأنها أشبه بقبيلة كبيرة هو رئيسها[4] .

هذه السياسة التي أنتهجها الإمام يحي في اليمن، ومن بعد ابنه أحمد كانت تستند على الحكم الفردي المطلق الذي أصبح أساسا للسياسة الداخلية والخارجية حينذاك.

أولاً - السياسة الداخلية للإمامة في حكم اليمن :

استفاد الإمام يحي بعد خروج الأتراك من اليمن من بعض أساليبهم الإدارية، حيث أبقى الإمام على التقسيمات الإدارية التركية للمناطق، وعين لها أمراء وعمال وحكام، ولم يحاول أن يحدث أي تطوير في هذا الجانب[5].

---

1 - الرهينة: هي ابن شيخ القبيلة، أو أخوه، أو أحد أقاربه، تؤخذ من القبائل التي يخشى تمردها، وتحتجز في العاصمة، أو إحدى المدن الرئيسية، وتخضع لنظام خاص تحت رحمة الإمام. وقد قدر عدد الرهائن في عهد الإمام يحي بأربعة آلاف رهينة، بينما قدرت في عهد الإمام أحمد بألفي رهينة. أنظر: الصائدى، أحمد : حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحي(1904 – 1948)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1983، هامش ص 43 .

2 - العطار، مرجع سابق، ص 78.

3 - الشر جبى، مرجع سابق، ص 74.

4 - سالم، سيد مصطفى: تكوين اليمن الحديث (1904- 1948)، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4،1993، ص 479.

5 - الصائدى، مرجع سابق، ص 40 .

كانت الإدارة في اليمن، تعتمد على تقسيم البلاد إلى وحدات إدارية تسمى ألوية، وقد قسمت البلاد في عهد الإمام يحي إلى ستة ألوية وهي: (صنعاء، وتعز، وحجة ، والحديدة ، وصعده، وإب)، إلاّ أن الإمام يحي أقدم على إضافة لواء سابع وهو لواء البيضاء[1]. ويبدوا أن سبب إقدام الإمام على ذلك يرجع إلى وقوع المنطقة على الحدود المصطنعة التي خطتها بريطانيا، وأخضعت الجزء الجنوبي من اليمن لهيمنتها، فأراد الإمام تقوية إدارته هناك، درءاً للتوسع البريطاني، وصد غاراته المتكررة على تلك المناطق.

كان الحكم المركزي أحد سمات الإدارة في اليمن في عهد الإمامة ، حيث يعد الإمام هو الحاكم الذي ترفع إليه كل شؤون البلاد صغيرها وكبيرها، ولم يكن هناك وزارت محددة الاختصاصات بهيكل تنظيمي مستقل كما هو متعارف عليه الآن، وإنما وجد وزراء يتولون مهماتهم وفقاً لأوامر وتوجيهات الإمام، ولم يكن لهم أي صلاحية في مهامهم[2].

فجميع المعاملات اليومية، كانت تأتى مباشرة إلى الإمام، حيث يتدخل في كل القضايا مهما صغرت، حتى وصل الأمر بأن يتدخل في قضايا المشاحنات الشخصية في المناطق الريفية[3].

باختصار، كان البلد ملكاً له، وكان الإمام ينظر إليه على هذا الأساس، والإمام هو وحده الذي يتخذ كل القرارات، بحيث إذا اعتراه مرض أو عائق شخصي، تظل البلاد ومصالحها معلقة في انتظار شفائه[4].

كان التقسيم الإداري، يبد أ باللواء، يعين له الإمام مسؤولاً يسمى بنائب الإمام (محافظ حاليا) ويعين في اللواء إلى جانب النائب، أمير للجيش، وقاضي شرعي، ومديرا للمالية، ومديراً للتعليم، ويضم اللواء عدة أقضيه، ويسمى المسؤول عن القضاء عاملاً (مدير المديرية حالياً)، ويعين للقضاء إلى جانب العامل حاكم شرعي، ومسؤول للضرائب، ورئيس شرطة، وأمين بيت المال . ويشمل القضاء على عدة نواحي، وكل ناحية تضم عدة عزل، والعزلة تتكون من عدة قرى[5].

---

1 – العطار، مرجع سابق، ص 82 – 88.

2 – الهمداني، عبد الهادي حسين : التنمية الإدارية في الجمهورية اليمنية، دار النصر، دمشق، (د.ط)، 1990، ص 127 – 128 .

3 – الصائدى، مرجع سابق ، ص 40 .

4 – العطار، مرجع سابق، ص 79.

5 – الشرجبي، مرجع سابق، ص 77 .

كانت مهام النواب والعمال في الألوية والأقضية، القيام بجمع الضرائب المختلفة ، والزكوات من المواطنين، وإرسالها إلي خزينة الدولة التي يشرف عليها الإمام شخصيا[1].

ولإحكام السيطرة الإمامية على الألوية، وقمع التمردات الفلاحية والقبلية، اتبع النظام الامامى أبشع الوسائل والأساليب لذلك منها : أسلوب الرهائن المشار إليه فيما سبق، وأسلوب الخطاط، وهو نظام عسكري استخدمه الإمام لتأديب المتمردين على نظامه، ويتمثل هذا النظام بأن يرسل الإمام فرقة من العسكر للمنطقة المتمردة عن دفع الضرائب المقررة، ويظل هؤلاء الجنود فترة من الزمن قد تزيد أحيانا على شهر، يعيشون فيها على حساب المواطنين، مما يؤدى إلى إرهاق الفلاحين ونهب ممتلكاتهم[2].

وأسلوب التنافيذ : وهو وسيلة تتمثل بإرسال الإمام أو نائبه، جندي أو أكثر على شخص أو مجموعة من الأشخاص لإحضارهم إلى إحدى الجهات الحكومية أو القضائية، وذلك لدفع حق للغير أو للحكومة، ويلزم الشخص بالامتثال والحضور أمام الجهة المختصة، وقد يكون التنفيذ من أجل الزكاة، أو الأمن الاجتماعي[3] .

ثانياً – السياسة الخارجية:

انتهج الإمام يحي في حكم اليمن سياسة اتسمت بعزل اليمن عن المحيط الخارجي في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعدم السماح بفتح منافذ على العالم، تسهم في تحقيق تطور للأوضاع في اليمن. وكان تبريره في ذلك أنه: ((يدافع عن شعبه ضد الإلحاد والعلوم الوثنية، وصيانة التراب الوطني من المطامع الاستعمارية، ويريد أن يتبع الشعب الدين الصحيح حسب اجتهاده)) [4]. لكّنه من الناحية الفعلية قد أفرغ الوطنية من محتواها الحضاري التقدمي، وحولها إلى ذريعة لتكريس التخلف والعزلة وتجميد حياة الشعب اليمني في نطاق الجهل والتخلف والمرض.

---

1 – العز عزى، مرجع سابق، ص 72.

2 – عمر، سلطان أحمد: نظرة في تطور المجتمع اليمني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1970، ص 123.

3 – ناجي، سلطان: التاريخ العسكري لليمن، (د.ن)، عدن، (د.ط)، 1976م، ص 122.

4 – جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر في اليمن، مرجع سابق ، ص 22 .

وبرغم حرصه الشديد على فرض سياسة العزلة التامة، إلاّ أنه كان يجد نفسه مضطراً إلى مد أنظاره إلى الخارج، عند اشتداد الظروف عليه، إلاّ أنه كان حين يفكر بهذه القضية يجد نفسه مشدوداً إلى فكرته الثابتة المتمثلة ببقاء اليمن معزولة[1].

وفى سبيل حصول الإمام على الاعتراف باستقلاله، وكوسيلة لحل مشاكله، وتدعيم مركزه عقد جملة من المعاهدات مع كل من إيطاليا عام 1926، والاتحاد السوفيتي عام 1928، هولندا عام 1933، إثيوبيا عام 1935، فرنسا عام 1936، بلجيكا عام 1936، الولايات المتحدة الأمريكية عام1946[2].

ويلاحظ أن جميع هذه المعاهدات والاتفاقيات، محدودة الأغراض، لا تتعدى المجال التجاري، حيث لم يستفد منها الشعب شيئا ولم تؤدى إلى تطوير للبلاد .

هذه السياسة الانعزالية، كانت من العوامل الرئيسة التي أعاقت تطور اليمن ومنها تهامة، وتسببت في تخلف المنطقة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.

ففي المجال الاقتصادي، تأخرت الزراعة على الرغم أنها كانت الحرفة الرئيسية لأغلب السكان، ويرجع ذلك أن النظام الإمامي المتمثل بأسرة حميد الدين، لم يعمل طوال حكمه بجدية لإصلاح الأراضي القابلة للاستصلاح في تهامة، كما لم يقم بأي مشروع يؤدي إلى زيادة مساحة الأراضي الزراعية، مثل بناء السدود حول الأودية لحجز مياه الأمطار.

كما كانت التقنية الزراعية الحديثة معدومة تماماً للقيام بالعمليات الزراعية في جميع مناطق تهامة، وكانت تعتمد بشكل رئيسي على أدوات زراعية بدائية وتقليدية، كالمحراث الخشبي، والمنجل، والمحفر، والحجنة، وغيرها من الأدوات، وذلك مما انعكس بدوره على مردود الأرض، وقلة محصولها الزراعي .

أما بالنسبة لنظام ووسائل الري، فقد ظلت طوال فترة الدراسة في تهامة يعتمد على الجهد البشري والحيواني، ولم تعمل السلطة على إدخال نظم ري حديثة تساهم بدور إيجابي في تطور النشاط الزراعي. كما كان للسياسة الضريبية الباهظة والوسائل التي اتبعتها السلطة الإمامية في جبايتها من الفلاحين، دور في تقلص النشاط الزراعي، والحد من زيادة الإنتاج، مما جعل أغلب

---

1 – السلال، عبد الله وآخرون، ثورة اليمن الدستورية ، دار الكلمة، صنعاء ،(د .ط)، (د.ت)، ص 37 .

2 – الحداد، مرجع سابق، ص 109.

الفلاحين يغادرون البلاد بحثاً عن الرزق، مما نتج عنه تقلص الإنتاج الزراعي، وذلك كما سيتضح من خلال دراستنا .

وكذا الحال بالنسبة للثروة الحيوانية، فإن حظها لم يكن أفضل من حظ الإنتاج الزراعي. فنتيجة للضرائب الباهظة التي كانت تفرض على أصحابها، وقلة المراعي الطبيعية، وندرة الطبابة البيطرية التي كان من نتيجة غيابها انتشار الأمراض والآفات، تقلصت الثروة الحيوانية في المنطقة.

أما في المجال الصناعي والبحث عن الثروة المعدنية، فقد انعدمت المشاريع الصناعية الحديثة، حيث لم تقم السلطة بأي دور في هذا المجال، ويرجع ذلك أن الإمامة كانت لا توافق على منح الأجانب عموماً، أي امتيازات للبحث والتنقيب عن الثروة المعدنية، ولا القيام بمشاريع اقتصادية حديثة، وكانت الإمامة ترجع ذلك إلى مبررات: منها الخوف من المطامع الأجنبية في ثروات البلد، وهو ما عّبر عنه الإمام يحي حينذاك بقوله : ((إننا نفضل أن نعيش في ظل الفقر مكتفين بأكل العشب، على أن نرى ثروة بلادنا تحت أقدام أجنبي)) [1] .

كما أثّر هذا الواقع السياسي على نمو واتساع الحركة التجارية في تهامة، حيث حال دون نشوء فئة تجارية مؤثرة، عدا بعض التجار الذين ارتبطوا بالسلطة، وعملوا على احتكار التجارة الداخلية والخارجية، مما أدى إلى ضعف السوق المحلية .

وخلاصة القول: أن هذه السياسة الانعزالية أدت إلى تعميق الكساد في المجال الاقتصادي، وأبقت على العلاقات الاقتصادية البدائية في المدينة والريف، كما ساعدت على الاحتفاظ بالطبيعة البدائية للاقتصاد، وأعاقت نمو وسائل الاتصالات الحديثة، والنظام النقدي وغيره .

أما في المجال الاجتماعي، فقد كرست الإمامة النظام القبلي، خدمة لمصالحها، وأصبحت سلطة الإمامة أكثر استبدادية، كما أذكت التقسيم الفئوي، حيث ظل المجتمع اليمني محتفظاً بتوجهاته المناطقية، ونزعاته القبلية، كما كان لسياسة السلطة الإمامية دوراً في بقاء الجمود الثقافي، والتمسك بالقيم والعادات والتقاليد الاجتماعية البالية، وعدم تطويرها، حيث ظل التعليم متخلفاً، وأقتصر في أغلبه على التعليم الديني في المساجد والمدارس الدينية والُربُط، كما انعكست على الجانب الصحي وغيرها من الجوانب الأخرى، كما سيتضح في ثنايا هذه الدراسة.

---

1 – العطار، مرجع سابق، ص 36.

الفصل الأول:

البنية المادية للحياة الاقتصادية في تهامة اليمن :

أولاً -قوى وعلاقات الإنتاج في تهامة اليمن :

1- الملكية الزراعية، أشكالها وطرق استغلالها في تهامة:

قبل البدء بدراسة النظام الاقتصادي السائد في اليمن عامة وتهامة تحديداً ، لابد من التأكيد على أن إستراتيجية الموقع وأهميته في المنطقة (كما في الوطن العربي)، فتحت المجال واسعاً للنشاطات الرأسمالية الأوربية، في ظل التردي العثماني عامة، لاسيما في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وعند ذلك الممر المائي العالمي (باب المندب) مابين بحر العرب والبحر الأحمر، أدت الاستثمارات الرأسمالية إلى تفكيك النظام الإقطاعي الذي كان رلسخاً في المراحل التاريخية السابقة. وقد ظل هذا النظام على حاله من التفكك في تهامة خلال فترة الدراسة، وذلك نتيجة الاستثمارات الرأسمالية من خلال الدور الأجنبي في البلاد ومصالحه، وذلك بدلالة نوعية الممتلكات الزراعية، حيث وجدت إلى جانب الملكيات الزراعية الكبيرة، ملكيات صغيرة ومتوسطة. لكن اللافت في الأمر أن الفلاحين في تهامة لم يكونوا عبيداً للأرض وأصحابها، ولم يلتزمون بالخدمات الإجبارية الشاقة، كما في مفهوم النظام الإقطاعي الذي ساد بلدان الوطن العربي خلال الوجود العثماني، بل ظل الفلاحون أحراراً تربطهم بملاك الأراضي علاقة تحكمها الأعراف والتقاليد المتوارثة، التي تعتمد على مبدأ المشاركة في المحصول أو الإجارة. إلى جانب قيامها على أساس التعاون التي تلزم الفلاحين بمساعدة بعضهم البعض، وهو ما يسمى في تهامة (بالفزعة)، التي

تعني الإغاثة والنصرة، التي لا تمت إلى (نظام السخرة) بأية صلة لا من قريب ولا من بعيد ؛ وذلك بحكم نظام القبيلة وأعرافها التقليدية التي مازالوا يحافظون عليها حتى اليوم، وعلاقات القربى التي تحكمها[1] .

أ- تعريف الملكية :

يمكن تعريف الملكية على أنها: ((حق قانوني للتصرف في شيء من الأشياء المادية والفكرية واستغلاله، هذا الحق يتمتع به فرد أو جماعة من الجماعات)) [2] .

ويشترط في الملكية شروط ثلاثة هي: وجود المالك والممتلكات، والعلاقة بينهما، فضلاً عن أن هذه الملكية حق مانع، أي مقصور على صاحبه، يستطيع أن يتصرف بها كيفما شاء، بدون مشاركة غيره[3]. تكتسب الملكية بعدة طرق[4]، حيث يصبح للمالك حقوق الملكية الكاملة والتي تتمثل بحق الانتفاع والاستعمال، وحق الرهن الرسمي، وحق الاختصاص، وحقوق الامتياز[5]. وهي تختلف عن الحيازة التي لاتتضمن حقوق الملكية الكاملة وإنما في بعضها، والتي تشمل حق الاستعمال والانتفاع دون حق التصرف .

ويُعد النقص الشديد في الأرقام التي تخص الملكية الزراعية من أكثر المشكلات التي تواجه الباحثين في هذا المجال، وهذا النقص مرجعه الأساس إلى عدم وجود سجلات لملكية الأراضي الزراعية لفترة الدراسة، هذه المشكلة ليست مشكلة اليمن فحسب، لكنها مشكلة عامة في أكثر البلدان النامية والمتخلفة، التي تعاني من عدم تنظيم الملكية الزراعية إلاّ بحدود ضيقة .

ب- أشكال الملكية الزراعية في تهامة :

1- الشرجبي، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، مرجع سابق، ص126 – 127 .؛ العطار، مرجع سابق، ص 115 – 116 .

2- عوده، محمود: القرية المصرية بين التاريخ وعلم الاجتماع، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ط2، 1983، ص 105.

3- أبو غانم، مرجع سابق، ص 149.

4- بطريقة الميراث، أو الحيازة، أو الوصية، أو العقد، أو الشفعة. أبو غانم، مرجع سابق، ص 148.

5- المرجع نفسه .

كان من الطبيعي والحالة هذه أن تكون الملكية الزراعية في تهامة انعكاس لطبيعة العلاقات الاقتصادية، التي فرضت نفسها بقوة على المجتمع يومذاك، فضلاً عن أنّ تاريخ المنطقة وشهرة بعض مدنها كتجمعات سكانية، ومراكز علمية، كان له دور في تعدد أشكال الملكية وتنوعها، مما جعل الكثير من طلاب العلم يفدون إليها ويجدون مأكلهم ومشربهم فيها، الأمر الذي أوجد فئة من التجار وملاك الأراضي قاموا بوقف كثير من أراضيهم على المدارس العلمية والمساجد ودور العلم، كل ذلك أدى إلى ظهور ثلاثة أشكال للملكية في تهامة وهي[1]:

أولاً – الملكية الخاصة:

هي الأراضي الزراعية التي تعود ملكيتها إلى الأفراد من عامة الناس، لهم حق التصرف فيها ببيعها أورهنها أو تخصيصها للأوقاف، سواءٌ كانت هذه الأرض وصايا أو صوافي أو أملاكاً حرة، أ وأراضي موات تّم إحياؤها ، ومشاع تّم استصلاحها، وملكها أصحابها في الغالب إما بالشراء، أو كحقوق مكتسبة (إرث)، ويتم تقلسمها غالباً بين أفراد العائلة، وفقاً لأحكام الشرع والعرف بعد موت المَورث أو في حياته[2].

ففي تهامة تكاد تكون هذه الملكية حكراً على عدد من الملاك، حيث تملك أربعون عائلة مابين 50 –70 % من الأراضي الزراعية في الوديان، هؤلاء الملاك نادراً ماكانوا يعيشون في القرى أو قريباً من أراضيهم، بل كان أغلبيتهم يعيشون في المدن كالحديدة وزبيد والزهرة وبيت الفقيه ويجعلون لهم شركاء في أراضيهم لزراعتها[3].

ففي مسح شامل لأراضي وادي زبيد، وجد أنّ هناك 24 عائلة تمتلك 6150 هكتار ((أي ما نسبته 36%من مجموع أراضي الوادي)) ، بينها خمس عائلات تمتلك لوحدها 3741 هكتار ، أمّا من يمتلكون أقل من هذا القدر فأغلبهم يعيشون في القرى[4].

1- جعفر، مرجع سابق، ص44.

2- الدودحي، فيصل محمد : الأرض والسلطة في اليمن المعاصر، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء، 2009م، ص 130.

3- الجهاز المركزي للتخطيط (نظم الحيازة والعلاقات الزراعية في اليمن)، نشرة رقم 65 صنعاء، يناير/ كانون الثاني 1973م، ص 8 .

4- جعفر، مرجع سابق، ص 45.

وعلى الرغم من خضوع حجم الملكيات الزراعية في اليمن للتقديرات، بسبب عدم وجود نظام لتسجيل الأراضي خلال فترة الدراسة كما أشرنا سابقاً، إلاّ أنّه ومن خلال هذه التقديرات التي تناولتها بعض الدراسات، التي اعتمدت على تقديرات بعض البعثات الزراعية التي زارت اليمن خلال تلك الفترة فضلاً عن بعض التقديرات التي أوردتها منظمات هيئة الأمم المتحدة، خاصة منظمة الأغذية والزراعة الدولية (الفاو)، واعتماداً على دفاتر تحصيل الضرائب، يمكننا القول أنّ الملكية الخاصة بمختلف أحجامها الكبيرة والمتوسطة والصغيرة كانت منتشرة في كافة أنحاء اليمن ومنها تهامة، وأنها شكّلت القسم الأكبر بين الملكيات الزراعية الأخرى في تهامة، حيث تراوحت مساحتها مابين 70- 80 % من إجمالي الأراضي الزراعية في اليمن، وبلغت في تهامة مابين 50- 54 % من إجمالي الأراضي الزراعية، أي ما نسبته 30% من مجموع الأراضي الزراعية في اليمن [1]. ويرجع ذلك للأسباب والعوامل التالية :

1- العامل الجغرافي: إن التنوع الجغرافي الذي يتميز به اليمن عامة، وتهامة جزء منه قد أثّر على نظام الملكية بشكل عام، غير أنّ تأثيره على الملكية الخاصة هو الأهم، لارتباط الملكية الخاصة بعموم السكان، الذين يتوزعون على كل مناطق تهامة ؛ لأنّ مساحة الأراضي الزراعية في المناطق السهلية هي الأكثر اتساعا وخصوبة مما ساعد على نشؤ ملكيات خاصة، فضلاً عن أنّ العديد من سكان تهامة وأمام سعة الأراضي الزراعية، وعدم قدرتهم على استثمارها، فقد لجأوا إلى الاحتفاظ بمساحات تتناسب مع قدرتهم، بخاصةً الأراضي القريبة من مناطق سكناهم، علاوة على ذلك فإن توفر مصادر المياه المختلفة في المنطقة شكّل بيئة مناسبة لقيام كافة أشكال الملكية الخاصة[2].

2- العامل السياسي: وتمثل ذلك باستغلال بعض الأفراد والأسر مكانتهم السياسية والإدارية وقربهم من السلطة الحاكمة في الحصول علي أراضي واسعة في تهامة، بخاصة بعض الأسر الحاكمة والمتنفذة في أجهزة الدولة المختلفة حينذاك .

3- العامل الاقتصادي . الاجتماعي: اللذين ظهر أثرهما من خلال الرغبة في تملك الأرض لما لها من أهمية في تعزيز المكانة الاجتماعية وتحسين المستوى الاقتصادي للمالك، حيث أن مكانة الفرد في المجقع ترتبط غالباً بما يملكه من أرض، ليس فقط لأنّ الأرض تمثل مصدر

1- الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق، ص 25- 27 .

2- الدودحي، مرجع سابق، ص 133- 134 .

معيشته، بل لأنّ التمسك والارتباط بها تمنحه شرعية الوجود والانتماء، وتعزز من مكانته الاجتماعية بين أفراد المجتمع[1].

4- عقود المشاركة: لجأ الكثير من الملاك وكبار موظفي الدولة وبعض مشايخ القبائل والتجار إلى استثمار أراضي الأوقاف والوصايا وأملاك الدولة بعقود المشاركة، وبأشكال مختلفة، ومع مرور الزمن وضعف الدولة قام هؤلاء المتعاقدين بالسيطرة على تلك الأراضي وضمها إلى أملاكهم الخاصة بطرق مختلفة، كالشراء، والمناقلة، والمعاوضة، والمصادرة، مستغلين نفوذهم في ذلك[2].

تبعاً لذلك تفاوتت الملكيات الخاصة في تهامة من حيث حجمها، تبعاً لنوعية الملاك، ونشاطهم الاقتصادي، ومكانتهم الاجتماعية والسياسية، وقد تجلى ذلك التفاوت على النحو الأتي:

أ- **ملكية خاصة كبيرة:** تتركز في المناطق الخصبة الواسعة المساحة من تهامة وحول المدن والأودية، بلغت نسبتها 40% من إجمالي الأراضي الزراعية في المنطقة[3].

جاءت هذه النسبة نتيجة النفوذ الذي كان يمارسه أصحاب الأراضي من شيوخ وسادة وقضاة، والذين سيطروا على أراضي الفلاحين بطرق عدة: منها المراباة والحّيل، أو تزييف وثائق الملكية لصالحهم، وإجبارهم على بيع أراضيهم بأثمان زهيدة، وفي حالة عجز الفلاحين عن تسديد ديونهم لكبار الملاك يتم الاستيلاء على أرضهم تحت حماية السلطة[4].

ومما يؤكد ذلك ما ذكره محمد علي عثمان الذي كان يرأس إتحاد الدول العربية الثلاثي عام 1959 المكون من العربية المتحدة، وسوريا والمملكة المتوكلية اليمنية في التقرير الذي قدمه لمجلس الإتحاد، والذي أشار فيه إلى تقديرات الملكيات الخاصة الكبيرة في منطقة تهامة حينذاك على الشكل التالي :

40% من الأراضي يملكها كبار الملاك، و60% من الأراضي ملكيات فلاحية صغيرة .

ويورد التقرير أن 10 % من سكان منطقة تهامة مُعدمون، ويعملون بالأجرة في أراضي كبار الملاك [5]. فمن أبرز الأسر التي كانت تمتلك ملكيات كبيرة في تهامة أسرة هادي هيج إذ كان

1- المرجع نفسه، ص 135.

2- المسعودي، مرجع سابق، ص 96- 97 .

3- غالب، محمد أنعم: اليمن، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط1، 1962م، ص40.

4- عمر، نظرة في تطور المجتمع اليمني، مرجع سابق، ص64.

5- المرجع نفسه، ص 68 .

يملك 15750 هكتار [1]. جاءت له هذه الثروة بعد تعيينه عاملاً من قبل الإمام يحي حميد الدين على منطقة الزهرة في تهامة، وقد منحه الإمام امتيازات سياسية واقتصادية، حيث كان ميناء اللُحَيّة[2]، تحت تصرفه الشخصي يستغله في الاستيراد والتصدير[3].

كما قدرت أملاك أسرة حميد الدين في تهامة بـ 11700هكتار، وعائلة علي محمد الجبلي 2250هكتار[4].

ب- **ملكيات خاصة متوسطة** : وتنتشر في أنحاء مختلفة من اليمن، ومنها تهامة ، يتراوح حجمها في شمال اليمن وجنوبه الغربي مابين 300- 500هكتار[5].

ج - ملكيات خاصة صغيرة : تكونت نتيجة تفتت الملكيات الكبيرة والمتوسطة بفعل نظام الميراث، والتحولات السياسية والاقتصادية التي شهدها اليمن آنذاك، وتنتشر في كافة أنحاء اليمن ومنها تهامة، وقدرت هذه الملكيات حسب إحدى المصادر، بناءاً على ما قامت به من الدراسات : ((بأن 90% من صغار الفلاحين، لا يملكون سوى 2% من الأراضي القابلة للحرث، وهذه الأراضي هي بصفة عامة قطع صغيرة، يتراوح حجمها مابين 1- 20 هكتار للمالك الواحد)) [6].

1- العطار، مرجع سابق، ص 124.

2-اللُّحَيّه : بلامين إحداهما مضمومة ومشددة ،وفتح الحاء المهملة، والياء المشددة، ثم هاء ساكنه، بلدة تهامية على ساحل البحر الأحمر شمالي الحديدة .أنظر: الحجري، محمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تح/ إسماعيل الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط3، 2004م، مج2، ج2، ص 679 .

3-فضلاً إلى قيامه بفرض على كل عقد قران في منطقته مبلغاً من المال يقدر ب21ريالاً وهو مبلغ كبير قياساً على ما كانت عليه الحياة الاقتصادية في تلك الفترة . انظر: الشهاري، محمد علي: طريق الثورة اليمنية، دار الهلال، القاهرة، (د.ط)، 1966، ص 66 .

4- العطار، مرجع سابق، ص124.

5- المسعودي، مرجع سابق ، ص 91 .

6- العطار، مرجع سابق، ص 124.

ثانياً – ملكية الأوقاف [1]:

وهي الأراضي التي أوقفها ملاّكها في أعمال البر والخير، وكانت في الغالب توقف إما للمدارس أو للمساجد،أو توقف ملكاً خاصاً لعائلة الواقف حتى لا تقسم ضمن الإرث، ويستفيد منها جميع أفراد العائلة على حدٍ سواء.

احتلت ملكية الأوقاف المرتبة الثانية بين أشكال الملكية في تهامة من حيث مساحتها، على أن تلك المساحة تتفاوت من منطقة إلى أخرى، وهي تزيد في تهامة على أكثر من ثلث أراضيها[2]. ويُعد وادي زبيد من أكثر الأودية في تهامة الذي يسود فيه نظام وقف الأراضي، ويرجع ذلك إلى تاريخ مدينة زبيد كمدينة علمية احتوت على العديد من المدارس والمساجد والبيوت الخيرية التي كانت تحصل على احتياجاتها من الوقف[3]. وتتقسم أراضي الوقف في تهامة إلى خمسة أنواع هي:

1- الوقف الداخلي(الكائن): وهي الأراضي المجهولة واقفوها، فضمت إلى الأوقاف العامة لتشرف عليها وزارة الأوقاف، وتصرف ما حُدد منها للمساجد والمدارس وغيرها، ولا يجوز بيع هذا الوقف أورهنه أو التصرف فيه [4].

2- الوقف الخارجي: وهو الوقفللذي لا تُدار أراضيه من قبل وزارة الأوقاف، وإنما يديره شخص من عائلة الواقف، ويعطى له 5%من دخل هذا الوقف، ويُعطى لوزارة الأوقاف منه 5%، ويتم صرف ما حُدد للمدارس والمساجد وغيرها، ويقسم الباقي على العائلة بحسب الشرع، ولا يجوز بيع أورهن أراضي هذا الوقف .

1- الوقف في اللغة: الحبس والمنع، يقال: وقفت الدار أي حبستها في سبيل الله، وفي الاصطلاح: حبس العين على ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة، وتحبيس الشيء أن يبقى أصله ويجعل ثمره في سبيل الله، والوقف نوعان: وقف أهلي ذري، وهو ما تكون منافعه للأولادوالأحفاد أو الأقارب، ووقف خيري وهو ما تُصرف منفعته على جهة خيرية كفئة من فئات المجتمع، أو المساجد والملولس والمستشفيات والُربُط وغيرها . أنظر:الطرابلسي، برهان الدين : الإسعاف في أحكام الأوقاف، دار الرائد العربي ، بيروت، (د.ط) ، 1401هـ /1981م، ص 7 .

2- جعفر، مرجع سابق ، ص 45 .

3- مكرد ، عبد الواحد عثمان ، وآخرون : الدليل الزراعي لسهل تهامة ، الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي، صنعاء، (د.ط) ، 1998، ص 13 .

4- رئاسة الجمهورية: قانون بشأن الوقف، صنعاء، 25 رمضان 1421هـ/ 1992م، مادة 4، ص 2.

3–وقف الواصي : يتولى إدارة هذا الوقف الأكبر سناً في العائلة ويسمى (ناظر)، ويحصل على 2,5% زيادة على نصيبه، ويقسم الباقي على أسرة الواقف بحسب الشرع، ولا يعطى لوزارة الأوقاف منه شيء[1].

4– وقف الثلث: سمي بذلك لأن مردود هذا الوقف يوزع على ثلاث جهات هي ثلاثة أعشار للحكومة، وعشر للزكاة، وعشران لوزارة الأوقاف، ويمكن بيع هذا الوقف من شخص لآخر، ونقله بما عليه من شخص لآخر[2].

5– وقف مثلث الحرمين: وسمي بذلك نسبة إلى الحرمين الشريفين، حيث يعطى من دخل هذا الوقف للأماكن المقدسة في مكة والمدينة، وعشر من الدخل للدولة [3]، ويجوز التصرف فيه بالبيع أو الرهن[4].

علاوة على ذلك فقد أسهمت الأوقاف في نشؤ المؤسسات الدينية والتعليمية والصحية وحفظتها من أن تتعطل أو أن تتوقف عن أداء وظيفتها، لأن العائد المتجدد من الأصول الثابتة (الأوقاف) يكفل لهذه المؤسسات الاستمرارية في أداء رسالتها دون توقف .

ثالثا– ملكية الدولة:

ويقصد بها الأراضي التي تعود ملكيتها للدولة، ولها حق التصرف بمنفعتها بشكل دائم، وتشمل الأراضي الزراعية المعروفة باسم أملاك الدولة، إلى جانب صوافي بيت المال، والأوقاف والوصاياالتي لم يعد يُعرف واقفوها والموصيين بها، لموت أو جلاء أو انقطاع ذرية، وكل أرض لا مالك لها . كما عُدت أراضي الموات والمشاع البعيدة عن مناطق السُكنى والتي لا تدخل ضمن حدود القبائل أو القرى والمدن المجاورة المأهولة بالسكان من أملاك الدولة[5]. تقدر مساحة هذه الأرض في تهامة بحوالي 10 % من مجموع الأراضي الزراعية، يطلق عليها في بيت الفقيه بأراضي الميري، وفي زبيد مثلث بيت المال، وسبب التسمية ترجع إلى أنّ ربع دخل هذه الأرض

1– مكرد، مرجع سابق، ص14 .

2– جعفر، مرجع سابق، ص 45.

3– مكرد ، مرجع سابق ، ص 14 .

4– جعفر، مرجع سابق، ص 46.

5– الدودحي، مرجع سابق، ص 151 .

يعود إلى خزينة الدولة كنظير للزكاة، والثلاثة الأخرى تدفع كنوع من الإيجار لمستغلي هذه الأرض من صغار المزارعين للدولة صاحبة الحق[1].

وخلاصة القول: أن الملكية في تهامة بكافة أشكالها قد ساهمت بدور بارز في حدوث التحولات الاجتماعية المختلفة، حيث أنّ مكانة الفرد ترتبط غالباً بما يملكه من أرض، ليس فقط لأن الأرض تمثل مصدر معيشته، بل لأنّ التمسك والارتباط بها هو الذي يمنحه شرعية الوجود والانتماء، ويعزز من مكانته بين أفراد مجتمعه، كما أنّ طبيعة العلاقات بين القبائل مع بعضها البعض أو مع الدولة يرتبط الكثير منها بالملكية كون الكثير من النزاعات القبلية . القبلية، أو مع الدولة تحدث في معظمها بسبب الخلافات حول ملكية الأرض ومصادر الري، فضلاً عن أنّ الكثير من الانتفاضات والتمردات القبلية والمناطقية كانت تحدث نتيجة أسباب تتعلق بملكية الأرض ونظام الجباية .

ج- طرق استغلال الأراضي الزراعية في تهامة :

إن استغلال الأراضي الزراعية في منطقة تهامة، يُعد أهم موارد المنطقة ومصدر ثراء الفئة الاجتماعية الميسورة من كبار الملاك الذين يتصرفون في نسبة كبيرة من الأملاك الخاصة، ويسيطرون على كامل الحزام الترابي المتاخم للمنطقة، وكذلك على الأوقاف التابعة للمؤسسات الدينية والاجتماعية، إنّ هذا الوضع قد أفرز تباينات اجتماعية واقتصادية كبيرة بين فئة كبار الملاك وفئة صغار الفلاحين الذين كانوا يمثلون الأغلبية في تهامة، الذين تردت أوضاعهم الاقتصادية بسبب قلة وسائل الإنتاج وتخلفها، وضعف قدرتهم على المنافسة، وارتفاع كلفة الإنتاج [2].

وفيما يلي أهم الطرق المتبعة في استغلال الأراضي الزراعية في تهامة خلال فترة الدراسة:

1- **طريقة الإجارة :** يقوم أصحاب الأراضي سواء من كبار الملاك أومن صغار الملاك بما فيهم بعض الفلاحين الميسورين باستئجار أفراد للقيام بالعمليات الزراعية مقابل أجر معين، يتم دفعه يومياً ، إمّا بشكل نقدي أو عيني، و إن كان النقدي هو الغالب والأوسع انتشاراً وبخاصة في الأراضي المخصصة لزراعة القطن في تهامة، كان الأجر اليومي للعامل يتراوح مابين ربع ريال

1- جعفر، مرجع سابق، ص 45- 46.

2- الشريف، مرجع سابق، ص 240-242.

وثلاثة أثمان الريال[1]،فضلاً عن الأجر اليومي فقد كان العامل يحصل على وجبة غذائية في اليوم [2] .

تختلف هذه الأعمال الزراعية في الموسم الزراعي بحسب ما تتطلبه العملية الزراعية، فمثلاً الحراثة يقوم بها شخص يدعى بالباتل[3]والذي يُعد كمزارع أجير يعمل في حراثة الأرض وخدمة الثيران عند كبار الفلاحين وأصحاب الأراضي [4].

يستعمل الباتل في حرث الأرض سحوب من حديد تسمى بالمحراث يصنعها الحدادون في ورشهم التقليدية، يجر هذا المحراث ثوران يعرفان في تهامة باسم الضمد [5]. يشترط في الباتل أن يكون على علم بالمواعيد المناسبة لحرث التربة التي قد تواجه مشقة في حرثها لاسّيما إذا كانت طينية صلبة وقوية غير لينة [6].

يأتي بعد الباتل عامل يعرف باسم الذاري[7] يباشر العمل في الأرض بعد أن يكمل الباتل مهمته في قلب التربة، يُشترط في الذاري أن يكون ذو خبرة في مجال عمله، حيث أن إتقانه لرمي الحبوب يكون له دور فيما تعطيه الأرض من زرع حسب رميه وتوزيعه لها [8].

بعد نضج الزرع يكون بحاجة إلى من يقوم بالحفاظ عليه، يتولى هذه المهمة شخص يستعان به يطلق عليه اسم الشارح [9]، وقد يكون الشارح ممن لادخل له بالأراضي الزراعية وإنما يستعان به للحفاظ على الزرع من اللصوص أو الحيوانات أو الطيور بمقابل مبلغ من المال أو نصيب من غلة الأرض يتم الاتفاق عليها مع مالك الأرض، يجب على الشارح أن يبيت في الأرض لتفقدها

1- كانت قيمة الريال آنذاك تحددها أثمان الفضة في الأسواق العالمية، فكانت القيمة التقريبية للريال تساوي مابين 0,76 إلى 0,80 .سنتيم من الدولار الأمريكي . أنظر: العطار، مرجع سابق، ص 236.

2- الشرجبي، الشرائح الإجتماعية، مرجع سابق، ص 30 – 31 .

3-البتلة هي: حراثة الأرض وشقها خدمة لها، وقلباً لتربتها إعداداً لبذرها، والباتل هو من يقوم بذلك .

أنظر: الإرياني، مطهر علي: الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412 / 1992، ج1، ص 148.

4- هديل، طه حسين عوض : الحياة الاجتماعية في اليمن، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء، 2007م، ص 157- 158 .

5- المرجع نفسه، ص 158.

6- المرجع نفسه .

7-الذاري :هو الشخص الذي يقوم برمي الحبوب في التربة متتبعاً الشقوق التي يتركها الباتل .

8- مجهول : نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، تح / محمد عبد الرحيم جازم ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 2003م ، ج1، ص 368 - 369 .

9- الشارح: هو الذي يحفظ الزرع من الطيور وغيرها. انظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج2، ص 497.

مابين الحين والآخر بالليل والنهار، مستعملاً نوعاً من الحبال المعروفة بالسلب لطرد الطيور، التي يمكن أن تضر بالزرع والثمار، ويستعمل الشارح أخشاباً تكون مرتفعة عن الأرض ليقف عليها عند قيامه بمهمته، إذ يصعد عليه ليرتفع عن مستوى الزرع، ويجلس عليها ليستريح من عناء الوقوف والتركيز عند الحراسة، تستمر هذه العملية حتى تنضج الثمار وتبدأ عملية الحصاد[1].

بعد نضج الثمار تبدأ عملية الحصاد، وعادة مايقوم بهذه المهمة عدد من العمال يطلق على الواحد منهم اسم الصرّاب [2]. حيث يستغل هؤلاء نضج الزروع والثمار ليتجهوا إلى أراضي المزارعين للعمل في حصد ثمارها، ويصبحون ذو قيمة في مثل هذه المواسم، لاسّيما عند قلتهم، أما إذا ازدادت أعدادهم فإنهم يشكلون عبئاً على ملاك الأراضي، وقد كانت أجرتهم في تهامة ترتفع عند قلتهم، وتنخفض عند زيادة عددهم [3]. وغالباً ماكان يتقاضى هؤلاء العمال أجرهم في نفس اليوم ويكون الأجر عيناً من المحصول بحيث يتقاضى الواحد منهم الثمن أو العشر من ثمار السنابل التي قام بصرابها [4]. عقب ذلك تبدأ عملية الخبيط[5]، يقوم بهذه المهمة شخص يعرف باسم (اللباج) مقابل أجرة يتفق عليها مع مالك الأرض، حيث كانوا يحصلون على 9 أو 10 % من الثمار بعد خبطها[6].

ويبدو أن الدافع لهذه الطريقة في استغلال الأرض هو انشغال أصحاب الأراضي بأعمال أخرى، كما يلجأ إلى هذه الطريقة أصحاب الملكيات الكبيرة، التي تحتاج إلى جهد ووقت لاستصلاحها.

1- هديل، مرجع سابق، ص 159.

2- الصّراب : هو الحصّاد، وهي كلمة عربية يمنية قديمة وردت في عدد من النقوش ، وأصلها من مادة صرب صرباً بمعنى قطع يقطع قطعاً، ومازالت باقية إلى اليوم، إذ يقال اليوم، صرب الناس الزرع يصربونه أي يحصدونه . أنظر: الإرياني ، المعجم اليمني، مرجع سابق، ص 542 .

3- نور المعارف، مرجع سابق، ص374 -375.

4- حبيب، عبد الإله : زبيد المعاصرة (دراسة اجتماعية واقتصادية 1962- 1980)، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب . جامعة عدن ، 2007م ، ص 143 .

5-الخبيط: هي مأخوذة من الفعل خبط، يخبطه، خبطاً ،أي ضربه ضرباً شديداً . والخبيط هو: الضرب بقوة لفصل الحب عن السنابل، ويستخدم في ذلك عصى طويلة من الخشب معقوفة من الأطراف تسمى في تهامة بالحنية (المخبط) يقبض عليها الشخص بيديه ويهوي بها ضربة وراء ضربة على السنابل المرمية على الأرض الصلبة المخصصة لهذا الغرض. أنظر: الإرياني، مرجع سابق، ص 794 .

6- مقابلة شخصية مع الأخ / عبد الرحمن المزجاجي، بتاريخ 20/ 6/ 2009م .

2- **طريقة المشاركة بالمحصول (المزارعة):**

يُعد نظام المشاركة في المحصول الأعم والأوسع انتشاراً في كثير من المناطق اليمنية، ومنها سهل تهامة، وخاصة لدى أصحاب الملكيات الكبيرة، ويتم هذا النظام عبر عقد بين المالك والمزارع (الشريك)، يُحدد فيه نصيب كل من المالك والشريك، يختلف هذا النصيب باختلاف خصوبة الأرض، ومصدر المياه، ونوع المحصول كما يلي[1]:

أ- المشاركة في الأراضي المروية : الأراضي التي تعتمد في سقيها على السيول المتدفقة من الأودية تكون ذو خصوبة عالية، وكثيرة الإنتاج وبالتالي فإن نصيب مالك الأرض فيها يكون ثلاثة أرباع المحصول، مقابل تقديمه للأرض وآلات الحرث، والبذور والحيوانات العاملة، والربع الباقي للشريك مقابل عمله وجهده في استصلاح الأرض، وذلك بعد إخراج الزكاة[2].

ب- المشاركة في الأراضي البعلية (المطرية):

الأراضي التي تعتمد في سقيها على مياه الأمطار تكون ذات خصوبة متوسطة، وبالتالي فإن الشريك يبذل جهداً كبيراً في استصلاحها وزراعتها، لذلك تكون قسمة المحصول من هذه الأرض مناصفة بين الشريك والمالك، نظير أن يتحمل الطرفان مناصفة لكل التكاليف، بما في ذلك الزكاة [3]، ويرتفع نصيب المالك في تهامة إلى ثلاثة أرباع المحصول مقابل تقديمه آلات الحرث ووسائلها[4].

ج - المشاركة في الأراضي المروية بمياه الآبار:

الأراضي التي تُسقى بواسطة المياه الجوفية (الآبار) تكلف الكثير من النفقات، ففي هذه الحالة إذا كان مالك الأرض هو صاحب البئر، وتحمل تكاليف المياه والبذور والحراثة فإنه يحصل على ثلاثة أرباع المحصول، بينما يحصل الشريك على الربع الباقي، وتخصم الزكاة قبل توزيع الحصص، أمّا إذا كان صاحب البئر مستثمراً آخر فإن مالك الأرض يحصل على 25% من

1- الشرجبي، قائد : القرية والدولة في المجتمع اليمني، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1990م، ص 200 .

2- عمر، مرجع سابق، ص 80- 81.

3- جعفر، مرجع سابق، صد47.

4- العطار، مرجع سابق، ص 162.

المحصول، بينما يحصل الشريك على 25%، ويحصل مالك البئر على 50% من المحصول، مع تحمله تكاليف المياه، أما التكاليف الأخرى فتخصم من المحصول قبل توزيعه[1].

3- **طريقة الاستئجار:** تنقسم الأراضي المؤجرة في تهامة إلى قسمين:

أ- **أراضي الوقف :** تقع معظم أراضي الوقف في تهامة تحت أيدي كبار الملاك، حيث يقومون باستئجارها مقابل دفع الخمس من المحصول للوقف، والعشر لبيت المال، ويسمى هذا النوع من الاستئجار (البدل) ، كما أن من حق المستأجر بيع هذه الأرض، ولكن بالنقلة وذلك بأن يكتب في العقد انتقل لاشترى، وذلك لأن المستأجر لا يملك الأرض، وإنما له مقابل ما استحدث من إصلاحات في الأرض، أو مقابل تنازله عن بسط هذه الأرض[2]، ويعطي المستأجر لناظر الوقف محاصيل الحبوب عيناً ، وإذا كانت الأرض تزرع بالخضروات فيسلم إيجارها نقداً [3].

ب- **استئجار الأملاك الخاصة :** يقوم كبار الملاك من المزارعين الذين يعيشون في المدن، بتأجير أراضيهم لمجموعة من الفلاحين مقابل مبلغ معين من المال يحصل عليه المالك للأرض، وذلك بناء على اتفاق مكتوب بينهما، حيث تصل مدة الإجارة إلى أكثر من عشر سنوات أحياناً ، وذلك وفق شروط وقوانين يتفق عليها مابين الطرفين[4].

ويشير أحد الباحثين إلى نوع آخر من استغلال الأراضي في تهامة، حيث يقول أنه وجدت فئة من الفلاحين في منطقة زبيد يسمى الواحد منهم (بالمترعوي)، يقوم مالك الأرض بإعطاء هذا المترعوي مجموعة أراض لزراعتها، موفراً له أدوات الحراثة والبذور، مقابل ذلك الحصول على قطعة صغيرة من الأرض يستخدمها لصالحه الشخصي، حيث تعد هذه القطعة التي تعطى له من قبل مالك الأرض هي المصدر الأساسي لمعيشته، ومعيشة أسرته مقابل عمله في أرض المالك[5].

وبناءاً على ما تقدم، يتضح أنّ العلاقات الزراعية في تهامة مابين الملاك والفلاحين أثناء فترة الدراسة، تؤكد على وجود تعدد الأنماط الاقتصادية، وتعدد الفئات الاجتماعية في المجتمع التهامي وذلك كما سيتضح في دراستنا هذه .

2- أدوات العمل الزراعي في تهامة :

1- مكرد، مرجع سابق ، ص 16.

2- حبيب، مرجع سابق، ص 144.

3- جولوبوفسكايا، ثورة 26 سبتمبر في اليمن، مرجع سابق، ص 118.

4- جعفر، مرجع سابق، ص 47.

5- الشهاري، مرجع سابق ، ص 64 .

استخدم الفلاح اليمني في تهامة أثناء فترة الدراسة العديد من الأدوات في استصلاح الأراضي الزراعية، وهي أدوات صنعها من بيئته، وكانت غاية في البدائية والتخلف بالقياس إلى بقية بلدان الوطن العربي في تلك الفترة، ويرجع ذلك إلى سياسة السلطة الحاكمة التي عزلت اليمن في تلك الفترة عن كل جديد، ولم تسعى للتطور والخروج عما تركته فترة الحكم العثماني بكل ثقلها الإقطاعي المتخلف . وأهم هذه الأدوات التي تؤكد ذلك :

1- المحراث: هو عبارة عن أداة خشبية، ينتهي طرفها بآله حديدية حادة، وظيفته شق الأرض بخطوط مستقيمة [1]؛ يُربط بواسطة حبال بجسم حيوان غالباً ما يكون ثوراً أو حماراً أو جملاً لجره، وذلك لحرث الأرض وبذرها، من أهم مميزاته خفته التي تجعله قابلاً للحمل والتنقل به من مكان إلى آخر بسهوله [2].

2- النّبال: ويسمى بالجلاب أو(مذره)، وهو عبارة عن خشبه واحدة ملتصقة بالمحراث، له فتحة تُرمى فيه الحبوب المراد بذرها، ومن خلاله يتم وضع الحبوب في مكانها من الأرض المراد بذرها [3].

3- المنجل: جمعه مناجل، يطلق عليه في تهامة بالمحش أو الشريم، يتكون من ممسك خشبي مركب فيه نصل حديدي مقوس، له أسنان حادة، يستخدم في جني المحاصيل، وإبعاد الأعشاب الصغيرة التي تستخدم كأعلاف للحيوانات، وقطع قصب الذرة المستخدم لغذاء الحيوانات[4].

4- المحفر: (الفأس) أداة تستخدم في حفر القنوات الزراعية، واستصلاح السواقي، وترصيف التراب، وخلع الأشجار الصغيرة واقتلاع جذورها [5]، يتكون من ممسك خشبي متصل بقطعة حديدية مربعة الشكل، دقيقة الرأس[6].

1- الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 21 .

2- المندعي، مرجع سابق، ص90 ؛ لطف، محمد : الجهات الحيسية في العصر الرسولي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب. جامعة عدن ، 2008 ، ص 273.

3- المندعي، مرجع سابق، ص 90 .

4- الأشرف، عمر بن رسول : ملح الملاحة في معرفة الفلاحة ، تح/ عبدالله المجاهد، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1987، ص 66 .

5- الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 21 .

6- العطار، مرجع سابق، ص 177.

5- الحجنة : جمعها (حجن) وهي عبارة عن أداة يستخدمها المزارع في تهامة لإبعاد عروق الأشجار المضرة للزرع، وتصفية التربة من الأعشاب، ولحفر الأرض بشكل سطحي، ولقلب التربة وبذرها [1]، تتكون من ممسك خشبي متصل بنصل حديدي مقوس[2].

6- المحر : هو عبارة عن قطعة من الحديد مستطيلة الشكل، بها فتحات صغيرة في جوانبها تربط بالحبال إلى الثيران لجرها، يستخدمه المزارعون في تهامة لتسوية الأرض وتنعيمها بعد الحراثة، وإصلاح ما تفسده السيول في الأرض[3].

7- المخبط : ويطلق عليه في تهامة (الحنية)، وهو عبارة عن عصى أو أعواد خشبية تؤخذ من فروع الأشجار المعتدلة، وتحنى أطرافها ليتمكن مستخدمها من القبض عليها بكلتا يديه تستخدم لخبط السنابل وفصل الحبوب عنها[4].

8- الآجاب: جمع أجب، وهي عبارة عن أوعية تستخدم في نقل الحبوب والمحاصيل الزراعية من الأراضي الزراعية إلى القرى والأسواق، تصنع من سعف النخل مفتوحة من الأعلى، لها مقاسات مختلفة، ولا تزال إلى عصرنا الحالي معروفة بأسمائها [5].

3- نظام الري في تهامة :

يلعب نظام الري في اليمن دوراً أساسياً في الزراعة، فقد استخدمه المزارعون منذ أقدم العصور، فهو قديم بقدم الحضارة اليمنية، حيث قامت الحضارة اليمنية على الأودية التي أقيمت عليها السدود، وعرف عن اليمن بأنها بلد السدود.

ففي تهامة تختلف نظم ري الأراضي الزراعية من منطقة إلى أخرى تبعاً لمصادر الري، وطبيعة الأراضي وقربها أو بعدها عن مجاري الأودية، ويوجد في تهامة أربع طرق للري هي مايلي:

1- الري بمياه السيول (الأودية):

كان الاعتماد على مياه السيول من أهم طرق الري في تهامة، حيث يؤدي سقوط الأمطار على الجبال والمرتفعات إلى نشوء مجارِ للسيول التي تُعد ملكاً عاماً للجميع، لا يجوز لأحد أن يملكها

1- لطف، مرجع سابق، ص 274.

2- المندعي، مرجع سابق ، ص 90 .

3- الأفضل، مرجع سابق، ج1، ص96.

4- المندعي، مرجع سابق ، ص 90 .

5- الأشرف، مرجع سابق، ص 164 .

أو يقطعها، وكان هناك نظام محكم ودقيق في ري الأراضي الزراعية في تهامة قائم على مبدأ الأعلى فالأعلى، حيث يروي المزارع الذي في أعلى الوادي أرضه أولاً ثم الذي يليه بحسب دوره(1).

إلاّ أنّ أكبر كمية من مياه السيول تكون من نصيب الأراضي الزراعية العليا القريبة من مجرى الماء، بينما تقل في الأراضي الواقعة في أسفل الوادي البعيدة عن مجرى المياه، وقد لا تسقى في حالة نقص الأمطار الموسمية (2). فعند قلة مياه السيول وعدم كفايتها لجميع الأراضي، تروى الأرض الزراعية العليا ثم التي تليها بحسب الدور وتوضع علامة عند الأرض التي توقف الري عندها، عند هطول الأمطار مرة ثانية وجريان السيول يبدأ الري عند أخر أرض تم ريّها في المرة الأولى، وهكذا حتى ينتهي سقي أراضي الوادي كله(3).

وعلى أساس التشابه في العرف القائم بين سكان تهامة فيما يختص بتوزيع مياه السيول، فإننا سوف نتخذ من وادي زبيد نموذجاً لعرض كيفية توزيع هذه المياه على الأراضي الزراعية(4).

إذ يُعد نظام الري بالسيول في وادي زبيد من أقدم النظم التقليدية المعروفة التي تسمى بحقوق الماء، يعود هذا النظام في زبيد إلى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي(5)، وإلى واضعه الشيخ إسماعيل الجبرتي، والذي استنبط هذا النظام من الواقع الذي كان يعيشه المجتمع في زبيد، الذي أصبح نوعاً من العرف يرجع إليه سكان تهامة في فض بعض المنازعات التي كانت تنشأ عن توزيع المياه(6).

عمل المزارعون في تهامة بهذا النظام في توزيع مياه السيول على القنوات الرئيسية للأراضي بالترتيب، وفق فترات زمنية محددة، تتناسب ومساحة الأراضي الزراعية العليا والوسطى والسفلى،

1- السروري، محمد عبده : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن ، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط1، 2004، ص 440 .

2- الشريف، مرجع سابق، ص 233.

3- السروري، مرجع سابق، ص 440 .

4- يعتبر وادي زبيد وطريقة استغلال مياهه نموذجاً يرجع إليه كثير من سكان تهامة ، ذلك لارتباط منطقة زبيد بالزعامة الدينية للمذهب الشافعي، الذي يعتنقه غالبية سكان تهامة .

5 - Tesco V.V : survey of the Agricultural potential of the Wadi Zabid , Yarland Tenure and Water Rights, Report, Budapest 1971 P. 4

6- الحضرمي، عبد الرحمن: تهامة في التاريخ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 2005م، ص 329 – 330.

التي ترويها كل قناة على ضفتي الوادي وبصورة عادلة نسبياً روعي فيها فترات شح المياه، وفترات تدفق غزارة السيول[1].

قسمت قنوات وادي زبيد حسب هذا النظام إلى ثلاث مجموعات (عليا، وسطى ، سفلى).

أ- المجموعة الأولى: (القنوات العليا) تضم ست قنوات هي البني، البري، المنصوري، الجرية، الريان، البقر، هذه المجموعة تحصل على مياهها في الفترة مابين 19 أكتوبر، حتى 3 أغسطس التالي، أي تحصل على فترة تزيد على 283 يوماً للري، بمعنى أن الري فيها دائم يرتبط بقانون الأعلى فالأعلى، وتروي هذه المجموعة مساحة قدرها 4805 هكتار[2].

ب- المجموعة الثانية: (القنوات الوسطى) وتشمل على سبع قنوات هي الماوي، واليوسفي، والعبري، والجر هزي، والجريب، والبيرة، والناصري، هذه القنوات تأخذ مياهها في الفترة من 3 أغسطس حتى 13 سبتمبر، أي بواقع 42يوماً تقريباً ، يكون تقسيم المياه فيها تبعاً لقانون الأعلى فالأعلى، عدا قناة البيرة والناصري فتقسم عليهما المياه بالتساوي، وتروي هذه المجموعة مساحة قدرها 10175 هكتار[3].

ج – المجموعة الثالثة: (القنوات السفلى) تضم أربع قنوات وهي الشرعبي، المحرقي، الحرم، وادي عين، هذه القنوات تأخذ مياهها مابين 14 سبتمبر حتى 18 أكتوبر، أي بواقع 35يوماً ، في هذه الفترة كثيراً ما يقل سقوط الأمطار، وبالتالي فهذه المجموعة أكثر أجزاء زبيد تعرضاً لخطر الجفاف، تروي هذه المجموعة مساحة قدرها 1450 هكتار. يشرف على توزيع المياه في كل قناة شخص يدعى شيخ القناة، من مهامه إصلاح ما تجرفه السيول، وفتح وغلق قناة الري الرئيسية، وذلك نظير بعض المستحقات السنوية التي تعطى له من قبل أصحاب الأراضي أو شركائهم [4].

فضلاً عن هذه المجموعات الثلاث هناك قنوات صغيرة تقع على المجرى الرئيسي للوادي تروى من مياه الوادي مباشرة، وتسمى بأرض الجلال تبلغ مساحتها 470 هكتار، يسمح بريِّها عن طريق شخص يُعرف بالمنصوب في أي وقت وبأي كمية [5].

1- ينظر الوثيقة التي توضح كيفية توزيع مياه السيول على الأراضي الزراعية في وادي زبيد، حسب النظام القديم الذي وضعه الجبرتي، ملحق رقم (10) .

2- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 327.

3- جعفر، مرجع سابق، ص 38.

4- المرجع نفسه، ص 38 – 40 .

5- الجهاز المركزي للتخطيط، دراسات اقتصادية وتخطيطية واجتماعية، أغسطس/ آب، 1975م، ص 88 .

2- **الري بمياه الغيول (الينابيع) :**

يوجد في اليمن الكثير من الغيول في المناطق الجبلية، وهي عبارة عن عيون أو ينابيع تخرج منها المياه بعد سقوط المطر وتدفق السيول، وتقل مياهها عند انحباس المطر، والنظام المتبع في ري الأراضي الزراعية بالغيول هو أن يقوم المزارعون بالتعاون فيما بينهم كل على قدر حصته ببناء سدٍ أو خزانٍ من الحجر بالقرب من ماء العين، يكون مستواه أسفل من مستوى مخرج ماء العين، كي تتجمع إليها المياه الخارجة من مجرى العين، تمتد من هذا الخزان قناة رئيسية تنقل المياه إلى الأراضي الزراعية عن طريق شبكة من القنوات الفرعية وتُعد القناة الرئيسية ملكاً عاماً لجميع المزارعين، أما القنوات الفرعية فهي ملك لأصحاب الأراضي، وإذا ما كانت هناك أراضي بعيدة عن هذه القنوات فإن صاحبها يسقيها عن طريق الأراضي القريبة من القنوات، إما باستئجار القنوات الفرعية أو بشرائها [1].

ففي تهامة تقتصر المساحة المروية بنظام الغيول على الأجزاء الشرقية والشمالية من السهل والتي تستقبل الجريان السطحي من المنحدرات الجبلية القريبة الواقعة بالقرب من أعالي السدود التحويلية،تُعد الزراعة في هذا النظام أكثر ضماناً ومردوداً من الزراعة بنظام الأمطار، إلاّ أنّ المساحات الزراعية أقل بكثير من مساحات الزراعة المطرية [2].

يتولى الإشراف على توزيع المياه رجل له خبرة في توزيع الحصص لكل المزارعين، يختاره المزارعون ليقوم بمراقبة حصة كل فرد من الماء، وترا تبهم في أخذ المياه، وفض النزاع الذي قد ينشا بين المزارعين بشأن أحقيتهم في المياه [3].

3- **الري بمياه الأمطار:**

ينتشر هذا النظام في السهول والكثبان الرملية، والمناطق الواقعة في الجزء الشرقي من سهل تهامة، والتي لاتصل إليها مياه السيول، حيث تعتمد هذه الأراضي في زراعتها على الأمطار الموسمية الكافية في بعض السنوات، والتي تسمح بزراعة مساحات واسعة من محاصيل الذرة والدخن وبعض البقوليات [4]، أّما في السنوات المتوسطة والقليلة المطر فإن المساحة المزروعة تقل

1- الأهدل، حسين بن أبي القاسم : كشف القناع في معرفة أحكام الزراع، تح / عبد الله الحبشي ،مجلة الإكليل، ع(1)، السنة الأولى، صنعاء ، 1400هـ / 1980م ، ص 124 .

2- مكرد، مرجع سابق، ص 11- 12 .

3- السروري، مرجع سابق، ص 441 .

4- مكرد، مرجع سابق، ص 11 .

كثيراً ، وقد تتعرض هذه المزروعات للجفاف ويتوقف نموها مما يضطر المزارعين إلى حصادها كعلف للحيوانات .

4- الري من الآبار :

لما كان حفر الآبارمجهداً ومكلفاً فإن على من يريد أن يحفربئراً أن يتأكد قبل ذلك من وجود الماء من عدمه أو قربه أو بعده في الموضع الذي يريد الحفر فيه، وخلال فترة الدراسة كان لليمنيين طرقهم الخاصة في الكشف عن ذلك منها، أن يؤخذ حجرٌ قدر بيضة ويلف عليه صوف أبيض مغسول نقي على شكل كرة، ثم يطلى هذا الصوف من أحد جوانبه بشمع مذاب وتلصق هذه الكرة بداخل قدر من النحاس في أسفله بعد أن يكون هذا القدر قد دهن داخله بالشحم ، ثم تحفر حفرة بعمق ثلاثة أذرع أو أربعة، وبعد غروب الشمس يوضع هذا القدر في الحفرة بحيث تكون فتحته إلى أسفل والكرة التي من القماش معلقة فيه من الداخل، ثم يدفن عليه التراب قدر ذراع أو زيادة ، وقبل طلوع الشمسيُ خرج القدر من الحفرة، فإن كان القدر مليئا بقطر الماء الكثيف المتقارب من بعضه والصوفة مبتلة بالماء فهذا دليل على قرب الماء، وإن كان قطر الماءمتفرقاً والصوفة ماؤهاوسطاً فهذا دليل على أن الماء ليس بالقريب ولا بالبعيد ، وأّما إن كان القطرمتباعداً والماء في الصوفةقليلاً فإن الماء بعيد، وإن لم يوجد شيء من القطر فليس هناك ماء [1].

لقد شكلت الآبار مصدراً من مصادر الري في تهامة، وتنتشر هذه الآبار في أسفل من تهامة بالقرب من مصبات الأودية، وحتى الساحل في بعض المناطق [2].

وكان يتم رفع المياه منها بطريقتين:

أ- منها ماكان يعتمد على جهد الإنسان كوسيلة للرفع، حيث يقوم الفلاح بسحب دلوٍ كبيرٍ مربوطٍ بعدة حبالٍيُ ربط حول البئر ثم يصب الماء في حوض كبير يجري منه الماء في الساقية لري الأرض[3].

ب- ماكان يتم بواسطة الحيوان، حيث يربط حبل موصول من الدلو إلى الحيوان(جمل أو حمار) باستخدام رافعة دوار معتمدة على التوازن، يظل الحيوان يهبط ويصعد في منحدر

1- الأشرف، مرجع سابق، ص 66 – 67 .

2- مكرد، مرجع سابق، ص 11.

3- العطار، مرجع سابق، ص 170.

بجانب البئر أُعد خصيصاً لهذا الغرض، يصب الماء تلقائياً في حوض أو يمر مباشرة إلى الساقية [1].

وبالرغم من بدائية هذه الطرق المستخدمة وقدمها، إلاّ أّنها ظلت مستخدمة في تهامة في فترة الدراسة. أما المضخات الآلية فإنها لم تدخل اليمن إلاّ في بداية عام 1959، واقتصر استخدامها على أراضي الملكيات الكبيرة التي تنتج القطن بتهامة، ولم يتجاوز عددها في تلك الفترة إلى 200 مضخة، ويرجع ذلك إلى أثمانها المرتفعة من جهة، وعجز ميزانية الفلاح في تهامة من جهة أخرى[2].

وعلى الُرغم من مهارة الفلاح اليمني في تهامة وقدرته ومهارته في استعمال مجاري المياه، إلاّ أنّ قسماً كبيراً منها كان يضيع سدى، وكانت تتعدى نسبة الضياع 50 %، وأحياناً أعلى من ذلك بكثير، وليس الفلاح مسؤولاً عن هذا الضياع للمياه، بل بسبب بدائية الآلات الزراعية المتوفرة لديه في تلك الفترة، والتي كانت عبارة عن تراب وأحجار، وأدوات بدائية تم التحدث عنها سابقا.

5- أنواع الضرائب الزراعية وطرق تقديرها وجبايتها في تهامة :

ظل الفلاحون طيلة فترة الدراسة المصدر الرئيس الذي يرفد خزينة الدولة المركزية بالأموال النقدية والعينية عبر دفعهم أكثر من شكل من الضرائب المباشرة وغير المباشرة المفروضة عليهم وعلى أملاكهم ومداخيلهم الاقتصادية، حيث تتحدث بعض الكتابات الاقتصادية أن المبالغ التي كانت تفرضها السلطة على الفلاحين تصل إلى 40% على محاصيل الأراضي الزراعية، والمداخيل التجارية تحت مبررات وذرائع عدة، ناهيك عن النسب الأخرى التي يدفعها الفلاحون المشاركين لأراضي كبار الملاك مقابل حصتهم من المنتوج الزراعي[3] .

وقد اكتسبت الضرائب أهميتها تلك من طبيعة اليمن الزراعية، إلى جانب طبيعة السياسة المالية والإدارية التي انتهجتها السلطة في تلك الفترة، تلك السياسة التي اتسمت بالعزلة والجمود وإغلاق اليمن عن كل ما هو جديد، مما أدى إلى عدم استثمار موارد الأرض الأخرى المتمثلة باستخراج النفط والثروات المعدنية الأخرى، ذلك مما جعل السلطة تعتمد بشكل رئيس على الضرائب بشتى أنواعها، وخاصة ضرائب الإنتاج الزراعي والحيواني، وتتشدّد في تحصيلها، وتضرب بشدّة على

1- الشرجبي، الشرائح الاجتماعية ، مرجع سابق، ص 20 .
2- العطار، مرجع سابق، ص 171.
3- الشهاري، مرجع سابق، ص 61-62 .

المتهربين من دفعها . وقبل البدء بتوضيح النظام الضرائبي في اليمن أثناء فترة الدراسة، يجدر بنا أن نتعرف على نظام الضريبة ومقدارها في الشريعة الإسلامية، وذلك لمعرفة تذرع السلطة بالدين والتزامها بشرائعه. ويا ليتها لو طبقت الإسلام الصحيح لنهضت بالبلاد أيما نهضة.

فالضريبة في الشريعة الإسلامية هي الزكاة التي أوجبها الله على كل مسلم يؤديها سنوياً مما يملك وذلك على الشكل التالي[1] :

- ضريبة رأس المال وهي 2,5% في كل ماله قيمة عينية كالنقود، والذهب والفضة .
- ضريبة الأرض 10% من كل محصول زراعي بعلي (أي يسقى بماء المطر) و5% عن كل محصول زراعي يسقى بالواسطة.
- أما زكاة الحيوانات فهي بعير عن كل 30 من الإبل، وبقرة عن كل أربعين، وكذا بالنسبة للأغنام والماعز (واحدة من كل أربعين) [2].

وبالرجوع إلى النظام الضرائبي في اليمن أثناء فترة الدراسة، نجد أنه كان يستمد شرعيته من الشريعة الإسلامية نظرياً ، أما في الواقع العملي فقد حدثت تجاوزات، وفرضت قوانين جديدة في تحصيل الضرائب وذلك بما يتفق مع مصالح السلطة الحاكمة، إلى جانب التقديرات السابقة. كانت حكومة الإمامة في اليمن تفرض ضرائب أخرى على المحاصيل الزراعية في تهامة، وبأشكال مختلفة، من هذه الضرائب ضريبة الخيرية ونسبتها 3% ، وكانت تجبى بدعوى لصالح الفقراء والمساكين، كما فرضت نسب أخرى لصالح موظفي الدولة وللملحقين بهم، مقابل خدماتهم أثناء فترة التقدير والجباية [3]. هذه الضرائب كان يتم تحصيلها نقداً وعيناً ، وذلك حسب حاجة الدولة إليها، فمتى كانت السلطة بحاجة إلى محاصيل زراعية كالذرة، والسمسم، والدخن، فيتم تحصيل

1- العطار، مرجع سابق، ص 239.

2- حدد الإسلام شروط لدفع هذه الضرائب (الزكاة) فيشترط في ضريبة رأس المال استمرار الملكية لسنة، وتوفر النصاب، أما ضريبة المحاصيل الزراعية فتخضع كلها للضريبة بشرط الا تقل عن خمسة أحمال من الإبل، وتدفع مرة واحدة عند الحصاد . أما ضريبة الحيوانات فيشترط فيها ثلاثة شروط وهي: استمرار الملكية لسنة، وتوافر النصاب، وأن لا تستعمل في العمل. أنظر: الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق، ص 34 – 35 .

3- العطار، مرجع سابق، ص 240.

ضرائبها عيناً [1]،وإذا ما استغنت عن هذه المحاصيل فقد كانت تُقدر قيمتها وتُدفع نقداً [2]. أما الفواكه والخضروات فكانت تُثمن وتدفع ضرائبها نقداً، وتسمى بضريبة المُخضر [3].

أما ضريبة المواشي (الحيوانات) فقد كانت تُدفع نقداً كما يلي :

- بقشتان ونصف [4] عن كل رأس غنم أو ماعز .
- عشر بقش عن كل بقرة .
- ريال عن كل رأس من الإبل غير مستعمل في النقل التجاري .
- ريالان ونصف عن كل رأس إبل مستعمل في النقل التجاري [5].

ولأهمية هذه الضرائب، أولتها السلطة الأمامية اهتماماً بالغاً، وعبروا عنها في خطاباتهم بلفظ زكاة، وربطوا تأديتها بالركن الثاني من أركان الإسلام، وشدّدوا في تحصيلها من خلال عدة طرق.

طرق تقدير وجباية الضرائب:

لابد أن نشير أنه خلال فترة الدراسة لم يكن يوجد في اليمن أي نظام مكتوب يحدد طرائق تقدير الضرائب، وأنَّ ما كان موجوداً ومعمولاً به هو إتباع طرائق عدة عند تحديد مقدار الضريبة تختلف باختلاف نوع الضريبة، وكانت على الأغلب وفقاً لما يخدم مصالح السلطة من الضرائب .

إنَّ غياب مثل ذلك النظام الضريبي المكتوب أعطى إمكانات فعلية ليس فحسب بعدم التزام السلطات الحاكمة في أكثر الأحيان بتطبيق الضرائب التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، بل والتحايل عليها وفرض ضرائب أخرى إضافية لغير الأغراض الإسلامية التي لأجلها أوجبت الضرائب وحددت مقاديرها، والدليل على ذلك ما قام به الإمام يحي ابن حميد الدين بفرض ضريبة الخيرية بواقع 3%، وكانت أبرز الطرق المتبعة في اليمن ومنها تهامة لتقدير وجباية الضرائب مايلي:

1-المركز الوطني للوثائق، وثيقة توضح مقدار ضرائب منطقة المغلاف في تهامة للمحاصيل الزراعية لعام 1357/ 1938، ملحق رقم (11) .

2- الدودحي، مرجع سابق ، ص 224 .

3- المرجع نفسه، ص 225 .

4- البقشة: عبارة عن قطعة معدنية صغيرة، فضية ونحاسية، كانت من العملات المتداولة في عهد الإمامة في اليمن، وقد صكها الإمام يحي لتكون مساعدة للريال، وكان الريال = 40 بقشة، وينقسم على نصف بقشة وربع بقشة. أنظر: الأكوع، إسماعيل : هجر العلم ومعاقله في اليمن، بيروت، ط1، 1995م، ج2، ص 590 .

5- العطار، مرجع سابق، ص 240 – 241. ؛ جولوبوفسكايا، مرجع سابق ، ص 80 .

1- طريقة التخمين(التقدير)[1]: كانت هذه الطريقة من أكثر الطرق استخداماً لتقدير الضرائب الزراعية في تهامة خلال فترة الدراسة، وذلك لتناسبها والأهمية التي كانت تمثلها عائدات الأراضي الزراعية لخزينة الدولة، كونها طريقة مثلى مكّنت الدولة في تلك الفترة من الإشراف المباشر على عائداتها من الضرائب، كما هدفت الدولة من استخدامها للاتصال بالسكان من خلال موظفيها الذين يقومون بالتخمين والجباية، إذ أنّ بعضهم كانوا يؤدون وظائف أمنية، إلى جانب وظائفهم الأصلية في الجباية [2]. وكان تخمين المحصول (أي تقديره)، يتم إمّا قبل نضوج الثمر أو بعد حصاده [3]. فإذا وصل المخمنون قبل حصاد المحصول قاموا بالتقدير بمجرد الرؤية والنظر، بحكم الخبرة والممارسة، وفي هذه الحالة غالباً ما يكون التخمين مجحفاً بحق المزارعين، وأمّا إذا وصل المخمنوقد تّم حصاد المحصول فإنه يقوم بالتقدير قياساً على الجزء المتبقي من المحصول، أو على نوعية الأرض والتربة والري الذي تعتمد عليه، أو قياساً على ما جاورها من أرض، أو يتم التخمين للمحصول في مجران الدرس [4] .

ويذكر بعض المعاصرين لفترة الدراسة بأن البعض من هؤلاء المخمنين كانوا يشغلون وظائف رسمية في الدولة، وهو ما يطلق عليهم بمأموري التخمين، وكانوا يتشكلون من الفئات العليا في المجتمع كالقضاة والفقهاء والبعض الآخر لا يشغلون أي وظيفة حكومية، بل يلتحقون بهذه المهمة أثناء موسم الحصاد، وهم في الأغلب من مشايخ وأمناء وعقال القرى فيُ وكل إليهم أمر التخمين بحكم وظيفتهم ومكانتهم الإجتماعية، ومعرفتهم لمناطقهم[5].

بعد أن ينتهي المخمنون من أعمالهم، يرفعون تقديرات التخمين إلى الإدارة المختصة في المنطقة، فإن حازت رضاها ولم يتظلم أحد من المزارعين تّم التصديق عليها، لتبدأ مرحلة الجباية، وإن لم ترض هذه الإدارة المختصة في المنطقة، وتقدم المزارعون بالتظلم من جور التخمين، فإن الإدارة فيهذه الحالة ترسل ما يُعرف بالكاشف أو الطّواف لتحري نتائج التخمين،

1- المخمن: هو الشخص الذي كان يكلف من قبل السلطة ليقوم بزيارة الأراضي الزراعية قبل الحصاد، لتقدير ضريبة المحصول، ورفعها إلى الجهة المختصة لتحصيل الضريبة.

2- الدودحي، مرجع سابق، ص 227 – 228 .

3- الشرجبي، القرية والدولة، مرجع سابق ، ص 204 .

4- المجران (البيدر) :هو المكان الذي يتم فيه درس المحصول، وهو عبارة عن أرض مستوية، غالباً ما تكون صخرية، تحاط بسور من الحجر، ارتفاعه متر تقريباً، يعمل على حفظ الحبوب المتطايرة أثناء الدرس، ولا تزال التسمية إلى يومنا هذا .

5- المقبلي، حسين محمد: مذكرات المقبلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1986م، ص31.

هؤلاء الكُشاف لا يختلفون كثيراً عن المخمنين، من حيث علاقتهم بالسلطة ووظائفهم، ووضعهم الاجتماعي، وغالباً يكون إرسالهم ناتج عن عدم قناعة الإدارة المختصة بتقدير المخمنين، والتأكد من دقة تخمينهم، أو التحري عن صحة تظلم المزارعين[1].

وعلى الرغم أن من أحد أهداف الكشف هو رفع الظلم عن الفلاح، إلاّ أنّ هذه العملية كانت تشكّل عبئاً ثقيلاً عليه، تتمثل بأجرة الكاشف وضيافته لمدة إقامته هو وأتباعه المرافقين . بعد أن تنتهي بيانات عملية الكشف ترفع في دفاتر خاصة إلى الدوائر المالية في المنطقة، لمراجعتها ومقارنتها بدفاتر المخمنين، والتأكد من شكاوي وتظلمات المزارعين، فإن كانت تقديرات المخمنين متساوية مع تقديرات الكُشّاف تّم اعتمادها، ورفض تظلم المزارعين، وزال شك الإدارة في تقدير المخمنين، وإذا اختلف، كأن تكون تقديرات المخمنين تحتوي على زيادة في التقدير عن تقديرات الكُشّاف، فإّنه يتم مقارنتها مع ضرائب العام السابق، فإذا تأكدت تلك الزيادة، لا يؤخذ بتقدير المخمنين وتسقط الزيادة، ويتم الأخذ بتقدير الكُشّاف، وتقبل في هذه الحالة تظلمات المزارعين، وكانت هذه الحالات نادرة جداً ، وفي حالة وجود نقص في دفاتر الكُشّاف عن دفاتر المخمنين، ووجود اختلافات بالزيادة أو النقصان بين دفاتر التخمين والكشف، مع استمرار تظلمات المزارعين فإن الإدارة ترفض تلك التقديرات وتلجأ إلى التقدير بناًء على السنة السابقة وتسمى هذه العملية بضرائب (البدل)، أو أخذ أعلى تقدير خلال عدة أعوام سابقة وتسمى هذه العملية بضرائب الصبره[2].

2- طريقة الجباية، كانت هذه الطريقة تتم بعدة وسائل منها:

أ- الجباة الذين ترسلهم الدولة لتحصيل الضرائب من المزارعين، ويسمون هؤلاء بمأموري التحصيل، وهم موظفون رسميون يُرسلون في مواسم الحصاد لجباية الضرائب المختلفة من المزارعين، وكان يتم اختيارهم من ذوي الأمانة والعفة والاستقامة، وكان هؤلاء الجباة يزودون ببيانات عن المناطق التي يُرسلون إليها، وعند وصولهم إلى المناطق المكلفين بتحصيل ضرائبها يصاحبهم شيخ المنطقة كدليل لهم ومعّرف، أو أنّ يقوموا بأعمالهم دون المعرفين معتمدين على خبراتهم السابقة، وبمجرد وصولهم ينزلون عند المزارعين كضيوف، ولإشعار الأهالي بالتسليم يتم تحرير إعلانات في السوق، أو بواسطة جندي ينفذ ذلك الغرض .

1- الدودحي، مرجع سابق، ص 232 – 233 .

2- الدودحي، مرجع سابق، ص 233 – 234 .

بعد الانتهاء من عملية التحصيل التي لا تتجاوز شهر على الأغلب يـُعطى المزارع سند يسمى (نظير) يحتوي على مقدار ما أُخذ منه من الضرائب، وسنة التحصيل، وإسم المحصل، بعدها يرجع المحصلون إلى مراكزهم الإدارية لتسليم الضرائب النقدية إلى مالية المنطقة، أمّا الضرائب العينية فغالباً مايقوم المزارعون بتوصيلها بأنفسهم إلى مخازن بيت المال في مركز المنطقة لحفظها في مخازن خاصة، وفي حالة عجز بعض المزارعين عن دفع الضريبة كاملة، تسجل عليهم باسم البواقي، ويتم إنفاذ مأمورين آخرين لجبايتها يسمون (بمأموري البقية)، أويتم استيفائها عند التحصيل في العام القادم[1].

ب- الضمان أو الالتزام: تتمثل هذه الطريقة بقيام أحد الأشخاص بضمان والتزام جمع وتحصيل الضرائب من المزارعين في منطقة ما، مقابل مبلغ يتفق عليه مع الإدارة المختصة، وكان أغلب من يقوم بهذه المهمة هم مشايخ القبائل والقرى، والقـُضاة، والتجار، حيث أنه في حالة عجز هؤلاء عن سداد ما ضمنوا به، فإنه تصادر أموالهم لصالح بيت المال[2].

والجدير ذكره أن حكومة الإمامة كانت تهدف من وراء هذه الطريقة إلى ربط المكلفين بدفع الضرائب بالدولة مباشرة، إلى جانب أنها طريقة اقتصادية لا تكلف الدولة موظفين رسميين من قبلها يتقاضون أجوراً، علاوة على أن استخدام هذه الطريقة يـُمكّن الدولة من بسط سيطرتها على المناطق الريفية البعيدة عن مراكز السلطة، باعتبار أن مشايخ الضمان إلى جانب دورهم كوسطاء في الجباية، كانوا يمثلون الدولة في أوساط قبائلهم، من خلال حل المشاكل ومسؤولياتهم في حفظ الأمن في مناطقهم [3].

كان نظام الالتزام خلال فترة الدراسة يقسم إلى نوعين :

الأول: تقوم الدولة ببيع الالتزام لمن يريده، ويحدد قدر الالتزام ومدته، ثم للملتزم أن يقبل به أو يرفضه.

الثاني: هو أن تقوم الدولة بإجراء مزاد مفتوح بين الراغبين في الالتزام، ويتم تحديد المدة الزمنية للمزايدة، على أن يرسو المزاد على أكثر المزايدات مبلغاً وكان يـُؤخذ من المتقدم للمزايدة ضمانة

1- المرجع نفسه، ص241- 242 .

2- الشرجبي، القرية والدولة، مرجع سابق ،ص 204 – 205 .

3- الفقيه، أحمد محمد: السياسة الإدارية والمالية في عهد الإمام يحي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء، ص186.

نقدية بنسبة 10% من المبلغ الذي التزم بـه، فإذا وقـع عليه المزاد تحسب لـه الضمانة فـي آخـر قسط يدفعه مما التزم بـه، وإذا لم يرسِ عليه المزاد يتم إرجاع الضمانة النقدية لـه، بعد أن يرسو المزاد على أحد الملتزمين يتم منحه وثيقة رسمية بالالتزام، مختومة بختم الإمام تتضمن اسم منطقة الالتزام، ومدة الالتزام التي عادة ما تكون سنة كاملة، ومقدار مبلغ الالتزام[1].

والجدير ذكره أن الدولة لم تكن تترك الملتزمين دون مراقبة، بل كانت تشرف على أعمالهم من خلال إرسال مأمورين للكشف عن أعمالهم، ومدى التزامهم بنصوص الاتفاق. ففي حال عجز بعض الملتزمين عن الوفاء بما التزموا به، كانوا يقدمون التماسات إلى الإمام بتخفيض مبلغ الالتزام أو الإعفاء من بعضه، فإما أن يُخفض المبلغ أو يعطي لهم مبلغ من المال جّراء زيادة الالتزام، أو أنّ يُرفض طلبهم، ويطالبون بالتسديد، فإذا عجزوا عن التسديد في حينه، يسجل عليهم باسم البواقي ليُسدد فيما بعد من أموالهم الخاصة، وإذا تأخروا عن التسديد يتم التنفيذ عليهم وسجنهم[2].

ج – دفع الفلاحين الضرائب بأنفسهم إلى بيت المال، حيث كانت تُعطى لهم فترة محددة لدفع الضريبة وإيصالها إلى مالية القضاء، وفي حالة تأخر الفلاح عن الفترة المسموحة للدفع التي كانت لا تتجاوز شهراً ، تستخدم الحكومة وسائل ضبط قهرية تجبر الفلاحين على دفعها من هذه الوسائل التنافيذ، والخطاط .

من خلال ماسبق يتضح أن النظام الضريبي السائد في عهد الإمامة في تهامة كان قاسياً وشكّل مصدر قلق وابتزاز للفلاحين، وذلك عبر أوجه عدة :

1– إن طريقة تقدير المحصول قبل نضج الثماريمثل ظلماً بيناً ، حيث يمكن أن يتضرر المحصول قبل نضجه، لأسباب طبيعية، كقلة الأمطار، أو زيادتها التي تؤدي إلى جرف المحصول، أو تعرضه لآفة من الآفات، كالجراد وغيره .

2– إن الجباية وتحصيل الضرائب عن طريق الضمناء والملتزمين للدولة، كانت له عواقبه الوخيمة على الفلاح، حيث يلجأ بعض هؤلاء الملتزمون إلى زيادة تقدير المحصول ليضمنوا من الفرق بين ما التزموا به للدولة، وبين ما يحصلون عليه من الفلاحين .

3– إن الجباية عن طريق مأموري الدولة، كان يتم أحياناً بناءً على سجلات سابقة دون التحقق مما في الواقع، وهو ما يؤدي إلى وقوع الظلم على الفلاحين .

1- الدودحي، مرجع سابق، ص 245- 246 .

2- الدودحي، مرجع سابق، ص 247 .

4- إن صرفيات المزارعين على موظفي الدولة أثناء فترة التخمين والجباية، من خلال إيوائهم وضيافتهم كان يشكل عبئاً على المزارعين، علاوة على العبء النفسي والمعاملة القاسية التي يلاقونها منهم.

فضلاً عن ذلك، نستطيع القول أن الفلاح عملياً كان ينفق ثلاثة أرباع دخله، ليس فحسب لتسديد الضرائب المحددة شرعاً، بل ولتسديد ضريبة الخيرية بواقع 3%، والإنفاق لمواجهة الأعباء الإضافية الناجمة عن إرسال سلطات الدولة للمخمنين والكُشّاف ومأموري السَّوْق وعساكرهم على الفلاحين الذين يضطرون لتقديم الرشاوى النقدية والعينية كيلا يضع هؤلاء تقديرات كبيرة على محاصيل الفلاحين الزراعية، فضلاً عن الإيفاء بما هو للملاك وأغنياء الفلاحين . ووفقاً لبعض المصادر فإنّ نسبة ما كان يتبقى للفلاح المشارك بالمحصول لا يتعدى إلـ10% أو 20 % فقط من محصوله الزراعي[1]. وقد نجم عما سبق، تقلص الأراضي الزراعية في تهامة، ونقص الإنتاج، وهجرة الفلاحين القادرين على الزراعة بحثاً عن الرزق والاستقرار، تاركين الأرض لمن هم أقل إنتاجيةً وحرفية، فضلاً عن تقلص إنتاج الخضروات والفواكه تجنباً للضريبة الجائرة، ورافق ذلك تقلص مماثل لتربية الماشية، كما نتج عن هذه السياسة الضرائبية ظهور التمردات، والانتفاضات الفلاحية على السلطة، حيث كان لهذه الانتفاضات فيما بعد إلى جانب دور المستنيرين من قوى المعارضة الوطنية دور مؤثر في إسقاط النظام ألإمامي في سبتمبر/ أيلول عام 1962 وقيام النظام الجمهوري .

1- العطار، مرجع سابق، ص 130.

الفصل الثاني
مجالات الحياة الاقتصادية في تهامة اليمن (1918- 1962) :

أولاً – الزراعة والإنتاج الحيواني في تهامة اليمن(1918– 1962).

ثانياً– الصناعات الحرفية في تهامة اليمن(1918– 1962).

ثالثاً– التجارة في تهامة اليمن (1918– 1962).

أولاً - الزراعـــة والإنتاج الحيواني في تهامة (1918- 1962):

1- الزراعة في تهامة :

أ- مقومات ازدهار الزراعة في تهامة :

تكتسب الزراعة في منطقة تهامة أهمية خاصة في حياة اليمن الاقتصادية، فهي من أقدم النشاطات الاقتصادية القديمة التي عرفها أهل اليمن، وهي المصدر الأول والأساس في معيشتهم اليومية، حيث تتوفر العوامل الملائمة للزراعة في تهامة أكثر من المناطق اليمنية الأخرى، من حيث الأرض المنبسطة، والمساحة الواسعة، والأودية الكثيرة، ولأهمية هذا الجانب وماله من تأثير على مختلف أنواع النشاط الاقتصادي في تهامة، فإن الدراسة ستبدأ أولاً بالمقومات التي ساعدت على ازدهار الزراعة في تهامة، ومن أهمها :

1.الموقع:

كان لموقع تهامة وما يزال دور مهم في الحياة الاقتصادية في اليمن، فهي تقع في الجزء الغربي للجمهورية اليمنية على امتداد الشريط الساحلي للبحر الأحمر، من باب المندب جنوباً إلى آخر نقطة حدودية مع المملكة العربية السعودية شمالاً عند مدينة ميدي، وتمتد على شكل شريط متطاول يتراوح عرضه بين 30 . 60كم ، ويزيد طوله على 450كم[1]. يخترق سهل تهامة عدداً من الأودية التي تنحدر من المناطق الجبلية، ويصب بعضها في البحر الأحمر[2]، مما كان لها

1- الفقيه: جغرافية الجمهورية اليمنية، مرجع سابق، ص 49- 50.

2-من أبرز أودية تهامة : وادي مور الذي يُعد من أكبر أودية تهامة طولاً ومساحة، حيث تبلغ مساحة حوضه بحوالي (7500كم2)، ويبلغ طوله 300كم ، ويصب في البحر الأحمر شمال منطقة الُلحيّة . ووادي زبيد، الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد وادي مور من حيث الطول والمساحة ، حيث تبلغ مساحة حوضه بحوالي 4500كم2، وبطول 250كم ، ويصب في البحر الأحمر غرب مدينة زبيد . ووادي سهام التي تقدر مساحة حوضه بحوالي3200كم2 ، وبطول 235كم، ويصب في البحر الأحمر جنوب مدينة الحديدة . ووادي رماع، وتقدر مساحة حوضه بحوالي 2540كم2، وبطول 210كم ، ويصب في البحر الأحمر شمال منطقة الفازة . ووادي سردود ، تقدر مساحة حوضه بحوالي 2450كم2، وطوله حوالي

تأثيرها على طبيعة الحياة الاقتصادية في سهل تهامة، مما دفع بالسكان للعمل بالزراعة متمركزين على مساحات تلك الأودية، لما تتميز به من الإمكانات الزراعية، كتوفر المياه والتربة الرسوبية الخصبة[1].

2.التربة الصالحة للزراعة :

تُعد خصوبة التربة وطريقة استغلالها في الزراعة من العوامل المهمة التي ساعدت على نمو النشاط الزراعي في تهامة، حيث كان لتنوع التضاريس مابين مناطق جبليه وسهليه وساحلية الأثر الايجابي لازدهار النشاط الزراعي، فاستفاد المزارعون من سفوح الجبال فزرعوها على شكل مدرجات كما في جبل رأس[2]، وجبل برع [3]. واستفادوا من المناطق السهلية حيث الأودية التي اشتهرت بالبساتين والمزارع حول وادي زَبيد ْد وْمورْ ورِماع وسُرْدد وسِهام، كما انعكست خصوبة التربة على تنوع المحاصيل في تهامة التي تزرع فيها الذرة بأنواعها، والقطن والسمسم والموز والمانجو والجوافة [4]. ولما كانت التربة الجيدة مطلباً ضرورياً للزراعة وذات تأثير مباشر على الإنتاج الزراعي، فقد أهتم المزارعون بتحسينها، ومعالجتها والعناية بها وذلك عن طريق تسميدها بمختلف أنواع الأسمدة الطبيعية ، التي كان من أهمها مخلفات الطيور والحمير والخيول والماعز والأغنام والأبقار، وكانت تخلط هذه المخلفات بعضها ببعض وتُعطي سماداً جيداً [5].

3. المُناخ:

يُعد المُناخ من أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر في الإنتاج الزراعي وتنوع المحاصيل، وبخاصة عنصر الحرارة، فلكل نوع من النباتات حد أقصى وأدنى من الحرارة، لا ينمو إذا ما زاد أو

240كم ، ويصب في البحر الأحمر جنوب مدينة الزيدية ، فضلاً عن وادي نخلة ، ووادي رسيان ، ووادي موزع . أنظر: عباس، مرجع سابق، ص81-82. ؛ الويسي ، مرجع سابق، ص 38-41 .

1- الحفيان، مرجع سابق، ص73.

2- يقع جبل رأس بالمنطقة الجنوبية الشرقية من زبيد ، يطل من شماله على وادي زبيد ،ومن جنوبه على وادي نخله، يبلغ ارتفاعه 2000 متر عن مستوى سطح البحر . أنظر: ألويسي، مرجع سابق ، ص 105 .

3- جبل برع يقع شرقي مدينة الحديدة ، وهو من الجبال الوعرة ، ومن بين جنباته تنحدر مسايل وادي سهام .
أنظر: المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، مرجع سابق، ج1، ص 156- 157 .

4- ابن الديبع ، عبد الرحمن بن علي بن محمد،: بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تح / عبد الله محمد الحبشي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، (د.ط) ،(د.ت)، ص 36 .

5-الأفضل، العباس بن المجاهد : بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين ، تح / عبد الله المجاهد ، مطابع الدار العربية، ط2، 2006م، ج1، ص 47- 51 .

نقص[1]، وقد أدى وقوع اليمن فيما يعرف بالمنطقة المدارية إلى تنوع تضاريسها مابين السهل الساحلي والجبال والهضاب إلى اختلاف درجة الحرارة مابين منطقة وأخرى، ففي تهامة ترتفع درجة الحرارة في الصيف، وتتميز بالدفء في الشتاء، مما انعكس بدوره على طبيعة المحاصيل التي تزرع فيها والتي تحتاج إلى الحرارة المرتفعة كالذرة والموز والنخيل وغيرها من المحاصيل الزراعية [2].

4.توفرمصادر المياه :

تنوعت مصادر المياه في تهامة، فمنها ماهومصدره مياه الأمطار التي تسقط على الجبال المطلة على تهامة، ثم تنحدر مكونة الأودية التي تتجمع مياهها لتروي الأراضي الزراعية، كما يحتوي سهل تهامة على مخزون مائي في باطن الأرض تغذيه السيول والمياه المتسربة من الصخور البازلتية والجيرية والرواسب الخشنة، حيث أكدت بعض الدراسات التطبيقية أهمية هذا المخزون المائي لسهل تهامة الذي يمكن أن يفي بحاجيات المنطقة لمدة لاتقل عن 200 سنه[3]. كما أن للأودية الموجودة في تهامة أكبر الأثر في النواحي الزراعية، التي تمتلئ بالمياه المتجمعة من الأمطار الساقطة على الجبال المطلة على تهامة، ثم تندف على شكل سيول تجري في هذه الوديان، وتصب في البحر الأحمر في مواسم فيضانها، وقد قدر متوسط هذه المياه بحوالي 500 – 1000 مليون متر مكعب في السنة [4].

ب- الإنتاج الزراعي في تهامة :

1-المعالم الزراعية في تهامة:

المعالم: مفردها مَعْلَم، وهو في اللغة : الأثر الذي يستدل به على الطريق، وفي اصطلاح الزراع : الوقت المناسب للزراعة وغرس الأشجار المثمرة [5].

1- الزوكه، محمد خميس : في جغرافية العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط) ، 1986، ص 235 .

2- عسيري، منيرة محمد حسن : النشاط الاقتصادي في منطقة زبيد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا . جامعة الملك سعود ، 1427هـ، ص50 .

3- الشريف، مرجع سابق، ص 231.

4- مكرد، مرجع سابق ، ص 7 .

5- شجاب، محمد سالم : معالم الزراعة في اليمن، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط3، 2002م، مج2، ص 1476 .

هذه المعالم الزراعية تختلف من منطقة إلى أخرى، فالمعالم الزراعية في المناطق الجبلية، تختلف عن المعالم الزراعية في تهامة، وقد تّم تقديم هذه المعالم الزراعية لمختلف المحاصيل في تهامة على هيئة جدول وفق التقويم الشمسي، موضحاً المعلم الزراعي في كل شهر، والمحاصيل والأعمال الزراعية فيها، بالإضافة إلى بعض الملاحظات التوضيحية، مع ذكر المصادر والصفحات .

الشهر	المَعْلم	الأعمال والمحاصيل الزراعية	ملاحظات	المراجع
تشرين أول(أكتوبر)	تشريني	يزرع في هذا المعلم الدجره، والحجينة وتسمى تشرينية .	الدجره:هي اللوبيا . الحجينة: هي نوع من الذرة الحمراء يسمونها تشرينية ،لأنها تزرع في تشرين. تشريني: موسم زراعي في تهامة يبدأ من بداية تشرين أول حتى نهاية تشرين ثاني	شجاب، مرجع سابق، ص 1493. حبيب، زبيد المعاصرة، مرجع سابق، ص 151.
	الوسمي	يبدأ دخوله في تهامة من 7 تشرين أول ويستمر أربعين يوماً .	الوسمي : هو أول مطر الخريف، وسمي وسمياً لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثر في أول السنة.	شجاب، مرجع سابق، ص 1492 .
	العشوي	وفيه تزرع الذرة الحمراء، وتسمى عشوي .	العشوي: نوع من أنواع الذرة الحمراء تزرع في تهامة عند طلوع الثريا من 6 تشرين أول حتى 15 تشرين ثاني .	الأشرف، ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، مرجع سابق، ص 69.
	محتم الجلجلان (السمسم).	يعد تشرين أول هو انسب موعد لزراعة الجلجلان في تهامة .	تبدأ زراعته من 10- 20 تشرين أول .	الأشرف، مرجع سابق، ص 79.78 .
تشرين ثاني(نوفمبر)	الهند التشريني	تبدأ فيه زراعة الذرة الشامية الصفراء (الهند).		الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق،

				ص 314.
	متتم النسري	فيه يتم زراعة مجموعة من المحاصيل الزراعية في تهامة أهمها الذرة	يبدأ هذا المعلم في تهامة في السادس عشر من شهر تشرين الثاني .	المندعي، تاريخ اليمن الاقتصادي ، مرجع سابق ،ص99 .
	متتم السري	يزرع فيه نوع من الذرة يسمى الحرجي في وادي زبيد ورمع.	السري: معلم زراعي في تهامة يبدأ من يوم 16 تشرين ثاني حتى نهاية يوم 21 من الشهر.	شجاب، مرجع سابق ، ص 1492 .
	متتم الحمراء	يزرع فيه نوع من الذرة تسمى الحمراء.	مدته 8 أيام يبدأ من 22 تشرين ثاني حتى 30 من الشهر.	حبيب، مرجع سابق، ص 151. شجاب ، مرجع سابق ، ص1492 .
كانون أول(ديسمبر)	كانونية	تصلح فيه زراعة الدخن واللوبيا، والسمسم، والبازيليا، ونوع من الذرة الشامية تسمى (زعر).	كانونية : معلم زراعي في تهامة يبدأ من كانون أول ويستمر حتى نهاية كانون ثاني .	الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 314.
	متتم الحجري	يتم فيه حرث الأرض وتزرع نوع من الذرة يسمى الحجري.	مدته 12 يوما ، يبدأ من 12.1 كانون أول .	شجاب، مرجع سابق ، ص 1492.
	الهند الكانوني .	تزرع فيه الذرة الشامية، ونوع من الذرة تسمى حمراء .		الحضرمي، تهامة في التاريخ، ص 314.
	حصاد السابعي	موعد حصاد نوع من الذرة تسمى السابعي .	السابعي: نوع من أنواع الذرة تزرع عند طلوع النجم السابع من بنات نعش في 9 أيلول .	المندعي، مرجع سابق ، ص 99 . حبيب، مرجع سابق ، ص 152 .
	الحصاد التمري	يبدأ فيه طلع النخل من يوم 13 .31 كانون أول .		شجاب، مرجع سابق، ص1492 .
كانون ثاني(يناير)	متتم البيني	موعد زراعة البيني في وادي مور بتهامة .	البيني: هو نوع من أنواع الذرة البيضاء تزرع مابين طلوع النجم الثالث والسابع من بنات نعش.	المندعي، مرجع سابق ، ص 100 .
	متتم البطيخ	يصلح هذا المعلم لزراعة مجموعة من المحاصيل		المندعي، مرجع سابق ، ص 100 .

		أهمها البطيخ .		
	غراس	يتم في هذا المعلم غرس فسيل النخل .	يبدأ الغرس من 1 . 15 كانون الثاني، وذلك قبل جري الماء في العود.	شجاب ، مرجع سابق ، ص 1493 .
	جري الماء في العود	يتم فيه سقي غرس فسيل النخل	يبدا من النصف الثاني من كانون ثاني من 16 . 31 من الشهر .	شجاب ، مرجع سابق ، ص 1493 .
شباط(فبراير)	شباطي	يزرع فيه الهند والدخن والغرب، ونوع من الذرة يسمى حجينة .	شباطي : معلم زراعي في تهامة، تزرع فيه مجموعة من المحاصيل تسمى شباطية أوشباطي	حبيب، مرجع سابق، ص152. شجاب ، مرجع سابق ، ص 1493 .
	العرضية	تزرع فيه الذرة الرفيعة المعروفة بالغرب .	معلم زراعي في تهامة يبدأ من أول شباط ويستمر 73 يوما .	شجاب، مرجع سابق ، ص 1491. ، حبيب ، مرجع سابق ، ص 152 .
	حصاد عقب السابعي	يتم فيه حصاد عقب السابعي	العقب: هو ما يحصد للمرة الثانية.	المرجع نفسه، ص 152 .
آذار (مارس)	حصاد البيني	يتم في هذا المعلم حصاد الذرة التي تعرف بالبيني في وادي مور .		المندعي ، مرجع سابق ، ص 101 .
	متتم الزعر	موعد لزراعة مجموعة من المحاصيل أهمها الزعر.	الزعر : نوع من أنواع الذرة يزرع في وادي سردد ووادي ومور بتهامة	المرجع نفسه، ص 101 .
	الأذاري	يزرع فيه الذرة الشامية (الهند).		هارون، عبده علي: الدر النضيد في تحديد معالم مدينة زبيد، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، (د.ط) 2004،ص282
نيسان(إبريل)	بداية وجود	البطيخ في تهامة		المندعي، مرجع سابق ، ص 101 .
	بداية وجود	فريك البيني في وادي سردد		حبيب ، مرجع سابق ،

				ص152 .
	صيفي	يتم فيه زراعة نوع من الذرة يسمى صيفي.		المندعي، مرجع سابق ، ص 101 .
	الثوري	يزرع فيه الذرة الرفيعة والمعروفة بالغرب، ونوع آخر من الذرة تسمى ثوري في وادي مور .	الثوري : نسبة الى طلوع نجم الثور ومدته 16 يوما ، يبدأ من 15 . 30 من نيسان .	شجاب ، مرجع سابق ، ص 1492 .
أيار (مايو)	مبكر	تزرع فيه الذرة الحمراء، والدخن المبكري، والدجره السوداء (قطن).	مبكر: معلم زراعي في تهامة، مدته خمسة أيام، من 1 . 5 أيار	الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 313.
	انتهاء وجود	البطيخ في تهامة		المندعي ، مرجع سابق ، ص 102 .
حزيران(يونيو)	حزيران	يزرع فيه الدخن المسمى حزيراني، والذرة الحمراء .		الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق ، ص313 .
	الباجس	في هذا يزرع الدخن	الباجس: معلم زراعي لأهالي زبيد ، مدته 40 يوما يبدأ من 10 حزيران حتى 20 تموز	هارون، مرجع سابق، ص 280.
تموز (يوليو)	الأولين	تصلح فيه زراعة الذرة البيضاء (القيرع)، والسمسم، واللوبيا .	الأولين: معلم زراعي في تهامة ينسب إلى النجمين الأول والثاني من نجوم بنات نعش السبعة، مدته 14 يوماً، يبدأ من 17 تموز حتى نهاية يوم 30 منه .	شجاب ، مرجع سابق ص1492.الحضرمي، تهامة في التاريخ، ص 311.
	بداية	زراعة الباجسي في تهامة	الباجسي : نوع من أنواع الذرة يسمى الباجسي .	المندعي، مرجع سابق، ص103.
	متتم الثالثي	يتم فيه زراعة مجموعة من المحاصيل أهمها الذرة .		المندعي، مرجع سابق ، ص 103 .
	يكثر	وجود الياسمين (الفل)، في تهامة		المرجع نفسه ، ص 103 .

آب (أغسطس)	الثالث	يزرع فيه الذرة البيضاء، والسمسم، واللوبيا والقطن.	الثالث: معلم زراعي في تهامة يلي معلم الأولين، ينسب إلى النجم الثالث من نجوم بنات نعش، وعدد أيامه عشرة أيام يبدأ من 16 آب حتى 25 آب.	هارون، مرجع سابق، ص 280؛ الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 311.
	الروابع الثانية	تزرع فيه الذرة البيضاء والحمراء في وادي زبيد ورمع .	الروابع الثانية: معلم زراعي في تهامة مدته 13 يوماً يبدأ من 8 . 20 آب .	حبيب ، زبيد المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 154 .
	موسم الست	يزرع في هذا المعلم نوع من الذرة يسمى الست في وادي سردد ووادي مور .	الست: موسم زراعي في تهامة ينسب إلى سادس بنات نعش، مدته 22 يوماً، يبدأ من 10 . 31 من شهر آب .	شجاب ، مرجع سابق ، ص 1495 .
	الخامسي	يزرع في هذا المعلم كل ما يزرع في الروابع الثانية ، إضافة إلى زراعة السمسم .	الخامس : معلم زراعي في تهامة ينسب إلى النجم الخامس من بنات نعش الكبرى، ومدته 14 يوما في مناطق جنوب تهامة ، يبدأ من 8 . 21من الشهر ، أما في شمال تهامة فمدته 15 يوماً ، من 21 آب حتى 3 أيلول .	حبيب ، مرجع سابق ، ص 154 ؛ المندعي ، مرجع سابق، ص 103 .
أيلول(سبتمبر)	السادس	تصلح فيه معظم أنواع المحاصيل، كالهند والدخن والقطن والسمسم، إلاّ الشب فانه يضعف وتقل ثمرته.	السادس: معلم زراعي في تهامة ينسب إلى النجم السادس من بنات نعش، وعدد أيامه 5 أيام يبدأ من 5 . 10 أيلول.	شجاب، مرجع سابق، ص 1492 .
	السابع	يزرع في هذا المعلم نوع من	السابع : نسبة إلى النجم	الأشرف، ملح الملاحة

		الذرة في وادي مور تسمى الثوري، ويزرع فيه الدخن والدجره، والسمسم ، والقطن، والذرة الشامية .	السابع من بنات نعش، عدد أيامه 14 يوماً من 1 . 14 أيلول في وادي زبيد ورمع والمناطق الجنوبية من تهامة، أما في مناطق شمال تهامة فعدد أيامه 15 يوماً من 11 . 29 أيلول .	، مرجع سابق ، ص 67 . 68 .
	السابعي	تزرع فيه معظم أنواع الذرة، وبخاصة الذرة البيضاء والتي تسمى في هذا المعلم سابعي .	السابعي : معلم زراعي خاص بوادي زبيد ورمع، مدته 18 يوماً من 19 أيلول . حتى 6 تشرين أول .	المرجع نفسه، ص 68 حبيب، مرجع سابق ، ص 154 .

2- المحاصيل الزراعية في تهامة:

تمت الإشارة سابقاً إلى أن تهامة تمتلك من المقومات مايجعلها من أهم المناطق الزراعية في اليمن، حيث تتوفر فيها مصادر المياه والتربة الخصبة والأيدي العاملة، مما كان لهذه العوامل الأثر المباشر على تنوع المحاصيل فيها، التي تتمثل فيما يلي :

أولاً – الحبوب:

تمثل الحبوب المنتج الزراعي الأول في اليمن،حيث يُعد من أهم مصادر الغذاء للإنسان والحيوان، إذ تحتوي بذورها الجافة على نسبة عالية من النشا تقدر بنحو 70 % إضافة إلى بعض البروتينات والدهنيات، كما أن سيقانها تقدم كعلف للحيوانات[1].

تقدر المساحة المزروعة بالحبوب بـ 90 % من جملة المساحة المزروعة باليمن، بينما تساهم بقية المحاصيل الأخرى بالنسبة الباقية، ويرجع ذلك إلى أن زراعة محاصيل الحبوب لا تتطلب الماء الكثير، فهي تزرع بزراعة بعلية في الغالب (أي بماء المطر)، إلى جانب أهميتها الغذائية للسكان باعتبارها الغذاء الأساسي لهم، وعلف رئيسي لحيواناتهم[2].

1- المتوكل، إسماعيل محمد وآخرون : الزراعة والمحاصيل في اليمن، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط2، 2003، مج2، ص1470.

2- العطار، مرجع سابق، ص 197.

ففي تهامة تعد محاصيل الحبوب هي الزراعة السائدة، حيث تزرع فيها جميع أنواع الحبوب عدا القمح والشعير، لعدم توفر الظروف الطبيعية الملائمة لزراعة هذين المحصولين، تزرع محاصيل الحبوب في تهامة على أنظمة الري المختلفة وفي جميع الأراضي المطرية، والمروية بالسيول، والمروية من الآبار[1].

ومن أهم محاصيل الحبوب التي تزرع في تهامة مايلي :

1- الذرة الرفيعة:

تُعد الذرة الرفيعة من محاصيل الأقاليم المدارية والمعتدلة على حدٍ سواء، وأنسب درجة حرارة لنموها هي من 25 ـ 30 درجة مئوية، هذا الظرف متوفر في تهامة، حيث يتراوح المدى السنوي لدرجة الحرارة فيها مابين 25 . 34 درجة مئوية [2].

تُعد الذرة الرفيعة مادة الغذاء الأساسي لمعظم سكان تهامة، حيث تستخدم حبوبها في غذاء الإنسان، وسيقانها كأعلاف للحيوانات إلاّ أنّه في الآونة الأخيرة تضاءلت أهمية هذا المحصول كغذاء للإنسان، بسبب تعدد الأنماط الغذائية، ودخول القمح في تركيبة العديد من أصناف الغذاء التي كانت الذرة عمادها الأساسي، وعلى الرغم من ذلك لا تزال أهمية الذرة كعلف للحيوانات في تزايد مستمر، كما أنّ أهميتها لا تزال تشكل حيزاً لا جدال فيه[3] .

تتميز الذرة الرفيعة بخاصية استمرار نموها بعد حصادها لعدة مرات، حيث يمكن أن تعطي 3 ـ 4 محاصيل (أعقاب) بعد الحصاد الأول، فضلاً عن أنّها لا تتطلب عمليات زراعية كبيرة، حيث تحرث الأرض مرتين بواسطة محراث يجره ثور، الأولى لترطيب التربة وتسمى في تهامة (بالترويب)، والثانية بعد سقوط المطر أو الري وفيها تبذر البذور وتسمى(التنيم)[4].

أما الأصناف المزروعة من الذرة الرفيعة في تهامة فهي القيرع، والزعر، والذرة الحمراء، والشاحبي [5]. ففي وادي سهام يزرع حوالي 80% من المزارعين صنف الزعر، و20 % صنف

1- الوشلي، يحي أحمد حسين : محافظة الحديدة (دراسة جغرافية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة صنعاء ـ كلية الآداب، 1989م ، ص 229 .

2- المجاهد، عبد الله محمد: إنتاج المحاصيل، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، (د.ط)، 1986م ، ص 74 .

3- مكرد، مرجع سابق ، ص 45 .

4- جعفر، مرجع سابق، ص 51.

5- مكرد، مرجع سابق، ص 47 .

القيرع، أما في وادي مور فيزرع صنف الحمراء بنسبة 23%، والقيرع بنسبة 47%، والزعر بنسبة 30 % [1].

تختلف إنتاجية الهكتار من الذرة الرفيعة في أراضي تهامة، تبعاً لنوع التربة وكمية المياه، كما تختلف تقديرات المزارعين، وقد يكون مصدر هذا الاختلاف عدم توحيد المقاييس والمكاييل عند مزارعي تهامة، إلاّ أنّ متوسط الإنتاجية في فترة الدراسة هو مابين 0,5 . 0,8 طن/ هكتار، هذه الإنتاجية تزيد في الأراضي المروية، حيث تقدر منظمة الأغذية والزراعة متوسط إنتاجية الذرة الرفيعة في منطقة وادي زبيد مابين 0,5 . 1,6 طن / هكتار [2]. أما أهم المناطق التهامية التي تجود بزراعة الذرة الرفيعة فهي زبيد، وبيت الفقيه، وباجل، والزيدية، واللُحَيّة، وميدي، وحيس[3].

2- الدخن:

يُعد الدخن المحصول الثاني من حيث الأهمية في مختلف مناطق سهل تهامة، حيث يعتمد عليه أغلب السكان في غذائهم اليومي، كما تستخدم سيقانه الخضراء والجافة كأعلاف للحيوانات[4]. يمتاز محصول الدخن بأنه أكثر تحملاً للجفاف، حيث أنّ احتياجاته للماء قليلة، فهو يزرع في الأراضي المطرية والمروية، وتنتشر زراعته أكثر في الكثبان الرملية (الخبوت)، وتتصدر تهامة الدرجة الأولى من مناطق اليمن من حيث المساحة المشغولة بزراعة محصول الدخن، والتي تقدر بحوالي 64% من المساحة الكلية المزروعة سنويا [5].

أما الأصناف المزروعة من الدخن في تهامة، فهي الدخن البلدي ويطلق عليه في تهامة باسم (بكاري)، وصنف أخر يطلق عليه خبتي، أما الصنف الثالث فيسمى تهامة 1، وتتراوح إنتاجية الهكتار من الدخن على النحو التالي[6]:

الصنف	الإنتاجية / طن / هكتار
دخن تهامة 1	0,9 . 1
دخن بلدي (بكاري)	0,9 . 1

1- الوشلي، مرجع سابق ، ص 232 .
2- جعفر، مرجع سابق، ص 51 . 52.
3- الويسي، مرجع سابق ، ص 106 .
4- مكرد، مرجع سابق ، ص 61 .
5- الوشلي، مرجع سابق ، ص 232- 233 .
6- مكرد، مرجع سابق، ص 61 . 62 .

دخن خبتي .	0,4 . 0,5

ينضج محصول الدخن بعد فترة ثلاثة أشهر من زراعته، ويتم حصاده في تتابع يومي، بخلع كل العناقيد الناضجة تباعاً ، وتستمر هذه العملية شهر على الأغلب، وتترك عيدانه بعد قطف السنابل فترة تالية لحماية التربة من الانجراف[1].

بعد انتهاء حصاد السنابل تجمع في مكان واحد وتترك لتجف من 3 . 5 أيام ، ثم تدرس(تضرب) بواسطة أداة خشبية معقوفة من الأعلى تُعرف في تهامة بالحنية (المخبط)، وذلك لفصل الحب عن السنابل، ثم توضع في أكياس كبيرة وتنقل إلى المخازن بعد تسويق الفائض[2].

3- الذرة الشامية:

تحتل الذرة الشامية المرتبة الثالثة من بين محاصيل الحبوب المزروعة في تهامة، وتستخدم كغذاء للإنسان والحيوان، وأحياناً تزرع من أجل الحصول على العلف وبخاصة في الحُدّيدة التي تفتقر للمراعي الطبيعية [3].

تنتشر زراعة الذرة الشامية في الأراضي المروية بالسيول والينابيع ومياه الآبار، حيث تحتاج إلى الري الدائم والذي يصل إلى 7 ريات، ويلجأ بعض المزارعين في تهامة إلى زيادة عدد الريات مع تقليل كمية الماء في كل رية، لأجل أن تبقى التربة في حالة رطوبة مستمرة، لتقليل الإصابة بالحشرات، التي يمكن أن تلحق الضرر بالمحصول في مختلف مراحل عمره ، وتُعد الأصناف المحلية من الذرة الشامية أجود الأنواع ملائمة لظروف المنطقة، والتي تتميز بوفرة الإنتاج، ونقاوة بذورها، والتي يصل إنتاجها إلى 2 طن/ هكتار[4].

ثانياً - المحاصيل النقدية وتشمل مايلي :

1- القطن:

يعود تاريخ بداية زراعة القطن في سهل تهامة إلى عام 1951، فهو من المحاصيل الحديثة في تهامة، حظي هذا المحصول باهتمام كبير من قبل الإمام أحمد يحي حميد الدين وبعضاً من تجار تهامة[5]، بسبب الأرباح النقدية التي حصلوا عليها من زراعته [1].

1- جعفر، مرجع سابق، 52.

2- مكرد، مرجع سابق ، ص 66 .

3- الوشلي، مرجع سابق، ص 234 .

4- الوشلي، مرجع سابق، ص 236.

5- من أبرزهم : التاجر علي محمد الجبلي ، والتاجر حسين غالب الوجيه .

يصنف القطن من نباتات الأقاليم المدارية التي تتطلب حرارة مرتفعة طوال فترة نموها ونضوجها، وتعد درجة الحرارة 21 ـ 29 درجة أفضل الدرجات الحرارية الملائمة لإنبات المحصول، هذه الخاصية تتوفر في إقليم تهامة طوال العام، وهو من محاصيل التصدير الرئيسة، ويحتوي على أهم الألياف التي كانت تستخدم في صناعة المنسوجات وأكثرها استهلاكاً [2].

يعد الصنف أكالا هو الصنف الوحيد المنتشر في سهل تهامة، وهو متوسط التيلة، ويستمر نموه في الحقل بين خمسة إلى ستة أشهر، تتراوح إنتاجيته مابين 1. 2 طن/ للهكتار [3].

يتميز هذا الصنف بزيادة نموه الخضري، وارتفاع شجيراته، وكبر حجم لوزاته، وميل زهوره إلى اللون الأبيض أكثر منها للون الأصفر، ونظراً لاعتماد محصول القطن في تهامة على عنصر الري، لذا تتركز مساحات زراعته عند مخارج الوديان، وبعض المناطق الجيدة التربة التي تسقى من الآبار [4].

يتراوح عدد مرات ريه مابين خمس إلى ثمان ريات طوال فترة نموه، وفي ظروف الري من الوادي تروى الأرض ريتين غزيرتين قبل الزراعة، ثم تعطى رية أخرى عند مرحلة التزهير، يتم جني المحصول عند تفتح اللوز، ويكون الجني على دفعات مع الحفاظ على نظافة الأقطان المجنية من بقايا النباتات والأتربة والأوساخ، تصل مرات الجني إلى ثلاث جنيات بين كل جنية وأخرى عشرة أيام، وقد تمتد فترة الجني إلى شهر ونصف [5].

خلاصة القول:أن القطن في تهامة يمثل مصدراً اقتصادياً يمكن عن طريقه تنمية اقتصاد البلد فهو بوصفه محصولاً ممتازاً يتلاءم مع ظروف المنطقة، وإن بذل أي مجهود في سبيل تنمية الموارد المائية سوف يزيد من المساحة المزروعة منه في سهل تهامة .

2- السمسم (الجلجلان) :

يلي القطن من حيث الأهمية الاقتصادية والنقدية، فهو من أهم وأقدم المحاصيل الزيتية المنتشرة في سهل تهامة، ترجع أهميته إلى احتواء بذوره على نسبة عالية من الزيت والذي يصل إلى 60 %، فضلاً عن احتوائه على نسبة مرتفعة من البروتين تبلغ 25%، ويتميز أيضاً بأنه

1- عمر، مرجع سابق، ص 131.

2- الوشلي، مرجع سابق، ص 236 .

3- مكرد، مرجع سابق ، ص 71 .

4- جعفر، مرجع سابق، ص53.

5- مكرد، مرجع سابق، ص 73 – 74 .

سهل الاستخراج والتنقية ويحتفظ بطعمه وجودته لمدة طويلة، يستخدمه السكان كغذاء من خلال بذوره التي تنثر فوق الخبز والمعجنات، كما يستخدم في بعض الجوانب العلاجية كمرطب للبشرة، وملين للأمعاء، وملطف للأغشية المخاطية ومفيد للجهاز الهضمي[1].

ينمو محصول السمسم في أغلب أنواع الترب المنتشرة في سهل تهامة، عدا التربة الرملية، وتعد التربة الرسوبية متوسطة القوام، والتربة الطينية الخفيفة من أنسب الترب التي ينمو فيها محصول السمسم، أما طريقة ريه فيعطى المحصول في تهامة أربع إلى خمس ريات من الآبار، أي بواقع رية كل عشرين يوما بما فيها رية الزراعة، أما في حالة الري من الوادي يعطى المحصول رية واحدة أو ريتان قبل زراعته، ولا يسقى بعد ذلك حتى موعد الحصاد، حيث تكفي الرطوبة المتوفرة في التربة المحصول طوال موسم النمو الذي يصل إلى تسعين يوما، أمّا أصنافه الموجودة في تهامة فتنتشر الأصناف المحلية التي تتميز بالجودة العالية، واللون الذي يميل مابين البني والأحمر، ووفرة إنتاجه الذي يقدر مابين 600 . 700 كجم / للهكتار[2].

تتم عملية جني المحصول قبل وصوله لطور النضج حتى لا تنفرط البذور، فتقطع النباتات وتجمع في صورة حزم وتترك في الحقل لتجف مدة خمسة أيام، بعد تمام جفافها توضع في هيئة أكوام مخروطة على أرض مفروشة بقماش، يتم عليها انفراط القرون، تؤخذ حزم النباتات وتهز بقوة حتى تتساقط البذور، وتضرب الثمار التي لم تتفتح بالعصي، بعدها يتم تنقية المحصول من الشوائب، ويعبأ في أكياس وتنقل للخزن أو التسويق[3].

3- التبغ (التنباك) :

يُعد التبغ ثالث المحاصيل الزراعية النقدية في سهل تهامة، رغم أن المساحة المزروعة منه قليلة، حيث يزرع في كل اليمن حوالي 3400 هكتار سنويا، تزرع في تهامة التبوغ الشرقية السوداء التي تستهلك محلياً في المداعة (الأرجيلة)[4]. تعتمد المساحة المزروعة منه في تهامة على الري من الآبار، حيث يروى رياً غزيراً لثلاث مرات طوال فترة نموه، تزرع شتلاته في يوليو/تموز، ويتم نقلها إلى أراضي الزراعة في أكتوبر/تشرين أول[5].

1- الأفضل، مرجع سابق، ص165.

2- مكرد، مرجع سابق، ص 75 -77 .

3- جعفر، مرجع سابق، ص 55. ؛ الأفضل، مرجع سابق، ص 172.

4- مكرد ، مرجع سابق ، ص 79 .

5- جعفر، مرجع سابق، ص 55.

عند بداية نضج المحصول يتم تصويمه (أي قطع الماء عنه)، وتكسير أوراقه السفلية، وتترك لمدة عشرة أيام حتى تجف، ثم تجمع وتخزن في مكان رطب بعيداً عن حرارة الشمس المباشرة، بعدها يكون المحصول جاهزاً للبيع، حيث يعبئ في كرابيس مصنوعة من الحصير ويتم تسويقه واستهلاكه محلياً ضمن عمليات مضغ القات اليومية [1].

ثالثا- البقوليات:

يزرع في سهل تهامة عدد من البقوليات أهمها: الدجره (اللوبيا)، والهندية (اللبلاب)، والعتر (البازلاء)، وتزرع إمّا مختلطة مع محاصيل أخرى كالذرة والدخن، أو منفردة في الكثبان الرملية، وتستخدم حبوب هذه المحاصيل كغذاء للإنسان، كما يتم استخدام مجموعها الخضري كعلف للحيوانات لاحتوائه على نسبة عالية من البروتين، أمّا الأصناف التي تزرع في تهامة فهو الصنف البلدي الذي يتراوح إنتاجيته بين 400- 500 كجم / للهكتار تحت ظروف الزراعة المطرية في مناطق الكثبان الرملية، وقد تصل إنتاجيته إلى 900 ـ 1000 كجم / للهكتار تحت ظروف الري من الآبار أو السيول[2].

رابعاً - الفواكه والخضار:

تزرع في تهامة العديد من الفاكهة كالحمضيات، والموز، والمانجو، والجوافة، والباباي، والتمور . تُعد فاكهة الموز من أهم أنواع الفواكه المنتشرة في سهل تهامة، ذلك لتوفرها على مدار العام، وبأسعار معقولة تمكن مختلف فئات المجتمع من شرائها، وهي من الفواكه ذات القيمة الغذائية لاحتواء ثمارها على نسبة عالية من السكريات، والأملاح غير المعدنية [3]. ونظراً لكثرة احتياجاته المائية، فإنه يعتمد على الري من الآبار والسيول، وأكبر مساحة له تقع في وادي رمع وزبيد[4].

1- مكرد، مرجع سابق ، ص 82 .

2- المرجع نفسه، ص 67 .

3- الأفضل، مرجع سابق، ج3، ص 129.

4- جعفر، مرجع سابق، ص 57.

كما تزرع فاكهة المانجو التي تعود على المزارع بفوائد كثيرة من خلال تصديرها، وتعتبر مصدراً مهماً لفيتامين (أ)، مع وجود نسبة قليلة من فيتامين (ب، ج) [1].

ومن بين أنواع الفاكهة المزروعة بصورة تجارية في تهامة نخيل البلح، التي تتركز زراعته على امتداد الشريط الساحلي لسهل تهامة، من جنوب محافظة الحديدة حتى وادي موزع في محافظة تعز، تتركز زراعة النخيل عند مخارج الوديان، وأكبر تركز لمساحاتها في غرب مدينة زبيد[2].

تشير الدراسات إلى أن المساحات المزروعة في سهل تهامة بالنخيل تمثل حوالي 97% من إجمالي المساحات المزروعة بالنخيل في شمال اليمن[3].

يتراوح عدد أشجار النخيل في سهل تهامة مابين 2,5 . 3 مليون نخلة، بمتوسط كثافة 180 شجرة في الهكتار الواحد، كما يوجد أكثر من 35 صنفاً من التمور وهي : ((بوم، بطاحي، باثور، بقعي، ثعل، جبري، عنيني، جهراء، حقبي، خضاري، خفوش، ديري، دليل، دباش، ذكور، زتكي، غبري، صعفاني، طبيقي،عريجي، عجوة، قوفل، قيرعان، لبان، مقري، مقصاب، شهار، مخلص، مجازية، مديني)) ويُعد صنف المناصف (ثعل) أكثر الأصناف انتشاراً في سهل تهامة، حيث ينتشر بنسبة تزيد عن 90%، يليه في الأهمية أصناف أقل انتشاراً وهي الطبيقي، والخضاري، والعنيني، والعريجي، والبطاحي، والخفوش[4].

أما الزراعات الأخرى من الفاكهة، فلا تتجاوز مابين الربع والنصف هكتار، يزرع معظمها بجانب الآبار، ويتم تسويق معظمها داخل البلد [5].

كما يزرع في سهل تهامة أنواع من الخضار أهمها: الطماطم، والبصل، والفلفل الحار، والبامية، والحبحب (البطيخ الأخضر)، الذي يزرع على وجه الخصوص في الجزء الشمالي من تهامة وفي أقصى الجنوب، كما تزرع الكوسة، والخيار، والملوخية، والشمام(الأناناس)[6].

2-الإنتاج الحيواني في تهامة:

1- مكرد، مرجع سابق، ص 138 .

2- عبد الحافظ، عبد القوي: وضع النخيل في الجمهورية العربية اليمنية، مجلة تهامة والتنمية الزراعية، الهيئة العامة لتطوير تهامة، ع(4)، 1987م، ص 63.

3- المرجع نفسه .

4- مكرد، مرجع سابق ، ص 160 . 161.

5- جعفر، مرجع سابق، ص 56.

6- هارون، مرجع سابق، ص 285 . 286.

تُعد الثروة الحيوانية أحد الركائز الأساسية للاقتصاد الزراعي في تهامة، فهي جزء لايتجزء من النشاط الزراعي في المنطقة وعاملاً مهماً للتنمية الزراعية، كما تعد مصدراً من مصادر الغذاء البروتيني للسكان، والمصدر الحيوي للدخل لدى بعض المزارعين، فهي مصدر للحوم والألبان والزبدة والجبن، كما تستخدم للحراثة والأعمال الزراعية،حيث تُربى الأبقار للحصول على الألبان ومشتقاتها، وللقيام بالأعمال الزراعية المختلفة كما تُستخدم الإبل والحمير للأعمال الزراعية أيضاً ، ونقل الأغراض، علاوة على تلك الفوائد فإن منتجاتها تشكل لدى بعض الفلاحين في تهامة مصدر الدخل الوحيد للإنفاق على الأسرة، كما أن عائد بيعها يستعين به الفلاحين على مواجهة الضائقة المالية، ومواجهة متطلبات الزراعة وتحضير الأرض وشراء البذور والحراثة، لذلك فهم يبذلون جهودهم في تسمينها ورعايتها لوقت الحاجة [1].

وبالرغم من هذه الأهمية التي تمثلها الثروة الحيوانية للمزارعين في تهامة، إلاّ أنّ أعدادها كانت تتناقص يوماً بعد يوم ويرجع ذلك إلى أسباب عدة منها:

1- قلة المراعي الطبيعية التي تعتمد على مياه الأمطار، حيث يكون نصيب الحيوانات منها مخلفات الزراعة من المجموع الخضري، ولذا فإن أعداد الحيوانات في أوقات الجفاف في تهامة تتناقص بنسب كبيرة، بسبب تسويقها إلى المناطق الجبلية الأخرى وبيعها في الأسواق، وذلك نتيجة لقلة المراعي[2].

2- انتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة التي تقضي على كثير من الثروة الحيوانية، وعدم توفر الرعاية البيطرية في مواجهة هذه الأمراض، ذلك مثل ما حدث في عام 1950 . 1951، حيث جاءت هذه الإمراض على معظم الحيوانات في تهامة، وأدت إلى موت كثير منها. ومن أهم هذه الأمراض: ((الحمى القلاعية، وجدري الأغنام، والسل، والالتهاب الرئوي، والتهاب الضرع، وأمراض الدودة الكبدية)) [3].

وتتمثل الثروة الحيوانية في تهامة بما يلي:

1- حبيب، مرجع سابق، ص 164.

2- مكرد، مرجع سابق ، ص 170 .

3- جعفر، مرجع سابق، ص 60 . 61.

1- الماشية (الأبقار): تتميز الأبقار في تهامة بوجود سنام لها فوق الأكتاف، وذو قرون قائمة قصيرة، وألوانها متعددة مابين الرمادي والبني والأحمر، والأسمر المنقط بالأبيض[1]. كما تتميز بأحجامها الصغيرة، وقدرتها على احتمال درجة الحرارة والرطوبة الموجودة في المنطقة، يستخدمها الفلاح للعمل في حراثة الأرض، كما أنها مصدراً للمشتقات الغذائية كالألبان والزبدة والجبن، تتغذى على قصب الذرة الخضراء واليابسة [2].

2-الأغنام : تُعد الأغنام الموجودة في تهامة من النوع الصغير ذو اللون الأبيض، يغطي جسمها طبقتان من الألياف، السفلية من الصوف القصير، والعلوية من الشعر المتوسط الطول، وتتميز بغلظة ذيلها، وألوانها البيضاء التي تميل للصفرة، كما توجد بعض الأغنام ذو اللون الأسود في جنوب تهامة قرب منطقة المخا، يبلغ متوسط وزنها من 22 . 28 كجم ، وتتغذى على المراعي الطبيعية بصفة أساسية[3].

3- الماعز: يُعد الماعز أكثر حيوانات تهامة صحة ونشاطا، ويغطي جسمها شعر ناعم قصير، وتتميز بقرون طويلة في الذكر والأنثى متجهة للخلف مع وجود زوائد لحمية أسفل الرأس، ويغلب عليها اللون الأسود والبني الأحمر[4].

تنتشر الماعز بكثرة في وادي مور وتسمى بالماعز المورية، وتتميز بصغر حجمها، وشعرها القصير وبلونها الأبيض المخلوط، وفي وادي سردد تسمى بالسردية، وتتميز بلونها الأحمر الخليط وشعرها القصير، ويُعد هذا النوع من أكبر سلالات الماعز حجماً في اليمن، كما تتميز بالنمو السريع[5].

4- الإبل (الجمال): تنتمي الإبل في اليمن إلى المجموعة ذات السنام الواحد التي تنتشر وتتوزع في المناطق الصحراوية، والسهول الساحلية ومنها سهل تهامة[6]. أدت الإبل دوراً مهماً في النشاط الاقتصادي، فهي وسيلة مهمة لنقل المحاصيل الزراعية والفواكه إلى أسواق المدن، كما

1- مكرد، مرجع سابق، ص173 .

2- جعفر، مرجع سابق، 58.؛ المندعي، مرجع سابق ، ص 125 .

3- المتوكل، إسماعيل: الثروة الحيوانية في اليمن، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412هـ/1992م،ج1، ص 291.

4- جعفر، مرجع سابق، ص 59.

5- مكرد ، مرجع سابق ، ص 173 .

6- المتوكل، الثروة الحيوانية، مرجع سابق، ص 293- 294.

كانت تستخدم في تهامة للحرث ورفع المياه من الآبار، ونقل البضائع التجارية والحجيج [1]. ويغلب عليها اللون الأبيض والبني المائل للبياض، عكس إبل المنطقة الجبلية التي يغلب عليها اللون البني الداكن أو القريب من الأسود[2].

5- الحمير: كانت الحمير مهمة للمزارعين في أرياف تهامة ولازالت، خصوصاً في نقل المحاصيل من الحقول إلى القرى، والى أسواق المدن المجاورة، يستخدمها الفلاح أيضاً للحرث، ونزع المياه من الآبار في بعض الأحيان، ويتميز الحمار في تهامة بالقزامة ويغلب على لونه السواد[3].

ثانياً- الصناعات الحرفية في تهامة اليمن (1918-1962):

تمتعت بلاد اليمن منذ القدم بشهرة عالية في صناعاتها المتنوعة، التي لم تقتصر على منطقة بعينها، بل وجدت تارة مجتمعة وتارة متفرقة في العديد من المدن اليمنية، كما اشتهرت بعض المدن بصنعة دون غيرها، حتى أصبح يطلق اسم الصنعة على المدينة التي اشتهرت بصناعتها مثل الفخار الحيسي الذي ينسب إلى مدينة حيس. ومما تجدر الإشارة إليه أن اليمن أثناء فترة الدراسة كان مكتفياً ذاتياً بصناعاته الحرفية، والتي كانت غايتها موجهة لأجل الاستهلاك المحلي، عدا الجلود والبن الذي كان يصدر جزء منه إلى الخارج. إلاّ أنّه وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت الصناعات الحرفية التقليدية في اليمن ومنه تهامة تتدهور شيئاً فشيئاً ويعود ذلك إلى عدة أسباب منها[4]:

1- منافسة السلع الرخيصة المستوردة من الدول الصناعية الأوربية التي غزت الأسواق اليمنية بعد الحرب العالمية الثانية، فأغرقت أسواقها بالمصنوعات الأجنبية، وأدى ذلك إلى تدهور

1- المندعي، مرجع سابق، ص 125 .
2- جعفر، مرجع سابق، ص 59.
3- المندعي، مرجع سابق، ص 127 .
4- الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق، ص 40 .

المصانع التقليدية، وانقراض أخرى، فعلى سبيل المثال تقلص عدد مصانع الصباغة من مئة وخمسين مصنعاً في تهامة إلى ثمان مصانع مع بداية عام 1962 .

2- ارتباط المؤسسات التجارية الاحتكارية من قبل أفراد الأسرة الحاكمة وأقربائهم من التجار بالسوق الخارجية، أدى ذلك أيضاً إلى تحطيم الصناعات الحرفية وبالتالي إلى فقدان الاعتماد على الذات مما أدى إلى مزيد من الاعتماد على المصنوعات الأجنبية المستوردة .

وتُعد تهامة من المناطق التي اشتهرت بالعديد من الصناعات الحرفية التقليدية، ويرجع ذلك إلى توفر العوامل البشرية المتمثلة بالأيدي العاملة، وتوفر المواد الخام الزراعية والحيوانية التي كانت الأساس في قيام هذه الصناعات التي اشتهرت بها تهامة منذ القدم واستمرت حتى فترة الدراسة . ومن أهم هذه الصناعات الحرفية مايلي :

1- صناعة المنسوجات :

صناعة المنسوجات من أهم الصناعات التي كانت تنتشر في مناطق تهامة، ومما ساعد على قيام هذه الصناعة وانتشارها توفر المواد الخام اللازمة لها ، والمتمثلة بالقطن والكُتان الذي كان يزرع حول أودية تهامة، وصوف وشعر الماعز ونباتات الصباغة المحلية [1]، بالإضافة إلى استيراد جزء بسيط من المواد الخام من بلدان جنوب شرق آسيا (كالهند والباكستان)[2] .

نالت هذه الصناعة المكانة الأولى في اليمن بشكل عام وفي تهامة بشكل خاص، وذلك لما كانت تدره من أرباح على أصحابها، حيث قدر الإنتاج السنوي الكلي للمنسوجات أثناء فترة الدراسة في اليمن بـ 137الف متر[3].

وقد تعددت أنواع المنسوجات التي كانت تصنع في تهامة فمن أشهرها:

أ- البرود: وهي التي تعرف بالبرود اليمانية، اختص بصناعتها عدد من المدن التهامية، مثل زبيد وبيت الفقيه والحديدة والدريهمي، وكانت تصنع من القطن أو الحرير أو من كليهما معاً ، وكان طول الواحد منها ثمانية أذرع، وعرفت بعض البرود باسم المنطقة التي صُنعت فيها مثل البرود الزبيدية نسبةً إلى زبيد[4].

1- عسيري، مرجع سابق، ص 102 . 103.

2- الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412هـ / 1992م، ج2، ص 576.

3- العطار، مرجع سابق، ص 212.

4- المندعي، مرجع سابق، ص 256 – 257 .

ب- الثياب: صنعت في تهامة العديد من الثياب، مثل الملايات والجراب التي كانت تصنع من القطن الخالص، والمعاجر التي يحتزم بها الرجل على وسطه، والملاحف وهي ما يلبس فوق سائر اللباس، ونوع من الثياب تسمى القطائف، حيث كانت زبيد من أشهر المراكز في صناعة هذا النوع الذي تميز بالجودة والوفرة كما كانت تُصنع الفوط والمآزر والمخاد والفرش[1].

وقد اشتهرت بعض الأسر في تهامة بصناعة نوع معين من المنسوجات كأُسرة الغشيمي التي اشتهرت بصناعة الوسائد الغشيمي المتعدد الألوان، وأسرة عبود التي اشتهرت بصناعة الوسائد العبودي[2].

ج- الحرير: تميزت تهامة بجودتها في صناعة المنسوجات الحريرية، والتي كان منها شقق الحرير الأبيض، ونوع يسمى البيرم، وهو نوع من المنسوجات طول الواحد منه ستة أذرع، والسباعيات من الأردية وطوله سبعة أذرع وعرضه أربعة أذرع، وكان على نوعين من الحرير الخالص، وحرير مخلوط بالقطن والكتان[3]. وقد اشتهرت المنسوجات الحريرية التي تنتجها زبيد باسم القماش الزبيدي[4].

كما كانت تصنع من المنسوجات فرش من القطن خاصة بالعروس، حيث جرت العادة في تهامة أن العروس لا تُزف إلى بيت الزوجية إلاّ ومعها فراش خاص مصنوع من القطن ووسادتين، فضلاً إلى ما يلزمها من ملابس، ولازال هذا التقليد سارياً حتى عصرنا الحالي، رغم استبدال هذه الفرش بالإسفنج المستورد ويسمى فرش عرائسي[5].

كانت أهم مراكز هذه الصناعة تنتشر في مدينة زبيد التي اشتهرت بقدمها في هذه الصناعة والتي استمرت إلى فترة الدراسة، حيث بلغت معامل المنسوجات فيها 150معملاً يدوياً [6].

1- الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ،(د.ط)، 2000، ص26 .

2- هارون، مرجع سابق، ص 219 .

3- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 363.

4- حماد، أسامه أحمد: مظاهر الحضارة في اليمن، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ط1، 1425هـ/ 2004، ص 316 .

5- مقابلة شخصية مع الأستاذ / عبد الحبيب الذبحاني، بتاريخ 2009/5/15م .

6- الحضرمي، تهامة في التاريخ: مرجع سابق، ص 363.

كما اشتهرت بيت الفقيه [1] بمنسوجاتها الجميلة المتينة المصنوعة من الحرير والقطن[2]، حيث بلغ عدد معامل الحياكة فيها 100 معمل يدوي، وما يدلل على شهرتها بهذه الصنعة تسمية إحدى حاراتها بحارة الحوك حيث لا تزال هذه التسمية إلى يومنا هذا، ولم يبق من معامل الحياكة فيها إلاّ الجزء اليسير[3]، ومدينة الحديدة التي كان بها أثناء فترة الدراسة عشر مشاغل يدوية لتطريز الشيلان بالحواشي الزخرفية، والعذبات، وقد بلغ عدد المشتغلين بها 80 عاملاً[4]. والدريهمي [5]، التي وجد بها نحو 25معملاً لحياكة المنسوجات حتى قيام ثورة سبتمبر/ أيلول 1962 [6]، ومنطقة المراوعة[7]، التي اشتهرت بصناعة نسج الفوط والبرود المتنوعة[8].

أمّا أهم الأسر التي اشتهرت بمزاولة هذه الصنعة فتتمثل بما يلي[9]:

1- أسرة الغشيمي وعلى رأسهم عبد العظيم الغشيمي وإخوانه من بعده، حيث اشتهرت هذه الأسرة بدقة صناعاتها حتى عرف إنتاجهم بالغشيمي .

2- أسرة علي عوا ض شطوط.

3- أسرة علي صالح عبود .

4- أسرة منصور علي قائد الوجيه .

5- أسرة المعافا وعلى رأسهم عبده معافا .

1- بيت الفقيه: هي إحدى مدن تهامة تبعد عن محافظة الحديدة بحوالي 62 كم في الجنوب الشرقي، تقع مابين زبيد والحديدة على الطريق العام، تنسب إلى الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل المتوفي سنة 690هـ، وهي حاليا إحدى مديريات محافظة الحديدة . أنظر: الحجري، مرجع سابق، مج2، ص 636.

2- زكريا، أحمد وصفي: رحلتي إلى اليمن، دار الفكر، دمشق، ط1، 1406/1986، ص 86 .

3- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص363.

4- جوساروف، مرجع سابق، ص 83- 84 .

5- الدريهمي : بلدة تهامية تقع شمال غرب مدينة بيت الفقيه، وبالجنوب من محافظة الحديدة ، بمسافة 20 كم ، يسكنها جماعة من السادة آل مقبول الأهدل .أنظر: الحجري، مرجع سابق، مج1، ج2، ص 330. ؛ المقحفي، مرجع سابق، ص156 .

6- الحضرمي، تهامة في التاريخ: مرجع سابق، ص 364.

7- المَراوعة : بفتح الميم والراء بلدة تهامية تقع بوادي سهام، على طريق الحديدة باجل، شرق مدينة الحديدة ، بمسافة 30 كم ، يعود تاريخ ظهورها إلى القرن الثالث الهجري . أنظر: الحجري، مرجع سابق، مج2، ج4، ص 704 .

8- زكريا، مرجع سابق ، ص 85 .

9- هارون، مرجع سابق، ص 219.

كما اشتهرت أسر بصناعات معينة كالمفارش المحشوة بالقطن، واللحافات كاسرة بني البيلم، والجرهزي، وبني النداف[1].

ومن خلال ماسبق يتضح أن صناعة المنسوجات التقليدية كانت تشكل رافداً اقتصاديا لكثير من سكان تهامة، حيث كانت تحتل المرتبة الأولى بين الصناعات الحرفية، وذلك لتوفر المواد اللازمة لتلك الصناعة مثل القطن والحرير وصوف وشعر الماعز والدُ ساج المهره ، وأنّ هذه المنسوجات قد تعددت أنواعها مابين البرود، والثياب، والحرير وغيرها من المنسوجات القطنية التي اشتهرت بها تهامة في تلك الفترة .

2- الصباغة:

صناعة الصباغة في تهامة من الفنون التي قامت بها معامل بدائية، والتي يتم بواسطتها صباغة القماش الأبيض بمادة النيلة، التي كانت تستخرج محلياً من شجيرات الحور التي تكثر زراعتها في أودية تهامة[2].

وتُعد منطقة الدُريبة التي تقع شمال شرقي زبيد المركز الرئيس لإنتاج مادة النيلة المحلية، حيث يتم بيعه وتوزيعه على مصانع الصباغة في زبيد وبيت الفقيه، وقد ظلت مادة الحور هي المادة الخام الرئيسية لإنتاج الأصباغ في تهامة حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، حيث أدخلت تهامة مادة أخرى للصباغة، كانت تستورد من الهند، وهي مادة النيلة الزرقاء، التي كانت تسمى بالإنديجو، وكانت تأتي مطحونة ومعبأة في براميل[3]. وكانت تُعطي هذه المادة المستوردة للأقمشة لمعاناً ومتانةً، حتى وصفت الأقمشة في زبيد في تلك الفترة أنّها ليس لها مثيل في اليمن، من حيث الحسن الجودة [4].

1- مقابلة شخصية مع الأستاذ/ عرفات حضرمي ، بتاريخ 23/4/ 2009م .

2- الحداد، عبد الله عبد السلام : مدينة حيس اليمنية (تاريخها وآثارها الدينية)، دار الآفاق العربية ، القاهرة، ط1، 1999م ، ص 62 .

3- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 364.

4- خليفة، ربيع حامد: مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء، مجلة الإكليل، ع (2)، السنة السادسة، 1988م، ص 52.

لم يقتصر استخدام الأصباغ في تهامة لتلوين المنسوجات والأقمشة فقط، بل كان يستخدم لتزيين بعض الأواني الفخارية، كما استخدمته النساء في التزيين، حيث كانت تخلط الأصباغ بالعطور لتكتسب الملابس رائحة عطرية [1].

ومما ساعد على انتعاش هذه الصناعة وانتشارها في تهامة، وبخاصة في زبيد وبيت الفقيه، توفر نبات النيلة (الحور) في سهل تهامة ، فضلاً إلى زيادة الطلب عليها، حيث بلغت مصانع الصباغة في زبيد عام 1936مائة وخمسين مصنعاً ، وبلغ عدد العمال في كل مصنع مابين 150 – 200عامل[2].

وقد انتقلت هذه الصناعة من زبيد إلى مناطق سهل تهامة بشكل عام، بخاصة في بيت الفقيه والحديدة والدريهمي، وكانت الأقمشة المصبوغة تُباع في المناطق الجبلية ذو المناخ البارد مثل صنعاء، وذمار، وإب، والبيضاء، وحجة، والعدين، وتعز، وصعده[3].

ومما تجدر الإشارة إليه أّنه كان لكل مصبغة في تهامة علامة تجارية تميزها عن غيرها، يكتب عليها اسم التاجر وعلامته التجارية. وفي حالة حدوث تزوير لتلك العلامة التجارية فإن المحكمة تتولى حل مثل هذه القضايا، ويصدر بذلك حكم شرعي يقضي بتغريم المعتدي مبلغاً من المال، والتعهد بعدم التكرار[4]. مما يدلل على أن هذه الصناعة كانت مزدهرة حينها، وأن حقوق التصنيع كانت محفوظة .

كانت تلك العلامة التجارية تتمثل بقطعة من الخشب، يوضع عليها اسم صاحب المصبغة، وعلامته التجارية الخاصة به، حيث تُطبع هذه العلامة بمادة الصمغ المخلوط بمادة ذهبية[5] . من هذه العلامات على سبيل المثال ما وجد في متحف قلعة زبيد على النحو التالي :

* ختم من الخشب على شكل نصف دائرة، بمقبض مستطيل، يظهر عليه في الواجهة شعار صاحب المصبغة واسمه، يغطي واجهة الختم زخارف على شكل فروع وأوراق نباتية متجاورة،

1- حماد، مرجع سابق، ص 319 .

2- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص678.

3- الحضرمي، تهامة في التاريخ، ص 364.

4- هارون، مرجع سابق، ص 195.

5- المرجع نفسه .

يتوسط الختم زخارف كتابية باسم صاحب المصبغة مكونة من ثلاثة اسطر نصها كما يلي : ((فاتح الخير قاصد، كريم محمد عامر، باعامر)) [1].

* ختم من الخشب يشبه الطفرة، يمثل شعار المصبغة، يتوسط الختم خرطوش فيه كتابة بخط النسخ، مكون من سطرين نصه: ((الواثق بالرحمان – أحمد عبده جعمان)) [2].

تمر عملية الصباغة بمراحل، تبدأ باستخراج المادة الخام من أوراق أشجار الحور التي تكثر زراعتها في تهامة، حيث تجفف هذه الأوراق، وتنقع بالماء في وعاء كبير لفترة تستغرق ثلاثة أيام، بعدها يتم استخلاص مادة الصباغة التي تهبط إلى أسفل الإناء وبيعها [3]. بعدها يقوم الحرفي بتقطيع القماش المراد صباغته وتنقيعه بالماء الساخن لتصفيته وتنظيفه، وبعد التصفية يوضع القماش في إناء آخر مملوء ماء ومضافاً إليه مادة الصباغة، وبعض المواد المثبتة للون[4]، وبعد لتحريك المستمر للقماش في الخليط، يصبح لونه مغبراً ، ولكي يزداد لونه لمعاناً تكرر العملية، حتى يصبح لونه زاهياً ، وبهذه الخطوات تنتهي عملية الصباغة[5] .

3 – الصناعات الفخارية:

عّبرت صناعة الفخار عن تلبية حاجات الإنسان في اليمن، وهي من الصناعات الشائعة في البلاد، وقد تفنن أهل اليمن في صناعتها، فكانت أشكالها والرسوم التي نقشت عليها قد حملت دلالات رمزية مستوحاة من الطبيعة، وهي من أقدم الصناعات التي تركها الإنسان في اليمن .

وقد اشتهرت العديد من المدن اليمنية بجودة صناعاتها الفخارية والخزفية، وتعد مدن زبيد وحيس التي كانت ولازالت من أهم المدن التهامية التي صنع فيها الفخار منذ فترة ما قبل الإسلام، وفترة الإسلام، وهو ما أكدته الُلقى الأثرية، التي تم العثور عليها من خلال الحفريات والتنقيبات التي قامت بها البعثة الأثرية الكندية في مناطق حيس وزبيد عام 1998[6].

1- نموذج موجود في متحف قلعة زبيد إحدى مدن تهامة .

2- نموذج موجود في متحف قلعة زبيد إحدى مدن تهامة .

3- هارون، مرجع سابق، ص 197- 198.

4- كمادة الصبر (المّر)، وكمية من التمر أو السكر، ومادة من الصمغ.

5- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 365. ؛ هارون، مرجع سابق، ص 201 -203.

6 -Dr- Keel –The Bronze Agesitealal - Midammen Rerortes , director , Archeological misslon, Canada , Toronto, December, 2005, P. 140

وقد توافرت عوامل عدة جعلت من هذه الصناعة ذو شهرة واسعة الصيت منها : توفر مادة الطين النقي في سهل تهامة، وتوفر الأكاسيد المعدنية الداخلة في هذه الصناعة، فضلاً عن الطلب المتزايد من قبل السكان على منتجات هذه الصناعة لاستخداماتهم اليومية [1] .

مرت هذه الصنعة بتطورات بعد اختراع الإنسان للعجلة، وما يسمى بدولاب الفخار، الذي هو عبارة عن قرص دائري من الخشب أو الحجر يتصل بذراع عمود طويل يتم تحريكه باليد، توضع كتلة الطين فوق القرص، وعند دوران القرص يقوم الحرفي بعمل الآنية المطلوبة بواسطة اليد، ثم تطورت هذه الآلة فأصبحت حركتها تتم بواسطة القدم ليسهل على الحرفي استعمال كلتا يديه في عمل الأواني والمشغولات الفخارية بالشكل الذي يريده [2]. رافق هذا التطور اتجاه الإنسان إلى محاولة السيطرة على النار والتحكم في حرارتها، فاهتدى إلى بناء الفرن (المحراق)، فظهرت أنواع متعددة من الأواني الفخارية، نتيجة اختلاف درجات الحرارة التي يتعرض لها الفخار، منها الفخار الذي يميل لونه إلى الأحمر، بسبب عدم تعرضه للحرارة الكافية، ونوع آخر يميل لونه إلى الأصفر بسبب تعرضه إلى حرارة عالية أكثر من الأول، كما ظهر نوع آخر يميل لونه إلى الأبيض وهو أرقى الأنواع ، حيث يمتاز بجودة صناعته لجودة الطينة المصنوع منها، فضلاً إلى تعرضه لدرجة حرارة مناسبة[3].

تنوعت منتجات هذه الصناعة وأغراضها في تهامة فمنها ماكان يُستعمل للزينة، ومنها ماكان يستخدم لتحضير المأكولات وطهيها، كالتنور[4]، والصحون التي بواسطتها يتم طهي المأكولات ولها أحجام متفاوتة، والبُرمة والمقلى[5]، كما صُنع نوع من الأواني الفخارية تسمى (الطّحة)، وهي عبارة عن وعاء فخاري تستخدم لتحضير نوع من الخبز الهش يسمى اللحوح .

1- الحداد، مرجع سابق، ص 58. ؛ لطف، مرجع سابق، ص 287.

2- حمودي، خالد جليل : الفخار والخزف الإسلامي، مجلة المتحف العربي، ع(3)، مارس/آذار ، 1987م، ص 60 . ينظر ملحق رقم (5) والذي يوضح كيفية صناعة الأواني الفخارية في مدينة حيس التهامية .

3- حمودي، مرجع سابق، ص 60 .

4- التنور يعرف في تهامة باسم الموفى، وهو وعاء فخاري يصنع بشكل دائري ، مجوف من الداخل ومفتوح من الجانبين العلوي والسفلي، يستخدم لتحضير الخبز في المنازل .

5- البُرمة : وعاء فخاري مجوف من الداخل ، ذو فتحة صغيرة من الأعلى ، تستخدم لطهي وطبخ اللحوم . أما المقلى : فهو عبارة عن صحن فخاري يشبه المقلى الحديدية الحديثة، يستخدم لطهي وقلي الأسماك ، ومازال يستخدم إلى يومنا هذا في بعض مناطق تهامة .أنظر: هارون ، مرجع سابق ، ص 209 – 210 . ؛ لطف، مرجع سابق، 288.

أما الأدوات الفخارية التي استخدمت كأوعية للسوائل وحفظ الماء فمنها الزير الذي يستخدم لحفظ الماء، ويطلق على الكبير منها في تهامة اسم الدوح، والصغير بلبلة[1]، والجرار والكيزان والمنازِع والشِرب ، والأباريق، والجُمن، والفناجين، والمصاب[2].

كما صنعت في تهامة أدوات فخارية استخدمت لإغراض مختلفة، كالمجاول التي استخدمت لغرس شتلات أشجار الزينة في المنازل، والزهريات التي توضع عليها زهور الزينة، والمجاحم التي اُستخدمت لإيقاد النار، والمباخر التي استخدمت لنشر الروائح الزكية في المساجد والمنازل، وجلاسات الأطفال التي استخدمت لغرض تعويد الأطفال الرضع على الجلوس، والميازيب[3].

أّما عن المكونات التي كان يتعامل معها صانع الفخار لإنتاج الأواني الفخارية فهي مايلي[4]:

1- الطين: وهو المكون الأساسي لصناعة الفخار، ويتم جلبه من أودية تهامة، ويشترط فيه الجودة العالية والنقاوة.

2- ُمخلفات الحيوانات: وتسمى في تهامة (بالذبل)، وتخلط مع الطين .

3- الأخشاب: ويتم تجميعها من الأشجار المتواجدة حول أودية تهامة، تستخدم في أفران الفخار.

4- المِحراق : وهو عبارة عن بناء بشكل دائري من الياجور(الِ لبن) ، يتكون من قسمين علوي وسفلي، القسم السفلي يستخدم كموقد للنار، له فتحة تسمى عين المحراق، يتم من خلالها تزويد

1- الدوح : وعاء فخاري كبير يتسع لأكثر من مائتي لتر تقريبا ، ضيق من الأسفل والأعلى ، متسع من الوسط ، له مقاسات مختلفة يستخدم لحفظ الماء في المنازل . أما البلبلة فهي وعاء فخاري يشبه الدوح ، إلاّ أنها ذو حجم اصغر ، تتراوح سعتها بحدود 40 لتر تقريبا ، ولازالت هذه الأواني تصنع في أرياف تهامة . أنظر: لطف، مرجع سابق، ص288 . هارون، مرجع سابق، ص 209.

2-الجِرار جمع (جره)، وهي وعاء أصغر من البُلبُة ، وأكبر من المنزع ، تستخدم لتبريد مياه الشرب . أما الشِرب (بكسر الشين)، وهي وعاء فخاري ضيقة فوهته من الأعلى، ومتسع من الوسط والأسفل، يستخدم لحفظ الماء وتبريده. أما الأباريق: جمع (إبريق)وهو وعاء يستخدم لمياه الوضوء في تهامة. والجُمن : أوعية صغيرة يستخدم نوع منها لحفظ القهوة ومنها لحفظ الزيت والسمن . أما الفناجين : فهي كؤوس تستخدم لشرب الشاي والقهوة . والمصاب: مفرده (مصب)، وهو وعاء أكبر من الفنجان، يستخدم لصب المشروب إلى الفناجين(الكاسات). أنظر: لطف،مرجع سابق، ص 288.

3- الميزاب (المزراب): وعاء فخاري على شكل قصبة شبيهة بالقصبة البلاستيكية ، يستخدم في أسطح المنازل لإنزال مياه الأمطار من الأسطح ، ومازالت هذه الأواني ، تصنع إلى الآن . أنظر: لطف، مرجع سابق ، ص 289 .

4- نزول ميداني إلى إحدى معامل الفخار في تهامة، بتاريخ 5/25 / 2009م.

المحراق بالحطب أثناء الحرق . والقسم العلوي على شكل التنور المنزلي بشكل القبة، له فتحة قطرها 73 سم، يتم من خلالها رص الأواني الفخارية، وإخراجها بعد نضجها [1].

4 . الصناعات الجلدية:

دباغة الجلود والصناعات الجلدية من الصناعات التي كانت منتشرة في سهل تهامة، وقد ساعد على ازدهار هذه الصناعة وانتشارها عوامل عدة منها:

1- توفر الحيوانات في تهامة التي تستخدم جلودها في الدباغة كالإبل والبقر والأغنام والماعز[2]، تختلف جودة الجلود المدبوغة حسب نوعيتها، فأفضلها جلود الأبقار الي تُصنع منها الأحذية، يليها في الجودة ما صنع من جلود الماعز، ثم ما صنع من جلود الأغنام [3].

2- ملائمة مناخ تهامة لدباغة الجلود، فلا هو بالممطر دائماً، ولا الجاف يضاف إلى ذلك تميزه بالصحو[4].

3- توفر شجر القرظ [5] في سهل تهامة والتي يُستخرج منها مادة السحاء لاستخدامها في عملية الدباغة، إضافة إلى توفر مادة النورة البيضاء التي تستخدم في تصفية الجلد من الأوساخ[6].

4- خبرة سكان تهامة في دبغ الجلود ذلك مما ساعد على ازدهار هذه الصناعة وانتشارها.

تتم عملية دباغة الجلود في تهامة بجمع الجلود في أحواض مملوءة بالماء لمدة يومين حتى تصير لينة، ثم تدلك بمادة النورة البيضاء(الكلس) لإزالة بقايا الأوساخ العالقة بالجلد، بعدها تنقع الجلود مرة أخرى في أحواض من الماء ويضاف لها طحين مادة القرظ، تستمر العملية لمدة أربعة أيام

1- يُنظر ملحق رقم (6) ، الذي يبين شكل المِحراق وتكويناته .

2- المندعي، مرجع سابق، ص 265 .

3- عسيري، مرجع سابق، ص110.

4- المندعي، مرجع سابق ، ص 265 .

5- القرظ: نوع من أنواع الشجر يوجد في تهامة ، تستخدم أوراقه كمادة مطهرة تقوم بإزالة الشعر من الجلود، كما تضيف على الجلد لون أحمر، وتعرف في تهامة باسم (السوح) . أنظر: سعيد، شائف عبده : الحياة الاقتصادية في اليمن،مجلة دراسات يمنية ، صنعاء، ع (41) ، 1411هـ / 1990م ، ص 179 .

6- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص360.؛ هارون، مرجع سابق، ص212.

حتى ينظف الجلد تماماً من الأوساخ والشعيرات، ومن ثم يُغسل ويُجفف تحت أشعة الشمس حتى يصير جاهزاً للاستعمال(1).

كما كانت تتم زخرفة الجلود وتزيينها برسوم متنوعة عن طريق الضغط عليها بأدوات معينة، كما كان يُذّهب بعضها حيث يجعل فيها خطوط مذهبة فيُرى بعضها في أثر بعض كأنها متتابعة(2).

أدوات الدباغة والصناعات الجلدية:

استخدمت في عملية الدباغة والصناعات الجلدية عدد من الأدوات أهمها :

* المحط: يستخدم لصقل الجلد وتنميقه، وكان يصنع من الخشب أو الحديد.

* المِجلاة: تستخدم لتنظيف الأوساخ التي تبقى عالقة في الجلد.

كما أُستخدمت أدوات منها المبقر(3)، والمسرد(4)، والمنحاز(5)، والمقراض(6)، والمخصف(7)، والمفراص(8).

تعددت منتوجات هذه الصناعات الجلدية في تهامة، ومن أشهرها قُرُبُ الماء، والحقائب الجلدية، والنعال(الأحذية)، والدروع، وأغماد السكاكين والخناجر والأحزمة، وسروج الخيل، والدلاء الذي يستخدم لنزع الماء من الآبار، والمزاود:وهي الأوعية التي تُحفظ فيها الأطعمة(9). كما شهدت

1- مقابلة شخصية مع الأخ عرفات حضرمي، بتاريخ 2009/4/23م.

2- شهاب، حسن صالح: أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة، بيروت، ط2، 1981م، ص161.

3-المبقر: آلة تُستخدم للشق والفتح والتوسعة ، فُيقال :بقرت الشئ بقراً أي فتحته ووسعته . أنظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج4، ص 73.

4-المِسْرد: هو المِثقب، وسرد الشئ سرداً وسرده وأسرده أي أثقبه . أنظر: ابن منظور، مرجع سابق،ج3، ص211 .

5-المنحاز : النحز كالنخس، نحزه ينحزه نحزاً ، والنحز :هو الضرب والدفع، والمنحاز بكسر الميم هو مايُدق به.
أنظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج5، ص 414.

6-المِقراض :القرض في اللغة القطع فنقول قرضه يقرضه قرضاً أي قطعه ، والمِقراض هو مايقطع به الجلود . ابن منظور، مرجع سابق، ج7، ص216.

7-المِخصف :هو مايخرز به الجلود ، فنقول خصف النعل يخصفها خصفاً بمعنى يخرزها . أنظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج9، ص71.

8-المِفراص:الفرص هو الشق والقطع ، وفرص الجلد فرصاً قطعه ، والمفرص والمفراص الآلة الحديدية التي يُقطع بها، أنظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج7، ص 64 .

9- شهاب، مرجع سابق، ص 161.

تهامـة أثنـاء فتـرة الدراسـة صـناعة قصـيب المـدائع (الأرجيلـة) وكانـت تـُصـنع مـن جلـد المـاعز المدبوغ[1]، والأكياس الجلدية (الجواني): وهي عبارة عن أوعية من الجلد تستخدمه المرأة في تهامة لحفظ حاجاتها الخاصة كأدوات زينتها من الطيب والعطر[2].

5 . الصناعات الخشبية:

اعتمدت الصناعات الخشبية في تهامة على الأشجار التي توافرت بكثرة في أوديتها، مما ساعد على ازدهار الصناعات الخشبية في تهامة، والاعتماد على هذه الأشجار للحصول على الأخشـاب المتنوعـة التـي كـان مـن أهمهـا: أشـجار الطنـب [3]، والعرج(السـدر)[4]، والهلـج [5]، والحمر [6].

كما استخدم سكان تهامة هذه الأخشاب في صناعات أخرى متنوعة أهمها: صناعة المراكب والقوارب البحرية، حيث عمل سكان المناطق القريبة من سواحل البحر الأحمر على صنع القوارب والمراكب البحرية الصغيرة، التي يطلق عليها في تهامة باسم (الهواري أوالسنابيك)، ترجع أهمية هذه الصناعة إلي استخدامها في العديد من الأغراض، وبدرجة رئيسية للأغراض التجارية، إذ تـُشحن عليها السلع التجارية، ويصاد بها الأسماك التي اشتهرت اليمن بتصديرها إلى العديد من البلدان ولازالت، ويـُنقل عليها الحجيج[7].

1- مقابلة شخصية مع الأخ عرفات حضرمي، بتاريخ 2009/4/23م.

2- الشيباني، عبد القادر : الصناعات التقليدية في اليمن، بحث غير منشور، ص 6 .

3الطَنـِب: بفتح الطاء وكسر النون، وهي شجرة ضخمة ، تـُعد أخشابها من أجود أنواع الخشب ، يتميز بصلابته، وطول ارتفاعه، الذي قد يصل إلى ثلاثين متراً ، ولجودته فقد كان يصنع منه أبواب المنازل، والنوافذ، والأعتاب الخشبية المزخرفة . أنظر: بونفان، بول : فن الزخرفة الخشبية في صنعاء ، تر/ محمد علي العروسي ، (د.ط)، 1996م، ص 17 .

4- يصنع من هذه الأشجار القعائد(أسرة النوم)،والتخوت، والصناديق الخشبية ، كما يصنع منه معاصر زيت السمسم . أنظر: بونفان، مرجع سابق، ص 17 .

5- تشتهر هذه الأشجار بجودة أخشابها، التي تدخل في صناعة الأعتاب الخشبية للأبواب، وأقطاب معاصر زيوت السمسم . أنظر: نور المعارف، مرجع سابق، ص30.

6- وتتميز أخشاب هذا النوع من الأشجار بالصلابة، والبقاء لمدة أطول، أستخدمها السكان في تهامة لصناعة التخوت، وأقطاب المدائع (الأرجيلة) ومدقات للمصابغ .أنظر: بونفان، مرجع سابق، ص 18 .

7- المندعي، مرجع سابق، ص 273 .

وقد توافرت عوامل عدة ساعدت على ازدهار صناعة المراكب والقوارب في اليمن وبخاصة في تهامة أهمها [1]:

1- طول السواحل اليمنية، والتي تبلغ حوالي 2000 كم موزعة على البحرين الأحمر والعربي، ولذا من الطبيعي أن توجد في اليمن وخاصة في تهامة هذه الصناعة.

2- توفر المواد الخام الرئيسية التي تدخل في هذه الصناعة، من أخشاب ودهون وحبال والتي كانت تصنع من أشجار الدوم التي تتوفر بكثرة في تهامة، حيث تستخدم لسد الفراغات بين الألواح لمنع تسرب الماء، كما كانت تستخرج الدهون من أجواف الأسماك، لتكون مادة عازله للقارب من الماء، كما تحافظ عليه من التآكل .

وكانت أهم المناطق المشهورة بهذه الصناعة هي اللُحَيّة، والخوخة، وابن عباس، والمخا، والصليف، وكمران[2].

تتم صناعة القوارب على الشواطئ القريبة من البحر، حيث يحدد صانع القارب حجمه من حيث الطول والعرض والارتفاع، بعدها يتم التركيب باستخدام قياسات دقيقة، حيث يقوم الصانع ببناءالهيكل الرئيسي للقارب، والذي يُعرف بالهرّاب، ويتم وضعه في التجويف البطني للقارب من أجل حفظ توازن القارب، ثم يثبت عليه الأضلاع (الشلامان)، بشكل مقوس يمتد من مؤخرة القارب إلى مقدمته، بعد الانتهاء من بناء الهيكلتُثبت الألواح الخارجية بمسامير (براغي) طويلة، بعدها يتم تركيب السطح العلوي للقارب، وفي الأخير تستخدم الحبال لسد الفراغات بين الألواح لمنع تسرب الماء ثم يُطلى القارب بمادة دهنية عازلة للماء عن الخشب، بعد الانتهاء من صناعة القواب يُسحب إلى البحر على ألواح خشبية دائرية حتى يستقر في البحر[3].

كما مارس السكان في تهامة حرفة النجارة، التي تُعد من الحرف التقليدية التي لازالت مستمرة وإن دخلت عليها الآلات الحديثة في مراحل التصنيع المختلفة.

وقد تفنن النجار التهامي في إنتاج العديد من الصناعات الخشبية التي كان من أهمها:

1- الأبواب الخشبية: التي تعددت أنواعها مابين الأبواب الخشبية الخارجية للمنازل، والتي تتكون من فردتين (مصراعين)، يصل ارتفاع هذه الأبواب إلى 2,50 متر، وعرضها 1,20 متر،

---

1 - المرجع نفسه، ص 273- 274 .

2- صحيفة الجمهورية، اليمن، ع (140601) 16 ذوا لقعده 1430هـ، 4 نوفمبر/ تشرين الثاني 2009م، ص2.

3- مقابلة شخصية مع أحد المختصين بصناعة القوارب في محافظة الحديدة بتاريخ 2009/4/15م .

تتكون كل فردة من ألواح خشبية عمودية مثبتة بمسامير صلبة[1]، والأبواب الداخلية للمرابع [2]، واللَيوانات[3].

2- النوافذ الخشبية: وتميزت بالتنوع في أشكالها، وزخرفتها، حيث وجدت عدة أنواع منها النوافذ ذات الأربع درفات، ونوافذ خشبية بدرفتين .

3- الأعتاب الخشبية: والتي تستخدم للأبواب والنوافذ والخزائن الجدارية(الخز رطانات)[4]، وكل ما يتعلق بالفتحات لمداخل ومخارج المنزل.

4- التخوت: وهي عبارة عن صناديق خشبية مستطيلة الشكل، توضع في وسط غرفة استقبال الضيوف في البيت التهامي، تستخم لوضع أدوات الزينة عليها، ودُرص عليها المدائع(الأرجيلة).

5- الأسِره: تسمى في تهامة بالقعائد، وتتعد أغراضها فمنها ما يُستخدم للنوم، ومنها للجلوس، كما تزين قوائمها بالنقوش المنحوتة والمطعمة، كما تنحت على قوائم الأسرة رسوم هندسية ونباتية .

6- الملاكد الخشبية: وهي أوعية مجوفة تُصنع من الخشب، تستخدم لدق البهارات والحبوب ومواد أخرى عديدة [5].

7- القراحف الخشبية (القبقاب): وهي عبارة عن قطع خشبية على شكل الحذاء، تستخدم عند الدخول إلى المغاسل وعند الوضوء .فضلاً عن ذلك فقد صنعت من الأخشاب المكاييل، وميازيب للماء(مزاريب)التي يتم من خلالها إنزال ماء المطر من أسطح المنازل[6].

6. صناعة استخراج زيت السمسم (الجلجلان) :

تُعد صناعة استخراج زيت السمسم من الصناعات التي عُرفت بها تهامة في وقت مبكر[1]. ظلت هذه الصناعة في تهامة حتى فترة الدراسة، وكانت أهم المراكز التي اشتهرت بها هذه الصناعة هي المخا، وزبيد، وبيت الفقيه، وحيس، والمراوعة، والمنصورية .

1- مقابلة شخصية مع عبد الحبيب الذبحاني، بتاريخ 15/5/ 2009 .

2- المرابع :جمع مربعة وتطلق في تهامة على غرف النوم .

3- اللَيوان : مفرد (لَيوانات ولواوين)، وهي غرفة أكبر من المربعة، تستخدم لاستقبال النساء في تهامة .

4- الخزرطان: كلمة تركية الأصل ، تعني الخزائن الجدارية التي توضع داخل الغرف، حيث تقسم من الداخل إلى رفوف خشبية لوضع الممتلكات الثمينة كالأموال، والذهب، والعطور .

5- جحاف، أمة الرزاق: الحرف التقليدية والأزياء التقليدية، ((ورقة عمل مقدمة إلى ندوة الحفاظ على مدينة زبيد التاريخية المنعقدة بجامعة الحديدة من الفترة 13 – 15 ديسمبر/كانون الأول 2004م))، ص 3-4 .

6- الحضرمي، تهامة في التاريخ: مرجع سابق، ص 360.

يستخرج زيت السمسم في تهامة بواسطة معاصر بدائية، يتم فيها بذل الجهد البشري والحيواني، عن طريق وضع كمية من بذور السمسم في وعاء خشبي يصنع من جذوع الأشجار، مثبت رأسياً في الأرض، يتصل بهذا الوعاء ذراع خشبي بشكل عمودي يسمى القطب، يربط بجوف الوعاء الخشبي، وعن طريق تدويره بواسطة حيوان (جمل) تحدث عملية العصر للسمسم، وبعد عملية العصر يـُنزع الزيت من قاع الوعاء الخشبي [2].

أما عن مكونات المعصرة التي يتم بواسطتها استخراج زيت السمسم (الجلجلان) فتتألف مما يلي[3]:

1- جذع خشبي كبير يسمى (المعصرة) يصل ارتفاعه إلى 3 أمتار يغطى منه ما يقارب مترين تحت الأرض، ويبقى الجزء الآخر فوق الأرض، ويتم حفره بمنقار من الوسط بعمق 70 إلى 80 سم، ذو فتحة واسعة من الأعلى وضيقة من الأسفل، ويتم وضع السمسم المراد عصره بداخله .

2- القطب: وهو عبارة عن عمود خشبي ذو شكل مخروطي عريض من الأسفل ورقيق في الأعلى، يـُربط من الأعلى بحبل إلى الحيوان لجره ، يستخدم كطاحونة لعصر بذور السمسم.

3- القوس: وهو عبارة عن قطعة خشبية مقوسة، الجانب العلوي يتصل برأس القطب، والجانب السفلي يتم ربطه مع المرحل، ليشكل قوة ضغط على القطب عند عصر السمسم.

1- وما يدل على ذلك ما ذكره المقدسي حيث أشار إلى أن زراعة السمسم انتشرت في وادي زبيد أحد أودية تهامة، وأنه كان يـُصدر إلى المناطق المجاورة ضمن المنتجات التي كانت تصدرها المنطقة ، كما أشار ابن المجاور إلى أن أشهر مناطق إنتاجه وانتشار زراعته في منطقة تهامة، وهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن معاصر (مصانع) استخراج زيت السمسم كانت منتشرة في تهامة، وأنّ السكان كانوا يستخدمون زيت السمسم كوقود للإضاءة. أما في عصر الدولة الرسولية فقد شهدت هذه الصناعةازدهاراً كبيراً، وانتشرت في أكثر مناطق تهامة، وكانت أكثر وجوداً في زبيد . حيث يذكر ابن الديبع أن السلطان الأشراف إسماعيل بن العباس أمر بإحصاء عدد معاصر زيت السمسم في زبيد فبلغت 37 معصرة ، وهذا الرقم إنما يدل على ما بلغته هذه الصناعة من ازدهار في تلك الفترة. أنظر: المقدسي، محمد أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح/دي جويه، مطبعة برلين، ليدن، ط1327،2/1909، ص97 .؛ ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي: الفضل المزيد على بغية المستفيد، تح/يوسف شلحد،مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، (د.ط)،1404/1983، ص 104 .

2- الجعيدي، عبد الله سعيد : الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت 1918 – 1945، دار الثقافة العربية، الشارقة ، ط1، 2001 ، ص 117 .

3- زيارة ميدانية لإحدى معاصر زيت السمسم في تهامة، بتاريخ 24/ 6/ 2009م.

4- المرَحل: وهو عبارة عن قطعة خشبية مستطيلة الشكل، يغطي الجزء الخلفي منه مجموعة من الأكياس المملوءة بالرمل، تتصل بالقوس، والجزء الأمامي يدُربط بواسطة حبل متصل بلوح خشبي يمتد منه إلى الحيوان، ليتم من خلاله عصر السمسم .

كان يستخدم زيت السمسم للعديد من الأغراض، حيث اُستخدم كمادة أساسية في صناعة الصابون[1]، وكوقود لإنارة المساجد والمتاجر والمساكن، وصناعة الحلويات [2]. أما في وقتنا فقد انحسر استخدامه كغذاء من خلال بذوره التي تنثر فوق الخبز والمعجنات، وكعلاج شعبي طبيعي[3].

لا تزال هذه الصناعة موجودة إلى عصرنا الحالي في تهامة، إلاّ أنها بكميات قليلة، حيث أصبحت تدُعد بأصابع اليد، ويرجع ذلك إلى انحسار زراعة السمسم في تهامة، وعلى الرغم من قلتها، إلاّ أنها تدُعد المصدر الوحيد لإنتاج زيت السمسم .

7. صناعة الحصير (الخوص):

تدُعد صناعة الحصير من أهم الصناعات اليدوية التي كانت تنتشر في سهل تهامة، وقد اشتهر بهذه الصناعة عدد من المناطق التهامية [4]. تمتاز هذه الصناعة بأنها صناعة منزلية، غالباً ما تقوم بها النساء في البيوت، وتعد أشجار النخيل والدوم المواد الأولية والأساسية لهذه الصناعة، حيث أدت كثرة زراعة النخيل في تهامة إلى ازدهار هذه الصناعة، وهذا يدل على أهمية النخيل لا كمصدر غذائي فقط، لكنه مصدر مهم لصناعة الحصير والذي ساعد بدوره على تشغيل عدد كبير من سكان تهامة في هذه الحرفة[5].

حظيت تهامة بشهرة عالية في هذه الصناعة، وربما كانت هذه الشهرة تمتد لفترة سابقة، حيث تذكر بعض المصادر التاريخية أن هذا النوع من الصناعات كان يصدر منه إلى مكة المكرمة، كما ترجع هذه الشهرة إلى تفنن أصحاب هذه الحرفة بتصنيع وحبك الحصير، وتزيينه وتلوينه

1- المندعي، مرجع سابق، ص 268 .

2- لطف، مرجع سابق، ص 301.

3- الأفضل، مرجع سابق، ص 165.

4- أهم هذه المناطق: جزيرة كمران، والضحى، والجاح، والسويق، والقناوص، واللحية، والزيدية، وزبيد، وحيس، والدريهمي، والخوخة، والحديدة .

5- جحاف، مرجع سابق ،ص4 .

بالعديد من الألوان، مما جعل الحصير التهامي الملون بالأصباغ من السلع التي كان يرسلها سلاطين بني رسول إلى الكعبة المشرفة [1].

كان يتم تلوين الحصير بالأصباغ الطبيعية، ويتم ذلك في وعاء فخاري كبير، حيث توضع الصبغة المطلوبة وتخلط مع الماء، ثم يغمر الحصير المطلوب تلوينه في الوعاء الفخاري لمدة خمس دقائق، وبعد التجفيف يصبح جاهزاً لتشكيله حسب ما يريده الحرفي[2].

تعددت منتجات صناعة الحصير في تهامة أثناء فترة الدراسة،التي كانت تُعد من ضرورات الحياة اليومية لاستخدامها في العديد من الأغراض المنزلية، والأعمال الزراعية. فمن أهم منتجات هذه الصناعة، السجاد الذي تفرش بها المساجد والبيوت، وله أحجام مختلفة وأشكال عديدة [3]. ومما يصنع من الحصير القِفاع التي تستخدم لحفظ المحاصيل الزراعية [4]، والآجاب، والقواصر [5]. ومن منتجات هذه الصناعة الخدور [6]، والمسارف[7]، والمهاجن[8]، والحبال[9]، والمشب[10]، والبحارية[11]، والموهفة[1]، والشماسية [2].

1- نور المعارف، مرجع سابق، ص 116.

2- مقابلة شخصية مع أحد صانعي الحصير في تهامة بتاريخ 23 /5 / 2009م.

3- لطف، مرجع سابق، ص 291.

4- القفاع : عبارة عن وعاء دائري الشكل، كبير الحجم ، مفتوح من الأعلى، يستخدم لحفظ محاصيل الحبوب وبذور السمسم .

5- الآجاب : مفرها (أجب)، والقوا صر مفردها(قوصرة): وهما عبارة عن وعائيين الأول ذو فتحة من الأعلى، والآخر ذو فتحة جانبية، يستخدمان في تهامة لنقل المحاصيل الزراعية من الحقول إلى الأسواق والقرى، كما يستخدم الأجب لحفظ الأطعمة من الأتربة . أنظر: المندعي: مرجع سابق ، ص 91 .

6- الخدور: مفردها(خدر): ويصنع من الحصير الأحمر، يستخدم لتغطية جوانب وسقوف الأكواخ الخشبية في تهامة لمنع تسرب الماء إلى داخل الكوخ.

7- المسرفة: عبارة عن وعاء دائري منبسط، يستخدم في تهامة كموائد لتقديم الطعام.

8-المهاجن :هي نفس المسارف، إلاّ إنها أكبر حجماً ، تستخدم في تهامة لتجفيف الحبوب والتمور .

9-للحبال عدة أنواع في تهامة، ولها أغراض متعددة، منها نوع يسمى بالحُجز: وهي حبال كبيرة تستخدم في ربط حمولة الجمال وشدّها، ورفع الأشياء الثقيلة. ومنها نوع يسمى المواسر ، وتستخدم في ربط المواشي (الأبقار)، وضبط الأثوار عند الحرث . ونوع آخر يسمى بالشبط، وهي حبال صغيرة تستخدم في صناعة القعائد (الأسرة)، وكراسي الجلوس، كما يوجد نوع من الحبال يسمى الرشا، يستخدم في رفع المياه من الآبار . أنظر: هارون، مرجع سابق، ص 220 – 221.؛ لطف، مرجع سابق، ص 291.

10- المشب: قطعة ذو شكل دائري ، تستخدم في شب النار لإشعالها، وخاصة أثناء صناعة الخبز، أو التهوية على الطعام.

11- البحارية: عبارة عن سرير صغير تستخدمه النساء في تهامة لتنويم الأطفال .

ومن منتجات هذه الصناعة الشِباك التي تستخدم لحفظ المنتجات الفخارية والزجاجية، والمكانس المصنوعة من سعف النخيل، التي تستخدم في تنظيف البيوت، فضلاً إلى البطط، والمحابر والكرابيس(3).

8_ صناعة مواد وأدوات البناء :

يُعد المناخ من العناصر المؤثرة في بناء البيوت في اليمن، ففي المناطق الجبلية تنخفض درجة الحرارة وتبعاً لذلك تُختار مواد البناء بما يلائمها، كالبناء بالأحجار والجص وغيرهما من المواد التي تعمل على تخفيف درجة البرودة في فصل الشتاء .

أما في المناطق السهلية ومنها تهامة، فنظراً لارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف فقد عمل السكان فيها على بناء بيوتهم بمواد تساعد على تخفيف درجة الحرارة، وتّم صناعة هذه المواد من البيئة المحيطة بتهامة.

ومن أهم مواد البناء في تهامة مايلي :

1- **الطوب الطيني (اللبن):** تُعد هذه المادة من أقدم المواد التي اُستخدمت في بناء البيوت في تهامة، وتسمى بالآجر أو القولب، ولم ينحصر استخدام الطوب في بناء البيوت فقط، بل استخدمه السكان في بناء البرك (الأحواض) الخاصة بتصريف مياه المساجد، كما أُستخدم في تغطية قبور الموتى(4).

تتم صناعة الطوب بمزج الطين النقي والناعم مع مخلفات زراعية، وخاصة مخلفات محصول الدخن والذي يسمى في تهامة (بالحماط) وبعض من مخلفات الماشية،حيث تُخلط هاتان المادتان بالطين لتكوين قوالب الآجر (الياجور) الممتاز المتماسك. ويصبح بعد هذا الخلط عند حرقه قوياً صعب الانكسار، وإذا لم تدخل هاتان المادتان ضمن صناعة الآجر يصبح الآجر ضعيفاً سهل الانكسار، مع إضافة مادة الحور التي يتم بها صباغة الأقمشة كما أشرنا فيما سبق. وفائدة هذه الملدة هو إعطاء الطوب لوناً داكناً، ويترك للتخمير لمدة يومين في حوض مستطيل

1- الموهفة : تصنع من سعف النخيل، ومقبضها يصنع من جريدة النخل ،تستخدم كمروحة للتهوية ، وترطيب الجو .

2- الشماسية : قبعة كبيرة دائرية الشكل ، توضع على الرأس للوقاية من الشمس .

3- البطط : أوعية من الحصير تستخدم في تهامة لنقل حاويات الزيت والسمن ،على ظهور الدواب . أما المحابر فهي : نوع من القفاع المصنوعة من الحصير تنقل بها البضائع أيضاً . والكرابيس : مفردها(كرباس)، تستخدم في تهامة للتدفئة خلال فصل الشتاء .أنظر: هارون، مرجع سابق، ص 225. ؛ لطف، مرجع سابق، ص 293

4- تقرير الفريق اليمني المشارك للبعثة الأثرية الكندية في تهامة لعام 1996م .

الشكل، بعد فترة التخمير يـُداس(يضرب) المخلوط بالأرجل والأيدي حتى يصبح ليناً، ثم يوزع في قوالب ذات أحجام محددة، مصنوعة من الخشب، ويترك ليجف حتى يتحول إلى كتلة صلبة، ثم يـُجمع ويرص لإحراقه[1].

يتم حرق الطوب في المحراق(الفرن)[2]، وذلك برص مجموعة من جذوع الأشجار في قاع المحراق رصاً محكماً، حتى يتم عمل أرضية مستوية لرص الطوب، بعد رص الطوب في المحراق بشكل منتظم ودائري يتم سد الفراغات بمخلفات الحيوانات، بعدها تبدأ عملية الحرق بواسطة عين المحراق، ويترك لمدة عشرة أيام حتى تنطفئ النار، ثم يخرج الطوب من المحراق ويصبح جاهزاً للاستخدام[3].

2- **النورة الكدري:** هي عبارة عن أحجار جيرية، يتم جلبها من الجبال القريبة من تهامة[4]، كما يمكن الحصول عليها تحت سطح الأرض على عمق يصل مابين 5 -6 أمتار، وتتواجد بكثرة في مناطق حيس والبدوة [5]. تحرق مادة النورة الخام (الكلس) بالأخشاب في أفران خاصة، وتتم عملية الحرق بعدة خطوات هي[6] :

1- جمع الأخشاب المعدة للحرق وغالباً ما تستخدم في عملية الحرق أشجار العرج (السدر)، حيث يتم تقطيع هذه الأخشاب إلى أجزاء صغيرة، لرصها في أسفل المحراق بشكل منتظم .

2- ترص قطع النورة (الكلس) على شكل دائري، وذلك بجعل القطع الكبيرة في الأسفل وبشكل قوسي .

3- تسد الفتحات والفراغات بقطع من النورة الصغيرة، وذلك لمنع تسرب الهواء إلى القطع الكبيرة أثناء عملية الحرق، وتسمى هذه العملية بالتجليس .

1- مقابلة شخصية مع الأخ عبد الحبيب الذبحاني، بتاريخ 15 / 5 / 2009م .؛ ينظر ملحق رقم (7) الذي يوضح كيفية صناعة الطوب الطيني (الآجر) في تهامة .

2- المحراق : هو عبارة عن بناء بشكل مستطيل، يستخدم لحرق قطع الياجور، له فتحتين، عليا وتستخدم لرص قطع الياجور وللأخشاب، وفتحة جانبية من الأسفل تسمى عين المحراق، وتستخدم للتهوية وإيقاد النار .

3 – بونفان، بول : العمارة في زبيد ،الموسوعة اليمنية ، تر/ علي محمد زيد ، مرجع سابق، ج3، ص 2153 .

4- المرجع نفسه، ص 2154 .

5- البدوة : قرية صغيرة من قرى تهامة ، تبعد عن زبيد بـ 8كم تقريباً . أنظر: الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 182 .

6- نزول ميداني إلى أحد محارق صناعة النورة الكدري في تهامة بتاريخ 25 /5/ 2009م .

4- يقوم الصانع برص قطع الكلس الخام بشكل دائري خارج إطار القوس، ليكون بمثابة حاجز للكلس المراد حرقه لإنتاج النوره الكدري، وتسمى هذه العملية (بالفحل والتسبير).

5- يُحاط المحراق بأعمدة خشبية من الجهة التي تتحرك منها التيارات الهوائية، ويثبت فيها مجموعة من الأكياس لمنع التيارات الهوائية من التأثير على عملية حرق النورة الكدري، وتسمى هذه العملية بالحِجاية .

6- بعد هذه الخطوات السابقة تأتي الخطوة الأخيرة وهي عملية الحرق، حيث يقوم صاحب المحراق باستخدام عين المحراق لإيقاد النار، وتستمر عملية الحرق لمدة 8 ساعات بعدها يتم إخراج النورة الصالحة للاستخدام، وتعبأ في أكياس وترحل إلى المستهلك.

تستخدم مادة النورة الكدري بعد تجهيزها وحرقها كمادة رابطة في أعمال البناء، حيث تعمل على لصق الطوب بعضه ببعض، كما تستخدم في زخرفة البيوت وواجهات الجدران، وعمل النقوش، وأعمال التشطيبات الداخلية والخارجية لمنازل تهامة . وكانت النورة ولازالت تمثل العنصر المكمل للبناء في تهامة، وذلك لما لها من أهمية في إضفاء الجوانب الجمالية على البيت التهامي وخاصة في المدن القديمة[1].

3- **القَضاض:** أُستخدم أثناء فترة الدراسة كالأسمنت، حيث يغطى به أسقف المنازل والقِباب، كما أُستخدم أيضاً لتغطية الجدران، وأرضيات البرك(الأحواض)، وأماكن الوضوء وذلك لمنع تسرب المياه، كما استخدم في تغطية الواجهات، وملء الفراغات بين الأحجار[2]. ويتألف من عددٍ من المواد الأساسية كالنورة، والنيس، والحصى، ويُعد القضاض من المواد التي تدوم لفترة طويلة إلاّ أنها متعبة العمل ومكلفة ولذا اقتصر استخدامها خلال فترة الدراسة على المباني المهمة كالمساجد والأحواض، والسدود، وقنوات الري[3].

4- **الأحجار:** تُعد من أهم مواد البناء المستخدمة في المناطق القريبة من الجبال، إلاّ أنّ كمية الاستخدام من هذه المادة يختلف من منطقة إلى أخرى، وذلك حسب موقع المدينة أو القرية والمواد البنائية المتوفرة فيها. فمثلاً المناطق القريبة من الجبال كانت منازلهم تبنى بالأحجار، أما القرى والمدن الوسطى كمدينة حيس، وزبيد، وبيت الفقيه فهي تستخدم هذه الأحجار كأسس للبناء،

1- لطف، مرجع سابق، ص 144.

2- بونفان، العمارة في زبيد، مرجع سابق ص 2155 .

3- المرجع نفسه .

وكذلك الحال في المدن والقرى الساحلية كالمخا والخوخه والحديدة والزيدية، واللُحَّية، فقد استخدمت الأحجار كأسس للبناء[1].

أدوات البناء في تهامة :

اشتهر الإنسان اليمني بصناعة الأدوات التي يحتاجها في حياته المعيشية وذلك لتلبية متطلباته. وإنشاء مساكن له تؤويه من الظروف المحيطة به. وفي تهامة ونواحيها فقد استخدم السكان لبناء البيوت عدداً من الأدوات التقليدية التي دلنا عليها وأعطانا عنها بعض المعلومات أحد البناءين في تهامة وهو البناء داوود أحمد أقرع[2].

ومن هذه الأدوات المستخدمة في البناء :

1- **المجرفة:** تتكون من عود خشبي طويل يقارب طوله المتر، وقطعة حديدية مربعة الشكل مفتوحة في طرفها الأعلى بشكل دائري ينفذ من خلالها العود الخشبي، تستخدم المجرفة في قلب وخلط الطين وتجميعه، ولازالت تستخدم إلى عصرنا الحالي في البناء التقليدي وخاصة في القرى .

2- **الحِجنة:** هي عبارة عن عود خشبي منحني في أحد أطرافه، وقطعة حديدية شبه مثلثة الشكل في جزئها الأوسع انحناء فيه منفذ دائري الشكل يدخل من خلاله العود الخشبي، وتستخدم هذه الحجنة كأداة حفر لمكان تأسيس البناء، كما كان يستخدمها الفلاح في تهامة لتسوية الأرض، وإبعاد عروق الأشجار المضرة للزروع، وتصفية التربة من الأعشاب، ولحفر الأرض بشكل سطحي .

3- **الملعقة:** هي من الأدوات التقليدية في بناء المنشآت التهامية، وهي عبارة عن قطعة حديدية مستطيلة يأتي في وسط أحد أضلاعها ارتفاع عمودي رقيق يربط القطعة الحديدية بمقبض الملعقة الخشبي، تستخدم هذه الأداة في أخذ الطين من الصفيحة الخشبية إلى مكان وضع الطين للبناء.

4- **الخشبة:** هي عبارة عن قطعة خشبية مستطيلة الشكل أو مربعة، تستخدم في أخذ كمية من الطين من مكان الخلطة الطينية إلى مكان البناء، حيث يقوم البناء (المعلم) بأخذ الطين بالملعقة من هذه الصفيحة الخشبية ووضعها في مكان البناء. وقد كانت هذه الأداة تقوم بدور الوعاء البلاستيكي الذي يستخدمه العمال (البناءون) اليوم في تقريب المادة البنائية من موقع الخلطة إلى مكان البناء.

1- لطف، مرجع سابق، ص 146.

2- مقابلة شخصية مع أحد البناءين في تهامة، بتاريخ 17 / 4 / 2009.

5- **المعراج** : ويطلق عليه اليوم إسم (سُلّم) علماً بأنه إلى يومنا الحالي يطلق عليه في مدينة تهامة ونواحيها نفس التسمية (معراج) وهو عبارة عن عمودين خشبيين طويلين يربط بينهما أخشاب صغيرة يختلف عددها حسب طول هذا المعراجِ أو قصرهِ ، يصعد على هذه الأعواد الخشبية البّناء ليصل إلى مكان عمله، حيث يستخدم هذا المعراج في توصيل أدوات البناء من طين وغيره إلى المنطقة المرتفعة من البناء حيث يكون موقع البناء في المنزل.

6- **حجر الخدمة:** وهي حجرة صغيرة مستطيلة الشكل أو مربعة من أحجار الجير الناعمة. وتستخدم هذه الحجرة لدلك السقوف والأرضيات بعد وضع القَضاض، ويستمر الدلك حتى يصبح السقف أو الأرضية ملساء ناعمة.

7- **المطابع:** (جمع مطبعة) وهي من أدوات البناء التي كانت وما زالت تستخدم في البناء التقليدي، حيث يستخدمها البّناء في بناء الأسقف وتلبيس الجدران وتزيينها وزخرفتها. وهي عبارة عن قطعة خشبية يضرب بها مادة النورة وكذلك القضاض ثم يدلك بها حتى يصبح السقف أو غيره جاهزاً .

إضافة إلى ماسبق، فقد وجدت في تهامة أثناء فترة الدراسة معامل يدوية لتقشير البن، وكان مركز تجمعها في مدينة الحديدة، وكان يعمل في هذه المعامل العديد من النساء، حيث يقومون بتقشير حبوب البن وفرزه وتنظيمه، وتعبئته في أكياس لتصديره إلى الخارج، وكانوا يتقاضون أجوراً قليلة جداً ، حيث لايتعدى دخل الواحدة منهن 30 بقشة في الأسبوع، أي بما يعادل 48 ريال سنوياً [1].

وعلى الرغم من قلة أجور العاملات في هذه المعامل اليدوية إلاّ أنّ أجورهن لا تُعطى لهن كاملة، حيث يقوم أصحاب هذه المعامل بحجز قسط من أجورهنحتى يُسدد كل ضرر يلحق بالمعدات، حتى ولو كان هذا الضرر خارج عن إرادة العاملات. كان يملك هذه المعامل كبار تجار التصدير في تهامة، وعلى رأسهم علي محمد الجبلي الذي كان وكيلاً للإمام أحمد في تصدير البن والجلود والحبوب، وحسين غالب الوجيه[2].

أمّا الصناعات الحديثة فلم يكن لها وجود في تهامة خلال فترة الدراسة، عدا حالات استثنائية تمثلت بوجود معملان صغيران لحلج القطن في الحديدة، وكانت وسائله في غاية من البدائية، حيث يشير العطار أن عدد آلاتهما لا تتجاوز الأربعين آلة، كما لا يتجاوز عدد العمال

1- العطار، مرجع سابق، ص 132.

2- جولوبوفسكايا، ثورة 26سبتمبر، ص 103 .

فيهما مئة عامل، وتقدر الطاقة الإنتاجية السنوية لهما بـ 1500 طن، وهي طاقة غير كافية لما تنتجه المنطقة من القطن آنذاك، كما وجدت بعض المطاحن الصغيرة لطحن الحبوب، إلاّ أنّ عددها كان ضئيل جداً [1].

كما ظهر في عام 1957 مشروع صناعي حديث، وهو مصنع الغزل والنسيج في باجل[2]، بمعدات فرنسية، وبرأسمال مشترك بين الإمام أحمد إمام اليمن وأحد المستثمرين السوريين [3]، وكان يتكون المصنع من تسعين مِنولاً، وتسع آلات نسيج لكل منهما 248 مغزلاً، ومولدين للكهرباء طاقة كل منهما 220 فولت [4]. وعندما أنجزت الشركة الفرنسية ثلاثة أرباع المصنع، رفض الإمام أحمد دفع القسط الأخير المترتب عليه حسب الاتفاقية، وقيمته 300,000 دولار أمريكي [5]، وظل المصنع مجمداً دون تشغيل، بعد أن اكتشفت حكومة الإمام وأنصارها من محتكري التجارة أن تصدير القطن إلى الخارج واستيراد سلع قطنية جاهزة أكثر ربحاً من تشغيل المصنع [6]. ويدلل ذلك على تخلف الإمامة في اليمن آنذاك، ومحاربتها لأي تطور صناعي .

أما الصناعات الإستخراجية، فعلى الرغم من العزلة التي فرضت على اليمن ومنها تهامة، إلاّ أنّه جرت محاولات من قبل بعض الشركات الأجنبية لاستخراج المعادن، إلاّ أنها وجهت بحذر ورقابة شديدة من قبل حكومة الإمام، التي كانت تخشى التدخل الأجنبي في البلاد، مبررة ذلك بهدم الدين، وأن حكومة الإمام كانت تفضل أن يبقى الشعب اليمني في الفقر وهو حر بدلاً من العيش في الغنى وهو تابع لدولة أخرى[7].

والقرار الوحيد الذي أتخذه الإمام أحمد في هذا المجال، هو أنه في سنة 1959 عقد اتفاقية مع شركة يابانية باستخراج الملح الحجري في منطقة الصليف في تهامة، حيث بلغ الإنتاج في عام

1- العطار، مرجع سابق، ص 214.

2- باجل: مدينه تهامية تقع في الشمال الشرقي من مدينة الحديدة ، على طريق الحديدة صنعاء، تبعد عن الحديدة نحو 55 كم .أنظر: ألويسي : مرجع سابق ، ج1، ص 111- 112 .

3- الشرجبي، الشرائح الإجتماعية، مرجع سابق، ص39 .

4 - Basic data on The Economy of Yemen, Washington, 1960, p. 138.

5- العطار، مرجع سابق، ص 215.

6- عمر، مرجع سابق، ص 138. ؛ غالب، مرجع سابق، ص 43.

7- العطار، مرجع سابق، ص 81.

1961 بـ 120,000 ألف طن، أي ما قيمته 126,000 ألف جنيه إسترليني[1]. إلاّ أنّ المشروع كان يُصاب بتعثرات شديدة، ويرجع ذلك إلى عدم صلاحية أرصفة ميناء الصليف لرسو السفن اليابانية، والى تعاون الإمام مع شركة الملح الإيطالية المحتكرة لملح عدن باعتباره شريكاً لها[2].

بينما يرجع الباحث محمد أنعم غالب، أسباب التعثر إلى النزاع اليمني البريطاني في تلك الفترة، مما نتج عنه رفض السلطات البريطانية في عدن تموين السفن اليابانية بالوقود، حيث لم يكن هناك محطة للوقود في الصليف، حيث أصبح من المتعذر على السفن اليابانية أن تواصل شحن الملح ، فضلاً عن أنّ منافسة مصنع الملح في عدن التابع للشركة الإيطالية، ودور الأيدي الإيطالية التي كانت تعمل مع الحكومة اليمنية لتخريب المشروع قد لعبت دوراً كبيراً في تعثر المشروع[3]. ومهما تكن العوامل التي كانت وراء تعثر المشروع، إلاّ أنه يبدو أن النقص في التنظيم، والافتقار إلى ميناء حديث مناسب كانت من أهم الأسباب لتعثر المشروع فيما بعد.

كما يرجع أسباب تأخر وانعدام الصناعات الحديثة في اليمن، ومنه تهامة خلال فترة الدراسة إلى مايلي :

1- سياسة حكومة الإمامة القائمة على معارضة قيام الصناعات الحديثة، خوفاً من تكّون طبقة عمالية، قد تتحول إلى جهة معارضة لها. لذا كانت ترفض أي ترخيص بإنشاء المصانع الحديثة، عدا بعض الحالات الاستثنائية المشار إليها فيما سبق، وفي ظل مثل هذه الظروف أحجم أصحاب رؤوس الأموال اليمنيين والأجانب على دخول هذا الميدان، لعدم وجود ضمانات كافية لنجاح مشاريعهم وخوفهم لحجزها من قبل السلطة .

2- أن الأسواق اليمنية في تلك الفترة لم تكن واعدة، حيث كانت خاضعة للاحتكار من قبل فئة معينة من ذوي الامتيازات والمقربين للسلطة الحاكمة[4].

3- ندرة الموارد المالية في الدولة واعتمادها على قطاع زراعي متخلف قائم على الاقتصاد الزراعي المعيشي .

1- المرجع نفسه، ص 216 .

2- عمر، مرجع سابق، ص 138- 139.

3- غالب، مرجع سابق، ص 44.

4- العطار، المرجع السابق، ص 215. ؛ جوساروف، وآخرون : مرجع سابق ، ص 74 – 75 .

4- انخفاض المستوى المعيشي للسكان، وبالتالي عدم إمكانية إيجاد أسواق للمنتجات الصناعية الحديثة.

5- ندرة الكوادر القادرة على التخطيط والبرمجة للموارد أو للصناعات المختلفة.

6- فقر اليمن في تلك الفترة من الهياكل الأساسية، والتي بدونها يصعب بناء مؤسسات صناعية حديثة[1].

وخلاصة ماسبق يمكن القول أن البُنى التحتية المطلوب وجودها لقيام الصناعات الحديثة لم يكن لها وجود حينذاك .

ثالثاً - التجارة في تهامة اليمن (1918- 1962):

أ - التجارة الداخلية :

1- العوائق التي حدّت من نمو الحركة التجارية في تهامة :

شكّلت التجارة حلقة مهمة من حلقات النشاط الاقتصادي في اليمن، حيث كانت تلعب دوراً أساسياً في الحياة الاقتصادية، إلاّ أنها كانت تُصاب في بعض الفترات بتدهور شديد، وخاصة في

1- رسول، أحمد حبيب: دراسات في الجغرافيا الاقتصادية والبشرية لليمن، دار الكلمة، صنعاء، 1985م، ص 73.

فترات الفوضى السياسية والتدخل الخارجي، وقد أثرت الأوضاع السياسية في اليمن خلال فترة الدراسة على نمو واتساع الحركة التجارية في تهامة، كما حالت دون نشؤ فئة تجارية مؤثرة عدا بعض التجار الذين ارتبطوا بالسلطة السياسية، وعملوا على احتكار التجارة، وكان عددهم محدود جداً ، ممن كانوا يقومون باستيراد السلع عن طريق عدن وتوزيعها في الأسواق المحلية على التجار الصغار [1].

أدى هذا الاحتكار إلى ضعف السوق المحلية، مما انعكس بدوره على تأخر التجارة الداخلية لمنطقة تهامة وهو ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله : ((إن التجارة كانت تشكّل مكاناً ضيقاً في الاقتصاد بشكل عام،خاصةً أنّه لم يتقدم توغلها بسرعة إلى المناطق المتعددة في الدورة التجارية في السوق اليمنية العامة، وكذلك في محيط الاقتصاد العالمي)) [2].

وباختصار يمكن القول أنّ أهم الأسباب والعوامل التي وقفت عائقاً أمام نمو الحركة التجارية الداخلية في اليمن بشكل عام ومنها تهامة بشكل خاص، وتتمثل بما يلي[3]:

1- انعدام وسائل المواصلات الحديثة.

2- قلة الطرق المعبدة .

3- انعدام المؤسسات المالية والمصرفية.

4- هيمنة الأسرة المالكة وكبار الموظفين على التجارة الداخلية والخارجية .

5- الافتقار إلى عملة وطنية .

6- ضعف كمية العرض النقدي في البلاد والذي أدى إلى استمرار نظام المقايضة (بيع سلعة بسلعة)، وسياسة الحكم الإمامي المتصف بالانعزالية والجمود، وقوانين الضرائب الباهظة فضلاً عن عوامل اجتماعية يقف في مقدمتها النظام القبلي، والتشتت السكاني، والاكتفاء الذاتي المناطقي[4].

هذه الأسباب حالت دون ظهور تجارة متطورة في البلاد خلال فترة الدراسة، كما وقفت عائقاً أمام فئة التجار الصغار الذين بحثوا لأنفسهم عن مكان يمارسون فيه نشاطهم التجاري بعيداً عن

1- عمر، مرجع سابق، ص 124.

2- جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 62 – 63 .

3- الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 42- 43 .

4- جولوبوفسكايا، مرجع سابق ، ص 62 .

سلطة الإمامة، لذا كانت الهجرة هي المنفذ المناسب لخروج هذه الفئة لممارسة نشاطها فانتشر التجار اليمنيون في مناطق مختلفة من العالم، وسيتضح ذلك من خلال دراستنا.

2- الأسواق التجارية في تهامة:

تُعد الأسواق في تهامة مركز الحركة التجارية، وتتعدد مابين الأسواق الأسبوعية واليومية والموسمية، وكانت أغلب أسواق تهامة خلال فترة الدراسة أسبوعية، وخاصة في المدن الصغيرة والقرى، وتسمى بأسماء الأيام التي تُعقد فيها، كسوق الخميس، وسوق الجمعة[1]. يُطلق على السوق الأسبوعي في تهامة باسم (الوعد)، تعبيراً عن الملتقى الزماني والمكاني لأفراد المجتمع[2]، والذي يتم فيه تبادل المنافع فيما بينهم، حيث يبدأ التوافد على السوق من قبل الباعة وأصحاب الحوائج منذ الساعات الأولى من فجر اليوم المحدد فيه إقامة السوق، ويصل السوق ذروته من حيث الحركة واكتمال الوافدين في الغالب عند الساعة العاشرة صباحاً ، وينتهي مع غروب شمس ذلك اليوم[3].

كان السوق الأسبوعي في تهامة غالباً ما يُقام في منطقة متوسطة بين مجموعة من القرى، بحيث يستطيع سكان هذه القرى الوصول إليه، والعودة منه في نفس اليوم، وأحياناً قد يسافر بعض التجار إلى أسواق أخرى بعيدة يستغرق الذهاب إليها عدة أيام بحثاً عن السلع والبضائع التي لم تكن تتوافر في الأسواق القروية الصغيرة [4].

كانت الوسيلة الرئيسية للبيع والشراء في هذه الأسواق تقوم على نظام المقايضة والمباضعة، ولم يُعرف البيع نقداً إلاّ في نطاق محدود وبخاصة في المدن الرئيسية، ويرجع ذلك إلى قلة النقد المتداول، التي لم تكن كافية لحاجة السوق في تلك الفترة، ومما يدلل على ذلك ما ذكره أحد المعاصرين لفترة الدراسة في كتابه تاريخ اليمن الاجتماعي وقصة حياتي ما نصه:

((ولا أعرف أن هناك نقوداً متداولة، اللّهم إلاّ عند أناس معدودين، وإنما كانوا يتصرفون بالحبوب، فيذهب المشتري إلى الحانوت(مكان بيع السلع)، وقد صرّ في ثيابه، أو حمل على عاتقه كمية من الحب، إما براً (قمح) أو ذرةً شامية (الذرة الصفراء،) ويسلمه بمكيال، وهو بدوره

1- السروري، مرجع سابق، ص 501- 502 .

2- من الجدير ملاحظته، أن هذه الأسواق الأسبوعية ، منتشرة في أغلب بلدان الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه .

3- الأهدل، على مغربي: أسواق تهامة الشعبية، صحيفة الجمهورية، العدد (14658) ،الجمعة 25 ديسمبر / كانون الأول 2009م، ص 3 .

4- السروري، مرجع سابق ، ص502 .

صاحب الحانوت يجمع تلك الحبوب ويتسوق بها، وسعر هذه الحبوب معروف فيعطي البائع للمشتري مطلوبه بقدر ما أخذ منه ... وهكذا يتم البيع والشراء) [1].

كانت ترد إلى أسواق تهامة الكثير من السلع والبضائع سواء ما تنتجه المنطقة، أو ما يستورد من خارج اليمن، فكان من السلع المحلية التي يتم تبادلها في هذه الأسواق: الحبوب بأنواعها الحمراء والصفراء، والفواكه والخضروات، والحصير، ومنتجات الصناعات الفخارية، والجلود، والعسل، والمواشي (الحيوانات)، والبن والأخشاب [2]. ومن السلع المستوردة الأرز، والسكر، والجازولين، والصابون، والدقيق(القمح)، والأنسجة القطنية والصوفية، والكبريت، والشاي والزيت[3].

لم يقتصر دور الأسواق في تهامة على تبادل السلع، بل كانت أماكن مناسبة للقاء المشايخ والأعيان للتباحث حول بعض القضايا، وحل بعض المشكلات، كما كان يتم في السوق تسليم الضرائب الزراعية للدولة،حيث تُعلن فيه الإعلانات العامة، وتبادل الآراء [4].

كان السوق الأسبوعي في تهامة مثل غيره من الأسواق اليمنية قد عرف نوعاً من التخصص في السلع . أي أماكن مخصصة . لكل سلعة ضمن إطار السوق، الأمر الذي يزيد من التنافس التجاري ويعطي فرصة للمشتري لشراء الأفضل والأرخص سعراً. ومما يدل على ذلك أن هذه التخصصات في السوق مازالت مستمرة إلى عصرنا الحالي، حيث يوجد من ضمن السوق المعجار [5]، والمحناط [6]، والمبزاز [7]، والمبصال [8]، والمحوات [9]، والمجزرة [10]، والمقوات[11]

1- الأكوع، محمد بن علي : صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي وقصة حياتي ، مطبعة الكاتب العربي ، دمشق ، (د.ط)، (د.ت)، ص 111 .

2- دوستال، ولتر : الأسواق في اليمن، تر/ أحمد قائد بركات ، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1412هـ / 1992م، ج1، ص 116 - 117 .

3- فخري، أحمد: اليمن ماضيها وحاضرها، منشورات المدينة، بيروت، ط2، 1409هـ / 1988م، ص 67.

4- بن دغر، أحمد عبيد : اليمن تحت حكم الإمام أحمد (1948 – 1962م)،مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2005م، ص35 .

5-المِعجار : مكان بيع قصب الذرة ، وهي تسمية معروفة في جميع أسواق تهامة .

6-المِحناط : بكسر الميم ، وهو المكان الذي يتم فيه بيع وشراء أنواع الحبوب من المحاصيل الموسمية في المنطقة .

7-المِبزاز : مكان بيع الملابس والأقمشة .

8-المِبصال : مكان بيع الخضروات والفواكه .

9-المِحوات :مكان بيع الأسماك .

10-المَجّزرة: مكان بيع اللحوم بأنواعها.

11-المِقوات : المكان الخاص ببيع القات .

الخ، هذا إلى جانبسوق المواشي والذي يُعرف بالمجلاب[1]. كما كان يتم تبادل السلع الثمينة في هذه الأسواق مابين البائع والمشتري عبر وسيط يسمى دلال، يتم اختياره من قبل شيخ السوق، أو من قبل الجماعة المكلفة بضمان أمن السوق، حيث يقوم هذا الوسيط بتنظيم عملية التبادل بين البائع والمشتري بما يحول دون وقوع الشجار أو الصراع بينهما [2].

ونظراً لأهمية هذه الأسواق ومالها من انعكاسات على حياة المجتمع الاقتصادية، فقد صدرت بها القوانين التي تنظمها، من هذه القوانين: قانون سوق صنعاء الذي يعود إلى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، والذي اشتمل على قواعد لضبط جودة السلع والأسعار والموازيين والمكاييل، وقد سرت هذه القوانين على الأسواق في فترة الدراسة ومنها أسواق تهامة [3]. فكان لكل سوق أسبوعي في تهامة شيخ أو عاقل(مختار)، يسمى بشيخ السوق، يقوم بحل المشكلات بين تجار السوق بعضهم ببعض، أو بينهم وبين الأفراد المتسوقين، فضلاً إلى قيامه بمراقبة المخالفين والمتلاعبين بالأسعار، كما يمنع الغش والتدليس [4]. كما وجد في بعض الأسواق وخاصة أسواق المدن الرئيسية ما يسمى بشيخ الليل، مهمته حراسة الأسواق ليلاً، وتأمينها من اللصوص، والتأكد من إغلاق التجار لمحلاتهم التجارية، وذلك مقابل أجرة محددة يتقاضاها من قبل أصحاب المحلات في السوق[5].

انتشرت العديد من الأسواق الأسبوعية في تهامة، حتى أنه في كل يوم من أيامالأسبوع يُقام أكثر من سوق.

والجدول التالي يوضح أهم هذه الأسواق في تهامة [6].

اسم السوق	موعده الأسبوعي	منطقة الذي يُقام فيها السوق
سوق المعرص	السبت	قرية المعرص . الزهرة
. المغلاف	.	منطقة المغلاف

1-المِجلاب: هو المكان الذي يتم فيه بيع وشراء الثروة الحيوانية بأنواعها(البقر ، والغنم ، والماعز ، والحمير)، وبعض الطيور، وسمي مجلاباً، لكون الناس يجلبون إليه الثروة الحيوانية للبيع ، أو لجلبها منه إلى البيوت شراءاً .

2- دوستال، مرجع سابق، ص 116 – 117 .

3- الدهي، أحمد سعيد : الحياة الاقتصادية لليمن الحديث، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، صنعاء ، ط1، (د.ت)، ص 376 – 392 .

4- السروري، مرجع سابق ، ص 502 .

5- دوستال، مرجع سابق، ص 116.

6 - www.Yemen nic, in of tursmses. day Net -27/3 /2010

. السويق	.	منطقة السويق/ التحيتا
. المحرق	.	منطقة خيران
. الداهر	الأحد	قرية الداهر/ اللحية
. عبس	.	منطقة عبس
. الركب	.	منطقة الركب
سوق المراوعة	الإثنيين	مدينة المراوعة
. الضحي	.	مدينة الضحي
. حيس	.	مدينة حيس
. المدن	.	منطقة المدن
. الزهرة	الثلاثاء	قرية الرافعي . الزهرة
. القطيع	.	منطقة القطيع
. الجراحي	.	منطقة الجراحي
. الزيدية	.	منطقة الزيدية
. حرض	.	منطقة حرض
. باجل	الأربعاء	منطقة باجل
. المنصورية	.	منطقة المنصورية
. الموقر	.	منطقة الموقر
. ربوع مطوله	.	منطقة عبس
. القناوص	الخميس	منطقة القناوص
. الخميس	.	الواعظات . الزهرة
. التربية	.	نطقة التُربية
. بيت الفقيه	الجمعة	مدينة بيت الفقيه
. الدريهمي	.	منطقة الدريهمي
. القطيع	.	منطقة القطيع
. الخوخة	.	منطقة الخوخة

إلى جانب هذه الأسواق الأسبوعية، كانت تقام أسواق يومية في تهامة وخاصة في المدن الرئيسة، وهي لا تختلف كثيراً عن الأسواق الأسبوعية إلاّ من حيث الزمان والمكان، وكميات

البضائع ونوعياتها، وتوفر المنتجات الحرفية، إضافة إلىأنّ هذه الأسواق اليومية كانت تُقام في أماكن معزولة عن الأحياء السكنية [1].

وتجدر الإشارة أنه إلى جانب ما ذُكر من أسواق فقد وجدت أيضاً الأسواق الموسمية، التي كانت تُقام في أيام حصاد النخيل، وتمتد هذه الأسواق لفترات سابقة لدراستنا، حيث أورد ابن المجاور في مجمل حديثه عن النخيل في زبيد ما نصه : ((أنه إذا حمل(أثمر) النخيل يتقبل[2] كل واحد من الناس على قدره، ويجئ (يأتي) إليه الناس من باب حرض، إلى آخر أعمال أبين، وينزل أهل الجبال إلى تهامة ... ويقيم الناس في النخل مدة شهرين أو ثلاثة)) [3]. كما كانت تُقام أسواق خلال مواسم زيارات الأولياء في تهامة، كزيارة عمر بن محمد الخامري في حيس، وزيارة الجبرتي والحداد في زبيد وزيارة الهتار في الدُريبة، وغيرها من الزيارات التي عادة ما يتخللها عملية البيع والشراء[4].

3- التجار والمؤسسات التجارية في تهامة :

ظهر في تهامة خلال فترة الدراسة مجموعة من التجار، الذين عملوا على احتكار التجارة الداخلية والخارجية استيراداً وتصديراً، هذه المجموعة تشكلت من أوساط الأسرة الحاكمة، وكبار الموظفين، والمقربين من السلطة، ومن أبرزهم:

* علي محمد الجبلي، كان الوكيل التجاري للإمام، ورجل أمواله الأول، وكان من أكبر تجار تهامة في تلك الفترة، بامتلاكه أكثر مناطق تهامة المزروعة بالقطن والمحاصيل الزراعية[5]. وتشير المصادر بأن التجارة التي كان يمتلكها الجبلي لم يرثها من آبائه، وإنما بدأ حياته كعامل عند بائع جلود في تهامة، لكنه بذكائه ومهارته أصبح من أكبر تجار اليمن حينها، مما أهّله لأن يصبح وكيلاً للإمام يحي ومن بعده الإمام أحمد لتجارتهما بعدن[6].

1- دوستال، مرجع سابق، ص 115 – 116 .

2- يقصد بالتقبيل هنا: هو استئجار الأراضي الزراعية المزروعة بالنخيل من مالكها للقيام برعاية المحصول، حتى موعد نضوجها، ثم بيعها على القادمين لشرائها.

3- ابن المجاور، مرجع سابق، ص 95.

4- مقابلة شخصية مع الباحث في مجال الأدب/ عبد الجبار نعمان باجل في منزله بمدينة حيس بتاريخ 7/6/ 2009م .

5- جولوبوفسكايا، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 134 – 142 .

6- بن دغر، مرجع سابق، ص 36 .

استفاد الجبلي من هذه الوكالة التي جعلته يحظى بعدد من الامتيازات، حيث أصبح يدير أكبر شركة في اليمن، وهي الشركة التجارية اليمنية، والتي كانت أسهمها موزعة بين الإمام وحاشيته من التجار، و كان للجبلي وكبار تجار تهامة الحظ الأوفر من أسهمها .

تأسست الشركة عام 1950، برأسمال قدره 600,000 ستمائة ألف ريال ماريا تريزا، قيمة السهم الواحد 1000 ألف ريال، وكانت أسماء المساهمين في هذه الشركة، والمبلغ الذي شارك به كل منهم كالآتي[1].

جدول يوضح أسماء المساهمين في الشركة ونسبة المبلغ والوظيفة:

أسماء المساهمين	المبلغ بآلاف الريالات	المنصب والوظيفة
أحمد يحي حميد الدين	310,000	الإمام
إخوته سيوف الإسلام	60,000	بعضهم وزراء في الحكومة
سيف الإسلام الحسن	5,000	رئيس الوزراء
القاضي حسين الحلالي	5,000	رئيس الديوان الملكي
علي محمد الجبلي	40,000	الوكيل التجاري للإمام، مدير الشركة
العطاس	20,000	تاجر . الحديدة
الرفاعي	25,000	تاجر . الحديدة
مجموعة تجار صغار	70,000	تجار
أعضاء آخرين	20,000	تجار

ومن خلال الجدول السابق يتضح أن رأس مال الشركة لا يصل إلى 600 ألف ريال كما أشار المصدر، إنما بلغ 555 ألف ريال، ويبدوا أن الفارق يرجع إلى أخطاء في نقل الأرقام، كما يلاحظ على الجدول أنّ الإمام أحمد انفرد بأكثر من نصف رأسمال الشركة، حيث بلغت مساهمته ما نسبته 55,8 %، والبقية وزعت على أقربائه من الأسرة الحاكمة وحلفائه التجار. وهذا إنما يدل على مدى الاحتكار الذي كانت تعانيه التجارة في تهامة اليمن خلال فترة الدراسة.

احتكرت الشركة تصدير المنتجات الزراعية والحيوانية في تهامة والمتمثلة بالبن والجلود، والقطن، والتنباك(التبغ)، كما احتكرت استيراد الدقيق، والجازولين، والأرز، والسكر، والمنسوجات القطنية، وبعض السلع الضرورية [2]. كان لهذه الشركة فروع في المدن والقرى ومنها تهامة، تقوم

1- العزعزي، مرجع سابق، ص 84 .

2- المقرمي، عبد الملك : التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1 ، 1991م ، هامش ص 120 .

من خلالها بشراء المحاصيل الزراعية من المزارعين بالأسعار التي تحددها، لتقوم بعد ذلك ببيعها إلى المواطنين، وتصدير الفائض منها، كما كان لها فروع في مدينة عدن يديره موظفون عرب وأجانب تقوم بالتصدير والاستيراد [1]. إلى جانب ذلك كانت الشركة تمتلك معملاً لحلج القطن، ومعصرة للزيت في مدينة الحديدة، كما امتلكت جزءً هاماً من وسائل المواصلات البرية والبحرية، وكان لها مكاتب للصرف تنجز بواسطتها عمليات بنكية ومالية[2].

كما برز من تجار تهامة عائلة الحاج حسين غالب الوجيه، الذين قاموا بتأسيس شركة الوجيه إخوان التي بدأت نشاطها التجاري في مدينة زبيد بإقامة مصانع يدوية لصباغة المنسوجات المحلية (البز الأبيض) والذي كان يُعرف في تهامة بالمريكني، الذي كان يوزع منه إلى المناطق الجبلية الباردة في اليمن[3].

تطورت شركة الوجيه إخوان في تجارتها حيث أصبحت تزاول الاتجار بما تنتجه المنطقة من المحاصيل الزراعية في تهامة وتوزيعها إلى مناطق اليمن الأخرى، وتستورد ما تحتاجه المنطقة من مواد الصباغة (النيلة الزرقاء)، والأرز، والسكر، والأقمشة القطنية بأنواعها، وبوفاة حسين غالب الوجيه عام 1929، انتقلت إدارة الشركة لابن أخيه الخادم غالب الوجيه، الذي تمتع بمهارة تجارية استطاع من خلالها أن يكسب ثقة أبناء الإمام يحي في الاتجار معهم كوكيل ثاني لهم، فنشطت تجارته وتوسعت ميادينها، واستطاع أن يفتح مكاتب تجارية في كلٍ من الحديدة، ومستعمرة عدن آنذاك، وأسمرة لتصبح شركة الوجيه إخوان ثاني شركة في اليمن بعد الشركة التجارية اليمنية[4].

بعد تراكم رؤوس أموال الشركة قام الخادم غالب باستثمار هذه الأموال في ميادين أخرى تمثلت بشراء الأراضي الزراعية المحيطة بزبيد والجروبة، والأراضي الواقعة على وادي رماع، كما قامت الشركة بفتح المصانع الحرفية، التي جنت من ورائها أرباحاً وفيرة[5].

إلاّ أنّ مؤسسة الوجيه سرعان ما تلاشت ثم انتهت، ويرجع السبب في ذلك إلى أنها كانت أكثر تحرراً من الناحية السياسية، حيث اتخذت في نهاية الأربعينات من القرن العشرين خطاً معارضاً للسلطة، وذلك بانخراط مديرها الخادم غالب في سلك المعارضة الوطنية ضد السلطة،

1- بن دغر، مرجع سابق ، ص 36 .

2- العطار، مرجع سابق، ص 232.

3- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 596.

4- المرجع نفسه، ص 596 – 597.

5- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 597.

وأصبح الممول المالي للمعارضة[1] . ظل الخادم الوجيه يساند حركة المعارضة حتى قامت حركة 1948 التي تّم فيها القضاء على الإمام يحي حميد الدين، وقيام حكومة دستورية استمرت 25يوماً بقيادة السيد عبد الله الوزير [2].

ولأسباب عدة [3] سقطت الحكومة الدستورية وتولى حكم اليمن الإمام أحمد حميد الدين، الذي أستطاع أن يزج بالأحرار الذين شاركوا في حركة 1948 إلى السجون ومن ثم الإعدام، وكان الخادم غالب من ضمن الذين أُعدموا في مدينة حجة يوم الثلاثاء 26 يونيو/حزيران1948، وبموته انتهت شركة الوجيه إخوان[4].

كما برز في النشاط التجاري في تهامة الشيخ عمر سليمان المزجاجي، ومن بعد ابنه أحمد عمر سليمان المزجاجي، حيث عملا كوكلاء ومندوبين للشركات والمصانع الألمانية، التي كانت تصدر إلى اليمن الحديد، والمواد المعدنية، والأواني، والعطور والألوان، والأدوية، والمصابيح الغازية، وأوراق الكتابة والأقلام [5]، كما عملا في استيراد الدقيق، والسكر، والأخشاب من الإتحاد السوفيتي(سابقاً) [6].

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤسسات التجارية التي وجدت في تهامة خلال فترة الدراسة، لم تكن تهتم بمجال التصنيع الحديث، بل كان توجهها إلى الصناعات التحويلية لبعض المواد الاستهلاكية، وكان تركيزها الأساسي على الاستيراد والتصدير، وشراء الأراضي الزراعية، والقطاع الحرفي التقليدي .

1- الصوفي، نبيل: الخادم غالب الوجيه عاشق الحرية ، مجلة المنتدى الأدبي الثقافي، زبيد 1428/ 2007، ص 34.

2- حركة 1948 هي حركة قامت بها قوى المعارضة من المستنيرين وبعض رجال القبائل ضد أسرة آل حميد الدين، وانتهت هذه الحركة بالقضاء على الإمام يحي ، ورئيس وزرائه عبدالله العمري، في 17 فبراير/ شباط في منطقة حزيز جنوب صنعاء . أنظر: الصائدي، حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص 207- 208 .

3- من هذه الأسباب، ضعف قيادة الحركة، سوء الإعداد والتخطيط لها، تدني مستوى الوعي لدى عامة الناس بأهداف الحركة، براعة القيادة المضادة المتمثلة بالإمام أحمد. أنظر: الصائدي، مرجع سابق، ص 223 – 229.

4- الصوفي، مرجع سابق، ص30 -31.

5- الصائدي، أحمد قائد: (العلاقات التجارية اليمنية – الألمانية للفترة 1927 -1940م) على ضوء أرشيف وزارة الخارجية الألمانية، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، ع (49)، 1413هـ / 1993م، ص 29 – 31.

6- ُمطير، أحمد عثمان : الدرة الفريدة في تاريخ مدينة الحديدة ، دار المصباح ، الحديدة ، (د.ت)، ص 197 .

أما بالنسبة للوكالات التجارية الأجنبية فقد كانت قليلة وفي حدود ماكان يسمح به الإمام من علاقات مع الخارج، حيث وجدت شركة يونانية تسمى بشركة ليفراتو في الحديدة، تتاجر في تصدير البن، كما وجدت شركة إيطالية وشركة سوفيتية للغرض نفسه[1].

إلى جانب كبار التجار في تهامة، فقد ظهرت مجموعة من التجار الصغار الذين امتلكوا رؤوس أموال متواضعة استثمروها في عملية البيع والشراء بالتجزئة من خلال حوانيتهم الصغيرة [2]، وكانوا يتوزعون في مدن وأرياف تهامة منقسمين إلى قسمين :

1- تجار المدن: وهم الذين كانوا يمارسون تجارتهم في المدن كالحديدة وزبيد وبيت الفقية، ويتميزون عن تجار الأرياف بكثرتهم، وتوفر رؤوس أموالهم، وكان أغلبهم ممن توارثوا مهنة التجارة من آبائهم، وتخصصوا فيها، كتجار الأقمشة، وتجار العطور، والجلود وغيرها [3].

2- تجار الريف: ويقصد بهم من يزاولون التجارة في القرى والمدن الصغيرة التهامية عبر حوانيتهم المتواضعة، والتي تحتوي على بضائع وسلع ضرورية للاستخدام اليومي، مثل السكر والكبريت، والجازولين، والصابون، والتوابل، وكانت الوسيلة الرئيسية للبيع والشراء في أرياف تهامة هي المقايضة، وذلك نظراً لندرة العملة كما أشرنا. كانت الظاهرة العامة للتجارة في المراكز الإدارية للأرياف تتمثل بقلة المحلات التجارية، وقلة عدد التجار، مما نتج عنه ركود تجاري، إلاّ أنّ هذه المراكز كانت تنشط تجارياً أيام الأسواق الأسبوعية، وخلال مواسم الأعياد.

ومن خلال ماكان يتميز به تجار المدن عن تجار الأرياف في تهامة من توفر رؤوس الأموال والخبرة، ومستوى معين من التعليم، كل ذلك جعل بعض تجار المدن يشعرون بنوع من التعالي على تجار الأرياف، كما أن السلع والبضائع كانت تمر أولاً بتجار المدن قبل أن توزع إلى القرى

1- العظم، مصدر سابق، ص 34

2- من أبرز هؤلاء التجار : أحمد سليمان هنومي، وصالح الشاذلي، والحاج عبد الله عزي سعيد مسلماني، والسيد حسن بن يحي شرعان، والشيخ صالح بن علي عاموه، كما برز من زبيد ، محمد سالم وجيه، ومحمد حسن جعماني، ومحمد حسن بلكم، ومحمد حسين إبراهيم، ومحمد إبراهيم بلو، ومحمد عزي تبريزي، ومحمد عبده صالح ، ومحمود أبو الخير، وعبده الرحيم حسن الحديدي، وحسن عبده شوه، ومحمود زيلعي، ويحي حسن يماني، ويحي على جريدة، ومحمود ضاحه، ومحمد أحمد عبد الكريم ، وحسين محمد الوصابي . أنظر: مطير، مرجع سابق ، ص 190 – 197 . ؛ الوصابي، حسين بن محمد: الرحلة الحسينية في الديار اليمنية، مخطوط غير منشور موجود في مكتبة المؤلف بزبيد، ص 40

3- الشرجبي، الشرائح الإجتماعية، مرجع سابق، ص202 – 203 .

والأرياف هو ما أعطى نوعاً من الأهمية لتجار المدن، وإحساس تجار الريف بنوع من التبعية والانقياد لهم[1].

4- **سياسة الدولة التجارية وانعكاسها على التجارة في تهامة :**

تفاوتت مواقف التجار في تهامة تجاه السلطة السياسية حسب ما تقتضيه المصلحة، فكبار التجار الذين كانت مصالحهم الشخصية مرتبطة بوجود السلطة، تبلورت مواقفهم بدعم سياسة السلطة الرامية إلى إيجاد دولة مركزية، لما في ذلك من نفع لهم بإيجاد سوق يشترك فيه الجميع، حيث شكل هؤلاء التجار مع كبار ملاك الأراضي الزراعية، وأفراد الأسرة المالكة الركيزة الإجتماعية والجدار المنيع لحكم أسرة حميد الدين[2].

فبحكم مصلحتهم المرتبطة ببقاء السلطة السياسية، وقفوا إلى جانبها، بل كانوا كما يصفهم أحد المعاصرين : ((يكرهون أي تغيير، وتقليديون في نظرتهم، وناقصوا الخيال، وقصيروا النظر بدرجة أنهم ظلوا عاجزين عن إقامة أي استقرار سياسي طويل الأمد)) [3]. كما يؤكد أحد الباحثين بأنهم كانوا : ((يبذلون الولاء من أجل مصلحتهم الشخصية إلى الدرجة التي توقعهم في الاضطرابات السياسية)) [4]، وبمقابل ذلك قدمت لهم السلطة الحاكمة مختلف التسهيلات منها إعفائهم من بعض الرسوم الجمركية الداخلية، والسماح لهم بممارسة الاحتكار دون غيرهم مع توفير الحماية الكاملة لهم، وإعطائهم الحق بجمع الضرائب الباهظة على غيرهم من صغار التجار[5].

أما مواقف صغار التجار تجاه السلطة السياسية فقد اتسمت بالتذمر والسخط نتيجة السياسة الضرائبية الباهظة، فضلاً عن العوائق التي كانت تقف أمام نمو نشاطهم التجاري، وهو ما أدى بالكثير منهم إلى الهجرة للبحث عن أماكن ملائمة لمزاولة نشاطهم التجاري، وبمرور الوقت أصبح هؤلاء التجار من العناصر النشطة الذين شاركوا بأموالهم لدعم حركة المعارضة الوطنية ضد النظام، إلى جانب مساهمة بعضهم في القيادة والتحضير للقضاء على النظام الإمامي، وإقامة النظام الجمهوري عام 1962 .

5- **العملة والبنوك:**

1- الشرجبي، الشرائح، مرجع سابق، ص 204 – 207 .

2- جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق، ص 133 – 135 .

3- نعمان، أحمد محمد: انهيار الرجعية في اليمن، مرجع سابق، ص 32- 33.

4- غالب، نظام الحكم والتخلف الاقتصادي في اليمن، مرجع سابق، ص 29.

5- جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق، ص 135 .

اعتمد التعامل التجاري في تهامة خلال فترة الدراسة على الريال الذي كان يُدعى بالفرنسي، وهي عملة نمساوية تعرف بماريا تريزا نسبة إلى اسم إمبراطورة النمسا (ماريا تريزا)، وكان لهذه العملة وجهان، وجه يحمل صورة الملكة، والآخر يحمل شعار الإمبراطورية النمساوية[1]. كان الريال يزن 26,0668 ملليجرام، تبلغ نسبة الفضة في هذا الوزن 833 في الألف، ولذا كانت قيمته تتحدد باستمرار في ضوء أسعار الفضة في العالم، فإذا ارتفعت أسعار الفضة ارتفعت قيمة الريال والعكس، وكانت قيمته تساوي من 0,76 إلى 0,80 سنتيم من الدولار الأمريكي[2].

دخل الريال الفضي إلى اليمن عام 1924 عن طريق المعاملات التجارية فوجد قبولاً ورواجاً لدى السلطات الإمامية وعامة السكان في اليمن ليصبح عملة البلاد الرئيسية ويرجع ذلك القبول والرواج لعدة أسباب منها[3] :

1- افتقار البلاد إلى عملة وطنية تحظى بثقة كافة المواطنين.

2- المحتوى الفضي للريال، وهي صفة جعلته مفضلاً عن غيره من العملات للصفات المعدنية التي يحملها، كاللمعان، وعدم تعرضه للصدأ أو التلف، فضلاً إلى التناسق والدقة في صناعته.

3- استخدام الدولة له في كل معاملاتها وأغراضها المختلفة، من دفع المستحقات، وتحصيل الإيرادات.

4- أصبح وسيلة التعامل بين المواطنين أنفسهم في تسديد معاملاتهم، والوفاء بالتزاماتهم، بمعنى أنه أصبح عملة رسمية فرضتها الضرورة.

5- قابليته للحفظ والاكتناز .

فضلاً عن ذلك قام الإمام يحي بسك عملة مساعدة للريال سماها بالبقشة: وهي عبارة عن قطعة معدنية صغيرة فضية ونحاسية، تنقسم إلى نصف بقشة وربع بقشة وثمن بقشة، وكان الريال يساوي 40 بقشة [4]. وعلى الرغم من سك هذه العملة المحلية، إلاّ أنّ كمية عرضها لم تكن كافية،

1- المقطري، عبد العزيز أحمد : النقود والسياسة النقدية في الاقتصاد اليمني الحديث ، دار الحداثة ، بيروت ، ط1 ، 1985م، ص 30 .

2- العطار، مرجع سابق، ص 236.

3- المقطري، مرجع سابق، ص 31- 32.

4- العظم، مصدر سابق، ص184.

وتعاني من تقلبات في أسعارها، وكان وراء ذلك عدد من العوامل التي تحكّمت في كمية عرض النقود وتقلباتها منها[1] :

1- أسعار الفضة في الأسواق العالمية، فكلما انخفضت أسعارها زادت القدرة على زيادة الكمية من الريال الفضي، والعكس أي أنه كلما ارتفعت أسعار الفضة عالمياً، كلما قلّ كمية عرض الريال في الأسواق اليمنية.

2- بُعد مراكز سك الريال عن السوق اليمنية، وذلك مما أثّر كثيراً في تحديد حجم الكمية منه، وخاصة في موسم الحصاد والأعياد والمناسبات التي يتطلب فيها زيادة الكمية من النقود.

3- في موسم جباية الضرائب وتحصيلها تُستنزف كمية كبيرة من السيولة النقدية المتداولة في السوق، وتجد طريقها إلى خزينة الدولة من غير أن يقابل ذلك إنفاق حكومي عام يعوض ذلك الاستنزاف مما يؤثر سلباً على عرض كمية النقود وبالتالي على أسعارها .

4- افتقار اليمن إلى بنوك للاستثمار والادخار، مما دفع أغلب التجار إلى خزن الريالات لديهم، مما يؤدي إلى سحب كمية من النقود وتجميدها، وبالتالي إخراجها من حركة السوق بما يؤدي إلى نقص كميتها .

5- التقلبات في أسعار الصرف الناجمة عن العوامل السياسية والمضاربات، التي تؤدي إلى نقص في العرض النقدي في السوق اليمنية .

6- تحويلات المغتربين خارج اليمن إلى أسرهم في الداخل كانت تلعب دوراً كبيراً في عرض النقود والطلب عليها .

فضلاً عن هذه العملة الرئيسية المتداولة في اليمن آنذاك، فقد وجدت عملات أجنبية كان يتم تداولها في بعض مناطق اليمن منها الروبية الهندية، والشلن الإفريقي، والجنيه الإسترليني، والريال السعودي، إلى جانب الدولار الأمريكي [2]. ويرجع السبب في ذلك بأن أي تعامل تجاري لابد أن يستوعب أكثر من عملة، فوجود الروبية الهندية نتيجة للعلاقات التجارية التي تربط اليمن بالهند منذ القدم، أما الشلن الإفريقي لكون قرب الموقع الجغرافي بين اليمن وإفريقيا، أما التعامل بالجنيه الإسترليني فيرجع إلى وجود الإنجليز في عدن حينذاك ، أمّا وجود الريال السعودي فنتيجة للاستثمارات السعودية، وحركة المهاجرين (المغتربين) اليمنيين في داخل المملكة، أمّا الدولار فكان

1- المقطري، مرجع سابق، ص40 -41.

2- المقطري، مرجع سابق، ص33- 34.

عملة متداولة بين جميع البلدان ومنها اليمن، مما يشير إلى السيطرة الاقتصادية الأمريكية التي أخذت تثبت دورها العالمي.

أما البنوك فلم تكن هناك مصارف بنكية تسهم في تنظيم الشؤون المالية والاقتصادية غير مصرفان أحدهما فرع للبنك الفرنسي أندوشين وافتتح في مدينة الحديدة عام 1949، إلاّ أنّه لم يستمر طويلاً حيث أُغلق في عام 1951(1). وفي عام 1959 فُتح فرع آخر للبنك الأهلي السعودي في مدينة الحديدة أيضاً، وكان يتبع مؤسسة سعودية خاصة (2)، مع فتح مكتبين له في كل من صنعاء وتعز (3).

اقتصرت خدمات البنك على الخدمات البسيطة والمحدودة، والمتمثلة بعمليات الإيداع، والخدمات المصرفية، وفتح الإعتمادات الصغيرة، وتقديم بعض القروض الصغيرة لذوي الجاه والنفوذ من أصحاب الامتيازات (4)، كما كان يتحكم في تداول العملة، وتحديد أسعار الصرف وخاصة في أوقات أزمات تقلب أسعار الفضة، وذلك بالتوافق والتنسيق مع البنوك التجارية في مدينة عدن(5).

ظل دور البنك الأهلي السعودي مقتصراً على هذه الخدمات السابقة، ولم يحقق أي تطور في المجال الاقتصادي داخلياً أو خارجياً، ولعل ذلك يعود إلى ضآلة رأسماله، ومحدودية موارده المالية، وصعوبة الاتصالات مع الأسواق الخارجية، فضلاً عن أنّ أي محاولة منه في التجارة الخارجية ستدخله في منافسة خاسرة مع بنوك عدن التي كانت على كفاءة كبيرة من التنظيم والإدارة، والقدرة المالية، والعلاقة الوطيدة بمراكز التجارة والأسواق العالمية(6).

إلىجانب هذين الفرعين، فقد وجد فرعاً صغيراً لبنك الهند الصينية تركزت خدماته للتجار الهنود والآسيويين، وبعض الأوربيين الذين كانوا يتاجرون ببعض محاصيل المنطقة (7).

1- المرجع نفسه، ص 34 .

2-كان يملك هذه المؤسسة الشيخ سالم بن محفوظ، الحضرمي الأصل، وأحد أثرياء مدينة جدة. أنظر: العطار، مرجع سابق، ص238.

3- المقطري، مرجع سابق، ص34.

4- المرجع نفسه .

5- العطار، مرجع سابق، ص 238.

6- المقطري، مرجع سابق، ص 37 – 38.

7- صحيفة فتاة الجزيرة، عدن، ع (1333) بتاريخ 16 مايو/أيار 1960م، ص 1.

ومما سبق يتضح أن بلداً ليس لديه نقده الوطني، ولا توجد لديه مؤسسات تتولى إصدار العملة، ويستخدم عملة أجنبية، كل ذلك إنما يدلل على التبعية النقدية والاقتصادية للخارج، وقد دفع الاقتصاد اليمني ثمناً باهظاً إزاء هذه التبعية .

6- المقاييس والمكاييل والأوزان في تهامة:

تعددت الأوزان والمكاييل والمقاييس في تهامة، وذلك حسب نوعية السلعة من حيث الصلابة والسيولة والعدد. ففي المقاييس أُستخدم المعاد[1] لقياس مساحات الأراضي الزراعية [2]. كما اُستخدم الذراع لتحديد أطوال بعض السلع كالأقمشة والأخشاب، وكان الذراع على نوعين، الأول ذراع اليد وهو الذراع الشرعي ويبلغ طوله 49.32سم، وكانت تُقاس به أطوال بعض الأقمشة ولازال مستعملاً به في أسواق تهامة [3]. والثاني الذراع الحديدي ويسمى في تهامة (بالوار)، ويبلغ طوله 90 سم، وتقاس به بعض الأقمشة مثل شقق الحرير البيضاء والذي كان يصل طول الواحدة منها إلى عشرين ذراعاً ، كما كان يُقاس به أطوال ألواح الأخشاب[4].

أمّا المكاييل: فقد اُستخدم العديد من وحدات الكيل لتقدير المحاصيل والسلع المختلفة في فترة الدراسة، وقد اختلفت المكاييل من منطقة إلى أخرى. ففي المناطق الجنوبية من تهامة اُستخدمت الكيلة لتقدير سلعة الحبوب وكانت تساوي 5 كجم، وتقسم إلى نصف الكيلة، وربعها وثمنها [5].

كما اُستخدم القدح والذي كان يساوي ثمان كيلات أي ما مقداره 40 كجم ، كما أستخدم الثمن والذي يساوي 40 كيلة، أي ما مقداره 200 كجم [6]. أما المناطق الشمالية من تهامة فقد استخدمت عدة مكاييل منه الُربعية، والَحكم، والقُوبة ونصف القُوبة، والنثرة والقُرقف [7].

1- المعاد: تبلغ مساحته 3600م، أي بضرب الطول في العرض 60 ×60 = 3600م.

2- السروري، مرجع سابق ، ص 513 .

3- هنتس، فالتر : المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، تر /كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ط2 ، (د.ت) ، ص 91 – 92 .

4- هنتس، مرجع سابق، ص 87 .

5- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 370.

6- هارون، مرجع سابق، ص 192 – 193.

7- الُربعية : كانت تساوي 7 كيل أي ما يساوي 35 كجم ، أما الحكم فتساوي 17.5 كجم ، والقوبة تساوي 7.5 كجم ، والنثرة تساوي أربعة كيلو إلا ربع ، أما القُرقف فيساوي كيلو وربع الكيلو . أنظر: الحضرمي ، تهامة في التاريخ، مرجع سابق ، ص 370 .

كما أستخدم في مكاييل السوائل كالزيوت والسمن والعسل، الأوقية، والُربعي، والدولة، ومكيال آخر سُمي بالكوز، وكان يقسم إلى نصف الكوز وربع الكوز، وخاصة في مدينة الحديدة[1].

أما الأوزان فقد أستخدم الكيلو والذي يساوي 1000 جرام، ويقسم إلى نصف كيلو وربع كيلو وثمن كيلو، واستخدم الرطل الذي يزن حوالي 560 جرام ، واستخدم الَمنّ الذي يزن حوالي 1400 جرام [2]. ومن الأوزان التي استخدمت في تهامة ولازالت إلى وقتنا الحالي الفراسلة والتي يوزن بها السلع الثقيلة ، كالتبغ ، والقطن ، والبن، وكانت الفراسلة تزن من 11 إلى 12 كجم[3].

فضلاً إلى ماسبق، فقد كانت بعض السلع تقدر بالوعاء الذي تحفظ وتباع فيه، نظراً لمناسبتها لطبيعة تلك السلع، واعتبرت تلك الأوعية في تهامة وحدات للتقدير وزناً أو كيلاً ، كالجمنة، والقمقام للسمن والعسل، كما قدرت بعض السلع كالأقمشة والجلود بالقطعة والكورجة[4]. وهكذا تنوعت الموازيين والمكاييل في تهامة حسب المنطقة، وحسب نوع السلعة.

ب ـ التجارة الخارجية :

1- صادرات تهامة :

تمثلت صادرات تهامة في فترة الدراسة في مجموعة من السلع الزراعية والحيوانية، من أهمها البن الذي كان يصدر منه كميات كبيرة، وكان يتم جلبه من المناطق الجبلية المجاورة لتهامة، ويجمع في بيت الفقيه ثم يُ نقل على ظهور الجمال والحمير إلى موانئ الحديدة والمخا لتصديره إلى الخارج [5]. ويلي البن القطن الذي يأتي في المرتبة الثانية من حيث التصدير، ويرجع ذلك إلى

1- المرجع نفسه .

2- هارون، مرجع سابق، ص 193.

3- العطار، مرجع سابق، ص 242.

4- الكورجة : تساوي عشرون قطعة . أنظر: العطار، مرجع سابق، ص 242 .

5- تُعد أثيوبيا (الحبشة) الموطن الأصلي لشجرة البن، حيث كان ينمو برياً في أقليم (كافا) بجنوب غرب أثيوبيا، ومنه انتقل إلى اليمن ، إذ يرجع تاريخ دخول شجرة البن اليمن إلى القرنين التاسع والعاشر الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، عن طرق شيخ الصوفية علي بن عمر الشاذلي ، ولعل من أهم الأسباب التي دعت إلى إدخالها اليمن ، هو اكتشاف شيوخ الصوفية أن شرابها يعين على السهر والذكر ، وبخاصة بعد الإفتاء من قبل العلماء بحل شرابها ، نظراً لعدم ثبوت ما يخل بالقوى العقلية عند فقهاء الدين وذلك مما أدى إلى انتشارها بين الناس، ومن ثم الاهتمام بزراعتها، ولم يمر وقت طويل حتى ذاع صيتها خارج اليمن ، وأصبحت سلعة تجارية تهتم بها الدول الأجنبية ، وتقوم باستيرادها . أنظر: الحبشي، عبد الله محمد: ظهور القهوة في اليمن، مجلة اليمن الجديد، صنعاء، ع (124)، ص 53. ؛ الخطابي، أروى أحمد: تجارة البن في اليمن، مجلة الإكليل، وزارة الثقافة، صنعاء، ع (29- 30)، يناير، مارس/ كانون الثاني، آذار، 2006، ص180 – 185.

توسع زراعته في منطقة تهامة وخاصة في نهاية الخمسينات [1]. ومن الصادرات التي اختصت بها تهامة الجلود، والأقمشة المصبوغة بالنيلة، والمواشي (الثروة الحيوانية)، والملح، والأسماك المجففة، والسمسم (الجلجلان)، والبيض والتمور [2].

أما عن حجم هذه الصادرات، فلم نعثر على أرقام خاصة لمنطقة تهامة، كون المنطقة كانت جزءاً من اليمن، إلاّ أنّ بعض الدراسات العلمية حصلت على تقديرات لحجم الصادرات اليمنية بشكل عام، مثلت صادرات تهامة النسبة الأكبر فيها، حيث تشير هذه الدراسات إلى أن حجم صادرات اليمن بلغت في عام 1960 ما قيمته 7,845,000 دولار أمريكي، أما في عام 1961 فقد ارتفعت قيمة الصادرات إلى 8,456,000 دولار أمريكي، شكّلت صادرات تهامة المتمثلة بالبن الذي يمر عبر مدن تهامة والقطن والجلود ما نسبته 76% من أجمالي هذه الصادرات[3]. والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول يوضح الصادرات الكلية لليمن لعامي 1960م . 1961م بآلاف الدولارات الأمريكية [4].

المواد المصدرة	قيمة الصادرات لعام 1960م بالدولار	قيمة الصادرات لعام 1961م بالدولار
البن	4,500	4,302
القطن	800	1,600
الجلود	751	668
الملح	294	364
خضروات وفواكه	481	420
سمك مجفف	9	17
الماشية الحية بالرأس (الحيوانات)	22	50
البيض	147	143
القات	135	96

1- العطار، مرجع سابق، ص 221 – 222.

2- جولوبوفسكايا، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق، ص 53 . ؛ الحضرمي، تهامة في التاريخ ، مرجع سابق، ص 134 .

3- العطار، مرجع سابق، ص 221.

4- المرجع نفسه .

الخشب وفحم الخشب	32	96
صادرات مختلفة إلى المملكة العربية السعودية	500	504
متفرقات	174	196
المجموع	7,845 مليون دولار	8,456 مليون دولار

وبالنظر إلى الجدول يتضح مايلي :

1- أن البن كان يشكل مادة التصدير الأساسية، فهو وحده يمثل 50% وأكثر من إجمالي الصادرات، وهو ما يعكس قدم وتاريخية هذا المنتج الزراعي في اليمن، ومدى الاهتمام بزراعته، برغم محدودية محصوله .

2- يتصدر القطن المرتبة الثانية، ويرجع ذلك كما أشرنا إلى توسع زراعته في تهامة، بينما تأتي الجلود في المرتبة الثالثة من قائمة التصدير.

3- كما يتضح من الجدول مدى ضعف قيمة الصادرات اليمنية خلال فترة الدراسة، وتدني أسعارها، ويظهر ذلك واضحاً في استحواذ ثلاث منتجات على هيكل الصادرات، مما كان يعرض هذا الهيكل وعائد الصادرات عموماً إلى حالة من التذبذب، وعدم الاستقرار.

4- أن الصادرات اليمنية هي عبارة عن صادرات زراعية وحيوانية، مما يعكس السمة الطبيعية الزراعية للاقتصاد البدائي اليمني خلال تلك الفترة .

كما يتضح أن النسب المئوية للصادرات من حيث القيمة الإجمالية تتمثل فيما يلي:

المواد	1960م	1961م
البن	%57,3	%49,3
القطن	%9,6	%18,5
الجلود	%9,5	%8,3
المنتوجات الأخرى	%23,6	%23,9
المجموع	%100	%100

أما من حيث وجهة هذه الصادرات، فنجد أنها كانت تتوزع بين مدينة عدن، التي كانت تلعب دور الوسيط التجاري في صادرات وواردات اليمن، وبعض الدول العربية، التي كان على رأسها

المملكة العربية السعودية، التي حظيت بنصيب وافر من صادرات تهامة، وبخاصة المواشي الحية والجلود [1].

كما كانت تصدر بعض السلع إلى بعض الدول الأجنبية، وخاصة الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الإتحاد السوفيتي (سابقاً)، ويصدر البن والجلود إلى الأسواق الغربية، كالولايات المتحدة الأمريكية، وايطاليا، وألمانيا الغربية، وبريطانيا، وفرنسا، واليابان مقابل استيراد اليمن منها لبعض السلع [2].

2- الواردات إلى تهامة :

أمّا أهم الواردات التي كانت تصل إلى اليمن بشكل عام ومنها تهامة، فتتمثل بالأقمشة القطنية بأنواعها، والمواد الغذائية المتمثلة بالسكر والدقيق والأرز، ومشتقات النفط، والإسمنت، والحديد، والأدوية، والأدوات المنزلية، وأدوات الكتابة [3].

أما عن مصدر هذه الواردات فكانت تأتي من الدول الرأسمالية، وعلى رأسها اليابان والولايات المتحدة الأمريكية، وإيطاليا، وفرنسا، وألمانيا الغربية، وبعض الدول العربية كمصر والسودان والسعودية، إلاّ أنّ أكثر السلع تدفقاً إلى اليمن كانت تأتي عبر الإتحاد السوفيتي، والتي لاقت قبولاً واسعاً لدى السكان، حيث تشير بعض المصادر إلى أنّ صادرات الإتحاد السوفيتي إلى اليمن في بداية الثلاثينات من القرن العشرين وصل إلى 75% من الكيروسين، و50% من السكر، و39% من الكبريت، و100% من الأسمنت [4].

1- جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 53 .

2- المرجع نفسه، ص 72- 73 .

3- المركز الوطني للوثائق، تقريرحول البضائع والسلع الواردة إلى موانئ تهامة لعام 1359هـ/ 1940م. ملحق (12). ؛ العظم، مصدر سابق، ص 27. ؛ انكارين، مذكرات دبلوماسي في اليمن، تر/ قائد محمد طربوش ومحمد إسماعيل سليمان، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط1 ، 1993م ، ص 53 .

4- جولوبوفسكايا، مرجع سابق، ص 72 – 73 .

وقد ساعد نمو العلاقات السلعية النقدية، والاستيراد الكبير للسلع الأجنبية خلال فترة الدراسة على توسع التجارة الداخلية في تهامة، التي كان يمارسها قطاع كبير من صغار ومتوسطي التجار [1].

وقد شهدت بعض المواد المستوردةارتفاعاً ملحوظاً من سنة إلى أخرى خلال فترة الدراسة، حيث تم استيراد 2 مليون متر من الأقمشة عام 1960، ثم أرتفع عام 1961 بنحو 26 مليون متر، وإلى خمسة أضعاف عام 1962 مقارنة بعام 1929 [2].

وترجع تلك الزيادة في الاستيراد لهذه السلعة إلى سياسة الإمامة التي كانت تفضل تصدير القطن الخام عوضاً عن استخدامه في الإنتاج المحلي، حيث رأت أن تصدير القطن الخام، واستيراد الأقمشة الجاهزة سيوفر لها ربحاً أوفر، وهذا إنما يدّلل على غياب دور النظام في تنمية النشاط الاقتصادي الإنتاجي، والاعتماد على الموارد المحلية في تلبية الطلب الداخلي، وهو ما نتج عنه إقفال لكثير من مصانع الحياكة والغزل التقليدية في تهامة، نتيجة منافسة وجودة ورخص القطنيان المستوردة .ونظراً لعدم وجود أرقام موثوق بها تشير إلى الحجم الكلي لقيمة الواردات، نجد الاختلاف في ذلك من باحثٍ لأخر، حيث يقدر العطار قيمة الواردات لعام 1961 بنحو 16,836,000 مليون دولار [3]، بينما تقدر الباحثة الروسية جولوبوفسكايا تلك القيمة في نفس العام بنحو 3,459,000 مليون جنيه إسترليني [4]،وهذا الرقم يكاد يكون قريباً نوعاً ما من الرقم الذي أورده العطار، بعد الأخذ في الاعتبار فارق الصرف السائد بين العملتين حينذاك. وإذا أخذنا بتقديرات العطار من حيث قيمة الصادرات والواردات لعام 1961 في اليمن، فان الميزان التجاري سيكون على النحو التالي:

إجمالي قيمة الصادرات	8,456,000 مليون دولار أمريكي
إجمالي قيمة الواردات	16,836,000 مليون دولار أمريكي
العجز الكلي في الميزان التجاري	8,380,000 مليون دولار أمريكي

1- مجموعة من المؤلفين السوفيت ، تاريخ اليمن المعاصر(1917- 1982م)، ترجمة / محمد على البحر، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ط) ، (د.ت)، ص 96.
2- جولوبوفسكايا، مرجع سابق ، ص 71 .
3- العطار، مرجع سابق، ص 226.
4- جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 71 .

وبالنظر إلى الجدول السابق نجد أن العجز الكلي يساوي ما نسبته 50% من الإجمالي العام، وهو رقم يعكس مدى تدهور الوضع الاقتصادي في تلك الفترة، حيث لم يكن هذا العجز عجزاً مؤقتاً بل استمر طوال فترة الحكم الإمامي لليمن، ولم يظهر واضحاً إلاّ في السنوات الأخيرة من فترة الدراسة، وذلك حينما بدأت السلع المستوردة تتدفق على اليمن منافسة المنتجات المحلية الزراعية والصناعية والحرفية، مما أدى إلى الإضرار بها، وتدهور العديد من الصناعات، وانقراض البعض الآخر واختفائها من الأسواق اليمنية ، ولم يكن يغطي هذا العجز سوى القروض والمساعدات التي تلقتها اليمن من بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية، والإتحاد السوفيتي، والصين الشعبية، وألمانيا الغربية [1].فضلاً عنتحويلات المغتربين المهاجرين الذين كانوا يُعدون بالملايين، حيث كانوا يرسلون المبالغ الكبيرة إلى ذويهم وأقربائهم في كل مناسبة[2].

3- **الموانئ في تهامة:**

الموانئ رئة الحياة لأي دولة، باعتبارها النافذة التي تطل منها على العالم الخارجي. وتمتلك تهامة شريطاً سلحلياً يمتد على طول حدودها مع البحر الأحمر، مما أهّلها لأن تمتلك عدداً من الموانئ التي أدت دوراً مهماً في التجارة الداخلية والخارجية لليمن، حيث مثلت هذه الموانئ نقطة انطلاق للسكان في تهامة نحو البحر كصيادين وملاحين وتجار، كما مثلت مركز الاستقبال الأول للصادرات والواردات . إلاّ أنّ هذه الموانئ كانت تقليدية،لا تُمكن السفن والبواخر من الرسو، و إدارة عمليات الشحن والتفريغ على الأرصفة مباشرة، بل كانت عمليات الشحن والتفريغ تتم عبر القوارب والسنابيك [3] التي تقترب من الشاطئ بمسافة تتراوح مابين 80 .100 متر، لتنقل البضائع والسلع على ظهور الحمالين إلى بر الشاطئ وإلى هذه الوضعية التي كانت عليها الموانئ يشير أحد الباحثين الأجانب بقوله:

((قد تبقى الباخرة على بعد 7 كيلومترات بعيداً عن الشاطئ، حيث تفرغ حمولتها إلى بعض المراكب الشراعية الصغيرة، لتمضي هذه المراكب بحمولتها في رحلة ثانية إلى مسافة آمنه من الرصيف، فتنتقل حمولتها إلى نوع من الزوارق الصغيرة، ثم تمضي هذه الزوارق في رحلة ثالثة إلى

1- العطار، مرجع سابق، ص 230.

2- بن دغر، مرجع سابق ، ص 34 .

3- السنابيك : جمع (سنبوك)، وهي نوع من أنواع القوارب التي تعمل في البحر .

قرب نقطة من المياه الضحلة القريبة من الرصيف، فيتولى الحمالون نقلها إلى الرصيف))[1].
كانت هذه العملية ترفع من تكاليف السلع المستوردة فتصل إلى المستهلك بأسعار مرتفعة . ومن أهم موانئ تهامة مايلي :

أ- **ميناء الحديدة :**

يقع ميناء الحديدة على ساحل البحر الأحمر، ويرجع تأريخه إلى فترة سابقة تعود إلى بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي[2]،وقد عمل العثمانيون على تطوير ميناء الحديدة ليحل بديلاً عن ميناء المخا الذي تعرض للتدمير والخراب [3]. ومنذ ذلك الوقت أصبح ميناء الحديدة الميناء الأول والرئيس لليمن على البحر الأحمر، إلاّ أنّه تعرض في نهاية الحرب العالمية الأولى 1918 للقصف من قبل القوات الجوية البريطانية، ومن ثم الاستيلاء عليه وعلى المدينة، وترجع أسباب قصف الميناء إلى أسباب اقتصادية بحتّه تتمثل بمنافسته لميناء عدن كونه الوحيد في شمال اليمن حينذاك، وذلك لما كان يتمتع به من موقع تجاري، وكان في حساب الانجليز أن قصف ميناء الحديدة سيتيح المجال أمام ميناء عدن لاستقبال كل السلع الصادرة والواردة إلي اليمن[4].

ظل الاحتلال البريطاني لمدينة الحديدة وميناؤها ثلاث سنوات، وفي عام 1921 سلمت بريطانيا الحديدة والميناء إلى محمد الإدريسي الحليف لهم في منطقة عسير [5]. و يرجع السبب في تسليم مدينة الحديدة وميناؤها إلى محمد الإدريسي كمكافأة له على تعاونه معها في الحرب العالمية الأولى[6]، فضلاً عن تأجج الصراع نسبياً بين دول الحلفاء المنتصرة في الحرب حول

1- هولفريتز، هانز : اليمن من الباب الخلفي، تر/ خيري حماد ، دار العودة ، بيروت ، 1986م ، ص214 .؛ بن دغر، مرجع سابق، ص49 .

2 - بدأ استخدامه كمرفأ لصيد الأسماك وتجميعها وتوزيعها على الأسواق القريبة، كما يعود له الفضل في ظهور مدينة الحديدة التي تدرجت في الظهور من قرية صغيرة إلى أن أصبحت أكبر مدينة تهامية ،بدأت أهمية الميناء تظهر خلال القرن السادس عشر الميلادي، وذلك خلال الصراع مابين البرتغاليين والمماليك في البحر الأحمر، كما ازدادت أهميته حينما أتخذه العثمانيون قاعدة عسكرية لهم عام 1849 أثناء صراعهم مع البريطانيين الذين قاموا باحتلال عدن عام 1839. أنظر: مطير، مرجع سابق، ص33- 34.

3- الدهي، مرجع سابق ، ص 227- 228 .

4- العطار، مرجع سابق، ص 35.

5- المرجع نفسه .

6 -Basic Chronology for a history of the Yemen, Middle East journal, 1963, vol. 17. p. 148.

تقسيم الممتلكات العثمانية في جنوب شبه الجزيرة العربية، وخوفاً من وقوع المناطق الساحلية للبحر الأحمر والواقعة قرب عدن في أيدي دولة أخرى سارعت بريطانيا بإعطاء الحديدة وميناؤها للأدارسة للتخلص من أطماع الحلفاء [1] ونكاية في الإمام يحي الذي قام بمهاجمة المناطق القريبة من عدن أثناء الحرب العالمية الأولى [2]. وبسيطرة الإدريسي على مناطق تهامة وفصلها عن المناطق الجبلية إدارياً ، أدى ذلك إلى انهيار الروابط التجارية والاقتصادية بين المنطقة الساحلية والمناطق الجبلية، حيث حلت المجاعة في بعض المدن الساحلية، وعانت المناطق الجبلية من اختفاء السلع الصناعية، التي كانت تصل عبر ميناء الحديدة[3].

وبموت محمد الإدريسي مؤسس الإمارة الإدريسية، دبّ الصراع على السلطة بين الأسرة الإدريسية، مما أدى إلى ضعف الإمارة الإدريسية، ذلك مما مكّن الإمام يحي من انتهاز الفرصة والزحف بجيشه على تهامة عام 1925، وإعادة كل المناطق التهامية بما فيها الحديدة إلى مملكته [4]، لم يكتفِ الإمام يحي بذلك بل اتجهت قواته شمالاً حتى وصلت إلى ميدي، وحاصرت صبيا وأبي عريش، عندئذٍ عرض الأدارسة على الأمام يحي صلحاً يقضي بأن يَكُف عن محاولة الاستيلاء على المدينتين مقابل اعترافهم له بالولاء ، لكن الإمام رفض العرض وأصرّ على مواصلة القتال والزحف، مما حمل الأدارسة على اللجوء إلى الملك عبد العزيز لطلب الحماية في عام 1926، ثم الانضمام تحت رايته في عام 1930 [5]. ونتيجة لذلك أصبح الإمام يحي والملك عبد العزيز وجهاً لوجه، مما أدى إلى وقوع الحرب بينهما عام 1934، ووقوع بعض المدن التهامية، ومنها الحديدة في أيدي القوات السعودية وتوغل القوات اليمنية إلى داخل الحدود السعودية ومناطق أخرى، وانتهت تلك الحرب باتفاقية الطائف عام 1934، التي قضت بانسحاب القوات السعودية من تهامة مقابل انسحاب القوات اليمنية من الأراضي السعودية، وفرضت هذه الاتفاقية خط الحدود بين اليمن والسعودية [6].

1- جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ،ص 20 .

2- بولدري، جون : أهم الأحداث في تاريخ الحديدة، تر/ محمد عزي صالح وآخرون، مجلة الإكليل، صنعاء ، ع(5)، 1401هـ /1981م ،ص 70 .

3- مجموعة من المؤلفين السوفيت، مرجع سابق، ص13.

4- أباظه، فاروق عثمان: عسير أثناء الحرب العالمية الأولى، دار المعارف، القاهرة، (د.ط) ، (د.ت) ،ص 68.

5- بن دغر، مرجع سابق ، ص209 .

6-أبو عز الدين، نجيب: عشرون عاماً في خدمة اليمن، دار الباحث، بيروت، (د.ط)، 1990م، ص242،

وفي الوقت الذي كان فيه ميناء عدن يحتكر تجارة اليمن الخارجية ، فإن ميناء الحديدة كان أقل أهمية، وذلك لعدم توفر الإمكانيات المتاحة لاستقبال السفن الكبيرة، حيث كان الميناء عبارة عن حوض صغير يتكون من حاجزين للأمواج يمتدان داخل البحر أحدهما موازي للشاطئ، والآخر متعامد عليه، وليس هناك أي ترابط بينهما ، وإذا ما جاءت إحدى السفن الكبيرة فإن عليها أن ترسو في عرض البحر بمسافة عدة كيلو مترات وإلاّ تعرضت للارتطام بالكتل الصخرية التي كانت تكثر على شواطئ البحر الأحمر [(1)]، إلاّ أنّه في عام 1956 عقدت اليمن اتفاقية مع الإتحاد السوفيتي لغرض إنشاء ميناء حديث على بعد أربعة كيلومترات شمال الحديدة، وقد بدأت أعمال الإنشاء في عام 1958، ولم يمضِ وقت طويل حتى تم تجهيز الميناء وأفتتح رسمياً في عام 1961، وكان يتكون من قناة للرسو يبلغ طولها 9,5 كم وبعمق 9 متر، وحوض تبلغ مساحته 18 هكتار يتيح لسفينة طولها 150متر أن تتحرك فيه بسهولة كما تّم إنجاز رصيفين لاستقبال السفن الكبيرة البالغ طولها 300متر [(2)].

وبسبب هذه التجهيزات بدأ ميناء الحديدة يستقطب معظم تجارة اليمن للخارجية، استيراداً وتصديراً ، كما أنه في الوقت نفسه قلل من اعتماد اليمن على ميناء عدن الذي كان يخضع آنذاك للاستعمار البريطاني، حيث أنخفض حجم المعاملات التجارية التي كانت تأتي عبر عدن من 90% عام 1955 إلى 55% عام 1961ثم تلاشت تماماً في السنوات اللاحقة خصوصاً عندما بدأ الاهتمام يزداد بموانئ أخرى في تهامة كالمخا والصليف [(3)]. غير أن الميناء الجديد ظل غير قابل لرسو شركات الملاحة الدولية التي تعبر بواخرها طريق البحر الأحمر وذلك لأسباب منها[(4)]:

1- إنارة القناة لم تكن على مستوى كافٍ حتى تمكن سفن الملاحة الكبيرة من الرسو ليلاً، حيث لم يكن الإمام أحمد يرغب في بذل تكاليف إضافية لإنارة القناة، وكانت حجته في ذلك قوله:

((ما حاجة السفن في الدخول إلى الميناء ليلاً)) .

(نص المعاهدة).

1- أنكارين، مرجع سابق، ص 45 . ؛ آل يحي ،سيف الدين سعيد : تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن للفترة (1940 – 1943)، دائرة التدريب والتطوير القتالي ، العراق ،ط1، 1986، ج1، ص 233 – 234 .

2- العطار، مرجع سابق، ص 55- 56.

3- ماكرو، أريك : اليمن والغرب (1571 –1962م) ، تر/ حسين عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، ط2، 1987، ص 228 .

4- العطار، مرجع سابق، ص56.

2- عدم توفر الإمكانيات لإفراغ البضائع أوشحنها ليلاً، نظراً لمنع العمل بعد الساعة السادسة مساءاً.

3- ضآلة حجم الصادرات والواردات لا يتيح لأي شركة للملاحة تنظيم وقوف منتظم لبواخرها في الميناء .

4- ارتفاع تكاليف الرسو بالنسبة لأهمية الميناء .

لعب ميناء الحديدة دوراً حاسماً في ثورة سبتمبر/ أيلول 1962، حيث أنّه لولا وجود الميناء الحديث، لكان على الثوار أن يلجأوا إلى استعمال ميناء عدن، ولكانت بريطانيا قد طرحت مقابل ذلك حصولها على بديل سياسي في مقابل استعمال ميناء عدن، ولمارست ما بوسعها من ضغط يعرض مصير الثورة ذاتها للخطر، وبعد قيام الثورة اليمنية قامت الحكومة اليمنية بتوسيع الميناء بزيادة أرصفته فأصبح الميناء يستوعب العشرات من السفن التجارية في آنٍ واحد .

ب- **ميناء المَخا:**

المَخَا: بفتح الميم والخاء المعجمة وألف ممدودة، مدينة وميناء قديم مشهور يقع على ساحل البحر الأحمر غربي مدينة تعز بمسافة 94كم، وهو من الموانئ القديمة التي ذكرت في النقوش اليمنية باسم (مخن)[1] .

وبسبب أهمية موقعه الإستراتيجي وقربه من الممر الدولي للسفن العابرة في مضيق باب المندب والذي لا يبعد عنه سوى 75كم[2]، تعرض الميناء لعدة حملات عسكرية من قبل البرتغاليين في أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وكانت هذه الحملات سبباً في تنافس الدولة العثمانية والحكومة البريطانية على المنطقة [3].

1-عُرف ميناء المخا منذ القدم باستخدامه للأغراض الملاحية والتجارية بين اليمن وشرق إفريقيا، كونه أقرب الموانئ اليمنية لدول القرن الأفريقي، حيث لا يبعد عن الساحل الإريتري سوى 35كم، ومما ساعد على شهرة ميناء المخا قبل الإسلام هو تصديره لمادة (المّر) الذي كان يدخل في الصناعات الحيوية، كصناعة تحنيط الموتى في مصر القديمة .أنظر: الخطابي، مرجع سابق، ص 183.؛ العديني، مارش أحمد سعيد :جغرافية الموانئ اليمنية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء،ط1، 1424/ 2003، ص 18 -20 .

2- المرجع نفسه، ص 63 .

3- مطهر، نجوى عبد اللطيف: صراع القوى حول تهامة اليمن (1818- 1849م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة صنعاء، 2005م، ص 17.

كان لميناء المخا دور مهم في تاريخ اليمن الاقتصادي، حيث كان من أهم الموانئ اليمنية التي اشتهرت بتصدير البن اليمني منذ القرن السابع عشر الميلادي، وفي ذلك يقول المؤرخ الواسعي : ((وباسم المخا يسمي الإفرنج أفخر أنواع البن عندهم Moka acoffe)) [1] ويقصد به بن المخا . وقد ذكر الرحالة نيبور أهمية ميناء المخا بقوله: ((فهو من أهم الموانئ اليمنية على الإطلاق، ومنه أكتسب البن اليمني اسمه العالمي مُكا، ويقع ضمن مملكة الإمام، وله علاقات تجارية مع الموانئ الإفريقية الشرقية)) [2].

وخلال فترة الدراسة تقلصت أهمية ميناء المخا التجارية، وذلك نتيجة منافسة ميناء عدن والحديدة له، وبسبب الدمار الذي لحق به خلال الحرب العالمية الأولى من قبل مدافع الإنجليز والإيطاليين، انحصرت إسهاماته التجارية في تصدير بعض السلع والمنتجات الغذائية، كالبن والجلود التي تشحن على السنابيك الصغيرة إلى ميناء عصب في اريتريا [3].

وفي بداية الخمسينات من القرن العشرين وبخاصة بعد انتقال الإمام أحمد إلى تعز، حظي ميناء المخا بنوع من الاهتمام من قبل السلطة، حيث تم الاتفاق مع شركتان فرنسيتان في عام 1956 بتجديد الميناء وتطويره، و ذلك بإضافة رصيف حديث من الخرسانة بطول 200متر، وعرض7,5 متر، إلاّ أنّ هذه الأعمال لم تُنجز بسبب الضغوطات البريطانية أثناء أزمة السويس، وكان المبرر لهذا الاهتمام كون الميناء قريباً من مدينة تعز التي انتقلت إليها عاصمة المملكة اليمنية، إضافة لقربه من مضيق باب المندب[4].

ج- ميناء الصليف :

يقع ميناء الصليف على ساحل البحر الأحمر إلى الشمال من مدينة الحديدة بمسافة تقدر بنحو 65 كم [5]. ومنطقة الصليف هي شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات، ويوجد حولها عدد

1- الواسعي، مرجع سابق، ص180.

2- الصائدي، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، مرجع سابق ، ص 179 .

3- أبونتي، سلفاتور: مملكة الإمام يحي، تر/ طه فوزي، مطبعة السعادة، مصر، (د.ط)، 1366هـ /1947م، ص 19.

4- فلادلين أ.جوساروف ،وآخرون : اقتصاد الجمهورية العربية اليمنية ، تر /أحمد علي سلطان، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء، (د.ط) ،1972، ص91- 92 .

5- الجهاز المركزي للإحصاء والتخطيط، المسافات بين مراكز المحافظة والمديريات، محافظة الحديدة ، ص84

من الجزر الصغيرة غير المأهولة منها: جزيرة زبير ونتريك، وجزيرة خيكوك [1]، وتتبع إدارياً قضاء الزيدية، والتي تبعد عنها بنحو 45كم من ناحية الغرب [2].

يتميز ميناء الصليف بعمقه الطبيعي الذي يسمح باستقبال السفن الكبيرة التي كانت لا تتمكن من الرسو في ميناء الحديدة ، كما يتميز بقلة تعرضه للرياح القوية [3]. اشتهرت مدينة الصليف بوجود مناجم الجبس والملح الصخري العالي النقاوة، وهو من أجود أنواع الملح في العالم لاحتوائه على مادة اليود الطبيعي، والذي تعود بداية اكتشافه إلى عام 1880على أيدي العثمانيين [4].

ساهم ميناء الصليف خلال فترة الدراسة بدور بارز في النشاط الاقتصادي للمنطقة، وذلك باستخدامه في تصدير الملح إلى الأسواق العالمية، وكانت به أرصفة لرسو السنابيك والقوارب الصغيرة التي يتم بواسطتها نقل الملح إلى ظهور السفن[5]. وقد تّم تنفيذ أول مشروع لاستغلال ملح الصليف في عام 1959 من قبل شركة يابانية، وذلك بالتعاقد مع الإمام أحمد إمام اليمن آنذاك، حيث قامت الشركة باحتكار تصدير الملح إلى اليابان، وبعد قيام الجمهورية العربية اليمنية عام 1962 حَظيت منطقة الصليف وميناؤها باهتمام خاص من قبل الدولة حيث تّم تأسيس الشركة اليمنية العامة لاستخراج الملح والجبس، والتي تولت القيام بعملية طحن الملح وتصديره بكميات كبيرة إلى بلدان العالم ، كما كان يتم تصدير الجبس إلى المملكة العربية السعودية لاستخدامه في صناعة الإسمنت[6].

ونظراً لتواجد صخور الملح المتراكمة في منطقة الصليف، شّجع ذلك شركات التنقيب عن النفط للبحث في المنطقة، وكانت أول الشركات التي قامت بالتنقيب في الصليف شركة ديلمان الألمانية، التي قامت بالمسح والحفر الاستكشافي في بداية الخمسينات، إلاّ أنّ هذه الشركة لم تحقق شئ، وأوقفت تنقيباتها عام 1956. كما أن المنطقة شهدت مرة أخرى في بداية الستينات

1- المقحفي، معجم القبائل، مرجع سابق، ص 917 .

2- الويسي، مرجع سابق، ص 113 .

3- ترسيسي، عدنان، اليمن وحضارة الغرب، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط) ، (د.ت)، ص 192 .

4- بركات، أحمد قائد: منطقة الصليف، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1،ج2، ص574 .

5- جوساروف، مرجع سابق، ص 93 .

6- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص223.؛ بركات، الموسوعة اليمنية، مرجع سابق ،ص 574 .

مرحلة من الكشف والتنقيب عن النفط، وقامت بها شركة ميكوم الأمريكية التي قامت بحفر ثلاثة آبار في كل من الحديدة والزيدية والصليف، إلاّ أنها أوقفت عملياتها ولم تحقق شيء[1].

د- **ميناء اللُحّية:**

الُلحّيْه: بلامين إحداهما مضمومة، وفتح الحاء المهملة، وياء مشددة، ثم هاء ساكنه[2]. بلدة تقع على ساحل البحر الأحمر شمالي الحديدة على بعد 167كم[3].

ولأهمية موقع الُلحّيِة وميناؤها، تعرضت لعدة هجمات استعمارية، وأولى هذه الهجمات كانت في عام 1912 من قبل السفن والبوارج التابعة للقوات البحرية الإيطالية أثناء حربها مع العثمانيين، كما تعرضت في عام 1918 لقصف مدفعي شديد من قبل القوات البريطانية واستولت عليها، ثم سلمتها في عام 1921 إلى الأدارسة، وظلت تحت سيطرة الأدارسة حتى عام 1925 ، وتّم استعادتها مع بقية مناطق تهامة من قبل قوات الإمام يحي حميد الدين [4]. استمد ميناء الُلَحّية دوره المهم خلال فترة الدراسة، حيث كان يتم عن طريقه تصدير بعض منتوجات المنطقة، واستقبال عدد من السلع المستوردة، كما كان يوجد به جمرك لمراقبة السلع الصادرة والواردة، وفرض الرسوم الجمركية عليها [5].

كان لميناء الُلحّية دور تجاري في تصدير البن اليمني، والذي كان يأتي من المناطق الجبلية، ويتم تصديره من الُلحّيِة إلى ميناء جدة القريب منه مما كان يقلل من تكاليف شرائه ونقله، ذلك مما شّجع الكثير من التجار على شرائه من الُلحّيِة وشحنه إلى ميناء جدة، ومن ثم إلى مصر وتركيا [6].

1- العزعزي، مرجع سابق، ص 82 – 83 .

2 - المقحفي، مرجع سابق، ص 548 .

3 - الجهاز المركزي للإحصاء والتخطيط، المسافات بين مركز المحافظة والمديريات، محافظة الحديدة ، ص 84 . يرجع تاريخ بناء المدينة إلى أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وقد تطورت حتىأصبحت ميناءاً مهماً على ساحل البحر الأحمر خلال القرن الثامن عشر الميلادي، حيث أشار اليها نيبور خلال رحلته إلى اليمن عام 1763، وقال أن أول ميناء هام إلى الجنوب مرجيزان هو ميناء الُلَحيّة، وهو أحد موانئ الإمام من جهة الشمال.أنظر: الصائدي، المادة التاريخية في كتابات نيبور، مرجع سابق، ص 178 .

4- صحيفة اليمن، الجمهورية اليمنية، الأحد 14 ربيع الأول 1431هـ / 28فبراير(شباط) 2010م، ص 13.

5-المركز الوطني للوثائق، وثيقة توضح أسماء ومقررات موظفين جمرك الحديدة والُلَحيّة، ملحق رقم (13).

6- الصائدي، المادة التاريخية في كتابات نيبور، مرجع سابق، ص 167 .

اشتهرت اللُحَيّة بصناعاتها التقليدية والحرفية القديمة، كالصناعات الفخارية، وصناعة القوارب الصغيرة، كما تميزت بمعالمها الأثرية كالقلاع والحصون الدفاعية التي تطل على ميناء اللُيَحّة من أهم هذه القلاع قلعة المسيلة، والدوم الحمراء، وقلعة النعمان، وقلعة الكتف ، وقلعة القفل[1].

هـ- ميناء الخوخة :

الخُوْخَة: بضم الخاء المعجمة الأولى، وفتح الثانية وسكون الواو، إحدى القرى والموانئ الساحلية على البحر الأحمر[2]. تبعد عن مدينة الحديدة بمسافة 164كم جنوباً ، وعن مدينة حيس 28 كم غرباً [3]؛ كانت تُعرف قديماً بالخَوِهَه بفتح الخاء وكسر الواو، وفتح الهاء الأولى وآخرها هاء، ثم حرفت الكلمة وآلت تصحيفاً إلى لفظها الحالي الخوخة [4]. والخوخة في اللغة العربية تعني: الكوة (الثقب) في الجدار الذي يؤدي إلى الضوء[5].

يُعد ميناء الخوخة من الموانئ الصغيرة الذي أُستخدم خلال فترة الدراسة لتصدير الحبوب والجلود والأسماك، كما كانت ترسو فيه بعض السفن الشراعية الصغيرة، وكان يوجد به جمرك لفرض الضرائب على الصادرات والواردات يديره مجموعة من الموظفين[6].

تتميز منطقة الخوخة بشواطئها الطويلة والمتعددة [7]، كما تتميز بتوافر المياه العذبة القريبة من شواطئها، وعلى عمق بضعة أمتار من سطح الأرض، وتغطي شواطئها أشجار النخيل والدوم الذي يُصنع منه الحصير[8].

وإلى جانب هذه الموانئ فقد وجدت موانئ صغيرة (مرافئ) استعملت للنقل الداخلي على سواحل البحر الأحمر، ومراسي لقوارب الصيادين ومن أبرزها مرفأ ميدي وابن عباس[1].

1- صحيفة اليمن، مرجع سابق، ص 13.

2- الحجري، مرجع سابق، مج1، ج2، ص312.

3- الجهاز المركزي للإحصاء والتخطيط، محافظة الحديدة، مرجع سابق، ص 84 .

4- لطف، مرجع سابق، ص25.

5- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح، ضبط وتصحيح/ سميرة خلف الموالي، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت ، (د.ط)،(د.ت) ،ص 148 .

6- المركز الوطني للوثائق، وثيقة توضح أسماء ومقررات موظفي جمرك الخوخة، ملحق رقم (14).؛ الويسي ، مرجع سابق ، ص 105 .

7- من أهم شواطئها ، القطابا، والكداح ، وأبو زهر ، وشاطئ الحبشة ، والمحرق ، وشاطئ العنبرة .

8- صحيفة 26 سبتمبر، الجمهورية اليمنية، ع(1275)، بتاريخ 10 أغسطس (آب)، 2006م، ص 26.

4- **الضرائب الجمركية على السلع التجارية في تهامة :**

شكلت إيرادات الضرائب الجمركية على السلع التجارية، فضلاً عن إيرادات الضرائب الزراعية والحيوانية التي سبق التحدث عنها، المصدر الرئيس لخزينة الدولة خلال فترة الدراسة. وكانت الضرائب الجمركية في تهامة تؤخذ على الشكل التالي :

1- ضرائب الصادرات: تؤخذ بنسبة 10% من قيمتها، وبخاصة على الأنواع التي كانت تشجع الحكومة على تصديرها كالبن والقطن والجلود [2]، ويورد العطار تحديداً أدق لضريبة هذه السلع حيث يشير إلى أن ضريبة البن والقطن ريال عن كل فراسلة، والجلود ريال عن كل كورجة . أما المنتوجات الأخرى مثل الحبوب والفواكه فإن رسم التصدير كان يُقدر بواقع 2,5 % من قيمتها، وذلك راجع إلى قلة تصديرها [3].

2- ضرائب الواردات: تؤخذ بنسبة 10% على السلع الأساسية الاستهلاكية، كالمواد الغذائية والمنسوجات، و20% على الكماليات [4]. إضافة لذلك كانت تفُرض رسوم تحت مسميات عدة منها رسوم المصالح الإجتماعية، والتي تسمى في عصرنا الحالي برسوم الخدمات ويتم تحديدها على النحو التالي :

أ- أربع بقش عن كل ريال يدفع للحكومة كضريبة جمركية، بدعوى أنها توزع على الفقراء، والمدارس، وعابري السبيل.

ب- يفرض على كل كيس بضاعة خمس بقش كضريبة للدخول، وبقشتان لضريبة الصحة، وخمس بقش أخرى مقابل توفير الحماية في الطرق والمدن، كما فُرضت ضرائب لصالح بناء الطرق وصيانتها، وكانت تسمى بضرائب الأخماس، وتؤخذ عن كل سيارة شحن للبضائع 18 ريال + 4 بقش عن كل ريال مدفوع، أما سيارات النقل فيدفع عنها 9 ريال + 4 بقش عن كل ريال مدفوع [5].

1- ترسيسي، مرجع سابق، ص 192 .

2- الكحلاني، مرجع سابق، ص 142 – 143 .

3- بن دغر، مرجع سابق ، ص 41 .

4- العطار، مرجع سابق، ص 242.

5- المرجع نفسه .

كما فُرضت رسوم جمركية على السلع التي تُنقل من منطقة إلى أخرى داخل البلد، وتتحدد قيمة الضريبة حسب نوعية السلعة، وهو ما ساعد على ضعف التبادل التجاري داخل أسواق تهامة[1]. وفرضت رسوم على المنازل والحوانيت (محل بيع السلع)، والأسواق، ورسوم على بيع المواشي (الحيوانات)وكان يُطلق عليها مشغلات [2].

ج. الطرق والمواصلات في تهامة :

أ- الطرق:

كانت الطرق في تهامة خلال فترة الدراسة بدائية رملية وحصوية غير معبدة، استخدمت لمرور الجمال والحمير والبغال، وقد اتسعت مع مرور الوقت بسبب مرور سيارات الشحن الكبيرة التي دخلت إلى اليمن في نهاية فترة الدراسة، ومن أهم هذه الطرق:

أولاً . الطرق البرية وهي نوعان[3]:

أ- الطرق الداخلية الفرعية التي تربط بين مدن وقرى تهامة، وهي عبارة عن مسارات ودروب صغيرة رملية وحصوية، غير مرصوفة، تطور بعضها نسبياً بحيث أصبحت فيما بعد ممراً لسيارات النقل، إلاّ أنّ وعورتها كانت تسبب بطئاً شديداً للسيارات، بحيث لا تتجاوز سرعتها مابين 10 -15 كم في الساعة، مما يتسبب في ارتفاع معدل استهلاك السيارات، وبالتالي ارتفاع قيمة تكلفة النقل .

وكان يتعرض معظمها في أغلب الأوقات للتخريب من قبل السيول والكثبان الرملية التي تقطعها، وكان يُقدر طول هذه الطرق في كل تهامة بنحو 551كم [4].

وأهم هذه الطرق الفرعية:

1- جولوبوفسكايا، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص81 .

2- الكحلاني، مرجع سابق، ص144 .

3 - ينظر ملحق رقم (8)، خارطة توضح أهم الطرق البرية في تهامة .

4 - جعفر، مرجع سابق، ص79.

1- طريق الحديدة ميدي: وهو طريق يربط بين كل مدن تهامة الشمالية، ويبلغ طوله 180كم، ويتفرع عنه طرق فرعية وهي: طريق فرعي يربط بين منطقة الزيدية بالصليف، والزهرة بالمعرص، والزيدية باللُحَّية، والزيدية بالمغلاف، وباجل بالمغلاف، وميدي بحرض .

2- أما في المناطق الجنوبية من تهامة فتربط بين أجزاءها بعض الطرق الفرعية أيضاً منها: طريق المنصورية السخنة، بيت الفقيه الدريهمي والجاح، زبيد التحيتا، حيس الخوخة، المفرق المخا، المخا باب المندب جنوباً [1].

ب- الطرق التي تربط تهامة بمناطق اليمن المختلفة، وغالباً ما كانت تنطلق من مدينة الحديدة أو تتجه إليها، باعتبارها أهم محطة في تهامة، وأهم هذه الطرق:

1- طريق الحديدة . معبر. صنعاء :

وهو طريق رملي حصوي، يبدأ من مدينة الحديدة ماراً بمدينة باجل، ثم يتجه شرقاً فيمر بمنطقة عُبال، ثم مدينة العبيد، ثم حمام علي في آنس، ثم بمعبر، ويصعد مرتفعاً إلى ممر المصنعة، ثم نقيل يسلح، ثم إلى صنعاء، يصل طول هذا الطريق إلى 340 كم [2].

2- **طريق الحديدة . مناخه . صنعاء :**

يبدأ من الحديدة ويمر بمنطقة المراوعة ثم باجل، ثم يصعد في الوديان والجبال المتعرجة، حيث يمر بوادي سردد، ثم خميس بني سعد، ثم القدم، فمناخه، فمفحق، فخميس مذيور، وبوعان ثم متنة، ثم عصِر حتى يصل إلى صنعاء [3].

يُعد هذا الطريق الوحيد الذي تّم رصفه بالإسفلت في نهاية فترة الدراسة من قبل جمهورية الصين الشعبية، حيث بدأ العمل فيه في عام 1959، وتّم إنجازه عام 1961. يبلغ طول هذا الطريق 226كم، وعرضه 8 أمتار، وهو ما جعل منه موضع نقد من قبل البعض، وهذا إنما يرجع إلى صعوبة المنطقة التي شُق فيها الطريق، التي كانت تحتوي على جبال شاهقة ومنعرجات عديدة،

---

1 - المرجع نفسه، ص 79 – 80.

2- ترسيسي، مرجع سابق، ص 184 .؛ فايان، كلودي: كنت طبيبة في اليمن ، تر/ محسن العيني، دار العودة ، بيروت، ط2 ، 1987، ص 65 – 71 .

3- الويسي، مرجع سابق ، ص 78 .؛ زكريا ، مرجع سابق ، ص 166 .

ترتفع أحياناً حتى تصل إلى 2600مترعن مستوى سطح البحر، ثم تنخفض إلى 2200 متر حيث مدينة صنعاء، وهو ما جعل العمل فيه شاقاً جداً [1].

3- طريق الحديدة . حجة :

وهو طريق رملي حصوي، يربط بين مدينة الحديدة وحجة، حيث يمر بمنطقة الزيدية، فالقناوص، ثم منطقة الطور، ثم سوق الأمان بوادي عّيان، حتى يصل حجة، يبلغ طول هذا الطريق 180كم [2].

4- طريق الحديدة . تعز:

يبدأ من الحديدة باتجاه الجنوب، حيث يمر بالمنصورية، ثم بيت الفقيه، فزبيد، فحيس، ثم وادي الزراعي، ثم بهجرة وادي الحضيان حتى يصل تعز، يصل طول هذا الطريق إلى 240 كم [3]. كان هذا الطريق ممراً للبغال والحمير والجمال، قد تّم رصف هذا الطريق بالإسفلت عام 1969 عن طريق شركة سوفيتية [4]. وكان هناك طريق آخر يمر عبر الساحل من تعز إلى الحديدة، حيث يبدأ من تعز مروراً بهجدة والبرح، ثم المخا، ثم حيس فزبيد حتى يصل الحديدة[5].

ثانياً . الطرق البحرية وتتمثل بما يلي :

1- طريق بحري يربط بين ميناء الحديدة وميناء عدن، حيث يبدأ من الحديدة ويمر بميناء المخا، ثم جيبوتي ثم بمضيق باب المندب حتى يصل إلى ميناء عدن [6].

2- طريق بحري يربط مابين ميناء اللُحَّية وميناء جده، وكان يتم عن طريقه تصدير البن اليمني إلى جده، ومن ثم إلى مصر وتركيا [7].

3- طريق بحري يربط بين ميناء المخا وميناء عصب في اريتريا، ويتم عن طريقه تصدير الجلود والحبوب، والبن إلى دول القرن الإفريقي[8] .

ب ــ المواصلات:

1- العطار، مرجع سابق، ص 58.

2- الويسي، مرجع سابق، ص 126 .

3- ترسيسي، مرجع سابق، ص 181 – 184 .

4- جعفر، مرجع سابق، ص 79.

5- الويسي، مرجع سابق ، ص 57 .

6- العطار، مرجع سابق، ص 57.

7- الخطابي، مرجع سابق، ص 183.

8- أبونتي، مرجع سابق ، ص19 .

1- وسائط النقل البري في تهامة :

كانت أغلب وسائط النقل البري في تهامة تقتصر على الجمال والحمير والبغال، حيث تُعد الجمال الوسيلة الأساسية لنقل المؤن والسلع والمسافرين خصوصاً للمسافات الطويلة، أما الحمير فقد استخدمت للمسافات القصيرة، كان يقوم بعملية النقل الطويل أصحاب الجمال (الإبل)، ويُعرفون بالجّمالة وكانوا يتخذون من هذه العملية حرفة يعتمدون عليها في حياتهم المعيشية، وقد وجدت بالمدن الرئيسية في تهامة محطات خاصة لقوافل الجمال، تكون على استعداد للتحرك في حالة وجود المسافرين أو البضائع إلى محطة أخرى[1].

كما كان يتم عن طريق الجِمال نقل السلع والبضائع الواردة إلى موانئ تهامة وتوصيلها إلى المناطق الداخلية، والعكس حيث تقوم هذه الجمال بنقل السلع المراد تصديرها إلى الموانئ، حيث يشير أحد الباحثين أنّه في عام 1929 جاءت إلى الحديدة من المناطق الجبلية (ويقصد بها المناطق المحيطة بالحديدة)، 12 ألف جمل محملة بالبن، و1150 جمل محملة بالجلود لتصديره إلى الخارج [2]. ويتم بواسطة الجَمّال (قائد القافلة)، تسلم البضاعة من التاجر (البائع)، ونقلها على ظهور الجمال لإيصالها إلى الزبائن(أصحاب الحوانيت الصغيرة)، كما يقوم الجَمّال باستلام قيمة السلع وإيصالها إلى التاجر[3]. أي أن الجَمّال كان يقوم بمقام الوكيل المعتمد من قبل الطرفين مقابل أجرة توكيله.

ومن وسائط النقل البري التي اُستخدمت خلال فترة الدراسة السيارات، وكانت قليلة العدد، حيث لم تنافس عملية النقل بالجِمال إلاّ بعد الحرب العالمية الثانية، وتركز وجودها في المدن الرئيسية، أما القرى والأرياف فلم يكن لها وجود فيها، لأن السيارات كانت محتكرة من قبل مجموعة من الأفراد، تمثلت في العائلة المالكة وبعض التجار في تهامة وعلى رأسهم الجبلي وكيل الإمام التجاري، وبهذا الصدد تقول الطبيبة الفرنسية كلودي فايان أثناء رحلتها إلى اليمن ووصولها إلى الحديدة : ((وقد احتكر النقل في جميع أنحاء البلاد صاحب الجلالة الإمام والجبلي، وهما

1- الجعيدي، مرجع سابق، ص127 .

2- بولدري، مرجع سابق ، ص 71 .

3- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص135.

يمتلكان أغلب سيارات النقل، أما التجار الآخرون الذين يمتلكون بعض السيارات،فلكي يُسمح لهم بشحن البضائع ونقلها لاّبد أن يُسجّلوا أنفسهم أولاً، وأن ينتظروا دورهم)) [1].

كانت معظم هذه السيارات من طراز فورد ذات العجلات الكبيرة، والصندوق الخشبي المكشوف، وللتدليل على ذلك يصف لنا الرحالة السوري نزيه مؤيد العظم إحدى هذه السيارات أثناء زيارته لليمن وهو في طريقه من الحديدة إلى صنعاء لمقابلة الإمام يحي حميد الدين قائلاً : ((أمتطينا السيارة على بركة الله، وكانت في مجموعها سيارة دولية، من مصنوعات معامل فورد، كانت عجلاتها الأمامية من صنع إيطاليا، وكاتشوكها (الماكينة الداخلية) من صنع فرنسا، وواحدة من العجلات الخلفية إنكليزية أما الأخرى فكانت أمريكية، وصندوقها الخشبي وسقفها كانا مصنوعين من بقايا صناديق زيت الكاز)) [2] .

ويبدو أن هناك نوعاً من المبالغة في هذا الوصف، إلاّ أّنه يقترب نوعاً ما من حقيقة الوضع الذي كانت تعيشه البلاد خلال فترة الدراسة. ولوعورة الطرق كانت تتعرض هذه السيارات لحوادث التدحرج، والسقوط من أعالي الجبال، مما يؤدي إلى إزهاق أرواح كثير من المواطنين.

2- وسائط النقل البحري :

أما في مجال النقل البحري، فقد أُستخدمت القوارب الصغيرة والسنابيك لنقل الركاب والبضائع بين السواحل القريبة، وكانت حمولتها قليلة، ذلك لصغر حجمها، ولأنها كانت تعتمد في حركتها على المجهود البشري بواسطة المجاديف [3]، كما يتم بواسطتها نقل السلع من السفن الكبيرة التي ترسو على بعد كيلو مترات من البر، وتوصيلها بالقرب من الشاطئ، حيث يتولى الحمّالون إيصالها إلى الرصيف[4].

أما في مجال النقل البحري الخارجي، فقد استخدمت البواخر لنقل السلع والبضائع الثقيلة، وكانت حلقة الوصل بين الموانئ اليمنية في تهامة والموانئ الخارجية، وقد امتلكت اليمن خلال فترة الدراسة باخرتين لنقل بعض صادرات وواردات اليمن، كانت تتبع الإمام ووكيله التجاري الجبلي،

1- فايان، مرجع سابق، ص 63 .

2- العظم، مصدر سابق، ص 42- 43.

3- العظم، مصدر سابق، ص 127 .

4- الشرجبي، الشرائح الإجتماعية ، مرجع سابق ، 48- 49 .

تبلغ حمولة كل منهما 300 طن و 900 طن [1]. أما بقية صادرات وواردات اليمن فكانت تُنقل على بواخر أجنبية مستأجرة [2].

3- **وسائط النقل الجوي :**

أما النقل الجوي فكان يتم بواسطة طائرات محدودةجداً ، وفي إطار خدمة الأسرة الحاكمة وموظفيها، حيث كانت مهمة الطائرات خلال فترة الدراسة نقل كبار الموظفين والتجار، ووفود الحكومة في المهمات الداخلية [3].

أما في مجال النقل الجوي الخارجي فقد قامت السلطة في عام 1950، وتحت ضغط المعارضة لإخراج البلاد من العزلة بتسيير رحلات جوية غير منتظمة بين كل من عدن وصنعاء وتعز والحديدة، وبدأت بعض شركات الطيران الإفريقية ترسل رحلات شبه منتظمة إلى اليمن، وفي عام 1952 بدأت بتسيير رحلات جوية مابين صنعاء وجده والقاهرة، وفي عام 1957 بادرت سوريا وبهدف مساعدة اليمن في الخروج من عزلته بافتتاح خط جوي بين دمشق وصنعاء [4].

أما المطارات فقد وجدت ثلاث مطارات في كل من صنعاء وتعز والحديدة، وكانت هذه المطارات عبارة عن أرض ترابيةتُعاني من ضعف الإمكانيات، وتموين الطائرات بالمحروقات بما فيها مطار الحديدة، وتفتقر إلى أبسط مقومات النظام والأمان وشروط السلامة، ونظراً لعدم توفر الأنوار فيها، وافتقارها إلى الخدمات الأرضية، كالأرصاد والمراقبة لذا لم تستخدم إلاّ نهاراً فقط[5].

أما وسائط الاتصال الأخرى، فقد اعتمدت اليمن ومنها منطقة تهامة بعد خروج العثمانيين على ما خلفوه في مجال الاتصالات السلكية، وهو التلغراف حيث أستخدمه الإمام لصالحه من خلال متابعة أمور الدولة وضبطها، وإصدار الأوامر والتعليمات الإدارية، واستقبال التقارير من موظفيه في الألوية أو الشكاوي من المواطنين [6]، حيث كان الإمام يتيح للمواطنين الاستفادة من هذه الخدمة إذا أرادوا التعامل معه، فقد كان بإمكان أي مواطن أن يبعث بتلغراف إلى الإمام في

1- العطار، مرجع سابق، ص 57.
2- الدهي، مرجع سابق، ص229 .
3- العطار، مرجع سابق، ص 58 – 59.
4- بن دغر، مرجع سابق ، ص 51 – 52 .
5- الشرجبي، الشرائح الإجتماعية ، مرجع سابق ، ص 49 .
6- المرجع نفسه، ص 49- 50 .

صنعاء بشرط أن يدفع تكاليفه وتكاليف الرد عليه (1). ونتيجة لذلك فقد كان الاتصال بين مناطق تهامة والمناطق الأخرى في اليمن محدودة جداً ومتخلفة، أما الاتصال بين مدن تهامة بعضها البعض فتكاد تكون مقطوعة، وإذا وجدت فإنها تمارس بوسائل بدائية ومتخلفة جداً .

أما الخدمات البريدية فقد ظلت خلال فترة الدراسة في تهامة بدائية ومتخلفة، تعتمد في نقلها على الحيوانات كالحمير والجمال والبغال، وتحت إشراف مدراء الأقضية والنواحي، ويرجع ذلك لانعدام الطرق الحديثة المعبدة (2). وكانت تقتصر هذه الخدمات على أشياء تقليدية ترتبط بحياة المواطنين والدولة، مثل الرسائل العادية وبعض السلع الخفيفة، وكانت الرسالة تمكث شهراً أو أكثر حتى تصل لصاحبها، وكثيراً ماكان يتم فتح الرسائل ومعرفة محتوياتها (3).

ويبدو مما سبق أن تخلف وبدائية وسائل الاتصال، وانعدام الأمن، وبدائية الطرق، وانعدام المؤسسات المالية والمصرفية في تهامة خلال فترة الدراسة ساهم مع عوامل أخرى في تكريس حالة التخلف والجمود الاقتصادي والاجتماعي التي شهدتها المنطقة، كما وقفت عائقاً أمام نمو واتساع الحركة التجارية، حيث حالت دون نشوء فئة تجارية مؤثرة، عدا الذين ارتبطوا بالسلطة السياسية، وعملوا على احتكار التجارة الداخلية والخارجية، كما انعكس هذا التخلف على صادرات المنطقة التي اتسمت بالضعف، وكانت عبارة عن صادرات زراعية وحيوانية . وهذا كله أدى إلى بقاء اليمن متخلفاً عن استثمار إمكانياته الاقتصادية الغنية بما يبرز دور هذه القطر الحضاري عبر العصور، في زمن نحن(كعرب) أحوج لأن نكون أقوياء بما لدينا من موارد تفوق حتماً موارد الغرب الطامع بكل ما نملك .

1- بن دغر، مرجع سابق، ص 53 .

2- مقابلة شخصية مع أحد المُعمرين في تهامة، بتاريخ 18/6/ 2009.

3- بن دغر، مرجع سابق، ص54 .

الباب الثاني

الحياة الاجتماعية في تهامة اليمن خلال حكم أسرة آل حميد الدين (1918- 1962) :

الفصل الأول

التركيبة الاجتماعية في تهامة اليمن :

1- السادة.

2- القضاة.

3- كبار الملاك والشيوخ.

4- التجار.

5- الفلاحون.

6- الحرفيون وأرباب المهن.

7- العبيد والخدم.

تعكس البنية الاقتصادية (المادية) بحسب طبيعة وسائل الإنتاج فيها التي أبرزت الدراسة مدى تخلفها وحفاظها على نمطها العثماني القديم، واقع البنية الاجتماعية وتركيبتها، وعناصرها، وكيفية تفاعلها من جراء حركتها الجدلية (أي تأثيرها وتأثرها) وانعكاس ذلك على واقع الحياة بكل تنوعاتها الفكرية والسياسية والعسكرية .

ومن الجدير ذكره بأن تركيبة المجتمع في اليمن ومنها تهامة لم تتغير كثيراً خلال فترة الدراسة، عما كان خلال الفترة العثمانية، بل كان للعثمانيين دورهم في الحفاظ على بنية المجتمع، كما كان للحكام الذين توالوا على اليمن من خلال القوى الاستعمارية(بريطانيا تحديداً) دور في بقاء هذه التركيبة الاجتماعية، وذلك خدمة لمصالحهم، وهو ما أدى إلى ترسيخ مفاهيم القبيلة من جهة، ومفاهيم المجتمع التقليدية من عادات وتقاليد بالية، بل والحفاظ عليها، لاسيما الأفكار التي ألبست بالدين، واستخدمت لتفرض على الناس قسراً .

لذلك اتسم المجتمع اليمني بغلبة المكون القبلي، وتأثيره الفاعل في الحياة الاقتصادية والسياسية حيث: ((مثلت القبيلة إلى حد كبير، ثقافة وهوية وأسلوب الحياة عبر التاريخ اليمني))[1]. كما ضمت التركيبة الاجتماعية اليمنية إلى جانب القبيلة، مجموعة من الفئات المختلفة الآتي ذكرها، التي كانت تتفاعل تحت ظل النظام القبلي وخلاله، في إطار حياة المجتمع العامة، أو على هامشه .

كان للنظام القبلي الذي تميز به اليمن خلال مراحل تاريخه، والعزلة الداخلية الناجمة عن طبيعة التضاريس، والعزلة الخارجية التي فرضتها السلطة الإمامية على اليمن خلال فترة الدراسة، فضلاً عن معارضة السلطة لكل تحديث، دور كبير في بقاء واستمرار هذا التقسيم القبلي

---

1 – الفقيه ، عبدالله : البنية الاجتماعية وانقسام النخبة الحاكمة في اليمن ، http/www. Alahale. Net, 25/2/2011

والمناطقي البنيوي في اليمن [1]. وتُعدّ تهامة جزء من المجتمع اليمني فقد انقسم السكان فيها إلى فئات عدة على النحو الآتي:

1- السادة 2- القضاة 3- الملاك والشيوخ 4- التجار 5- الفلاحون 6-الحرفيون وأرباب المهن 7- العبيد والخدم.

أولاً - فئة السادة [2] :

ينتسب السادة إلى النبي محمد (ص) من ابنته فاطمة زوج علي بن أبي طالب[3].

إن هذا العامل السلالي، والانتماء الديني لهذه الفئة جعلها تحظى بمكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع، ولذا يمكن اعتبار تلك المرتبة الاجتماعية التي تحظى بها هذه الفئة، إنّما هي فرز مباشر للعاملين الديني والسلالي الذّين أعطياها أحقية السلطة الدينية والسياسية، فضلاً عن الاحترام والتقديس أحياناً [4] .

عمل السادة منذ قدومهم إلى اليمن[5] على خلق هالة دينية، عززت مكانتهم الاجتماعية والسياسية، وقد بالغوا في ذلك، حتى أدعى عدد منهم القداسة كوسيلة لتثبيت نفوذهم في تهامة، وحرصوا على إتباع عادات وتقاليد منها[6]:

أ-مخاطبة الشخص من هذه الفئة سواءًكان صغيراً أو كبيراً بكلمة (سيدي)، وللأنثى

---

1 - شاهر، خالد عبد الجليل: البنية الاجتماعية التقليدية في اليمن، مجلة دراسات يمنية، ع (43)، 1411هـ/ 1991م، ص 220- 221. ؛ سالم، تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، ص 440.

2 - تعني كلمة السيد في اللغة: الرئيس، والإمام في الخير، والذي يفوق غيره بالعقل، فيُقال ساد قومه يسودهم سيادة وسؤدداً فهو سيد. أنظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج3، ص 231 . ومن الجدير ذكره أن السادة هم الذين ينتسبون إلى الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أما الأشراف هم الذين ينتسبون إلى الحسن بن علي بن أبي طالب .

3 - الصائدي، حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص82.

4 - الغليسي، سعيد حميد : اليمن الجمهوري (الأوضاع السياسية والاجتماعية 1962- 1970م) ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب – جامعة صنعاء ، 2008م ، ص 84 .

5 - قدِم السادة إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، على إثر استدعاء بعض القبائل اليمنية لأحد كبار الفاطميين وهو يحي بن الحسين بن القاسم الرسي ، لحل بعض الخلافات القبلية في منطقة خولان، وقد تمكن يحي بن الحسين من نشر مذهبه الزيدي ومن ثم إقامة دولة الأئمة الزيديين والتي حكمت اليمن حتى عام 1962م. أنظر: المقر مي، مرجع سابق ، ص 175- 176 .

6 - الصائدي، مرجع سابق، ص84.

(ياستي)[1] . هذه الألقاب في معناها لم تكن تحمل مجرد المعنى العربي المألوف، بل تدل على السيادة، وتعبر عن وضع متميز لفئة من السكان تتمتع بحقوق السيادة السياسية والاجتماعية، وأن عدم الالتزام بهذا التقليد عند التخاطب معهم، يُعدونه إهانةً لهم، وانتقاصاً من مكانتهم[2] .

ب- طريقة أسلوب التحية والمصافحة عند مقابلة أحدهم، حيث جرت العادة بأن على الفرد عند مقابلته لأحد السادة أن يقبل يده وركبتيه، وليس من الضرورة أن يرد السيد بالمثل، بل يكتفي بوضع يده على كتف الشخص المنحني أمامه [3].

إلاّ أنّ هذا المظهر التقليدي يختلف تطبيقه باختلاف مكانة ونفوذ السيد، فهو يطبق بحذافيره بالنسبة للإمام وأفراد الأسرة المالكة، وكبار الشخصيات الإدارية والسياسية من السادة من قبل بقية فئات المجتمع الأخرى. أما بالنسبة لأفراد الفئات العليا من غير السادة كالمشايخ والقضاة وكبار التجار، فيتم التصافح بينهم وبين السادة بتقبيل الأيدي فقط، إنّ هذه الطريقة في المصافحة ما هي إلاّ انعكاساً للجهل، وتدني مستوى الوعي الاجتماعي لدى عامة الناس، وقد اختفت هذه الظاهرة في الآونة الأخيرة نتيجة انتشار التعليم وتطور الثقافة وخاصة بعد ثورة سبتمبر/أيلول 1962.

ج – في حالة دخول أحد السادة إلى ديوان أحد الأفراد [4]، فإنه يتوجب على الحاضرين مهما كانت مكانتهم الاجتماعية، إخلاء صدر الديوان للسيد مهما كان وضعه الاجتماعي أو الاقتصادي.

د – إذا صادف أن مرّ أحد الفلاحين أو الخدم، وبصحبته قطيع من الغنم أو الماعز في أرض لأحد السادة ، فإن هذا الشخص يقوم بحمل أحد الأغنام على ظهره، وذلك تعبيراً عن استعداده لأخذ كل الأغنام التي بحوزته على ظهره لو استطاع، حتى لا تطأ بأقدامها أرض السيد[5] .

---

1 –مكاكان يطلق على نساء السادة، أسماء أزواجهن، فمثلاً زوجة السيد محمد تُنادى بـ (سيدي محمد)، بدلاً من اسمها الحقيقي أو السيد عبد الله. أنظر: جوهر، حسن محمد، وآخرون : اليمن ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 110 .

2 – الشرجبي ، الشرائح الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص 148 .

3 – الشرجبي، الشرائح، مرجع سابق، ص 148- 149 .

4 – الديوان : غرفة طويلة واسعة ، تخصص في تهامة لاستقبال الضيوف، أو المقيل وتناول مضغ أوراق القات، ويهيأ في أحد أركانها المواجه للحضور، مكان شرف لكبار الضيوف .

5 – الشرجبي ، الشرائح ، مرجع سابق، ص 149- 150 .

وعلى الرغم من هذه المظاهر التقليدية التي تعظم مكانة السادة خلال فترة الدراسة ،إلاّ أّنه يمكن القول أن الكثير من أفراد هذه الفئة كانوا متواضعين في التعامل مع الآخرين، وكان البعض منهم يرفض مثل هذه التقاليد تواضعاً منه، وقد اختفت هذه المظاهر التقليدية، وأصبح الناس متساوون في الحقوق والواجبات أمام القانون .

ومما زاد من احترام هذه الفئة خلال فترة الدراسة وزيادة قدرهم، وتعزيز مكانتهم الاجتماعية، ارتفاع نسبة التعليم والثقافة في أوساط بعض عائلاتهم، والتي كانت مرجعاً في قضايا الدين والشريعة، فضلاً عّما كانوا يقومون به من إصلاح ذات البين بين أفراد المجتمع والقبائل المتنازعة، ذلك مما جعلهم أن يكونوا طرفاً محايداً بحكم عدم انتسابهم إلى التكوينات القبلية، وقد ساعدهم هذا الدور على أّن يمارسوا سلطتهم السياسية فضلاً عن سلطتهم الروحية[1] .

فعن طريق هذه السلطات استطاعت بعض أسر السادة في تهامة، أن تكّون لنفسها ثروات كبيرة، وبالذات من الأراضي الزراعية، وأن تنتقل إلى صف كبار ملاك الأراضي في تهامة، أبرز هذه الأسر: أسرة هادي هيج في منطقة الواعظات، التي امتلكت حوالي 15750 هكتاراً من الأراضي الزراعية [2] . كما حصلت بعض الأسر على الكثير من الامتيازات، كأسرة الأنباري في زبيد التي استطاعت الوصول إلى السلطة في عهد الدولة العثمانية، حيث منحتها الأخيرة بعض الامتيازات منها، إعفاءها من دفع زكاة بعض الأرضي الزراعية، والتي كانت تقدر بخمسين معاداً [3]، وظلت هذه الأسرة تحكم زبيد خلال فترة الدراسة حتى قيام ثورة سبتمبر/أيلول 1962 .

ومن أجل الاحتفاظ بنقاء انتسابهم، وبالتالي الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية التي يتمتعون بها، فإنهم ألزموا أفرادهم على الزواج الداخلي فيما بينهم، فالسيد لا يتزوج إلاّ بسيدة أو شريفة وبالعكس، هذه القاعدة في الزواج لدى أفراد هذه الفئة تقوم على مسالة الكفاءة في الزواج، بمعنى أن الرجل لا يجوز له أن يتزوج من هي أقل منه نسباً من الفئات الأخرى، إلاّ أّن هذه القاعدة قد يحدث فيها بعض التجاوزات، فهي مقبولة بعض الشيء للذكور من السادة بالزواج من غير سيدات، وخاصة

---

1 – أبو غانم، مرجع سابق، 214 – 215.

2 – العطار، مرجع سابق، ص 124.

3 – ينظر الوثيقة المتضمنة إعفاء أسرة الأنبا ري من ضريبة بعض الأراضي الزراعية في تهامة، ملحق رقم (15).

من أسر القضاة والمشايخ والتجار، إلاّ أّنها بالنسبة للإناث غير مقبولة، حيث يحظر على السيدات الزواج من غير السيد، إلاّ في حالات نادرة ، تواجه بالانتقادات والسخط من قبل أفراد هذه الفئة[1].

إن هذا التساهل الذي يسمح أحياناً للذكور بالزواج من غير السيدات، والتشدد على نساء هذه الفئة بالزواج من غير أبناء شريحتها، يثير علامة استفهام وهي لماذا التساهل مع الذكور (بحكم سيادة المجتمع الذكوري) ، والتشدّد مع الإناث ؟ إن الإجابة على هذا التساؤل تكمن بأن السيد الذي يتزوج من فتاة من غير أبناء فئته، أن أولاده من هذه المرأة يحصلون على لقب سيد ويتوارثونه، كما يحصلون على جميع الامتيازات المتعلقة بالانتماء إلى هذه الفئة، وفي ذلك يرى أفراد هذه الفئة بأنه ليس هناك ضرر من هذا الزواج مادام الأبناء سيرثون اللقب، والمكانة الاجتماعية . أّما إذا تزوجت شريفة من غير سيد فإن أبناءها سيفقدون اللقب والامتيازات الأخرى، وذلك بأن الولدلا يُنسب إلاّ لأبيه، وهو ما يجعلهم يتشدّدون في ذلك ويحافظون على مكانتهم الاجتماعية .

ومّما تجدر الإشارة إليه أن نظرة أفراد المجتمع القبلي لهذه الفئة، تقوم على عدم التفرقة بين السيد الغني والفقير، وكذا الشخص الذي يملك سلطة سياسية، والشخص الذي لا توجد له أية سلطة سياسية، حيث أن الكل يتمتعون بحق الحماية القبلية ؛ لأن الشروط الاجتماعية والدينية، والسياسية التي منحوا بموجبها الحماية والرعاية تنطبق على كل فرد من أفراد السادة [2] .

يطلق على السادة تسميات متعددة منها أهل البيت، الهاشميون، الأشراف، كما كان كثيراً من السادة في تهامة يحملون لقب (مَنصِب)[3]،والذي يُعد مرجعاً في الأمور المهمة، والمشاكل الاجتماعية، ويحظى بامتيازات عدة، حيث تقدم له بعض النذور، ويعفى من الضرائب[4] .

كان لقب المنصب يتوارث بين أفراد العائلة في تهامة، وهو ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله: ((أن الوظيفة أو المنصب عند العرب وراثية وانتخابية في آنٍ واحد، سواء كانت دينية، أو زمنية، فالشيخ أو السلطان والإمام أو المنصب... ينتخبون من العائلة التي تقلدت هذه الوظيفة

---

1 – الشرجبي، مرجع سابق، ص 139 – 140 .

2 – أبو غانم، مرجع سابق، ص 220 – 221.

3 – المنصب في اللغة : الأصل والمرجع فيقال نصاب الشئ أصله، والمنصب الأصل . أنظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج1، ص 758 .

4 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص164.

وراثياً)) [1] . ومن أبرز من لقبوا بهذه الألقاب خلال فترة الدراسة في تهامة السيد يحي بن أحمد البحر (منصب المنصورية) ، والذي على يديه حُسم الصراع بين الإمام يحي وقبيلة الزرانيق عام 1928، والسيد أحمد عبد الباري الأهدل منصب المراوعة [2] .

لم تكن الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للسادة في تهامة على مستوى واحد، بل تفاوتت مابين أسر غنية، وأخرى فقيرة، حيث حصلت بعض الأسر كما أشرنا على مكانة سياسية واجتماعية لدى السلطة، فتولت بعض المناصب الإدارية في أجهزة الدولة، وقد استغلوا هذه المناصب في تحسين أوضاعهم الاقتصادية، وكونوا لأنفسهم ثروات كبيرة، وكانوا يُعدون من كبار ملاك الأراضي الزراعية في تهامة [3] .

في حين كان البعض منهم يعيش حياة اقتصادية متواضعة، والبعض منهم يعاني من الفقر، كما عمل البعض منهم في مزاولة مهنة التدريس في المدارس الدينية التابعة للمساجد، وفي المعلامات(الكتاتيب)، وعمل البعض منهم في أعمال غير وظيفية كوكلاء شريعة(محامون)، وتحرير العرائض والخطابات والشكاوي، وتحرير العقود المختلفة(كالبيع والشراء والزواج)[4].

كما عمل بعض السادة في مزاولة مهنة الطب الشعبي، مستغلين جهل الناس، واعتقادهم بكراماتهم، وقدرتهم على شفاء المرضى، وقد حصل البعض منهم على أموال كثيرة بمزاولة هذه المهنة [5] .

تتوزع فئة السادة في تهامة على أسر عدة، تختلف فيما بينها من حيث الشهرة والمكانة، ومن أبرز النماذج عن أسر السادة في تهامة مايلي :

1- آل الأهدل (بنو الأهدل):

يُعد آل الأهدل من أكبر أسر السادة في تهامة، وترجع بداية وجودهم في تهامة إلى أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وينسبون إلى الشيخ علي بن عمر الذي سكن في

---

1 - Sergeant, R.B ((The interplay between tribal Affinities and religious (Zaydi) authority in the Yemen. P. 50

2 - زباره، محمد: نيل الحُسنيين بأنساب من باليمن من بيوت عِترة الحسنين وغيرها من بيوت العلم والزهد والصلاح والرئاسة اليمنية، مكتبة المعارف، الطائف، (د.ط) ،(د.ت)، ص 402 .

3 - الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، مرجع سابق، ص 45- 45 .

4 - الشرجبي، مرجع سابق، ص152- 153 .

5 - المرجع نفسه، ص 153 .

مدينة المراوعة، واشتهر بعلي الأهدل [1] . ويرى بعض المؤرخين أن سبب تلقيبه بالأهدل، يرجع إلى ماكان عليه الشيخ علي بن عمر من الصلاح والتقوى، وأنه كان يدعوا الناس إلى الخير ويدلهم عليه، ولكثرة من اهتدى على يديه أُطلق عليه وصف علي على الإله دل، ولكثرة الاستعمال لهذا الوصف، وتأثير استسهال اللفظ المتداول لصعوبة النطق، بتركيب الاسم واللقب، اُختصرت الكلمة إلى علي الأهدل، وأصبح اللقب كلمة واحدة ، وهو ما ُعرف به [2] .

بينما يرى آخرون أن الأهدل لقب تشريف وتكريم ومعناه الأدنى والأقرب في ُقال َهدَل الغصن إذا دنا وقرب ولان ثمره، وفيه إيماء إلى ماكان عليه الشيخ علي الأهدل من كمال التواضع لله تعالى وللناس، لذا لُقِّبَ بالأهدل [3]. وهذا الرأي كما يبدو في مضمونه لا ينافي ما تقدم من الرأي السابق، أن أصل كلمة أهدل تعني على الإله ّدل، لأنه من ّدل الناس على الله بقوله وعمله ، يكون قريباً من الله متواضعاً له ولعباده .

ويتفرع السادة بنو الأهدل في تهامة إلى فروع عدة أبرزها :

1- آل البطاح في مدينة زبيد: اشتهروا بالفضل والصلاح، وكثرة العلم، وبخاصة في العلوم الشرعية،وبرز منهم عدة علماء على رأسهم السيد يوسف بن محمد البطاح الأهدل، الذي ألّف عدة كتب أبرزها كتاب إفهام الإفهام بشرح بلوغ المرام في الحديث [4]، والشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن أحمد بطاح الأهدل، والشيخ العلامة محمد صديق البطاح، الذي عمل في التدريس في أربطة زبيد خلال فترة الدراسةوكان يُ عد من كبار علماء الحديث في زبيد، ومن بعده الشيخ محمد داود البطاح[5] .

---

1 – علي الأهدل : هو علي بن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علي بن محمد بن حمحام بن عون بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب من زوجته فاطمة بنت رسول الله . أنظر: الوشلي، إسماعيل بن محمد : نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن، تح/ إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 2008/1429م، مج1، ج1، ص 125- 130 .

2 – اليماني، محمد أهدل : القول الأعدل في تراجم بني الأهدل ، (د.ن) ، (د.م) ، ط1، (د.ت)، ص 6 .

3 – الأهدل، أبي بكر بن أبي القاسم: الأحساب العلية في الأنساب الأهدلية، تح/ محمد طاهر الأهدل وآخرون، (د.ن)، (د.م)، ط1، (د.ت)، ص21 .

4 – الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، ج1، ص 276- 278 .

5 – العمري، عبد الله خادم : النهضة الأدبية في اليمن، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ، ط1، (د.ت)، ص284.

2- آل المقبول الأهدل: ويسكنون في منطقة الدريهمي، وقد انتقل بعضاً منهم إلى مدينة زبيد، وكونوا أسرة اشتهرت بالعلم[1] .

3- آل البحر: ومساكنهم في منطقة المنصورية، وينسبون إلى جدهم أبو القاسم الملقب بالبحر بن أبي بكر سباع بن الأسبح، والذي يتصل نسبه بالشيخ علي الأهدل[2] . كان آل البحر يلقبون بالمناصب، ومنهم منصب المنصورية السيد يحي بن أحمد البحر الأهدل[3] .

4- آل الأهدل سادات المراوعة: ظهر منهم عدد كثير من العلماء، أبرزهم السيد محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن عبد الباري المروعي، كما برز السيد منصب المراوعة أحمد عبد الباري بن أحمد بن محمد بن عبد الباري الأهدل، والسيد أحمد بن عبد الله بن احمد المروعي الأهدل الحسيني[4] .

5- آل الهجام : ويرجع نسبهم إلى الهجام بن أبي بكر بن المقبول بن أبي بكر بن الهجام بن عمر بن أبي القاسم الأهدل، ومساكنهم في منطقة القطيع[5] .

2- آل الأنبا ري:

يتصل نسب آل الأنباري إلى السيد المكرم الأنباري، الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب[6]. ويُعد السادة آل الأنباري فرع من السادة آل المساوى سكان مدينة حرض

---

1 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 167.

2 - البحر، محمد بن الطاهر: تحفة الدهر في نسب الأشراف بني البحر، تح /عبد الله محمد الحبشي ،مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ، 1425هـ/ 2004م ، ص163.

3 - زبارة نيل الحُسنيين، مرجع سابق ، ص 278 .

4 - المرجع نفسه، ص 401- 402 .

5 - القُطيع : بلدة تهامية تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة المراوعة ، بمسافة نحو 10 كيلو ، أول من اختطها الشيخ عمر بن أبي القاسم الأهدل الذي اشتهر بالخزان (ت 834هـ). أنظر: الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، ج1، ص 373 -374 .

6 - وهو المكرم بن يحي المساوى بن الطاهر بن عطيفة بن يحي بن زكريا بن حسن بن ذروة بن يحي بن داود بن عبد الرحمن بن عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . أنظر: زبارة ، نيل الحُسنيين، مرجع سابق، ص 273- 274 .

[1]، ووعلان والرباط وضحيان، وجميعهم ينحدر نسبهم إلى السيد المساوى بن الطاهر بن عطيفة، ومساكنهم في مدينة زبيد [2] .

برز من هذه الأسرة عدد من العلماء أبرزهم : السيد العلامة الطاهر بن أحمد الأنباري، والسيد عبد القادر ابن عبد الرحمن الأنباري، الذي تقلد الإفتاء في مدينة زبيد خلال الحكم العثماني [3]. تمتعت هذه الأسرة بامتيازات خلال فترة الحكم العثماني على اليمن، وخلال حكم أسرة حميد الدين، ومن هذه الامتيازات تعيينهم حكاماً وقضاة على مدينة زبيد[4] ، وقد استمروا في ذلك حتى قيام ثورة سبتمبر/ أيلول 1962 [5].

3-آل القُديمي:

مساكنهم في منطقتي الزيدية[6] والحديدة، وهم أشراف حسينيون [7] . ويتفرع من آل القديمي بنوالزواك الذين ينسبون إلى جدهم السيد عبدالله بن الطاهر بن حسن بن الطاهر الذي لقب (بالزواك) [8] . كما يتصل ببني القديمي أشراف بيت صائم الدهر، والذين ينسبون إلى أبي بكر بن أبي القاسم بن إسماعيل بن محمد الذي لقب (بصائم الدهر)[9] . كما يتصل بآل القديمي، بيت حجر في زبيدوالذين يُ عدون من الأسر العلمية في تهامة، ومن أبرز علمائهم الشيخ داود بن عبد

---

1 – حرض : مدينة تهامية تقع شمال مدينة الحديدة ، وسميت باسم حرض بن عمر بن مالك بن يحي بن خولان بن همدان، وأهم قبائلها بنو مروان . أنظر: الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 256.

2 – الأهدل، أبكر عبد الرحمن : جواهر التيجان في أنساب قحطان وعدنان، مخطوط غير منشور موجود في مكتبة الأشاعر بزبيد ، ولدى الباحث نسخة مصورة منه ، ق14 ؛ زيارة ، مرجع سابق ، 273- 274 .

3 – الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها، مرجع سابق، ص 121- 123 .

4 – يُنظر الوثيقة ملحق رقم (16) . التي توضح بعض الامتيازات لأسرة الأنبا ري، ومنها تعيينهم حكاماً لزبيد .

5 – الحضرمي، زبيد مساجدها ودارسها، مرجع سابق، ص 274 .

6 – الزيدية : بلدة تهامية، تقع شمال شرق الحديدة بمسافة 65كم، وتعد من أوسع المناطق الزراعية في تهامة ، حيث يزرع فيها الذرة ، والقطن ، والبطيخ ، والسمسم . أنظر: الحجري، معجم البلدان والقبائل اليمنية، مرجع سابق، ج1، ص 755.

7 – ينسبون إلى السيد إبراهيم أحمد القديمي بن أبي بكر بن علي بن محمد بن حسن بن يوسف بن حسن بن يحي بن سالم بن عبدالله بن حسين بن علي بن القاسم بن إدريس بن جعفر بن علي الهادي بن محمد بن علي الرضي بن موسى الكاظم ، = بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب . أنظر: الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، مج1، ج1، ص 74- 75 .

8 – زباره، مرجع سابق، ص324- 325 .

9 – يرجع بعض المؤرخين أن السبب في تلقيبه بصائم الدهر يرجع إلى أنه منذ صغره، وخلال فترة الإرضاع، كان يعرض عن ثدي أمه أثناء النهار، ويقبله إذا جاء الليل، ولذا أطلق عليه بصائم الدهر. أنظر: الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، ج1، ص 17 .

الرحمن بن قاسم حجر القديمي، وقد تولى القضاء في مدينة الحديدة وزبيد خلال فترة الحكم العثماني على اليمن، اشتهر بالنزاهة والعدل بين الناس، كما برز من بعده ابنه محمد بن داود، والذي بلغ قدراً من العلم والزهد والورع ، توفي بمدينة اسطنبول في عهد أبيه ، وذلك عندما ذهب إلى السلطان العثماني، للشكاية ببعض ما لحق به من بعض ولاة زبيد، عندما قاموا بمصادرة بعض أموال أبيه [1] . انتقل بعض من أفراد هذه الأسرة إلى منطقة العبسية [2]، والحديدة، ودير حريش [3]، والضحي [4] .

4- آل النعمي:

يُعدون من أشراف تهامة الحسنيين، ينسبون إلى السيد نعمة الله الأصغر بن علي بن فليتة بن الحسين بن يوسف بن نعمة الله الأكبر بن علي بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى (الجون) بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب [5] . يتوزع آل النعمي في أغلب مناطق تهامة في وادي مور [6]، والزيدية، والضحي، وزبيد [7]، ويتصل ببني النعمي عدد من الأسر وهم بنو القبقب [8]، وبنو جلاله [9] ، وبنو الجبلي [10]، وآل العقعق [1].

---

1 – زبارة ، مرجع سابق ، 295 .؛ الوشلي ، نشر الثناء الحسن ، مرجع سابق ، ج1، ص 118- 119 .

2 – العبسية : بلدة تهامية، تقع ضمن مدينة المراوعة، شرقي مدينة الحديدة ، تسكنها قبيلة العبسية ،إحدى قبائل تهامة، التي تسمت باسمها . أنظر: المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، مرجع سابق، ج2 ، ص 101 .

3 – دير حريش : قرية من قرى مدينة الضحي التهامية ، تبعد عنها مسافة 10كم، كانت مقراً لشيوخ قبيلة الجرابح (المصالعه) . أنظر: الأهدل، أبي القاسم: الدّرة الخطيرة في تاريخ سادات المنيرة،تح/السيدمحمد، (د.ن) ،(د.م)،(د.ط)،(د.ت)، هامش، ص 100.

4 – الضحي : بلدة تهامية تقع على وادي سردد بالجنوب الشرقي من مدينة الزيدية بمسافة 20كم، وهي مركز قبيلة الجرابح التهامية . أنظر: المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، مرجع سابق،ج1، ص 943 .

5 – الوشلي، نشر الثناء الحسن،مرجع سابق، ج2، ص 129 . زباره ، مرجع سابق ، ص422- 423 .

6 – وادي مور: أكبر أودية تهامة، يقع شمال مدينة الزيدية، تبلغ مساحته 7500كم2 ، وتعد قبيلة الزعلية إحدى سكان هذا الوادي . أنظر: المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، مرجع سابق، ج2 ، ص 1681 .

7 – الوشلي ، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، ج2، ص 127 .

8 – آل القبقب : ينسبون إلى السيد عمر بن علي بن يحي بن حسين بن يحي بن علي بن الأمير بن احمد بن عيسى النعمي ومساكنهم بقرية الّدمنة ، إحدى قرى منطقة الُلحية . أنظر: الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، مج1، ج2، ص 142- 143 .

9 – بنو جلاله : ينسبون إلى محمود بن موسى بن عبد الله بن موسى (الجون) بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن علي أبي طالب، وكانوا يُعرفون ببنوا المعروف ،ألاّ أنهم غلب عليهم اسم بنوجلاله ، ومساكنهم بأطراف بلاد العطاوية في تهامة . أنظر: البحر، محمد بن الطاهر بن أبي القاسم: تحفة الدهر في نسب الأشراف بني البحر، مرجع سابق، ص 165.

10 – بنو الجبلي : ينسبون إلى السيد حسن بن علي بن إبراهيم بن أحمد الذي لقب بالجبلي، والذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، ويسكنون بمنطقة اللحية . أنظر: الوشلي، نشر الثناء الحسن ، مج1 ، ج2 ، مرجع سابق ، ص152 .

يُعد آل النعمي من البيوتات العلمية في تهامة، وقد أوكلت إليهم رئاسة القضاء والفتوى في المخلاف السليماني، وبرز منهم الكثير من العلماء [2] .

5- **بنو الهيج :**

ينسبون إلى السيد أحمد بن الهادي ابن الفقير بن مشعل بن الزين بن الصديق بن أحمد بن الهادي بن عمر بن أحمد الرديني، والذي يتصل نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب [3] . انفردت أسرة الهيج في تهامة بإدارة وحكم بلاد الواعظات، ومنطقة الزهرة، ومدينة اللُّحَيّة [4]. ويُعد السيد أحمد بن الهادي الملقب(بالهيج) أول من تولى رئاسة هذه المناطق، وقد استطاع بحنكته وشجاعته أن يسود قومه، وسار فيهم سيرة حسنة حتى وفاته، وجاء من بعده ابنه زين بن أحمد الهيج، الذي سار على منوال أبيه في الحكم والإدارة، وبعد وفاته خلفه أخوه السيد هادي بن أحمد الهيج، وقد عينه الإمام يحي حميد الدين حاكماً على مدينة اللُّحَيّة، وكان من أكبر ملاك الأراضي في تهامة [5] . وخلفه ابنه السيد زين بن هادي الذي استمر حاكماً لمنطقة الواعظات حتى قيام ثورة سبتمبر/ أيلول 1962 [6] .

ثانياً- فئة القُضاة :

احتلت فئةالقضاة المرتبة الثانية، من حيث المركز الاجتماعي بعد السادة، وتُعد بمثابة الفئة الوسيطة بين السادة والملاك والشيوخ، وتنحدر من الأسر العلمية المهتمة بعلوم الشريعة الإسلامية [7]. تتكون هذه الفئة في جزء منها من الأسر الحجازية التي هاجرت إلى اليمن تحت تأثير

---

1 – آل العقعق : ينسبون إلى السيد عبد الرحمن بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن ابن عبد الرحمن النعمي ، ومساكنهم في بيت الفقيه .

2 – من أبرزهم : السيد العلامة الحسين بن مهدي النعمي، والعلامة علي بن الحسين النعمي، وإسماعيل بن عز الدين النعمي، وإبراهيم بن علي النعمي، ومحسن بن علي النعمي . الوشلي . أنظر: نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، مج1، ج2، ص 130- 142.

3 – زباره ، مرجع سابق ، ص 431- 432 .

4 – الواعظات: هي من أعمال مدينة الزهرة ، وتقع شمال الحديدة ، أما الزهرة فهي مدينة تهامية تقع بالشرق من اللحية بمسافة 40كم . أنظر: المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، مرجع سابق ،ص 194 .

5 – بلغ مقدار ما امتلكه هادي هيج من الأراضي الزراعية 15750 هكتار . أنظر: العطار، مرجع سابق، ص124.

6 – الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، مج1 ، ج2 ، ص 176 .

7 – عمر، نظرة في تطور المجتمع اليمني، مرجع سابق، ص 102.

ظروف خاصة، وفي عهود مختلفة، فنجد من بين هذه الفئة عائلات عُمرية، وبكرية، وأنصارية، وأموية، وأخرى عراقية وأندلسية [1] .

كانت هذه الفئة رديفة ومنافسة للسادةحيث تتخذ من السادة نموذجاً اجتماعياً يُحتذى به، سواء في الملبس، الذي لا يختلف كثيراً عن ملابس السادة، أو السلوكيات العامة، كنظرتهم الدونية لبقية الفئات الاجتماعية الأخرى، أو في مسألة الاحتفاظ بشجرة النسب، التي عن طريقها تحاول هذه الفئة إثبات أكبر قدر من عراقة أصولها وأنسابها [2] .

ونتيجة لتأثر القضاة بالسادة، واعتمادهم كنموذج يُحتذى به، جعل القضاة يتجهون نحو الانغلاق تجاه الفئات الأخرى، عن طريق اعتماد قاعدة (الكفاءة في الزواج)، على الرغم أن هذه القاعدة لدى السادة ترتبط بمسألة النسب، إلاّ أنها لدى القضاة تتحول إلى قيمة اجتماعية، مرتبطة بالأصول العائلية فقط، ويبقى الانضمام إلى فئة القضاة مسألة فردية وعائلية تتعلق بالوضع الاجتماعي فقط [3] .إلاّ أنّ أوجه الاختلاف مابين السادة والقضاة تكمن بأن مكانة القاضي ومركزه في المجتمع تأتي عن طريق الاكتساب والتعلم، بينما يحصل السيد على مكانته ومركزه عن طريق الإنتماء السلالي لآل البيت والوراثة[4] .

إنّ مرتبة الحصول على لقب القاضي مفتوحة أمام أي فرد من الفئات الاجتماعية الأخرى كالفلاحين والمشايخ والتجار، بشرط الحصول على المؤهل العلمي الذي يُلّم فيه الشخص بالعلوم الدينية والشرعية. أمّا عن كيفية اكتساب الفرد لهذه المهنة، والحصول على لقب قاضي، فيتم ذلك عبر ثلاث طرق وهي [5]:

1- توارث المهنة والمنصب في داخل العائلة الواحدة، حيث يكتسب الابن الخبرة في ممارسة المهنة مع والده، مع توفر المؤهل العلمي[6] .

---

1 - السبيطلي، محمد: المجتمع والدولة في عيون القضاة ، مجلة حوليات يمنية ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء ، 2006م، ص 140 .

2 - المرجع نفسه، ص 136- 139 .

3 - المرجع نفسه، ص 145 .

4 - أبو غانم، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 221- 222.

5 - السبيطلي، مرجع سابق، ص 145 .

6 - للحصول على المؤهل العلمي الديني، كان على الشخص أن يلتحق بإحدى المدارس العلمية في تهامة، التي تدرس علوم الدين والشريعة واللغة، حيث كانت هذه العلوم ذات أهمية خلال فترة الدراسة، كونها تمثل ثقافة الدولة الرسمية، وقد انتشرت

2- حصول الفرد من خارج عائلات القضاة على المؤهل العلمي، ثّم العمل مع أحد القضاة كمساعد، إلى أن يقوم القاضي المعلم بتزكيته، فيستقل عنه، ويصبح زميلاً له في المهنة.

3- انتقال الفرد مباشرة من وظيفة التدريس والإفتاء إلى القضاء، دون اكتساب خبرة في هذا المجال، بصرف النظر عن الأصول العائلية، إّنما الأمر يتعلق في بلوغ الفرد مرتبة من العلم الشرعي والاجتهاد، يمكنه من التحول من مجال التعليم، إلى الفصل في الخصومات بين الناس .

يجتاز الفرد مراحل عدة من أجل الحصول على لقب قاضي وهي:

1-إلمام الشخص بالقراءة والكتابة، ومن ثّم قيامه بتقديم خدمات اجتماعية لقريته أو مجتمعه، كالتدريس للقرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة، ويطلق على الفرد في هذه المرحلة لقب فقيه.

2- بعد تحسن وضع الفرد الديني، ومكانته الاجتماعية نتيجة توسعه في العلوم الدينية والشرعية، وحسن المعاملة والأمانة، ينتقل الفرد إلى مرحلة أخرى، تؤهله للقيام بمهمات اجتماعية تتمثل بتحرير عقود البيع والشراء، والزواج والطلاق، وتقسيم المواريث، ويطلق عليه في هذه المرحلة لقب سيدنا [1] .

3-بعد حصول الفرد على قدر من العلوم الشرعية، يُجاز من قبل لجنة من العلماء ومن ثّم يطلق عليه لقب قاضي[2] .

مما سبق يتبين أن الفرد لا يحصل على لقب قاضي قبل أن تمر عليه سنوات عدة، وبخاصة للأفراد الذين يعدون المؤسسين للعائلة. أما بالنسبة للأبناء والأحفاد من بعده، فإنه يمكن أن يحصل الفرد منهم على لقب قاضي بمجرد انتهاء أسرته من إعداده وتعليمه، وحصوله على المؤهل العلمي الذي يؤهله لحمل هذا اللقب، دونما الحاجة إلى المرور بنفس المراحل السابقة .

اعتمد القضاة خلال فترة الدراسة في تهامة للفصل بين الناس في شؤونهم المدنية والشرعية على معارفهم الخاصة، وما كانوا قد حصلوا عليه من علوم في فقه الشريعة الإسلامية، حيث لم تكن هناك قوانين يرجع إليها القضاة للفصل بين الناس، كما كان يحكم بالأعراف والتقاليد والتي

هذه المدارس خلال فترة الدراسة في أغلب مناطق تهامة، كزبيد والزيدية والمراوعة وحيس، وكانت هذه المدارس ليست لها مباني خاصة ومستقلة بها، بل كانت من ضمن الملحد التي تسمى في تهامة بالُربُط ومن خلال هذه الُربُط يتنقل الفرد الطالب من رباط إلى رباط للحصول على معارف وعلوم عديدة ، حتى إذا بلغ مستوى من العلم أجيز من قبل لجنة العلماء في المدينة ، للحصول على المؤهل العلمي، ومن ثم الحصول على لقب قاضي .

1 – وهو لقب غير الذي يطلق على أفراد شريحة السادة، وإنما هو لقب يعبر عن الاحترام والتقدير لهذا الفرد.

2 – أبو غانم، البنية القبلية في اليمن، مرجع سابق، ص 223.

تعد مصدراً آخر للحكم بين الناس، وبخاصة في المناطق التي يسودها النظام القبلي، هذه الأعراف لها جذورها الاجتماعية في اليمن، والتي فرضتها الطبيعة القبلية للمجتمع اليمني، ولا تزال هذه الأعراف تمارس إلى وقتنا الحالي في ظل النظام القبلي[1] .

أما عن مكان التقاضي خلال فترة الدراسة، فيصور لنا أحد القضاة المعاصرين لفترة الدراسة هذه الصورة بقوله: ((ليس للقاضي محل(مكان) رسمي يقعد فيه للقضاء، ولا نظام معروف يشعره بالمسؤولية،... وإنما تجري المحاكمات في داره الخاصة به، أوفي المسجد، حيث يشغل المصلين عن صلاتهم، أو بطريقة الخروج إلى الدورة (النزهة)، حيث لا قيد للدعاوي، ولا تسجيل للحجج والبراهين)) [2] .

أمّا عن كيفية قضاء القاضي يومه فيذكر المعلمي، إنّ القاضي يقوم في الصباح متأخراً فيخرج إلى باب داره للمواجهة، حيث يجد الجنود قد شكلوا شبه دائرة، ووضعوا له مقعداً من الحجر في وسطها، فيأتي الناس من وراء الدائرة ليدخلوا إرسالاً للنظر في شؤونهم، ويتم الدخول بصورة فوضوية، مما يعطي للجنود فرصة لأخذ الرشوة من قبل المتخاصمين، وذلك ليستطيعوا المثول أمام القاضي، وإذا كثرت الفوضى يقوم القاضي غاضباً إلى الدورة (النزهة) فيتبعه الخصوم ويتداعون عليه وهم يركضون وراءه وهو راكب على بغلته، ويقضي بينهم وهو على هذه الحالة، بعدها يعود القاضي إلى بيته للغداء، ومن ثّم ينزل إلى الديوان لمضغ أوراق القات بضع ساعات، ولا يُسمح لأحد بالدخول عليه في ذلك الوقت إلاّ إذا كان من خاصته، وبعد أن يأخذ قسطاً من الراحة، يبدأ بعد العصر بالإذن للمتخاصمين بالدخول، فيتدافعون عليه بطريقة فوضوية، وكالعادة لابد من رشوة البواب للمثول أمام القاضي[3] .

دور القاضي في الحياة الاجتماعية والسياسية :

شكل القضاة خلال فترة الدراسة أداة فعّالة للحكم الإمامي، فبسبب فهمهم للشريعة، واحتكارهم للثقافة الدينية مع فئة السادة، تبوأت هذه الفئة مراكز إدارية في جهاز الدولة، كما عملوا على مهمة

1 – الصياد، احمد صالح: السلطة والمعارضة في اليمن المعاصر، دار الصداقة، بيروت، (د.ط)، 1992م، ص136.

2 – المعلمي، أحمد عبد الرحمن: الشريعة المتوكلية أو القضاء في اليمن، مجلة الإكليل، ع (5)، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ، 1401هـ/ 1981م، ص87 .

3 – المرجع نفسه، ص 87- 88 .

الدفاع عن الإمامة، من خلال أدوارهم الاجتماعية والسياسية التي تمثلت بمجموعة من الأنشطة أبرزها [1]:

1- الإشراف على التعليم في المدارس الدينية والجوامع .

2- الإشراف على ساحات القضاء، وسير عمل المؤسسة القضائية .

3- إصدار الفتاوى والأحكام الدينية والتشريعات من خلال المساجد والمنابر والخطب الدينية.

وقدلعب العامل الديني دوراً بارزاً في تبوء فئة القضاة المرتبة الثانية، من حيث التمثيل في النخبة السياسية، وتمكنهم بحكم ثقافتها الدينية من مشاركة السادة في وظائف الدولة المختلفة، كما أن هناك عامل آخر ساعد القضاة في العمل داخل الجهاز الحكومي للمملكة، وهو حاجة السلطة المتوكلية لهم كمنافس للسادة، وبدلاء عن الطامحين للإمامة كون القضاة لا يتطلعون للوصول للسلطة، لعدم انطباق شروط الإمامة عليهم [2] .

وبرز دور القُضاة خلال فترة الدراسة، أنهم كانوا يمثلون القطب الأساسي في نظام البيعة، فحينما بدأت دولة الأئمة بالظهور في اليمن، كانت البيعة هي الشكل الأساسي لتولي السلطة، وكان المبايعون من القضاة يفدون من كل أنحاء البلاد ومنها تهامة لمبايعة الإمام بالنيابة عن الجماعات الاجتماعية الأخرى، بوصفهم أهل الحل والعقد، وبدون مبايعتهم لا تصح الإمامة[3] .

الأوضاع الاقتصادية للقضاة :

لم تكن أوضاع القضاة الاقتصادية في تهامة على مستوى واحد، بل وجد فيهم المالك الكبير للأرض، والموظف الصغير، والفلاح العامل، وكان للعامل الديني دوراً بارزاً في تقلد بعض أفراد هذه الفئة للوظائف العليا في جهاز الدولة[4] .

لقد شغل القضاة مناصب في الدولة كنواب للمناطق والألوية، أو كقضاة شرعيين في المحاكم، أو موظفين وكتبة في الإدارات، والأجهزة الحكومية، أو مدرسين في المدارس التي تشرف

1 – المقرمي، مرجع سابق، ص185- 186 .

2 – من الشروط الواجب توفرها في من يتولى الإمامة: البلوغ، الحرية، الاجتهاد، أن يكون فاطمياً، عدلاً سخيا، ورعاً، سليم العقل والحواس، سليم الأطراف، صاحب رأي وتدبير، شجاعاً، والشرط الذي لا ينطبق على القضاة أنهم ليسوا من سلالة فاطمة بنت رسول الله. أنظر: الشرجبي، الشرائح الاجتماعية ، مرجع سابق ، 167 .

3 – المقرمي، مرجع سابق ، ص 188 .

4 – الصائدي، حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص 98.

عليها الحكومة [1]. كما عمل البعض منهم في أعمال حرة غير مرتبطة بالسلطة، كوكلاء شريعة (محامون) وكتبة لعقود البيع والشراء، وعقود الزواج، والطلاق، وكتابة العرائض والشكاوي للمواطنين، والفصل في المنازعات بين الناس، والتدريس في الكتاتيب والجوامع [2] .

أبرز أسر القضاة في تهامة :

1- أسرة البهكلي[3] :

تُعد أسرة البهكلي من البيوت العلمية في تهامة، حيث ساهمت بنصيب في عملية التعليم في تهامة، وقد أثرت بحضورها العلمي في العديد من الميادين العلمية، وأصبح جهدها ومساعيها مع غيرها من الأسر مهماً وأساساً قوياً اتكأت عليه الحياة العلمية، التي ازدهرت في تهامة خلال فترة الدراسة، فقد وصفهم المؤرخ محمد زبارة بقوله : ((وبيت البهكلي من أشهر البيوت المعمورة بالعلماء والفضلاء بتهامة)) [4]. وتُعد مدينة ضمد من أكثر المدن التي سكن فيها البهاكلة، ومنها انتقلوا إلى أغلب مناطق تهامة، كمدينة بيت الفقيه، وزبيد، وكان لهذه الأسرة دور في تنشيط حركة التأليف والتدوين، فقد كان القاضي عبد الرحمن بن الحسن بن علي البهكلي أشهر أدباء عصره [5]. وقد وصفهم العقيلي في كتابه بأن بهم نشاطاً مشهوراً في التأليف [6]. اشتهرت هذه الأسرة بممارسة مهنة القضاء خلال فترة الدراسة، وبرز فيهم عدد من القضاة، أبرزهم القاضي عبد الرحمن بن أحمد البهكلي[7]، والقاضي أحمد بن محمد حسن البهكلي الذي تولى القضاء في مدينة

---

1 – الشرجبي ، الشرائح الاجتماعية ، مرجع سابق، ص 162 .

2 – عمر، نظرة في تطور المجتمع اليمني، مرجع سابق، ص 103.

3 – البهاكلة : جمع بهكلي، وهو اسم عُرفت به هذه الأسرة ، نسبة إلى قرية صغيرة تقع شمال بلاد المسارحة، شرق قرية الجفادمة، تسمى البهاكلة . أنظر: العقيلي، محمد بن أحمد : المعجم الجغرافي، منشورات نادي جازان الأدبي، جازان، (د.ط)، 1399هـ، ص 50 .

4 – زبارة ، محمد : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، (د.ط) ، 1376هـ، ص27.

5 – أبو داهش،عبد الله : الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية ، دار الأصالة، الرياض، (د.ط)، 1401هـ، ص82 .

6 – العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني، مرجع سابق ، ص 84 .

7 – عبد الرحمن بن أحمد البهكلي : درس على يد عمه القاضي إسماعيل بن عبد الرحمن البهكلي ، ثم انتقل إلى زبيد للدراسة ، فقرأ النحو، واستقر ببيت الفقيه ابن عجيل، كان شغوفاً بطلب العلم، تولى القضاء في مدينة حيس، ومنطقة اللحية . أنظر: عاكش، الحسن بن أحمد : عقود الدرر بتراجم علماء القرن الثالث عشر ، تح / إسماعيل البشري، (د.ن)، (د.م) ،(د.ط)، 1418هـ، ص 49 .

اللُّيَدّـة، وأبو طالب بن أحمد البهكلي، والقاضي أحمد بن علي بن حسن البهكلي، والقاضي خالد بن علي البهكلي[1] .

2- القضاة بني حمادي، الساكنين في قرى عبس والواعظات ، وبنوالُمّري الساكنين أيضاً في منطقة الواعظات، وبنو العواجي [2]، وآل مطير[3]، وآل الناشري [4]، وآل المزجاجي في زبيد والتحيتا، وبنوالبازي والسالمي في زبيد[5] .

ثالثاً- كبار الملاك والشيوخ:

شكّل الملاك والشيوخ في تهامة [6]، فئة ذات مكانة ونفوذ كبيرين، حيث فرض النظام القبلي وجودهم على رأس كل قبيلة ليتولوا شؤونها، ويديروا أمورها، ويمثلونها ويتحدثون باسمها، فالشيخ هو الحاكم الفعلي لقبيلته، والمسئول الأول عنها، وعن جميع أفرادها. احتل أفراد هذه الفئة المرتبة الثالثة في السلم الاجتماعي في تهامة قبل عام 1962، إلاّ أنّ هذه المرتبة الاجتماعية للملاك وشيوخ القبائل في تهامة، تختلف من منطقة إلى أخرى، طبقاً لشدة النظام القبلي من ناحية، وقوة وشخصية الشيخ من ناحية أخرى، حيث أنّبعض المشايخ يُعدون أعلى مكانة من القضاة [7] .

1 - الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، مج2 ، ج3 ، ص 7- 19 .

2 - من أبرز قضاة بنو العواجي، القاضي علي بن الحسن العواجي، وعبد الكريم بن محمد العواجي، والقاضي الأديب أحمد بن أحمد حباجر العواجي، والقاضي نجم الدين بن أحمد العواجي . أنظر: الوشلي، نشر الثناء الحسن ، مرجع سابق، مج2، ج3 ، ص 41- 46 .

3 - يعد آل مطير من البيوت العلمية في تهامة، ومساكنهم بنواحي أبيات حسين بوادي مور والزيدية ، وانقل بعضاً منهم إلى مدينة الحديدة، وأبرز قضاة آل مطير ، إبراهيم بن أبي القاسم مطير ، والقاضي عثمان بن يحي مطير ، والقاضي يحي بن يحي مطير ، والقاضي أحمد عثمان مطير . أنظر: الوشلي، نشر الثناء، مرجع سابق ، مج2 ، ج3 ، ص 142- 144 .

4 - آل الناشري : ومساكنهم في وادي مور انتقل بعضاً منهم إلى زبيد ، وأصبحوا من قضاة زبيد وفقهائها، ومن أبرز قضاتهم ، إبراهيم بن عبد الرحمن الناشري، والقاضي أبو الفتوح عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عمر الناشري .
أنظر: الوشلي، نشر الثناء ، مرجع سابق ، مج2، ج3 ، ص 158- 164 .

5 - آل المزجاجي : يرجع سبب تسميتهم إلى قرية تقع بالقرب من مدينة زبيد تسمى مِزجاجة ، وبرز من هذه الأسرة عدد من القضاة على رأسهم القاضي محمد بن محمد المزجاجي، والقاضي عبد الرحمن بن عبد الله بن الصديق المزجاجي الذي تولى القضاء في بيت الفقيه . أنظر: الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، مج 2 ، ج3 ، ص 196- 198 .

6 -تُطلق كلمة شيخ في اللغة: على كل من جاوز الخمسين من عمره، وظهر عليه الشيب، كما يطلق على كل فرد بلغ درجة من العلوم الشرعية. أنظر: ابن منظور، ج3 (مادة شيخ)، مرجع سابق، ص31. أما في العرف القبلي فطلق على كل من يتولى زعامة القبيلة، ويدير شؤونها. ومن الجدير ذكره أن بعض الملاك والشيوخ في تهامة كانوا ينتمون إلى فئة السادة.

7 - الشرجبي، الشرائح ، مرجع سابق، ص 169 .

أمّا عن طريقة تولي منصب الشيخ في تهامة، فكان يتم عن طريق الانتخاب[1]. الذي اقتصر على أعيان ووجهاء القبيلة [2] . وبمرور الوقت تحول منصب المشيخة إلى عملية وراثية، وهو أن يخلف الشيخ أحد أبنائه، أو أحداً من أفراد عائلته كالأخ أو ابن العم، ومثال ذلك ترأس الشيخ محمد صالح المقرعي منصب المشيخة بعد أبيه بالوراثة لمنطقة الزيدية في تهامة، إلاّ أنّ هذا الانتقال للمشيخة كان يشترط فيه مصادقة الإمام عليه، وهو ماكان يسمي بورقة المشيخة [3]، والهدف من ذلك إرغام مشايخ القبائل على الخضوع للسلطة المركزية من جهة، والعمل على إحكام الرقابة وربط المشايخ بالسلطة المركزية من جهة أخرى [4] .

ومما تجدر ملاحظته أن هذا المنصب يظل ملازماً لشيخ القبيلة، مادامت القبيلة مشدودة إليه بواسطة الولاء، ولأسباب وظروف معينة فقد يحدث أن تتخلى القبيلة عن شيخها، وتسحب المشيخة منه، وذلك إذا اتضح أن الشيخ عاجزاً عن إدارة أمور القبيلة، أو إذا اتسمت معاملته للسكان بالظلم والخيانة، أو إذا اتُهم بقضية تخل بشرف القبيلة، ففي هذه الحالة تقوم القبيلة بعزل الشيخ عن منصبه، وتقليد المشيخة لشخص آخر من نفس الأسرة [5] . ومع أن هذا الأمر كان نادر الحدوث، إلاّ أنّه يظل أمراً وارداً بالفعل، وبخاصة في المناطق التي يكون فيها النظام القبلي قوياً .

أمّا عن مهام الشيخ ودوره في قبيلته، فيُعد الشيخ هو الحاكم الفعلي للقبيلة، والمسئول الأول عنها وعن جميع أفرادها. ولتوضيح هذا الموضوع يمكن القول أن المهام التي يقوم بها الشيخ في قبيلته، تنقسم إلى مهام داخل القبيلة، ومهام خارج القبيلة.

فمن مهام الشيخ الداخلية، حفظ الأمن والاستقرار في القبيلة، فالشيخ هو الوحيد الذي يقوم بالفصل في كافة النزاعات والخلافات التي تنشأ بين أفراد القبيلة، والحكم فيها [6] . كما يقوم بتطبيق الأعراف المتعارف عليها في إطار القبيلة، ويحمل على عاتقه مسؤوليات تتعدى سلطته التشريعية، إلى السلطات الأخرى كالسلطة القضائية والتنفيذية، كما يساهم الشيخ في مساعدة موظفي الدولة لتحصيل الضرائب الزراعية والحيوانية في قبيلته، وتبرز أهمية الشيخ ودوره داخل

---

1 – جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر ، مرجع سابق ، ص 103 .

2 – الشرجبي، الشرائح ، مرجع سابق ، ص 170 .

3 – ورقة المشيخة : عبارة عن وثيقة رسمية ، تمنحها السلطة لبعض المشايخ، كاعتراف بمشيختهم في قبائلهم ومناطقهم .

4 – جولوبوفسكايا، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 103 .

5 – أبو غانم، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 205 .

6 – الشرجبي، الشرائح، مرجع سابق، ص 198 .

قبيلته بشكل أكبر على وجه الخصوص في حالة الاضطرابات السياسية، وعدم الاستقرار السياسي، أو عند ضعف السلطة المركزية، وعدم تواجد مؤسساتها في المناطق القبلية [1] .

أما المهام الخارجية التي يقوم بها الشيخ خارج منطقة نفوذه، فتتمثل بتمثيله لقبيلته في مختلف القضايا والنزاعات، التي تنشب بين قبيلته وقبائل أخرى، أو في حالة المعاهدات والتحالفات، حيث يقوم الشيخ بإبرام الصلح أو التحالف أو إعلان الحرب نيابة عن القبيلة، إلاّ أنه لا يتخذ أي قرارات حول هذه القضايا، وخاصة الكبيرة منها، إلاّ بعد التشاور مع رجال القبيلة ووجهائها[2].

أوضاع المشايخ الاقتصادية في تهامة:

تفاوتت أوضاع المشايخ الاقتصادية في تهامة، فهم ليسوا في مستوى واحد بل كان بعضهم من كبار ملاك الأراضي، وعلى رأس هؤلاء هادي هيج شيخ قبيلة الواعظات في منطقة الُلحّية، ومنهم من متوسطي الملاك، والبعض منهم من صغار الملاك[3] .

وعلى الرغم من عدم توفر إحصاءات تتعلق بنسبة هذه الفئة من الأملاك الزراعية، إلاّ أنّ غالبيتهم كانوا من كبار الملاك [4].

جرت العادة على قيام الملاك من المشايخ بتأجير أملاكهم إلى الفلاحين، مهما صغرت أو كبرت، لأن ذلك لا يتناسب ومكانتهم الاجتماعية، وقد يستخدمون عمالاً زراعيين [5].

ومن خلال المقارنة بين أوضاع المشايخ الاقتصادية في منطقة تهامة، والمشايخ في المناطق الشمالية والشرقية من اليمن خلال فترة الدراسة، نجد أن المشايخ في منطقة تهامة كانوا يستغلون نفوذهم وسلطاتهم التي كانت تستند إلى سلطة الدولة في فرض سيطرتهم على السكان، وعلى مصادر وعلاقات الإنتاج فيها، ومن ثم لم يكن هناك إحساس مشترك بروابط القرابة والمساواة في الحقوق والواجبات، والمسؤولية الجماعية بين المواطنين في تلك المناطق وبين المشايخ، ومن ثم أصبح بعضهم من كبار ملاك الأراضي الزراعية، وذلك على عكس ماكان عليه المشايخ في المناطق الشمالية والشرقية، حيث كانت العلاقة التي تربط الشيخ بقبيلته علاقة قرابة

---

1 – عمر، نظرة في تطور المجتمع اليمني، مرجع سابق، ص 104.

2 – الشرجبي، الشرائح، مرجع سابق ، ص 175 .

3 – المرجع نفسه، ص 181 .

4 – عمر، نظرة في تطور المجتمع اليمني، مرجع سابق، ص 104.

5 – الشرجبي، مرجع سابق ، ص 181 .

قائمة على مبدأ المساواة والاحترام المتبادل النابع من مفهوم العلاقة النّدية عند التعامل حيث يُعد الشيخ ورجل القبيلة أمام قواعد العرف متساويين [1] .

لم يقتصر اعتماد المشايخ في تهامة في دخلهم الاقتصادي على أملاكهم الزراعية، بل كانوا يستفيدون مالياً من أجور المصالحات بين الناس وحل مشاكلهم، ومن هدايا المواطنين في مناسبات الأعياد والمواسم الزراعية، كما يحصل بعض المشايخ على معونات سنوية من السلطة، وتختلف هذه المعونات من منطقة لأخرى، حسب قوة ونفوذ الشيخ في منطقته [2] .

علاقة مشايخ القبائل بالسلطة:

اعتمدت الإمامة في اليمن عبر تاريخها الطويل على رجال ومشايخ القبائل في الوصول إلى السلطة، وتثبيت حكمها، ولذلك نال مشايخ القبائل مكانة اجتماعية وسياسية واقتصادية طوال فترات التاريخ اليمني، باستثناء فترة حكم المملكة المتوكلية، حيث تدنت مكانة المشايخ من الناحية السياسية خاصةً وأنّ الإمامة عمدت إلى تقليص مخصصاتهم المالية، بحيث ضمنت من هذا الإجراء عدم تحرك المشايخ ضدها، لأنهم أصبحوا غير قادرين على تغطية نفقات أسرهم، فكيف سيمولون أي تحرك ضدها ؟ . كما نجحت الإمامة في جعل مصدر رزق هؤلاء المشايخ منها، لهذا كانوا يحاولون إرضاء الإمام وتأييده حتى يتكرم ويمنحهم القليل من المال أو الحبوب[3] .

وقد استخدمت السلطة مجموعة من الأساليب والوسائل لإخضاع مشايخ القبائل في اليمن ومنها تهامة خلال فترة الدراسة تمثلت في الآتي:

1- استخدام القوة العسكرية، وشن الحروب على القبائل المناوئة لها لإخضاعها، كما فعلت مع قبيلة الزرانيق في تهامة عام 1928 .

2- إثارة الخلافات بين القبائل لضرب بعضها ببعض لإضعافها، ومن ثم جذب مشايخ وإبعاد آخرين، عن طريق استخدام ورقة المشيخة، حيث تمكنت السلطة بهذه الورقة من إحداث الفرقة بين المشايخ بعضهم ببعض في نفس القبيلة الواحدة، وخلق التنافس بينهم، فضلاً عن تجريد بعض الشيوخ المعارضين من مراكزهم القيادية القبلية [4] .

---

1 – أبو غانم، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 201- 202.

2 – المرجع نفسه، ص 200.

3 – الغليسي : اليمن الجمهوري، مرجع سابق، ص 50 .

4 – المسعودي، مرجع سابق ، ص 120 .

كانت هذه الوثيقة أو الورقة تجدد كل فترة زمنية لإعطاء الشيخ الاستمرارية في مشيخته، وكان من أهم شروطها: طاعة الله وطاعة الإمام، والامتثال لأوامره، وأوامر ممثليه، وتجنب كل ما يغضب الإمام من الحركات في الأقوال، والأفعال، والمقاصد، والتمسك بولاء الإمام، ومعاداة من يعاديه، وموالاة من يواليه، والالتزام بقوانين السلطة والشريعة[1].

3- استخدام الإمامة لنظام الرهائن لمنع التحركات من قبل بعض مشايخ القبائل، وقد استخدمت هذه الوسيلة كورقة ضغط على بعض مشايخ القبائل المشكوك بولائهم عندما يفكرون بالخروج عن طاعة الإمام، وكانت نفقات هؤلاء الرهائن على حساب قبائلهم [2] . وقد بلغ عدد الرهائن حتى نهاية الخمسينات ألفي رهينة [3].

4- استمالة بعض مشايخ القبائل عن طريق الرشوة والمعونات السنوية .

5- وسيلة الزواج والمصاهرة من بنات كبار المشايخ، وذلك كما فعل الإمام يحي عندما تزوج أخت شيخ قبيلة بكيل، لتقوية العلاقة بين القبيلة والسلطة [4].

وعلى الرغم من سعي السلطة لإضعاف الدور السياسي لمشايخ القبائل خلال فترة الدراسة، إلاّ أنّ ذلك لا يعني إنهاء النظام القبلي، بل على العكس فقد حافظت السلطة على النظام القبلي وذلك خدمة لمصالحها، وضماناً لبقائها ؛ لأن النظام القبلي هو البنية الصالحة لنمو التعصب الديني والمذهبي الذي قام عليه حكم الأئمة في اليمن، ولذا حرصت السلطة على إبقاء الروح القبلية التي تحافظ على سيطرتها ونفوذها [5] . ومما يؤكد ذلك بقاء الأعراف القبلية جنباً إلى جنب مع الأحكام الرسمية، وكانت السلطة تغض الطرف عن هذه الأعراف، عندما تكون في صالح الدولة، وخاصة في المسائل الأمنية مثل حماية الطرق والأسواق، وهي من الأمور المهمة التي

---

1 - الغليسي، اليمن الجمهوري، مرجع سابق ، ص55 .

2 - Ingram's, H, The Yemen Imams, Rulers and Revolutions London 1963, p. 59.

3 - Wenner, W, Manfred, Modern Yemen (1918- 1966), Baltimore 1967. P. 79

4 - جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر ، مرجع سابق ، ص 150 . ؛ Ingram's, op.cit. P. 59.

5 - أباظه، الحكم العثماني في اليمن، مرجع سابق ، ص428 .

تخدم استقرار المملكة[1] . أما إذا كانت تلك الأعراف تتعارض وتوجهات السلطة وسياستها، فإن الإمام كان يرفضها ويحاربها كونها وفقاً لسياسته تمثل حكم الطاغوت [2] .

ومن خلال ماسبق يتضح أن الإمام يحي، ومن بعده الإمام أحمد مارسا سلطتهما، باعتبار كل منهما شيخ القبيلة الكبيرة (اليمن)، واستخدما عدة وسائل وأساليب للسيطرة على مشايخ وقبائل اليمن ومنها تهامة واستطاعا أن ينجحا في جعل ولاء أفراد القبيلة للسلطة أقوى من ولائهم لشيخ القبيلة .

أبرز قبائل تهامة:

شكلت القبائل في اليمن ظاهرة تاريخية، عاش اليمن في ظلها عبر مراحل تاريخه حياة سياسية واجتماعية غير مستقرة، على الرغم من مظاهر الوحدة الحضارية والثقافية والدينية التي تميز بها المجتمع اليمني القديم والحديث . وقد اختلفت هذه القبائل من حيث الاستقرار أو البداوة، فغلب الاستقرار على بعض قبائل جنوب وغرب اليمن ومنها تهامة، في حين غلب طابع البداوة على بعض القبائل القاطنة في المناطق الشمالية والشرقية من اليمن، حيث التعصب الشديد للقبيلة، والولاء للمشايخ[3] .

وقد ارتبطت القبائل ببعضها عن طريق عاملين رئيسيين هما:

1- عامل القربى ورابطة الدم بين أعضائها، والذي يقوم على فكرة وحدة النسب، باعتبار أن جميع القبائل يجمعها جد واحد وأنها عبارة عن أسرة واحدة ، يتفرع منها فروع عدة ، وتُعد الأسرة هي البذرة الأولى لأي تجمع قبلي، إذ أن ترابط مجموعة من الأسر ذات الأصل الواحد مع بعضها قد زاد من ترابطها، وكّون ما يسمى بالفخيذة [4] . ومن عدد من الأفخاذ تتكون العشيرة، ومن العشائر تتكون القبيلة، بوصفها وحدة سياسية واجتماعية [5] . وقد جعل هذا التداخل عن طريق النسب

---

1 – الفقيه: السياسة الإدارية والمالية، مرجع سابق، ص 124.

2 – الغليسي، سعيد حميد : دور القبيلة في الحياة السياسية اليمنية خلال فترة حكم المملكة المتوكلية اليمنية (1918-1962)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب. جامعة صنعاء ، 2003م، ص 117 .

3 – حماد، مرجع سابق، ص453 .

4 –الفخيذة : هي مجموعة من الأسر، والتي تلتقي في الجد الرابع أو الخامس، والتي غالباً ما تكون منازلها متجاورة .

5 – هديل، مرجع سابق، ص 44.

والدم أن تقوم القبائل بالتعصب لنفسها وفروعها، وأصبحت تلك العصبية تمثل الحلقة الرئيسية في التفاف القبيلة وفروعها حولها، حتى وإن كانت تلك الفروع متفرقة وبعيدة عن موطنها، كما أن شعور الفرد بانتمائه إلى قبيلة يجعله يتصرف بسلوك يتناسب مع ما للقبيلة من ثقل ومكانة بين أوساط القبائل الأخرى[1] .

2- العامل الاقتصادي: يقوم على فكرة أن الترابط القبلي تفرضه العلاقات الاقتصادية، والمصالح المادية القائمة بين أفراد القبيلة الواحدة، أو مجموعة من القبائل، وإن لم يكن بينهم علاقة دم أو نسب، لكن المصلحة المادية في الأرض والزرع والماء والتجارة والحدود الجغرافية التي تجمع بينهم، قد تكون أقوى وأمتن من علاقة النسب المشترك[2] .

وأبرز مثال على ذلك قبيلة الزرانيق في تهامة، التيكانت تُعد من أقوى وأكبر قبائل تهامة، نجد أن هناك روابط اقتصادية جمعت بين أفرادها، إلى جانب رابطة الدم، وهي رابطة الأرض والزرع، وهذه القبيلة وإن تميزت عن غيرها بكثرة رجالها وقوتها ،إلاّ أنّ فروعها كافة ترتبط بالأرض والدفاع عنها، ضد أي اعتداء من قبل الآخرين .

لقد ساهمت مجموعة من العوامل في تكريس النظام القبلي في اليمن، وحافظت على تماسكه واستمرار يته، وعززت من دوره الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في غالبية المناطق اليمنية، ومنها تهامة، ولعل أبرز تلك العوامل تتمثل في الآتي:

1- العامل الجغرافي:

ويتمثل بأن طبيعة اليمن بأقسامه المختلفة، لا تحتمل وجود جماعات بشرية كبيرة تمتد لمسافات طويلة، فضلاً عن أن التضاريس الجغرافية الوعرة، قد فرضت العزلة على بعض المناطق، وجعلت الناس يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم، وقللت من عمليات التواصل والانتقال والتداخل بين السكان، وأفضت في الأخير إلى تشكيل كيانات تنزع نحو الاستقلال، وفي الوقت ذاته عززت من قوة القبائل تجاه السلطة، إذ صار من الصعب استخدام القوة القهرية تجاهها، مما

---

1 - المصري، أحمد عطية: النجم الأحمر فوق اليمن، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط3، 1988م، ص32.

2 - الظاهري، محمد حسن : الدور السياسي للقبيلة في اليمن (1962 – 1990م) ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط1 ، 1996م ، ص 66- 67 .

يؤدي بالسلطة في أغلب الفترات إلى الاعتراف بهذا الواقع، والتعايش معه، وهو ما أثر على بقاء هذا النظام واستمرار يته[1] .

2- العامل الاقتصادي:

ويتمثل بقلة خصوبة الأرض وقلة إنتاجها، وخاصة في المناطق الشمالية والشرقية من اليمن، وذلك مما نتج عنه أن تصبح الأرض ذات إنتاجية ضعيفة لا تنتج إلاّ محصولاً واحداً في العام أثناء موسم الإمطار، وقد لا يهطل المطر بعض السنوات، مما يؤدي إلى الجدب والفقر لسكان تلك المناطق، وذلك مما يدفع بسكان تلك القبائل إلى التمسك بالنظم، والقوانين العرفية، ويدفعهم إلى التضامن وشن الحروب كوسيلة من وسائل الكسب ضد المناطق الأخرى، من أجل توفير لقمة العيش[2] .

3- العامل السياسي:

إن حالة التدهور الاقتصادي، والاضطراب السياسي، وانتشار الفوضى والحروب التي شهدها اليمن خلال فترات تاريخه الحديث والمعاصر ،لعب دوراً بارزاً في بقاء النظام القبلي واستمراريته، وبعبارة أخرى إن انعدام سلطة الدولة المركزية، أدى إلى غياب الاستقرار، وبالتالي أدى إلى وجود مصادر أخرى محلية تقوم بتوفير الأمن والاستقرار، وتمثل ذلك في اعتماد الجماعات والوحدات القرابية والسياسية القبلية على قوتها الذاتية، وعلى روابطها القرابية والعصبية في تحقيق الأمن والحماية لأعضائها [3] .

فضلاً عما سبق، يمكن اعتبار ظلم الحكام وموظفيهم للفلاحين والرعايا، عاملاً آخر عمل على استمرار قوة النظام القبلي، وذلك مما كان يحذوا بالفلاحين إلى القبيلة للاحتماء بها من الظلم الواقع عليهم [4] . كما كان للجهل والأمية دوراً كبيراً في بقاء هذا النظام، إلى جانب النزعة الاستقلالية للقبائل، وتوجيه الولاء للقبيلة وشيخها، وهذا ما نرى آثاره في مجريات التحركات الشعبية الجارية اليوم في اليمن.

---

1 - سالم، تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، ص 442- 443.

2 - أبو غانم، البنية القبلية، مرجع سابق، ص70.

3 - المرجع نفسه .

4 - عمر، مرجع سابق، ص113- 114.

ومما تجدر ملاحظته أن النظام القبلي يختلف من حيث التشّدد في العادات والتقاليد، وقوة تأثيرها في اليمن، حيث تشتد أو تقوى في المناطق الشمالية والشرقية في اليمن وتقل في المناطق الوسطى والغربية (تهامة)، ويرجع ذلك لعدة عوامل منها :

1- أن المناطق الوسطى والغربية من اليمن بما فيها تهامة، أغنى المناطق زراعياً ، كما أنها تستقبل أمطاراً غزيرة، وقد أدى ذلك إلى استقرار الجماعات البشرية في هذه المناطق، وأعطى أهمية أكبر للاشتغال بالزراعة، مما قلل من أهمية النظام القبلي في هذه المناطق [1].

2- قرب المناطق الوسطى والغربية من مناطق الاحتكاك بالخارج عن طريق عدن وسواحل البحر الأحمر، وهو ما هيأ لدخول نظم حديثة، تمثلت ببروز أساليب وتنظيمات وطرق عمل جديدة، مما أدى إلى ظهور تأثير واضح في البناء الاجتماعي، وذلك مما خفف من قوة النظام القبلي في المنطقة، بينما ظلت المناطق الشمالية والشرقية أكثر انغلاقاً في اتصالاتها مع الخارج[2] .

وعلى الرغم من كثرة عدد القبائل التي كانت تتوزع على أغلب مناطق تهامة وتفرعاتها[3]، إلاّ أننا سنذكّر بأبرز هذه القبائل وهي :

1- قبيلة الزرانيق (المعازبة)[4] :

وهي من القبائل التهامية المشهورة بقوة بأسها، وكثرة رجالها، ومساكنها في وسط تهامة باتجاه الجنوب، وتمتد مساكنها من وادي زبيد شمالاً، إلى وادي سهام جنوباً ، تحدها الجبال من

---

1 - الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 57 .

2 - الحديثي، نزار عبد اللطيف: أهل اليمن في صدر الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1978م، ص 66- 70.

3 - ينظر الشكل الذي يوضح أماكن توزيع القبائل في تهامة، ملحق رقم (9).

4 - المعازبة : اختلف المؤرخون حول نسب قبيلة المعازبة ، فالبعض يعيدهم إلى الأشاعرة ، بينما بعضهم ينسبهم إلى قبيلة عك ، ويبدوا أنه النسب الصحيح ، وتطلق عليهم بعض المصادر باسم الزرانيق ، ويبدوا أن الزرانيق فرع من المعازبة .
أنظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مرجع سابق، مج1، ج2، ص 394.

الشرق،والبحر الأحمر غرباً ، أما الحدود القبلية للزرانيق، فيحدها شمالاً قبيلة القُحرى، وجنوباً قبيلة الأشاعرة، وغرباً البحر الأحمر، وشرقاً جبال ريمة[1].

وتنقسم قبيلة الزرانيق إلى ثلاثة أقسام[2] :

1- القسم الشمالي: ويمتد من منتصف بيت الفقيه إلى المنصورية شمالاً، ويضم هذا القسم منطقة الجنبعية والخايع واللاوية، ويرأس هذا القسم الشيخ يحي منصر معروف.

2- القسم الجنوبي: ويمتد من النصف الثاني لبيت الفقيه من ناحية الجنوب ماراً بالكويع فالحسينية، ويرأس هذا القسم مشايخ آل الفاشق .

3- القسم الغربي: ويمتد على طول ساحل البحر الأحمر، ويشمل الدريهمي، ومنطقة رمال، وقضبة، والطائف، ويرأس هذا القسم الشيخ أحمد فتيني جنيد .

لقد اكتسبت هذه القبيلة شهرتها من الدور الذي لعبته في تاريخ اليمن، فعبر تاريخها لم يُعرف أنها خضعت لأي سلطة سلماً ، فقد قاومت الإمام المطهر بن شرف الدين [3] في القرن السادس عشر الميلادي، ثم بسط نفوذه عليها ، بعد ذلك جُدّد نشاطها في أواخر القرن التاسع عشر حتى أخمد ثورتها حمود بن محمد الحسني[4] .

وفي بداية القرن العشرين قاومت هذه القبيلة العثمانيين مقاومة شديدة، تفوق فيها الزرانيق لخبرتهم في القتال، ولما يتمتعون به من خفة وسرعة وشجاعة[5] .

بعد خروج العثمانيين من اليمن، سعت السلطة الإمامية لبسط سيطرتها على مناطق تهامة، وذلك لما تمثله من أهمية إستراتيجية لليمن، وما تدره من موارد مالية للدولة، عن طريق الجمارك المفروضة على الصادرات والواردات، وقد تمكّنت السلطة في عام 1925 من استرجاع مناطق

---

1 - مقشر، مرجع سابق، ص 25.

2 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 486.

3 - المطهر بن شرف الدين : هو نجل الإمام شرف الدين ، وكان جلاً عسكرياً ، اشتهر بشدة البأس، ثار على والده، وتولى إمامة اليمن، دخل مع الأتراك في حروب عسكرية، حتى تغلب عليه سنان باشا بقوات كثيفة ، وكان الصلح، توفي عام 980هـ . أنظر: الشرفي، محمد شوعي حسن : ثورة عام 1948م في اليمن، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية . ابن رشد . جامعة بغداد ، 1417هـ/ 1996م، ص32 .

4 - الشريف حمود بن محمد الحسني : ولي إدارة منطقة أبي عريش، والمخلاف السليماني (بلاد عسير) في عهد الإمام المنصور علي بن المهدي عباس، ثم استقل بتهامة بعد أن وسع سيطرته على اللحية، والحديدة، وزبيد، وحيس .

أنظر: الموسوعة اليمنية، مرجع سابق، ج1، ص422.

5 - إنكارين، مذكرات دبلوماسي في اليمن، مرجع سابق، ص163 .

تهامة، بما فيها ميناء الحديدة من الأدارسة، لكن الاضطرابات التي قامت بها قبيلة الزرانيق، أدت إلى عرقلة حركة التجارة في المنطقة، وذلك مما حمل السلطة الإمامية للقيام بتأسيس مركز إداري لها في حدود هذه القبيلة، لتأمين الطرق وهو ما اعتبرته القبيلة تدخلاً في شؤونها، واعترض شيخها أحمد الفتيني جنيد على هذا الإجراء، واستغلت السلطة الإمامية هذه المعارضة، فأرسلت حملة تأديبية لإجبارهم على دفع عائدات الزكاة، وتسليم رهائن الطاعة للسلطة، إلاّ أنّ الزرانيق تصدوا لهذه الحملة، وتمكنوا من تشتيت قواها، بعد مقتل قائد الحملة [1] .

بعد تشتت الحملة وقتل قائدها، تشجع الزرانيق في توسيع نشاطهم وقاموا بشن هجمات خاطفة ومتقطعة على مقرات الجيش الإمامي في الحديدة [2] . كان الهدف من هذه الهجمات القضاء على القوات الإمامية المتواجدة في الحديدة، وقد استغلوا خبرتهم في المنطقة، حيث استطاعت بعض فرقهم أن توجه ضربات ليلية ضد الحاميات العسكرية الحكومية، وإقامة الكمائن للانقضاض على الخصم، باستخدام الجمال والخيول، والانسحاب تحت وطأة الظلام . ففي هجوم ليلي جرى في ديسمبر/كانون الأول 1928، استطاع الزرانيق أن يبيدوا حامية عسكرية بكاملها كانت تخيم في ضواحي مدينة الحديدة[3] .

وفي فبراير/شباط 1929 قامت القوات الحكومية بالهجوم بالمدفعية على مدينة الدريهمي التابعة للزرانيق، حيث تمكّنت من اقتحامها بعد قتالٍ شديد، مما اضطر الزرانيق إلى التراجع، ونقل مركز قيادتهم إلى منطقة الطائف وغليفقة [4] ، واتخذوا من هذه المناطق مراكز دفاعية لشن الغارات على مقرات الجيش الإمامي، كما استطاعوا من خلال هذه المناطق السيطرة على عدة طرق تجارية برية وبحرية تربط منطقتهم بالخارج عن طريق البحر الأحمر[5] .

---

1 – المسعودي، مرجع سابق، ص 143– 144 .

2 – شجاب، محمد سالم : قبيلة الزرانيق وحركتهم التاريخية، مجلة اليمن الجديد، صنعاء، ع (12)، ديسمبر/كانون الأول 1987م ، ص47 .

3 – Robert, Stookey, Yemen politic of the Yemen Arab Republic . p. 174.

4 – الطائف : بلدة على ساحل البحر الأحمر ، جنوبي مدينة الحديدة ، تبعد عن بيت الفقيه ب20كم ، ينظر الحجري، مرجع سابق، مج2 ، ج3، ص 557 ، أما غليفقة : فهي بلدة ساحلية تقع بالشمال الغربي من زبيد . المقحفي، معجم القبائل، مرجع سابق، ص 483 .

5 – المسعودي، مرجع سابق، ص 145 .

وفي مايو/أيار 1929 منع الزرانيق الجيش الإمامي من إرسال النجدة إلى إحدى الحاميات العسكرية المحاصرة قرب ميناء غُليفقة، كما أنهم اشتبكوا مع قوات الجيش بالقرب من غليفقة المطلة على البحر الأحمر عندما حاولت الاقتراب منهم، وقد انتهى الهجوم الحكومي على غُليفقة دون إحراز نجاح يذكر، لكن القتال استمر طوال فترة الصيف حيث عجز الجيش الإمامي عن مواصلة القتال نتيجة الحر الشديد، وشراسة المقاومة، واكتفى الجيش الإمامي بإحراق القرى وقصفها بالمدفعية [1].

ونتيجة لهذه المقاومة الشرسة التي قام بها الزرانيق أرسل الإمام يحي ابنه ولي العهد أحمد على رأس حملة عسكرية مكونة من مشايخ وجنود قبائل حاشد وبكيل وخولان، واستطاع قائد الحملة بحنكته السياسية وبعد قتال عنيف أن ينزل الهزائم بالزرانيق بعد تخليهم عن منطقتي غليفقة والطائف، التي كانت تمثل آخر خط تموين حيوي يضمن لهم استمرار المعركة، وبسقوط هاتين المنطقتين ضعفت مقاومة الزرانيق، وقطعت خطوط الإمدادات الخلفية لهم، وطوقت القبيلة براً وبحراً [2].

ونتيجة لهذا الانتصار من قبل القوات الإمامية فرّ القائد العسكري لقبيلة الزرانيق الشيخ أحمد فتيني جنيد إلى جزيرة كمران[3] . ومن هناك أخذ يرسل برقيات استغاثة إلى حكومة عدن، يطلب فيها دعم بريطانيا للزرانيق في نضالهم ضد الإمام يحي وأعوانه، حتى يتم تخليص تهامة من قبضتهم [4] .

وفي منتصف عام 1929 كانت القوات الإمامية قد أطبقت على حدود قبيلة الزرانيق وأصبح بيت الفقيه مركز القبيلة تحت ضربات المدفعية الحكومية، وخضعت معظم أراضي القبيلة لسلطة الإمامة، ودخلت القوات الإمامية مدينة بيت الفقيه، وقد استخدمت الجيوش الإمامية القسوة ضد رجال القبيلة، وهذا ما أشارت إليه تقارير القنصل الأمريكي في عدن ما نصه :

((إن المهاجمون للمدينة أبدوا وحشية مفرطة، حيث لم يفرقوا بين الرجال المقاتلين، والشيوخ والأطفال، ويشير التقرير نفسه، إلى أن أمير الجيش أحمد طالب الزرانيق بدفع غرامة مالية مقدارها

---

1 – شجاب، قبيلة الزرانيق ، مرجع سابق ، ص 49 .

2 – المسعودي، مرجع سابق، ص 146 .

3 – جزيرة كمران : جزيرة تقع في البحر الأحمر ، بالقرب من مدينة الحديدة ، بمحاذاة منطقة الصليف . أنظر: الحجري، مرجع سابق، مج1، ص 187.

4 – المسعودي ، مرجع سابق ، ص 147 نقلاً عن التقارير البريطانية .

أربعين ألف ريال ماريا تريزا على القبيلة)) [1]. وبعد نهاية المعركة أُقتيد معظم رجال القبيلة المقاتلين إلى قلعة حجة معقل الإمامة الحصين، حيث تم سجنهم وقضي على الكثير منهم، حتى أصبحت لهم مقبرة في حجةتُعرف الآن بمقبرة الزرانيق .

الأسباب التي كانت وراء انتفاضة الزرانيق في تهامة .

تمكن الإمام يحي حميد الدين من إخراج الأدارسة من تهامة عام 1925، وفي أعقاب ذلك قام الشيخ أحمد فتيني جنيد، بإرسال برقية إلى عصبة الأمم طالب فيها بالاستقلال، وتكوين دولة شافعية في تهامة، تكون عاصمتها الحديدة، وعندما لم يحصل على التأييد، ويأس من الحصول على الاعتراف الخارجي بالاستقلال، أعلن الحرب على الإمام، بادئاً حركته بالهجوم على عدد من مواقع الجيش الإمامي، وقطع الطرق والمواصلات [2] .

غير أن بعض المصادر أشارت إلى دور بريطاني خفي في تشجيع الزرانيق للقيام بهذا التمرد، فهم كانوا يسعون إلى استغلال أي حركة لإرباك سياسة الإمام يحي الداخلية، ونشر الفوضى داخل المملكة، وأن هذا التمرد جاء متزامناً مع محاولة البريطانيين للاستيلاء على بعض مناطق اليمن، كقعطبة والضالع[3]، فأرادوا أن يشغلوا الإمام بحرب الزرانيق [4].

ويبدو أنّ كلا الإشارتين بعيدة عن الحقيقة، فالارتباط بالبريطانيين هي أولى التهم الموجهة إلى قبيلة الزرانيق من قبل السلطة لتأجيج مشاعر القبائل المحاربة ضد الزرانيق، وإشعارهم بأنهم يقاتلون عملاء النصارى، ومما يدلل على دحض هذا الارتباط هو ما أشارت إليه التقارير البريطانية السالفة الذكر: ((بأنه بعد فرار شيخ الزرانيق إلى كمران، أرسل برقيات استغاثة إلى حكومة عدن يطلب فيها دعم بريطانيا للزرانيق، في نضالها ضد الإمام يحي وأعوانه حتى يتم تخليص تهامة من قبضتهم)) ، وهذا الطلب جاء بعد هزيمة الزرانيق، مما يوحي بأن الاتصال مع بريطانيا لم يحدث . كما أننا لم نجد دليلاً يبين أن هذه القبيلة قد طالبت بالاستقلال عن

---

1 – المرجع نفسه ، ص 148. نقلاً عن التقارير الأمريكية في عدن .

2 – Wenner, op.cit. p. 73.

3 – قعطبة هي: مدينة يمنية تقع في الجنوب الشرقي من مدينة إب بمسافة 62كم ، أما الضالع فهي تقع جنوب قعطبة على بعد 96ميلاً عن عدن شمالاً . أنظر: المقحفي، مرجع سابق، ص 393، 520 . .

4 – البردوني، عبد الله : اليمن الجمهوري، دار الفكر، بيروت، ط4 ، 1994م، ص 128– 129 . ؛ فخري، اليمن ماضيها وحاضرها، مرجع سابق، ص 215.

اليمن، وإقامة دولة في تهامة، لأن مدينة الحديدة ومعظم القبائل المجاورة، قد خضعت حينذاك لسلطة الإمامة، وبخاصة أن هناك قبائل تهامية اشتركت في قمع هذا التمرد .

ولعل السبب كما يبدو وراء تمرد قبيلة الزرانيق، يرجع إلى سياسة السلطة الإمامية، التي قامت بفرض سلطتها المركزية بالقوة على مناطقهم، والتدخل في شؤونهم، وهو ما لم تألفه القبيلة في مراحل تاريخها، فضلاً عن الوحشية والتطرف الذي استخدمه الجيش الإمامي ضدهم.

2-**قبيلة القُحرى :**

وهي من القبائل الكبيرة في تهامة، وتسكن منطقة باجل المحاطة بجبال برع وريمة في الجنوب، وجبال حفاش وملحان والحجيلة من الشمال، شرقي مدينة الحديدة بمسافة 60 كم[1]. يعمل سكان هذه القبيلة في الزراعة والرعي، ويتوزعون على عدة قرى أهمها، الحُجيلة، والبُحيح، وعُبال، وجبل الضامر، والقوادره، والدباريش، وبنو أحمد، والمزارية، والزهوانية، والسالمية، والريسانية [2] . وتتفرع هذه القبيلة إلى فروع عدة منها : الجمادية، وبنو خلف، والخضارية، والمجاردة، وعزان، والضوامرة [3] .

عُرفت هذه القبيلة كغيرها من قبائل تهامة، بعدم الخضوع للحكم العثماني، وظلت محافظة على استقلالها رافضةً كل ما يؤدي إلى التدخل في شؤونها الداخلية، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وخروج العثمانيين من اليمن، قاومت قبيلة القُحرى الخضوع لسلطة الإدريسي في تهامة، ومن بعده سلطة الإمام يحي حميد الدين، وكان لهذه الروح الاستقلالية، وعدم الرضوخ لسلطة الإمامة حينذاك، دور في إثارة حفيظة الإمام يحي، الذي رأى أن موقفها هذا يناوئ حكمه[4] .

كان أول تمرد لها ضد السلطة الإمامية، عندما قامت باحتجاز بعثة جاكوب البريطانية عام 1921، والتي كانت متجهة في طريقها إلى صنعاء لمفاوضة الإمام يحي على المناطق الحدودية في الجنوب، مقابل إرجاع ميناء الحديدة إلى السلطة الإمامية [5]. فضلاً عما كانت تهدف إليه من استطلاع الأوضاع بصورة عامة، والتعرف على نوايا الإمام يحي الحقيقية تجاه حكومة

---

1 - الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، ج3، ص157 .

2 - الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مرجع سابق، مج1، ص 101- 102.

3 - المرجع نفسه، ص 101 .

4 - Stookey , op.cit. p. 174.

5 - المسعودي، مرجع سابق، ص 139 .

بريطانيا في عدن، والتعرف على مدى نفوذه السياسي على القبائل في تهامة، وهو ما أشار إليه جاكوب في مذكراته [1] .

كان الهدف من احتجاز البعثة البريطانية، إجبار السلطة الإمامية على عدم الاقتراب من تهامة، خاصة بعد نجاح القوات الحكومية في بسط سيطرتها العسكرية على منطقة ملحان والحجيلة القريبتان من حدود القبيلة . وإزاء هذا الإجراء الذي قامت به القبيلة من احتجاز البعثة، التي كان الإمام يحي ينتظر وصولها بفارغ الصبر للتفاوض معها بشأن ميناء الحديدة . بادر الإمام يحي إلى إرسال عدد من رسائل الاحتجاج، وبرقيات التهديد بالعقوبة إلي مشايخ القبيلة، إلاّ أنّ قبيلة القُحرى رفضت الاستجابة لمطالب السلطة [2] . وعندما وجدت السلطة أن لغة التهديد والشدة لم تجدِ مع شيوخ القبيلة، عدّلت من لهجتها، واستخدمت لغة التفاوض بهدف إطلاق البعثة، وتمت الاتصالات بين السلطة، ومشايخ قبيلةالقُحرى عن طريق القاضي محمد نديم بك العثماني، الذي استبقاه الإمام يحي ليكون وزيراً لخارجيته، وعلى الرغم مما أبداه القاضي محمد نديم من التجاوب لمشايخ القبيلة، والعرض عليهم ببقاء الوضع على ما هو عليه في مناطقهم، وإبقائهم كشيوخ على مناطقهم، إلاّ أنّ تمسكهم بالاستقلال، وعدم التدخل في شؤونهم، أفشل المفاوضات . وبعد عدة محاولات واتصالات، وافق مشايخ القبيلة على إطلاق سراح البعثة، شريطة أن لا تعاود الاتصال بالإمام يحي، أو تجري معه أي مفاوضات دبلوماسية، وقبلت البعثة بذلك، وتم الإفراج عنها بعد ثلاثة أشهر من احتجازها [3].

3- قبيلة صُدْلِي:

يرجع اسم هذه القبيلة إلى رجل اسمه صُدْلِي[4]، وهي من القبائل العكّية التي تستوطن منطقة الزيدية، وتمتد حدودها من منطقة الساحل المقابل لجزيرةكمران في البحر الأحمر غرباً، حتى أقدام

1 - سالم، تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، ص 258.

2 - المسعودي، مرجع سابق، ص 140- 141 .

3 - المسعودي، مرجع سابق، ص 141 .

4 - صُدْلِي بن حسين بن يوسف بن حسن بن المخروق، بن الفارس، بن التوام بن قيس، بن زيد، بن مسارحه ، بن ردم بن عيسى، بن ربيعة ، بن عيسى بن غالب، بن شخاره، بن عبد الله بن عك ن بن عدنان . أنظر: الوشلي، نشر الثناء الحسن، مرجع سابق، ج3، ص 86 – 87 .

جبال ملحان في الشرق، ومن منطقة الضحى جنوباً إلى الخشم شمالاً، وتضم هذه القبيلة مدينة القناوص، والمنيرة، ودير المعروف، ومنطقة المغلاف[1].

تتفرع هذه القبيلة إلى عدة فروع: فمن فروعها، بنو سويد ، وبنو عُكاش، وبنو عبل، وبنو حمادة، وبنو عويدان، وبنو قُطينة، وبنو خمجان، وبنو العيسي، وبنو المعروف، وبنو الزين، وبنو الكلفود، وبنو الأحمر[2] . يعمل سكانها في الزراعة، واستخراج الملح، حيث منجم ملح الصليف، إلى جانب الصيد البحري[3].

4- قبيلة بني قيس :

تقع مساكن هذه القبيلة في وادي مور الأدنى، وتعد مواطنهم من أغنى مواطن تهامة، وذلك لما تتمتع به المنطقة من الموارد المائية شبه الدائمة، والتي تقوم عليها زراعة العديد من المحاصيل الزراعية، وخاصة الذرة الرفيعة والدخن. تميزت هذه القبيلة بقوتها وشجاعتها، حيث كان لها دورها بعد ثورة سبتمبر/أيلول 1962، في الدفاع عن النظام الجمهوري، خلال فترة الحرب الأهلية، حيث انضمت هذه القبيلة إلى اتحاد قبائل بكيل، وكان لها وزنها النوعي أثناء هذه الحرب، وذلك لكثرة عدد محاربيها، وشدة بأسهم وتسليحهم الذاتي القوي[4] .

5- قبيلة الواعظات :

قبيلة الواعظات من القبائل الكبيرة في تهامة، وهي من القبائل العكّية التي تستوطن ناحيتي الزُهرة والُلَحّية، بحيث تمتد مواطنها من جنوب اللُحّية، حتى وادي مور شمالاً، وتضم أراضيها دلتا وادي مور الخصيبة، حيث تقوم بعض الزراعات حول هذا الوادي. ومن أهم مناطق هذه القبيلة، الواعظات، والزهرة، والُمعرّص، ومنطقة غنمة، والُلحّية [5] .

6- قبيلة أسلم:

مساكن هذه القبيلة السفوح الجبلية الشرقية من قبيلة بني عبس، وأغلب سكانها يزاولون مهنة الزراعة، ومن أبرز مدنهم الرئيسية (أسلم)، التي تتبع إدارياً محافظة حجة، وتعد قبيلة أسلم، وبني

---

1 - جعفر، مرجع سابق، ص 64.

2 - الو شلي، مرجع سابق، ج3، ص 88- 92.

3 - المرجع نفسه، ص 92 .

4 - جعفر، مرجع سابق، ص64.

5 - المرجع نفسه، ص 63 .

قيس القبيلتين الوحيدتين في تهامة اللتين دخلتا في حلف مع قبائل بكيل أثناء الحرب الأهلية بعد ثورة سبتمبر/ أيلول 1962[1] .

7- **قبيلة الزعلية :**

تقع مواطن هذه القبيلة إلى الجنوب من مدينة اللُحَيّة ووادي مور، يحدها من الشمال قبيلة الواعظات، ومن الجنوب قبيلة صُليل، يحترف سكان هذه القبيلة بالإضافة إلى الزراعة العمل في ميناء اللحُيّة، والصيد البحري[2] .

8- **قبيلة بني عبس:**

وهي أحد بطون قبائل مراد، ويطلق عليها في كثيراً من الأحيان قبائل مراد، تمتد مواطن هذه القبيلة فيما بين مدينة عبس جنوباً، وحتى ميدي وحرض على الحدود اليمنية السعودية شمالاً، ونظراً لقلة خصوبة أراضي هذا الجزء من تهامة، وقلة أمطاره، يلجأ سكان هذه القبيلة إلى المملكة العربية السعودية للعمل، وخلال الحرب الأهلية بعد ثورة سبتمبر/ أيلول 1962، كانت أراضي هذه القبيلة مسرحاً للعمليات العسكرية بين الملكيين، والجمهوريين[3] .

9- **قبيلة الجرابح :**

قبيلة الجرابح تنسب إلى بولان بن عبدالله بن عكّ، ومركزها الإداري مدينة الضحي بوادي سردد من أعمال قضاء الزيدية [4]. ونظراً لتوفر مياه وادي سردد أغلب فصول السنة، ومروره بأراضي هذه القبيلة، لذا عمل سكان هذه القبيلة بالاشتغال بالزراعة كمهنة رئيسية، كما كان لإنشاء طريق الحديدة صنعاء المار بأراضي هذه القبيلة، أثره في تطوير أسلوب زراعتهم وحياتهم، بخاصة بعد أن نفذ مشروع وادي سردد، واستصلحت بعض أراضيه[5] .

10- **قبيلة هشابيرة :**

---

1 - المرجع نفسه .

2 - المرجع نفسه .

3 - جعفر، مرجع سابق، 63 .

4 - الحجري، مجموع بلدان اليمن، مرجع سابق، ج1، ص 182.

5 - جعفر، مرجع سابق، ص 65.

تستوطن هذه القبيلة الشريط الساحلي مابين شبه جزيرة الصليف شمالاً ، وقرية جناته عند رأس الكثيب جنوباً ، وتمتد شرقاً إلى قرب قرية القناوص، ويزاول سكانها الصيد البحري، واستخراج الملح، فضلاً عن الرعي البسيط على أعشاب الكثبان الرملية القريبة من الشاطئ [1].

11- قبيلة العبسي (العَبْسِّية) :

هي مجموعة قبلية تقع إلى الجنوب من قبيلةالقُحرى، وتمتد مواطنها فيما بين الساحل الغربي للبحر الأحمر وحتى السفوح الشرقية لجبال برع وريمه، وأهم مراكزها مدينة المنصورية، والسخنة [2] .

تتفرع هذه القبيلة إلى عدة فروع: فمن فروعها الرقاب ومساكنهم دير الهبة ودير الدوم، والربصأ ومساكنهم السليمانية والزيدية والملاكدية، وبنو صلاح ومساكنهم في الكدايد، ودير الناشري والفلافله ومساكنهم الساقية والمضاونة، ودير القنبور، ودير داود، والكرادية ومساكنهم الكرد والعوامر والقطاملة والشراعية[3] .

رابعاً – فئة التجار :

وهي من فئات المجتمع المهمة التي قامت بدور فاعل في بلورة الهيكل الاقتصادي للبلاد، وكانت تسيطر على حركة التبادل التجاري الخارجية والداخلية، وحققت من خلال ذلك أرباحاً كبيرةٌ، رفعت مكانتها إلى مقام الفئات المهمة في البلاد[4] .

اتسمت هذه الفئة بعدم تجانسها خلال فترة الدراسة، من خلال التباين والتمايز المادي والاقتصادي، فكبار التجار ينحدر أغلبهم من الأسر ذو المكانة الاجتماعية، أمثال السادة والقضاة والذين كانت لهم علاقات بالسلطة، بينما لم يتمتع بهذه الامتيازات الاقتصادية والسياسية العدد الكبير من صغار ومتوسطي التجار في تهامة[5].

---

1 – الوشلي : محافظة الحديدة (دراسة جغرافية)، مرجع سابق، ص 166 .

2 – جعفر، مرجع سابق، ص66.

3 – الحجري، مجموع بلدان اليمن، مرجع سابق، ص 574. ؛ الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 172.

4 – شاهر، مرجع سابق، ص 232.

5 – جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق ، ص 142 .

وقد ارتبط بشريحة التجار في تهامة عدد من الأفراد الذين أدوا مهام لها صلة وثيقة بالتجارة لتسهيل عمليات البيع والشراء، وتداول السلع بين التاجر والمستهلك ويسمون بالدلالين[1] . هذه المهام التي كان يؤديها الدّلال من حيث عرض السلع وتسويقها، هي ما تشبه في وقتنا الحالي بالإعلانات المصورة المعروضة بالقنوات الفضائية والمجلات.

كانتالمواد التي يـُتاجر بها في تهامة هي: العطور والتوابل، والمواد الغذائية، والأقمشة، وقد عمل بها أكثر الناس في تهامة على اختلاف أحوالهم، لكثرة الطلب عليها من خاصة الناس وعامتهم [2]

.

وقد ظهرت في تهامة مجموعة من التجار الكبار الذين عملوا على احتكار التجارة الداخلية والخارجية استيراداً وتصديراً ، بالتعاون مع السلطة الإمامية، ومن أبرزهم التاجر علي محمد الجبلي، وعائلة الحاج حسين غالب الوجيه، والشيخ عمر سليمان المزجاجي وابنه أحمد عمر سليمان المزجاجي، إلى جانب هؤلاء التجار، فقد ظهرت مجموعة من التجار الصغار، الذين امتلكوا رؤوس أموال متواضعة، استثمروها في عملية البيع والشراء بالتجزئة، من خلال حوانيتهم الصغيرة، وقد مُيزوا عن كبار التجار ببساطة حالهم، وتواضع تجارتهم التي قام أغلبها في الأسواق الشعبية، والأحياء المتواضعة والفقيرة [3].

ومما يلاحظ أن المجتمع اليمني(تهامة) بكل ما فيه من تمايز بين الفئات التي ذكرت، إلاّ أّنه لا يوجد فيه وضوح طبقي(كما هو حال الواقع الاجتماعي العربي عامة)، لذلك نجد أن هذه الفئة قد تميزت بانحدارها من أصول فلاحية، أو ممن يملكون أراضي زراعية، كما أن حوانيتهم التي كانوا يملكونها كانت عائلية أكثر منها فردية [4]، وكانوا يتوزعون في مدن وأرياف تهامة منقسمين إلى قسمين :

---

1 – الدّلال(السمسار): هو من يرشد المشتري إلى البضاعة، ومن يجمع بين البائع والمشتري، كما ينادي على السلعة لتباع في الأسواق.

2 – شاهر، مرجع سابق، ص 234.

3 – شاهر، مرجع سابق، ص234 .

4 – الشهاري، مرجع سابق، ص 79 .

أ- تجار المدن: وهم الذين مارسوا تجارتهم في مدن تهامة، وتمّيزوا عن تجار الريف بكثرتهم، وتوفر رؤوس أموالهم، وكان أغلبهم ممن توارثوا مهنة التجارة عن آبائهم، وتخصصوا فيها، كتجارة الأقمشة، والعطورات، والجلود وغيرها[1] .

ب- تجار الريف: ويقصد بهم من يزاولون التجارة في القرى والمدن الصغيرة في تهامة، عبر حوانيتهم التي تحتوي على بضائع وسلع ضرورية للاستخدام اليومي، مثل السكر، والكبريت، والجازولين، والصابون، والتوابل[2].

وعلى الرغم أن هذه الفئة كانت مفتوحة على غيرها، بحيث لا توجد محددات تقليدية للانتماء إليها، كما هو لدى فئتي السادة والقضاةإلاّ أّنه لم يُ عرف خلال فترة الدراسة في تهامة، حالات أصبح الخادم فيها تاجر، كما أنّ التمايز كان موجوداً بين هذه الفئة، والذي يرجع بشكل أساسي إلى الاختلاف في رؤوس الأموال، وحجم النشاط التجاري الذي يتدخل في تحديد المكانة الاجتماعية للفرد في هذه الفئة[3] .

ففي مجتمع المدينة مثلا احتل التجار مكانة تلي السادة والقضاة، بينما في الأرياف، كانت مكانة التاجر في المرتبة الرابعة بعد مشايخ القبائل[4].

أّما عن علاقة الزواج بين هذه الفئة، فقد كان المجال مفتوحاً بين أفراد هذه الفئة، والفئات الأخرى، عدا الفئات المحتقرة، إلاّ ّانه في الواقع العملي، فقد انحصر الزواج بين العائلات التجارية نفسها، أو فيما بينهم وبين أغنياء الفلاحين[5].

عانى تجار تهامة وخاصة صغار التجار ومتوسطيهم من مزاحمة موظفي الدولة لهم في الأعمال التجارية، ومن أعمال المصادرة والابتزاز، والذين لا يستنكفون عن القيام بها[6] . وجدت أيضاً مجموعة من العوامل التي حدّت من التجارة كنشاط اقتصادي، ووقفت عائقاً أمام فئة التجار لتنمية تجارتهم في المنطقة، ومن أبرز هذه العوامل مايلي:

1 - الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 202- 203 .
2 - المرجع نفسه، ص 204 .
3 - شاهر، مرجع سابق، ص 232- 233.
4 - المرجع نفسه، ص 233.
5 - الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص193 .
6 - الخطري، عبد القادر : الإمامة وأسلحتها الفتاكة، مطبعة الجمهورية، تعز، (د.ط)، 1382هـ/1962م، ص 28- 29 .

1- تخلف السلطة الحاكمة، والمتمثلة بالإمام يحي، ومن بعده الإمام أحمد، وتمثل هذا التخلف في رفض كل ما هو جديد ونافع للبلاد، والاقتصار على كل ما هو بدائي ومتخلف، تحت مشاعر الخوف من انهيار النظام الإمامي، هذه العقلية المتخلفة كان لها أثر في عدم تنشيط التجارة، وابتكار وسائل حديثة في هذا المجال، والانفتاح على العالم [1].

2- انتهاج السلطة سياسة عزل اليمن عن المحيط الخارجي في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية، وكان دافعها في ذلك الخوف من كل ما هو أجنبي، سواء كانت دولاً أو شركات أو أفراد. وهو ما عّبر عنه نزيه مؤيد العظم خلال زيارته للإمام يحي في صنعاء، على لسان الإمام يحي بقوله: ((إّنه يخشى كثيراً أن يعقد أي اتفاقية مع الأجانب، لأّن هذه الاتفاقية ستكون في يومٍ ما من جملة الأسباب التي تحدو بالأجانب إلى التدخل في شؤون اليمن)) [2]. وهو ما انعكس على الحياة الاقتصادية بشكل عام ومنها التجارة.

3-فرض الضرائب الباهظة، والرسوم الجمركية على البضائع الصادرة والواردة، فضلاً عن انعدام شبكة مواصلات حديثة داخل المنطقة، وهو ما شكّل عائقاً أمام هذه الفئة من ممارسة مهامها التجارية[3].

4- تعرض موانئ تهامة للتخريب، وذلك بفعل الأحداث السياسية التي تعرضت لها المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى، حيث خضع ميناء الحديدة لأربع حكومات متتالية، ففي فترة الحرب العالمية الأولى كان ميناء الحديدة خاضعاً للإدارة العثمانية، وعندما أعلنت الحرب تعرض الميناء للحصار والقصف البحري ثم الاحتلال البريطاني له، وأثناء الاحتلال أصدرت الإدارة البريطانية في الهند مرسوماً يقضي بتحديد نسبة الرسوم الجمركية، وذلك مما قلل من حركة الميناء، وظل الحال كذلك حتى سلمت بريطانيا الميناء للسيد محمد الإدريسي منذ عام1921 حتى 1925 [4] .

وخلال هذه الفترة تعرض الميناء للفوضى، وازدياد الضرائب الجمركية، حيث أصبحت 15% بعد أن كانت 1,5% ، فضلاً عن قيام الأدارسة بفرض ضرائب على المنازل أربعة أضعاف ماكان يفرضه العثمانيون، ونتيجة لهذه الممارسات أقفلت 16 شركة أجنبية في مدينة الحديدة، وأصيبت

---

1 - الصائدي، حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص 106- 107.

2 - العظم، مصدر سابق، ج1، ص 245.

3 - الصائدي، مرجع سابق، ص 108.

4 - المسعودي، مرجع سابق، ص 40 .

الحركة التجارية بتدهور كبير، ومما يدلّ على هذا التدهور أنّه في السنة الأولى لتسلم الإدريسي الحديدة وميناؤها، كانت حصيلة الضرائب من الجمارك قد بلغت 80 ألف ريال ماريا تريزا، وانخفضت هذه الحصيلة في عام 1923 إلى 20 ألف ريال، ويرجع ذلك إلى إفلاس كثير من التجار وانتقالهم إلى أماكن أخرى[1]، وباسترجاع الإمام يحي لتهامة عام 1925 من الأدارسة تعرض تجار المنطقة للابتزاز من قبل سلطات الإمامة، مما كان له دور في عرقلة النشاط التجاري في المنطقة كما سبقت الإشارة إليه .

5- هيمنة الأسرة المالكة وكبار موظفيها على التجارة الداخلية والخارجية .

6- تخلف السياسة النقدية، حيث اعتمدت البلاد في عملية التبادل التجاري على ريال (ماريا تريزا)، أما القطع القدية الصغيرة ، فكانت تصك محلياً ، وبكميات قليلة لا تتناسب مع حاجة السوق المحلية، مما دفع السكان إلى استخدام نظام المقايضة وهو ((بيع سلعة بسلعة)) [2].

7- انعدام السوق الذي يشمل البلاد بأسرها، وقد نتج عن ذلك اقتصاد قوامه الكفاف، حيث يستهلك المنتج المحلي بالدرجة الأولى لإشباع حاجات الأسرة المباشرة [3].

فضلاً عن ذلك عدم وجود ضمانات للتجار في ممارسة تجارتهم، مما كان له دور في إعاقة نمو التجارة الداخلية .

هذه العوامل عرقلت من ازدهار الحركة التجارية، وأصبح من المستحيل حصول نمو حقيقي فيها، ولذا كانت الهجرة لكثير من التجار هي الوسيلة المناسبة للخلاص من ذلك الوضع والتسلط الإمامي، فانتشر بعض التجار اليمنيون في مناطق مختلفة من العالم، وكانت مستعمرة عدن حينذاك هي أهم مراكز الهجرة، التي استقبلت المهاجرين التجار، وذلك بحكم قربها من حدود مملكة الإمام يحي، وبما توفر فيها من مناخ تجاري ملائم [4].

تعددت التفسيرات والأسباب التي دفعت السلطة للقيام باحتكار التجارة خلال فترة الدراسة، من أهم هذه التفسيرات ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله : ((ولم يكن الإمام يحي ليرغب في أن يسمح أن تبقى التجارة الخارجية بأيدي الشوافع . يقصد به أهل تهامة . ، ونتيجة لذلك فإن إجراءات

---

1 - بولدري ، مرجع سابق ، ص 70 .

2 - غالب، اليمن، مرجع سابق، ص 48-49.

3 - المسعودي ، مرجع سابق ، ص 37 .

4 - الصائدي، حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص 109 – 110.

مباشرة اتخذت في الحال للحد من تأثيرهم الاقتصادي، وبعد ذلك أصبحت معظم التجارة الخارجية يقوم بها عملاء معينون من قبل الإمام، وكان من الطبيعي أن يغتاظ التجار الشوافع من مثل تلك الإجراءات الصارمة التي قام بها)) (1) .

ويبدو أن هذا التفسير غير صحيح، فاحتكار التجارة من قبل الإمام ووكلائه لم يكن بدوافع مذهبية، وإنما بدوافع مادية بحتة، ومما يدلّ على ذلك أنّ نصيب التجار المنتمين للمذهب الزيدي لم يكن أفضل ممّا كان عليه نصيب التجار الشوافع من سكان تهامة، كما أنّ عدد التجار الزيديين ضئيل بالقياس إلى أعداد التجار الشوافع، لذلك فإن تذمر التجار ومعارضتهم للنظام الإمامي، لا يستند إلى التفسير الطائفي، بل هناك أسباب عدة دفعت فئة التجار للانخراط في سلك المعارضة ضد النظام الإمامي، ومن أهم هذه الأسباب مايلي(2):

1- تعارض مصالح النظام الإمامي، ومصالح فئة التجار .

2- المنافسة التجارية غير المتكافئة، وسياسة الاحتكار التي انتهجتها السلطة.

3- حاجة التجارة إلى إصلاحات تمكّنها من الحركة والنشاط ، كإصلاح نظم الإدارة، وأوضاع الجمارك، وإلغاء الحواجز، وإيجاد سياسة نقدية، وإيجاد طرق ومواصلات داخلية، وتحسين حالة الموانئ .

4- أثرت هجرة التجار بما يحملونه من فكر وطني، باندفاعهم للمشاركة في إصلاح أوضاع البلاد، مقارنة بما وجدوه ولمسوه في مهاجرهم .

خامساً ـ الفلاحون :

يشكّل الفلاحون أغلبية سكان تهامة، إذ كانوا يُقدرون خلال فترة الدراسة بحوالي 80%، وهي الفئة المنتجة، فمن عرقها تأتي موارد المنطقة (3).

ونتيجة لغياب الإحصائيات، والتسجيل خلال فترة الدراسة لملكية الأراضي في تهامة، فإنّه يتعذر تحديد دقيق لحجم الملكيات الزراعية لهذه الفئة، إلاّ أنّ منظمة التغذية والزراعة أعطت بناءً على ما قامت به من دراسات تقريراً جاء فيه: ((أن 90% من صغار الفلاحين لا يملكون سوى

1 - Wenner, op.cit. P. 86.

2 - الصائدي، حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص 116.

3 - العطار، مرجع سابق، ص 118.

20% من الأراضي القابلة للحرث، وهذه الأراضي هي بصفة عامة قطع صغيرة مبعثرة، تتراوح من 1- 20 هكتار))[1] .

يختلف الفلاحون في ملكية الأراضي من منطقة إلى أخرى في اليمن، ففي المناطق الشمالية الشرقية يُعد الانتساب إلى القبيلة ذا أهمية خاصة، بحيث يحرص الفلاحون على تأكيد هذا الانتساب في كل الأوقات، ويفتخر الفلاح على سبيل المثال بانتسابه إلى قبيلتي حاشد وبكيل، مظهراً تضامنه في الأفراح والأتراح، ومبدياً تعاونه في الملمات، بينما الفلاحون في تهامة والمناطق الوسطى، فهم أقل اهتماماً بأصولهم القبلية، لكنهم في نفس الوقت أكثر انتفاعاً بأراضيهم، بسبب خصوبتها، وإمكانية زراعتها في مواسم مختلفة من السنة[2] .

يندرج ضمن فئة الفلاحين في تهامة الشُقاة (العمال الزراعيون)، وهم الذين لا أراضي زراعية لهم [3]، وكانوا يمثلون نسبة كبيرة من سكان تهامة، وكانوا يُقدرون مع عائلاتهم بـ10%، هذا التقدير موضحاً في التقرير الذي قدمه السيد محمد علي عثمان خلال ترأسه لإتحاد الدول العربية، الذي ضم المملكة المتوكلية اليمنية عام 1959[4].

لكن بعض الباحثين يشككون في هذه النسبة، ويرون أنها مبنية على التخمين، وأنّ نسبة هؤلاء الشُقاة مع عائلاتهم كانت أكبر من ذلك في تهامة، ويرجعون ذلك إلى أن واضعي التقرير هم من ممثلي المملكة المتوكلية اليمنية، الذين ينتمون إلى كبار ملاك الأراضي في اليمن[5] .

كانت أجور العمال الزراعيين منخفضة جداً ، إذ أنّ أجرتهم اليومية تتراوح مقدار قيمتها فيما بين 20 سنتيم من الدولار إلى 80 سنتيم، وذلك بحسب اختلاف المناطق، وشروط العمل والعمر، هذه الأجور المنخفضة كانت لا تفي بالحد الأدنى من احتياجات الفلاح الأساسية مما لا يُعطي أي إمكانية للوفر الذي من شأنه أن يتيح للفلاح الفقير تحسين وسائله الزراعية، بل يجعل الفلاح دائماً بحاجة إلى الاقتراض من كبار الملاك وخاصةً إذا قّلت الأمطار ، وعّم الجفاف، وهو ما يؤدي بالفلاح في النهاية إلى ترك الأرض، والهجرة خارج وطنه بحثاً عن مصدر آخر للرزق[6] .

---

1 – المرجع نفسه، ص124 .

2 – زكريا، مرجع سابق، ص 124 .

3 – عمر، مرجع سابق، ص 99.

4 – الشهاري ، مرجع سابق ، 67 .

5 – عمر، مرجع سابق، ص 68.

6 – العطار، مرجع سابق، ص 131.

وبسبب تفاوت حجم ما يمتلكه الفلاح من أراضي زراعية في تهامة، ودرجة خصوبة الأرض، ونوعية المحصول الذي يزرع، فقد انقسمت فئة الفلاحين إلى أربع فئات هي[1] :

1- الفلاحون الأغنياء: وهم الفلاحون الذين يمتلكون أراضٍ تزيد عن قدرتهم على استغلالها استغلالاً مباشراً، فيسلمونها إلى فلاحين فقراء أو معدمين يقومون بزراعتها مقابل حصة معلومة من المحصول.

2- الفلاحون المتوسطو الحال: وهم الذين يمتلكون أراضي تكفي حاجتهم المعيشية، ويقومون باستغلالها بأنفسهم .

3- الفلاحون الفقراء: وهم الذين لهم أراضي لا تفي بحاجتهم ، فيقومون بزراعة أراضٍ أخرى يستأجرونها من كبار الملاك، أومن الفلاحين الأغنياء إلى جانب أراضيهم الخاصة .

4- الفلاحون المُعدمون: وهم الذين لا يمتلكون أراضٍ خاصة بهم، فيعيشون من عملهم، ومن زراعة أراضي كبار الملاك والفلاحون الأغنياء، ويطلق عليهم اسم الشُقاة أو العمال الزراعيين.

أوضاع الفلاحين الاقتصادية في تهامة:

عاش الفلاح في تهامة في ظروف اقتصادية زراعية شديدة التخلف، وعلاقات إنتاج مبنية على الاستغلال البشع من قبل ملاك الأراضي، فظلت أغلب هذه الفئة محرومة ليس فقط من لقمة عيشها، التي تحصل عليه بعرق جبينها، بل ومن المشاركة في تقلد المناصب السياسية ومن التعليم والثقافة[2]. وقد تعرض الفلاحون في تهامة لأنواع من الاستغلال من قبل السلطة، وذلك من خلال فرض الضرائب الباهظة عليهم [3]، واستخدام طرق عدة لجمع هذه الضرائب، منها طريقة التخمين (التقدير)، والبدل، والصبرة، وطريقة الالتزام [4] .

كما اتبعت السلطة لفرض سيطرتها على الفلاحين، وضمان تحصيل الضرائب، أساليب تعسفية، كالخطاط، والتنافيذ، ونظام البقايا[5]. كما أنّه في الوقت الذي حظّرت فيه السلطة على أغلب أبناء الفلاحين في تهامة الالتحاق في سلك الجندية، فقد فرضت عليهم فضلاً على ضريبة

---

1 - الشهاري، مرجع سابق، ص 66- 67 . ؛ عمر، مرجع سابق، ص99- 111 . ؛ الصائدي، حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص 17.

2 - عمر، مرجع سابق، ص 110.

3- لمعرفة ئأواع الضرائب الزراعية والحيوانية، التي تُؤخذ من الفلاح خلال فترة الدراسة، ينظر الفصل الأول من هذه الدراسة.

4 - عن هذه الطرق ينظر الفصل الأول من هذه الدراسة .

5 -عن هذه الأساليب، ينظر أيضاً الفصل الأول من هذه الدراسة.

المحاصيل الزراعية، ضريبة أخرى وهي ضريبة التجنيد، وإلى هذه الوضعية أشار الزبيري بقوله : ((وكان سكان اليمن الأعلى طبقة حاكمة، تحتكر الحكم لنفسها، وتجعل من اليمن الأسفل (تهامة) مجرد مجال حيوي لها)) [1] .

كما أن نظام الإمامة لم يتورع أيضاً عن تشغيل الفلاحين للقيام بإعمال مضنية وشاقة، وبأدواتهم الخاصة، في الأشغال العامة التابعة للسلطة ومن مهامها الأساسية، كإصلاح الطرق، وبناء المؤسسات الحكومية، دون أي أجر يذكر[2] .

فضلاً عّما سبق فقد تعرض الفلاحون أيضاً إلى الاستغلال من قبل كبار ملاك الأراضي في تهامة، وذلك من خلال علاقات الإنتاج غير العادلة بين الطرفين، والتي تقوم على أساس المشاركة في المحصول كما سبقت الإشارة إليه، حيث كان مالك الأرض في الأغلب يقدم من طرفه الأرض فقط، بينما يقوم الفلاح بدوره بتوفير وسائل الحرث والبذور، فضلاً عن مجهوده العضلي ومجهود أسرته.

إنّ هذه الطريقة في استثمار الأرض، وغيرها من الطرق المشار إليها، كانت تمثل شكلاً من أشكال التبعية لمالك الأرض، كما تضمن له حقه في التملك الدائم للأرض، التي يعمل فيها الفلاح، وأنّ المستفيد الأول من هذا النظام هم أصحاب الأراضي من الشيوخ وكبار الملاك[3] . إنّ هذا الشكل من المشاركة كان سائداً أساساً بين كبار ملاك الأراضي، وفقراء الفلاحين الذين يضطرون للدخول في هذه المشاركة لأسباب عدة منها : قلة إنتاج ملكياتهم الصغيرة التي لا تفي بمعيشتهم، فضلاً على عدم قدرة أو إمكانية الفلاح الفقير على أن يزرع أرضه بنفسه، لسبب أو لآخر .

إنّ هذا الاستغلال البشع الذي عانى منه أغلب أفراد هذه الفئة في تهامة، نتج عنه آثاراً سلبية ألحقت أضراراً اقتصادية بالفلاح، وجعلته يعاني من فقر متواصل، من أبرز هذه الآثار:

أ- تدني دخل الفلاح المعيشي، نتيجة للضرائب الباهظة وطريقة تحصيلها، وذلك مما يلجأ الفلاح إلى الاقتراض من كبار الملاك، وبالتالي الوقوع في براثن هؤلاء الدائنين، مما أوصله في نهاية المطاف، إلى بيع أرضه لمقاضاة الدين الذي عليه. هذه الظروف جعلت دخل الفلاح وعائلته

---

1 – الزبيري، محمد محمود : الإمامة وخطرها على اليمن ، (د.ن) القاهرة ، (د.ط)، (د.ت) ، ص 14 .

2 – الشرجبي، الشرائح، مرجع سابق، ص 220 .

3 – المسعودي، مرجع سابق، ص 98 .

في أدنى مستوى، حيث يحصل تقريبا على 20% مما ينتجه، بينما يذهب الباقي إلى ملاك الأراضي، وكضريبة حكومية[1].

ب- بيع الأرض: ويرجع ذلك إلى كثرة الديون التي يقترضها الفلاح، مما يضطره إلى رهن أرضه، أو بيعها بثمن بخس ليسدد بها تلك الديون .

ج- الهجرة وترك الأرض: شكلت الهجرة خلال فترة الدراسة عامل انفراج اقتصادي لمعظم سكان تهامة، ومنهم الفلاحين الذين أخذوا يهاجرون بشكل جماعي إلى مستعمرة عدن، ومما شجع السكان على الهجرة إلى جانب الظلم الذي عانوه من السلطة الإمامية، وموظفيها، هو أنّ مكاتب الشركات التجارية في عدن لم تكن تطلب من اليمنيين جوازات سفر، خاصة من الذين كانوا يهاجرون للعمل بشكل جماعي إلى المناجم البريطانية، أو مناجم الفحم والحديد الهولندية والفرنسية[2] .

د- قلة الإنتاج في أراضي كبار الملاك: ويرجع ذلك لعدم توفر الحافز لدى الفلاح المستأجر للأرض، حيث أنّ الفلاح كان يرى أنّ أي زيادة في إنتاج الأرض، إنما هو لصالح مالك الأرض، الأمر الذي يجعله يقلل من مجهوده، فكل زيادة في الإنتاج تعني في نظر الفلاح الزيادة في دخل ملاك الأراضي ، مع وجود عوامل مترافقة تتمثل بعدم وجود التقنية الحديثة في الزراعة، وانعدام السماد، مما أدى إلى نقص كمية الإنتاج الزراعي[3] .

سادساً – الحرفيون وأرباب المهن:

هم فئة ارتبطت بحياة الناس اليومية، وهم عُمال يمثلون مختلف أنواع الصناعات والحرف التقليدية التي اشتهرت بها تهامة، كالحدادة، والنجارة، وصناعة المنسوجات، والجلود، والحلي، والصباغة، والحصير (الحُصر)، وبعض الصناعات الغذائية ؛ أما المهنيون فهم الذين يؤدون خدمات اجتماعية تعتمد في الأساس على العمل اليدوي (كالحلاقة، والجزارة، والحجامة)[4].

لقد ارتبط وجود هذه الفئة بعملها، وهو إنتاج الأدوات التي يحتاجها الإنتاج الزراعي، وإنتاج السلع الاستهلاكية لمجمل الفئات الاجتماعية، وتقديم الخدمات المختلفة لها.

---

1 – العطار، مرجع سابق، ص 130.

2 – عمر، مرجع سابق، ص 122.

3 – العطار، مرجع سابق، ص 163.

4 – شاهر، مرجع سابق، ص 234.

تميزت هذه الفئة بتوارث المكانة الاجتماعية فيما بينها، حيث أنّ الفرد يرث مهنة أبيه وأجداده، وذلك مهما تغير الوضع الاجتماعي والاقتصادي للإبن فإّنه يظل منتمياً لنفس المستوى المعين لأبناء فئته، كما يظل محتفظاً بنفس المكانة الاجتماعية التي تنحدر منها أسرته ، وبناءً عليه فإن ابن الحلاق أو الجزار مهما تغير وضعه الاقتصادي، فإّنه لا يمكنه الزواج إلاّ من نفس الفئة التي ينتمي إليها، أو من نفس المستوى الاجتماعي لعائلته، إلاّ أنّ هذه الحواجز الاجتماعية بين هذه الفئة وبقية الفئات الأخرى لا تمثل عائقاً أمام الاتصال والتفاعل الاجتماعي بينهما، بل إّنه مهما كانت المرتبة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد فإنه لا يُعد منبوذاً من أفراد المرتبة التي تعلوه[1].

تعّرضت هذه الفئة لنوع من عدم الاحترام الاجتماعي من بقية الفئات التي تعلوها في المرتبة الاجتماعية، وقد اختلفت درجة عدم الاحترام من منطقة لأخرى، بحسب قوة أو ضعف القيم القبلية، فهي واضحة حيث تكون العلاقات والمؤسسات القبلية قوية، وتضعف أو تكاد تتلاشى في المناطق الزراعية التي تجاوزت بعض التقاليد القبلية، وحيث تتشكل قيم جديدة مغايرة للقيم السابقة،ففي المناطق القبلية لا يدخل أهل الحرف والمهن في قوام القبيلة، وإنما يُعدون جوار، لهم حق الحماية من أفراد القبيلة، مقابل التزامهم بتأدية نفس الأعمال التي ورثوها عن أسلافهم[2] . كما أن نظرة عدم الاحترام نحو هذه الفئة متمايزة، بحسب نوع المهنة، فالحرفيون كانوا يلاقون احتراماً أعلى من ذوي المهن التقليدية (كالحلاقين، والجزارين، والحجامين)[3]. ويرجع ذلك إلى أن الحرفيين كانوا يقهمون عملاً إنتاجياً يخدم المجتمع، ويعطيه قوة إنتاج جديدة، أّما ذوو المهن لم يكونوا يشبعون غير الحاجات الذاتية للأشخاص، وأن التقدير المتفاوت إزاء كل جماعة مهنية لم يكن ينبع من وعي الأفراد، بقدر ماكان ينبع من الضرورة الاجتماعية[4] .

إن أسباب عدم الاحترام لهذه الفئة، وخاصة ذوو المهن لا يرجع في الأساس إلى تلك الفئات لذاتها، أو لسلالتها، وإنما يرجع إلى الوزن النوعي للحرفة التي يزاولونها، والتي ينظر إليها المجتمع بنوع من عدم الاحترام، وما يدل على ذلك أنّ كثيراً من الأسر من خارج فئة ذوي المهن، لا تجرؤ

---

1 – أبو غانم، البنية القبلية، مرجع سابق، ص234.

2 – أبو غانم، مرجع سابق، ص 238 – 242.

3 – الشهاري، مرجع سابق ، ص 73 .

4 – المرجع نفسه، ص 73- 74 .

في الغالب على القيام بمزاولة هذه المهن مهما كان مستواها الاقتصادي، أو مهما كانت حاجتها للمال، والسبب في ذلك يكمن في التأفف من القيام بها، والخوف من العار، لكيلا تهبط إلى مكانة اجتماعية وضيعة .

ويشير أحد الباحثين اليمنيين إلى ذلك بقوله: ((بأن الحرفيين يمثلون لحظة جديدة في علاقات الإنتاج، وبداية لنشوء نظام اجتماعي جديد، نتيجة للانقسام الثنائي للعمل الاجتماعي بين المزارعين والحرفيين)) [1] .

ففي المجتمع القبلي ينظر إلى الشخص أو الفئة الاجتماعية التي تقوم بممارسة المهن السابق ذكرها، أنها قد تجاهلت الأصول المتوارثة والمتعارف عليها، التي تفرض على الشخص أن يمارس أعمالاً وأدواراً معينة ومحددة، وبالتالي فإن أي خروج عن النشاط الاقتصادي المرسوم له من قبل الفئة التي ينتمي إليها يفقده عضوية تلك الفئة، ومن ثم يصبح شخصاً ناقص العضوية في المجتمع، ولذا فهو يعامل كشخص مجهول الهوية والأصل، وذلك مما يفسر ويوضح الرابط الاجتماعي بين الأعمال الحرفية والمهنية، وبين المنحدرات الاجتماعية للأفراد الذين يقومون بمزاولتها[2] .

كما يرجع السبب في نظرة عدم الاحترام إلى هذه الفئة، إلى استمرار تأثير بعض القيم والمفاهيم البدوية، التي تزدري ولا تحترم العمل اليدوي عموماً، بما فيها النشاط الزراعي، حيث وجدت خلال فترات التاريخ اليمني، فئة اجتماعية متخصصة بالأعمال اليدوية والخدمية يطلق عليهم (بالقرو)، وكانت هذه الفئة غير محترمة في نظر البدو، لا لشيء إلاّ لأنها تمارس أعمالاً يدوية، أما غالبية قبائل البدو فكانت إلى جانب الرعي، مهتمة بحمل السلاح والفروسية . وبمرور الوقت ترك غالبية البدو الترحال، وبدأوا بالاستقرار، وعرفوا قيمة الزراعة وأهميتها بالنسبة للرعي، وتحولت هذه القبائل من بدوية متنقلة إلى قبائل فلاحيه مستقرة، ومع هذا التحول تلاشى عند السكان احتقار حرفة الزراعة ؛ لأنها أصبحت المصدر الأول في النشاط الاقتصادي للسكان. إلاّ أنّ بقية الحرف وبخاصة المهنية كالحلاقة، والجزارة ظلت غير محترمة، وذلك نتيجة استمرار تأثير بعض القيم الاجتماعية والثقافية البدوية على حياة وثقافة اليمنيين [3].

---

1 – المرجع نفسه، ص 72- 73 .

2 – أبو غانم، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 235.

3 – الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق، ص233 .

ومن خلال ماسبق، يتضح أنّ لدى المجتمع نظرة موجهة في الأصل إلى الأنشطة اليدوية والحرفية، وعليه فإنّ الذي يمارسها يتعرض لعدم الاحترام، والسبب في ذلك يعود إلى استمرار تأثير القيم البدوية المتعلقة باحتقار هذه الأعمال، فضلاً عن الجهل الذي كان سائداً بين أبناء المجتمع .

ضمت فئة الحرفيين والصناع مجموعة غير كبيرة من حيث العدد، فبحسب التقديرات كان يعمل في الإنتاج الحرفي ما يقارب من 8 – 10 % من السكان إلى بداية الثلاثينات من القرن العشرين، ثم انخفضت هذه النسبة بعد الحرب العالمية الثانية ؛ نتيجة تدهور الصناعات الحرفية المحلية، بسبب منافسة السلع والبضائع المستوردة والرخيصة لها، والتي تدفقت على البلد، فأغلقت الكثير من المصانع والحرف اليدوية، وأصبح أصحابها عمالاً مأجورين[1] .

لقد ترك تدهور الإنتاج الحرفي في تهامة في ظل غياب المعامل والمصانع الحديثة، أثره البالغ على أوضاع فئة الحرفيين والصناع، حيث أصبح معظم أفراد هذه الفئة يعملون بالأجرة وبرواتب ضئيلة جداً، لا تكفي تغطية نفقات أسرهم، وكانت أجور الحرفيين اليومية في الحديدة يومذاك كالتالي[2] :

1- أجرة العامل غير المتخصص من 20- 25 بقشة يومياً .

2- أجرة العامل المختص 40 بقشة .

3- أجرة المرأة العاملة في معامل تقشير البن وفرزه 10 بقشات .

4- أجرة الصبي 8 بقش .

أّما العمال الذين يعملون في بعض المشاريع التي تقوم بها هيئات المساعدات الأجنبية فكانوا يحصلون على أجور مرتفعة تتراوح مابين 45- 80 ريال شهرياً .

وللوقوف على الأدوار التي تمارسها هذه الفئة، نورد بعض النماذج عن هذه الفئة، وبخاصة من ذوي المهن التقليدية في تهامة ومنهم:

- **الحلاقين (المزينون):**

يُعرف الفرد من تلك الفئة في تهامة بإسم المزين أوالريس، وهم يمارسون وظائف عديدة ومتنوعة لا تقف عند حدود وظيفتهم الأساسية التي تتمثل بتزيين وجوه الناس، وحلق رؤوسهم، وإظهارهم بالمظهر الجميل، بل كان يقومون بأعمال كثيرة فرضتها ظروف المنطقة خلال فترة

---

1 - جولوبوفسكايا، ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق، ص 129- 130 .

2 - العطار، مرجع سابق، ص 133.

الدراسة كالحجامة، وممارسة الطب الشعبي (كخلع الأضراس، واستئصال اللوزتين، والختان[1] والكي)[2].

أما في الأفراح والمناسبا ت فيقوم الحلاق بتوزيع الدعوات للمدّعوين، وخدمة الضيوف والسهر على راحتهم، كما أنه يتقدم موكب العرس في حفلات الزواج، كما تقوم المزينة (زوجة الحلاق) بقص شعور النساء وتصفيفه، كما تشارك في ترتيب حفلات الزواج، فضلاً عن قيامها بخدمة مجالس النساء وقت المقيل [3]، من خلال إعداد المداعة (الأرجيلة)، والشاي، والقهوة [4]. كما يظهر دور الحلاق بارزاً في تهامة من خلال قيامه بحمل صندوق الهدايا الذي يحتوي على الحلي، والملابس المتنوعة، وكل ما تحتاجه المرأة لزينتها ليلة عرسها، ويسمى في تهامة (بالواجب). كما يقوم الحلاق بمصاحبة العريس (الزوج) إلى بيت عروسه لعقد القِران، حيث يقوم بعد انتهاء العقد، بإطلاق زغاريد الفرح المعبرة عن المباركة للعريس، وتوزيع الحلويات ورش العطور على الحاضرين[5] .

ومقابل هذه الخدمات العديدة يتقاضى الحلاقون أجوراً نقدية وخاصة في المناسبات الخاصة (كالزواج، والحج، ومواسم الأعياد)، فضلاً عن حصولهم على جزء من المحصول الزراعي، خلال مواسم الحصاه حيث يُعد هذا الجزء كحق وواجب مقرر لهم مقابل ما يقومون به من خدمات اجتماعية على مدار العام[6] .

وفي المناطق القبلية، يتمتع الحلاق بحق الحماية السياسية، والرعاية الاقتصادية، ويسمح له بالإقامة والسكن ضمن نطاق القبيلة، وعلى الرغم من هذه المزايا ؛ إلاّ أنهم ظلوا على هامش الحياة الاجتماعية والسياسية القبلية، ليس فقط بالنسبة لرابطة القرابة والزواج مع أفراد القبيلة، وإنما أيضاً يظلون خارج نطاق المسؤولية، والجزاء في المجتمع القبلي، بحيث أنّ الجريمة أو الجناية

1 – كان الحلاق يقوم بعملية الختان (الطهارة) للذكور، بينما تقوم المزينة بختان الإناث، وتعد ظاهرة ختان الإناث في تهامة، مقتصرة على بعض أجزائها، وذلك لحرارة ُمناخها.

2 – جولوبوفسكايا، حول مسألة الفئات الدنيا في الهيكل الاجتماعي للمجتمع اليمني، تر / قائد محمد طربوش، مجلة دراسات يمنية، ع (17) ، 1984م ، ص 191 .

3 – المقيل: يطلق في تهامة على الوقت الممتد من بعد صلاة الظهر حتى المغرب، ويتم فيه مضغ أوراق القات.

4 – الشرجبي، الشرائح، مرجع سابق ، ص 239 – 240 .

5 – بونفان، بول : أحياء زبيد : ملاحظات في التاريخ الاجتماعي، مجلة حوليات يمنية، صادرة عن المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2002م، ص 56 .

6 – أبو غانم، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 239.

التي يقوم بارتكابها أحد أفراد القبيلة التي يعيشون تحت رعايتها، تقع مسؤولية الفعل على كل أفراد القبيلة، عدا أفراد هذه الفئة، حيث لا تقع على عاتقهم أية مسؤولية، بمعنى أنهم يرتبطون بأفراد القبيلة التي يقيمون فيها، ويعيشون في حماها بروابط محددة وثابتة، يتم تدوينها في قواعد مكتوبة ومعروفة من قبل كل أفراد القبيلة، وتعرف عادة (بقواعد الضمان والحماية)، وهي تتضمن الحقوق والواجبات سواء بالنسبة للقبيلة، أو للأفراد الذين تقوم بحمايتهم، وبالتالي يتوجب على هؤلاء الأفراد بواسطة تلك القواعد أن يلتزموا بنفس الأعمال والمهن الوظيفية، التي حدّدتها لهم القبيلة، وفي حالة عدم الالتزام تفقد هذه الشريحة حق الحماية، وكذا تأمين المعيشة الاقتصادية، وحق الإقامة التي تمنحها القبيلة لكل فرد منهم[1]. وكان لكل حلاق في تهامة عدد من الأسر يتولى خدمتها في الأفراح والأتراح، هذا التقسيم فرض عليهم نظاماً خاصاً بهم، وقانوناً عرفياً ينظم حركتهم، وشؤون حياتهم داخل كيان المجتمع، ويضمن لكل فرد فيه حقه، والذي لا يجوز الاعتداء عليه، كما كان لكل مجموعة من الحلاقين عاقل يفصل في حل مشاكلهم، وخلافاتهم بحيث لايتعدى أي فرد منهم على عمل الآخر .

ومن الجدير ذكره إنه لم يكن للحلاقين في تهامة خلال فترة الدراسة أماكن خاصة (صالونات) يمارسون فيها مهنة الحلاقة، بل كان الفرد منهم يقوم بحمل أدوات الحلاقة معه في حقيبة صغيرة، ويطوف على زبائنه في بيوتهم، أو يذهب إلى السوق الأسبوعي لممارسة مهنته، فإذا وجد أحد زبائنه أرتكن به في إحدى الأماكن العامة، وفي الهواء الطلق وقام بتزيينه وحلق رأسه[2] .

وللحلاقين في تهامة عاداتهم وتقاليدهم في أفراحهم، التي تختلف عن بقية الفئات من هذه العادات تقليداً يُعرف باسم (الرِعسة)، وهي عادة يمارسونها في أفراحهم، ففي يوم عرس الحلاق أو أحد أبنائه، يُولي الحلاق ثيابه عناية خاصة، إذ يستعير ملابس من أسياده الذين يقوم بخدمتهم، ويتسلح بأسلحتهم، ويخرج في صباح يوم العرس إلى أحد الأسواق في منطقته، متنكراً في زى الوجهاء (أعيان البلد)، ويمثل دور المهرج (الكوميدي)، حيث يرافقه بعض الأفراد من أبناء الحلاقين، يمثلون دور الحرس، ويقلد هو دور المسئول، حيث يقوم بإصدار أوامره بسجن أحد من الناس، ومعاقبة آخر، كما يستطيع في ذلك اليوم أن يتكلم بكل شيء حتى ولو كان كلامه فيه

1 – أبو غانم، البنية القبلية، مرجع سابق، ص 237 – 238 .
2 – الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق، ص 239 .

إهانةً لأعيان منطقته، فهو يومها معذور ، وإن أقدم على تجريح أكبر الشخصيات في بلدته، فهم لا يستاءون منه، فاللحظات التي يعيشها الحلاق في ذلك اليوم لحظات فرح عام، كما أن المجتمع يعرف هذه العادة، فيعذرونه ويتركونه يتكلم على هواه، فضلاً عن ذلك يقومون بإعطائه بعض النقود لمساعدته في تكاليف عرسه، وهو ما يسمى في تهامة (بحق المزين)، ويستمر الحلاق في هذا الدور حتى ينتهي يوم عرسه أو عرس أحد أبنائه، فإذا انتهى ذلك اليوم عاد الحلاق إلى وضعه الاجتماعي الذي كان عليه(1) .

كما تتميز أعراس الحلاقين بمظاهر مختلفة، حيث تتعدد فيه الفنون الشعبية، ويحضر الشعراء من أبناء هذه الفئة، ويتبادلون ألواناً من الشعر الشعبي الذي يعرف (بالدان المُويسي)، ويحدث التنافس بين الشعراء، وخلال تلك المظاهر الاحتفالية يقوم أحد الأفراد من هذه الفئة باستلام مبالغ نقدية من المدعوين تسمى (جبر الخاطر)(2)، بعدها يستأنف الفرح حتى الصباح ثم يختمون العرس بتأدية الرقصات التي تسمى عندهم بالتصبيحة، والتي تؤدى بأسلوب مدهش، وبرشاقة عالية، وبانتهاء هذه الرقصات ينتهي مراسيم زواج الحلاق(3) .

ويبدو مما سبق أن هذا التقليد التي تمارسه هذه الفئة في أعراسها، إّنما يعبر عن انعكاس الأدوار الاجتماعية، وانقلاب تراتيبها، وهو ما يسبب نوعاً من الخلل المنظم في أمور الحياة العامة، مما يفرض جواً أشبه ما يكون بجو المهرجان الذي يحدث فيه انقلاب مؤقت للحياة الاعتيادية لهذه الفئة، كما يعبر عن الظلم الاجتماعي الذي يعانيه أفراد هذه الفئة.

سابعاً ـ العبيد والخدم :

أ- العبيد:

يرجع وجود العبيد في اليمن إلى فترة قديمة، حيث كان يتم استجلابهم للخدمة في البيوت والقصور، وللعمل في زراعة الأرض(4). وقد تزايدت أعداد العبيد في اليمن ومنها تهامة خلال حكم الدولة الزيادية التي قامت باستجلاب العدد الكثير منهم من إفريقيا، وذلك لاستخدامهم كجنود في

---

1 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 391.

2 - جبر الخاطر: هي عبارة عن مبالغمالية، تُقدم للعريس، كمساعدة له للقيام بواجبات العرس، والإيفاء بمستلزماته ، كالمهر وما يتبعه .

3 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 391.

4 - العمري، حسين : الأمراء العبيد والمماليك في اليمن ، دار الفكر المعاصر ، بيروت، ط1 ، 1409ه/ 1989م ، ص 19 .

الجيش، وقد استطاع بعضهم أن يتولوا مناصب في الدولة كقادة للجيوش، وولاية بعض المناطق، وفي أواخر عهد الدولة الزيادية، توسع نفوذهم واستطاعوا أن يؤسسوا دولة على أنقاض دولة بني زياد، عرفت بالدولة النجاحية في تهامة [1] .

وخلال العهد الرسولي في اليمن ونتيجة للأوضاع الاقتصادية المزدهرة التي تميز بها اليمن خلال تلك الفترة، اُستكثر من استجلاب العبيد، حيث امتلأت بيوت الأغنياء والتجار وميسوري الحال بأنواع الجواري والعبيد، الذين أخذوا يشاركون سادتهم في أعمالٍ كثيرةٍ مثل التجارة والبيع والشراء .

لقد أدى كثرة العبيد في تهامة لأن يوجدوا لأنفسهم تجمعات، أصبحت تشكل كيانات خاصة بهم، من هذه التجمعات منطقة في تهامة تسمى بمدينة العبيد، ولازالت هذه التسمية قائمة حتى الوقت الحاضر .

لم يكن العبيد الموجودون في تهامة خلال فترة الدراسة يشكلون قاعدة للإنتاج المادي، وإنما كان يتم استخدامهم في الأعمال المنزلية، والزراعية، وكحرس لبعض المشايخ كما استُخدم بعضاً منهم كحاشية لإظهار عظمة وكبرياء أسيادهم، وكان أكبر عدد من العبيد بحوزة الشيخ هادي هيج شيخ قبيلة الواعظات، حيث كان يملك أكثر من مائة عبد[2] .

ومن الجدير ذكره أن العبيد كانوا يتمتعون بمكانة أعلى من الخدم، على الرغم أن الخدم كانوا أحراراً لا ارتباط لهم بمالك أو سيد، ويرجع ذلك إلى خصوصية العلاقة بين العبد وسيده، حيث كان العبد محل ثقة سيده وشخص يُعتمد عليه، ولذا كان كثيراً ما يعامل على أساس أنه واحداً من أفراد العائلة، فضلاً عن أن العبد كان يرتبط ارتباطاً مباشراً بسيده، وبالتالي فإن احترام العبد، إنما هو احترام لسيده، وهذه هو السبب الذي جعل العبيد يحظون بمكانة أعلى من الخدم[3] كما كان

---

1 – الدولة النجاحية : تنسب إلى مؤسسها نجاح الحبشي أحد موالي بني زياد ، والذي استطاع أن يؤسس دولته على أنقاض الدولة الزيادية في زبيد عام 444هـ/1052م ، وظلت الدولة النجاحية تحكم تهامة حتى سقطت على يد دولة بني مهدي 554هـ/ 1149م . أنظر: عمارة : تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تح/ محمد على الأكوع، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، ط3 ، 1985م ، ص 76 .

2 – عمر، مرجع سابق، ص 71. ؛ الشهاري، مرجع سابق، ص77 .

3 – الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق، ص 257– 258 .

العبيد يبدون في مظاهر حسنة قياساً بالخدم، ويعاملون معاملة إنسانية، ويتمتعون بحرية أوسع، ومعيشة أوفر، عمّا كان يعيشه بعض الفلاحون[1] .

ظلت تجارة العبيد قائمة في تهامة حتى قيام ثورة سبتمبر/أيلول عام1962، على الرغم من قيام حكومة الإمامة، بالتوقيع على اتفاقية مع بريطانيا عام 1934، تنص على منع تجارة العبيد[2]. لكن السلطة الإمامية لم تتقيد بهذه الاتفاقية، وظلت تجارة العبيد حتى قيام الثورة اليمنية حيث أُلغيت تماماً .

ب . الخدم:

شكّل الخدم فئة اجتماعية مستقلة بذاتها لها عاداتها وتقاليدها ومبادئها، وحياتها الخاصة في المجتمع التهامي، وقد اختلف المؤرخون والباحثون حول أصول هذه الفئة، من أين، ومتى وكيف تم دخولهم إلى اليمن ؟ وذهب كل منهم إلى اعتقاد مختلف عن الآخر، ومازال هذا الأمر إلى وقتنا الحاضر من القضايا المبهمة وغير الواضحة. ولإيضاح تلك التساؤلات، وللوصول إلى وجهة نظر قريبة حول أصولهم، ومتى وكيف تّم دخولهم إلى اليمن ؟ . يمكن استقراء بعض الآراء حول ذلك، ومن ثم مناقشتها، ومن أهمها:

1- يرى بعض الباحثين أن أصول الخدم ترجع إلى بقايا الأحباش الذين غزوا اليمن قبل الإسلام، ويرى هؤلاء أن اليمنيين بعد طردهم للأحباش على يد سيف بن ذي يزن عام 573م، حكموا على بقايا الأحباش في اليمن بأن يصبحواخدماً لهم انتقاماً منهم على تعسفهم خلال فترة استعمارهم لليمن، ومنذ ذلك الوقت مارسوا أعمالاً إتسمت بالقذارة في نظر الآخرين[3].

وعلى الرغم من إشارة الكثير من الباحثين في مؤلفاتهم على بقاء بعض الأحباش في اليمن، إلاّ أنّ المؤرخ عبد الرحمن الحضرمي يخالف هذا الرأي مستنداً إلى أدلة ونصوص تاريخية تدحض هذا الرأي، حيث يشير قائلاً : ((إن النصوص التاريخية والنقوش التي ذكرت الغزوات الحبشية على اليمن قبل الإسلام، تدل على أن الأحباش طُردوا إلى البحر، بل إن اليمنيين وضعوا إثر

1 – العطار، مرجع سابق، ص 119.

2 – ينظر الوثيقة ملحق رقم (17)، التي توضح التزام الإمام يحي حميد الدين مع المفوض البريطاني في عدن على منع تجارة العبيد (الرقيق) في المملكة المتوكلية اليمنية.

3 – عمر، مرجع سابق، ص112.؛ الشهاري، مرجع سابق، ص 75 .

طردهم حاميات في الجزر اليمنية في البحر الأحمر منعاً لتسربهم مرة أخرى، .... وهذا دلالة على أنه لم يبق لهم وجود))[1].

كما يورد الحضرمي دليلاً آخر يؤكد به أن الخدم ليسوا من بقايا الغزوات الحبشية على اليمن فيما قبل الإسلام حيث يقول: ((أن الأحباش مضى زمن على خروجهم من اليمن قبل الإسلام بنصف قرن ثم تلاه خمسة قرون بعد الإسلام ولم نجد نصاً تأريخياً ، أو أدبياً يذكر لنا تقسيم اليمن إلى فئات ومن بينها فئة الخدم))[2] .

2- الرأي الثاني: يذكر بأن الخدم هم من بقايا العبيد، الذين كان يتم استجلابهم من الساحل الشرقي لإفريقيا حيث كانت تهامة بموانئها وقربها من الساحل الشرقي لإفريقيا تمثل أنسب منطقة في اليمن لسوق العبيد (النخاسة)كما كانت مركزاً لاستقبال العبيد، ومنها يُعاد تصديرهم إلى العراق وبلاد الشام[3].

إلاّ أنّ هذا الرأي تنقصه الأدلة والوقائع التاريخية، حيث لم يشر أحد من الباحثين بتحول العبيد إلى خدم، فضلاً عن أنّ العبيد كانوا يتمتعون بمكانه أعلى من الخدم في المجتمع اليمني، ويعاملون معامله أرقى من الخدم كما سبق أن أشرناومما يُدحض هذا الرأي أيضاً بأن العبيد لم يكونوا جميعهم من ذوي البشرة السوداء بل كان بعضاً منهم ذو بشرةٍ بيضاء، يُجلبون من بلاد فارس والروم أثناء الحروب، ويتم تصديرهم إلى اليمن وبعض مناطق الجزيرة العربية عن طريق التجارة، وكان البعض منهم على قدر من العلم والمعرفة والأدب والإلمام بشؤون التجارة، ذلك مما جعل بعضاً منهم يحتلون مكانه خاصة لدى أسيادهم وهو على عكس ما كان عليه الخدم من قلة العلم، وسواد البشرة الفاحمة.

إضافة إلى ماسبق فإنّ هؤلاء العبيد، قد تّم تحريرهم من رق العبودية في اليمن، وذلك بعد القضاء على النظام الملكي الإمامي عام 1962، حيث كان من أوائل القرارات التي أصدرتها حكومة الثورة اليمنية تحرير العبيد [4]. وقد انخرط هؤلاء العبيد بعد تحريرهم في المجتمع اليمني، وأصبحوا بما يمتلكون من مقدرات ومهارات من أكثر الناس يُسراً في معيشتهم، كما أنه ليس مستبعداً أن يكون

---

1 – الحضرمي: تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 397.

2 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص399 .

3- الشرجبي، مرجع سابق، ص 256 – 257 .

4- المرجع نفسه، ص 257 .

البعض منهم قد تحول في أماكن أخرى إلى أسياد وأعيان، وذلك بحكم معارفهم وخبراتهم، وهو ما يقودنا إلى استبعاد أن يكون هؤلاء العبيد هم أسلاف الخدم.

3- الرأي الثالث: يرى أن أصل الخدم يرجع إلى بقايا الموالي الأحباش الذين استقدمهم نجاح أحد موالي الدولة الزيادية في تهامة في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وذلك لتدعيم دولته التي أقامها على أنقاض الدولة الزيادية، والتي سميت بالدولة النجاحية، ويقول بهذا الرأي المؤرخ / عبد الرحمن الحضرمي، ويستند إلى عدة أحداث لتعزيز رأيه أهمها: أن النجاحيون بعد انهيار الدولة الزيادية عام 1052م ، استجلبوا عدداً كبيراً من الأحباش لإدارة شؤون الدولة وللعمل في الجيش والتجارة، وهو ما جعلها تتحول تدريجياً إلى دولة قومية عرقية، تعتمد كلياً على أبناء قومها في إدارة شؤون الدولة والجيش والتجارة، كما عمدوا إلى اضطهاد السكان الأصليين من أبناء تهامة، وذلك بنهب ومصادرة ممتلكاتهم، واقتطاع أراضيهم وتحويلهم إلى عبيد لهم، مما ولد الكراهية والحقد ضد النجاحيين الأحباش، وهو ما دفع بالسكان من أبناء تهامة إلى الالتفاف حول على بن مهدي الرعيني مؤسس دولة المهديين التي استمرت 15 عاماً ، واتخذت من زبيد عاصمة لها، حيث خاض علي بن مهدي حرباً مع النجاحيين استمرت أربع سنوات تم فيها إسقاط الدولة النجاحية عام 1149م، حينها قام ابن مهدي بتحويل بقايا النجاحيين إلى خدم محكوم عليهم بالعيش في عزله اجتماعية[1].

وبعد مناقشة هذه الآراء حول أصول الخدم يبدو أن الرأي الأخير الذي أورده الحضرمي من أقوى الآراء والتفسيرات لأصل الخدم، والقائل بأنهم من بقايا الأحباش الذين دخلوا اليمن واستوطنوا في تهامة، في عصر الدولة النجاحية، وما يؤكد ذلك صفاتهم البيولوجية، وسواد بشرتهم، والتجعد الملحوظ في شعرهم الفاحم، وغيرها من الأدلة التي أوردها الحضرمي .

أوضاعهم الاقتصادية:

يُعد الخدم من الشرائح الاجتماعية المهمشة، والأشد فقراً في اليمن ومنها تهامة، إذ أنهم يعيشون حياة الكفاف، فهم من الناحية المادية لا يعرفون . أولا يؤمنون بالادخار،(فيومهم عيدهم) كما يقول المثل الشعبي، حيث أن مستوى تفكيرهم لايتعدى اليوم الواحد، فإذا زاد عن يومهم مبلغ

1- الحضرمي، مرجع سابق، ص 397 – 412.

من المال، فإن الخادم لا يمكن بأي حالٍ من الأحوال أن يقوم بأي عملٍ إلاّ بعد صرف هذا المبلغ، بعدها يقوم بالبحث عن فرصة جديدة للحصول على المال(1).

مارس الخدم في تهامة أعمالاً يـُنظر إليها من قبل المجتمع بالازدراء وعدم الاحترام، وكانت معظم هذه الأعمال التي يقوم بها الخدم حتى وقتنا الحالي في تهامة تتسم بالقذارة في نظر المجتمع، وبالصعوبة في ممارستها من ناحية أخرى، وكانت تختلف بحسب المكان، حيث تختلف الأعمال التي يؤديها الخادم في المدينة، عن الأعمال التي يؤديها في الريف، وذلك على النحو التالي :

1- **في المدينة** : زاول الخدم في المدينة أعمالاً تتعلق بنظافة المدن، التي تتمثل بنظافة الشوارع، وإزالة وحمل المخلفات، وتنظيف المجاري العامة، كما عمل بعضاً منهم كحمالين للسلع من وإلى البواخر في موانئ تهامة، وحمالين في الأسواق، وذلك مقابل أجور زهيدة (2).

كما عمل الخدم في مهنة الحياكة، والحجامة، ودباغة الجلود، وصباغة المنسوجات، وماسحي للأحذية (3). وإلى جانب ذلك عمل بعض الخدم في مزاولة مهنة الرقص، والضرب على بعض الآلات الموسيقية (كالطبل والمزمار والربابة)، وذلك خلال المناسبات والأعراس، وكان يشاركهم في هذا العمل أحياناً نساءهم، حيث يقوم الرجل بنفخ المزمار، والمرأة تضرب على الطبل أو الدف، بينما يقوم آخرين بالرقص والغناء على هذه الأنغام(4).

ويرجع السبب في مزاولتهم لهذه المهنة لأجل إطراب الناس في الأسواق، والترفيه عنهم وإسعادهم خلال المناسبات والأعراس.

وفي بداية الخمسينات من القرن العشرين، ومع بداية نمو النشاط العمراني في تهامة وبخاصة في مدينة الحديدة، زاول الخدم بعض المهن الحرفية التي اكتسبوها من خلال مشاركتهم في إنشاء ميناء الحديدة، الذي تم إنشاؤه بالتعاون والدعم من الإتحاد السوفيتي، ومن أهم هذه المهن التي زاولوها النجارة والحدادة، والتلحيم والبناء، وبالتأكيد فإن مزاولة الخدم لهذه المهن سوف تغير من وضعهم الاقتصادي في المجتمع، وبالذات عندما تبدأ عملية التصنيع في اليمن، ويشارك

1- الشرجبي، مرجع سابق، ص 274 .

2- الشرجبي، الشرائح، مرجع سابق، ص 274 .

3- جولوبوفسكايا، حول مسألة الفئات الدنيا في الهيكل الاجتماعي للمجتمع اليمني، مرجع سابق، ص 179.

4- الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص274 .

فيها الخدم كإحدى قوى الإنتاج، وأنّ ذلك يبشر بإمكانية تغيير وضعهم الاقتصادي والاجتماعي، وبالتالي يغير من نظرة الناس تجاههم، ويرفعهم إلى مستوى أن يكونوا إحدى القوى الاجتماعية المساهمة في بناء مجتمع يمني جديد، يتمتع بجميع الحقوق المدنية والوطنية، إلاّ أن ذلك لم يحدث بعد قيام الجمهورية العربية اليمنية عام 1962 إلا بشكل طفيف[1].

فضلاً عن الأعمال السابقة، فقد عمل بعضهم بمزاولة مهنة التسول، لدرجة أن هذه الظاهرة كادت تقتصر على الخدم دون غيرهم، كذلك مارس بعض الخدم أعمال الشعوذة، وعمل التعاويذ، وقراءة الكف، وفتح الفنجان، وكان هذا النشاط يمارس في تهامة بشكل واسع في كل من المدينة والريف على حد سواء، ويرجع ذلك إلى الجهل والتخلف الذي كان مسيطراً على المجتمع في تهامة [2].

2- في الريف :

أمّا في الريف فقد مارس الخدم أعمالاً كان يغلب عليها طابع الخدمات في المناسبات المختلفة (كالأعياد، الزواج، الولادة، الوفاة). وكانت هذه الأعمال لا يختص بها الخدم فقط بل تشترك فيها فئة الحلاقين، وتظهر هذه الخدمات التي يؤديها الخادم في الأعراس خصوصاً طوال الأيام التي تدوم فيها مراسيم الزواج، حيث يقوم الخادم بإعداد المخدرة (المكان المعد لإقامة العرس)، وذلك بتنظيفها، ومن ثم رشها بالماء، وإحضار المقاعد (سرر الجلوس) وترتيبها [3].

كما يقوم بالضرب على الطبول، وخدمة صاحب المناسبة في عملية الذبح، وتوزيع اللحوم، وحمل المياه من الآبار إلى منزل صاحب المناسبة، كما يسهر الخدم على راحة الضيوف، وتقديم الخدمات لهم أثناء المقيل، كما عمل بعض الخدم في الأرياف كمرافقين وحرس لبعض الشيوخ، حيث يسمح لهم في هذه الحالةبحمل السلاح ، إلاّ أنّ هذا العمل كان محدوداً للغاية، كما عمل بعض الخدم كعمال بريد لنقل الرسائل والسلع على الحمير والجمال بين القرى مقابل أجر نقدي أو عيني [4]. ومارس بعض الخدم في أرياف تهامة بعض الأعمال الزراعية الموسمية، كالبتلة [5]،

1- الشهاري، مرجع سابق، ص 76 .

2- الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق، ص275 .

3- بونفان، أحياء زبيد، مرجع سابق ، ص 57 .

4- الشرجبي، مرجع سابق ، ص 276 .

5-البتلة : هي حراثة الأرض وشقها خدمة لها، وقلباً لتربتها إعداداً لبذرها . أنظر: الإرياني، مطهر علي : الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412هـ/ 1992م، ج1، ص 148 .

وحصد الثمار، وعملية الخبيط، كما اُستخدم الخدم إلى جانب الفلاحين في زراعة بعض المحاصيل، كالثوم، والبصل، والجزر التي كانت تُعد في نظر بعض شرائح المجتمع عملاً مهيناً للأشخاص الذين يزاولونها [1].

ويبدو من خلال ماسبق، أن الوضع الاقتصادي للخدم في أرياف تهامة كان أفضل عمّا كان عليه في المدينة؛ لأن الخادم في القرية هو خادمٌ وتابعٌ للقرية، وبالمقابل فإن أهل القرى ملزمين بتأمين معيشته، فهو إذن غير مهدد بفقدان لقمة العيش، كما أنه غير مضطر للتنقل والترحال لتأمين معيشته، فسكان القرى يقدمون للخدم بعضاً من محاصيلهم عند الحصاد، ويكون مجموع ما يحصل عليه الخادم في القرى كافياً إلى حدٍ كبير لمعيشته طوال العام وفي بعض القرى يُسمح للخادم أن يمر عبر الحقول الزراعية، ويأخذ لنفسه شيئاً من المحصول دون أي خوف أو استئذان، وبعض الفلاحين يخصصون أجزاء من أراضيهم الزراعية أثناء المواسم للخدم[2]. إلاّ أنّه وعلى الرغم مما سبق، أنّ الخادم إذا خالف قواعد الخدمة، وخرج عن تقاليد وعادات القرية من حيث الأخلاق، فإنّه يُعاقب بعقوبات مختلفة أشدّها طرده من الأرض المقيم عليها سكنه، أو طرده من القرية بأكملها، غير أن هذا الأمر يقتضي موافقة شيخ أو عاقل القرية.

أوضاعهم الاجتماعية:

عاش الخدم في تهامة حياة اجتماعية مغلقة، ضمن حالات شديدة القسوة، خاصة وأنهم كانوا في المرتبة الأخيرة من السلم الاجتماعي، ويتضح أن هذا الوضع الاجتماعي الهامشي وصل لدرجة أن العلاقة بين الخادم وأي مواطن آخر لا تخرج عن كونها علاقة وظيفية ولا تتعداها إلى أبعد من ذلك، كما يتجلى من خلال الزواج الداخلي فيما بينهم، إذ يستحيل أن يقبل أي مواطن من أي فئة كانت أن يزوج ابنته لأحد الخدم، فالخادم لا يتزوج إلا بخادمة، كما أنه لا يقبل أي مواطن أن يتزوج بخادمة ؛ إلاّ في حالات نادرة جداً، وإذا حدثت مثل هذه الحالة فإن الشخص يواجه من قبل المجتمع بالتحقير والازدراء والردع .

ونتيجة لما سبق فقد عانت هذه الفئة الكثير من مظاهر عدم الاحترام من قبل المجتمع، التي تعكس بوضوح التفرقة العنصرية التي كانت تلاحقهم طوال حياتهم ومن أبرز هذه المظاهر مايلي :

1- جولوبوفسكايا، حول مسألة الفئات الدنيا، مرجع سابق، ص 187 .

2- الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص275 .

1- لا يحق للخادم الجلوس أمام سيّده على مقعد(سرير)، بل يجلس على الأرض، وإذا ما تجرأ وجلس على المقعد أمام سيده فإنه يُهان ويضرب، وهذا يدل على التمييز العنصري الذي كان يلاقيه الخدم في المجتمع التهامي، وتظهر هذه التفرقة والتمييز خلال المناسبات، وخاصة الأعراس التي يحضرها الخدم وغيرهم من فئات المجتمع، فقد ذكر الحضرمي ما نصه : ((وعندما يحضر المدعوون من الخدم، يكون قد أعدّ لكل واحد فراشاً في الأرض من قصب الجلجلان . بقايا السمسم اليابس . وإذا رغب العرب . بقية شرائح المجتمع . في السمر يحضرون من منازلهم المنابر . المقاعد . والمدائع . النارجيلة . وذلك للمشاركة والترفيه)) [1] . أي أنهم يشاركون الخدم أفراحهم وهم مرفهون وجالسون على مقاعد لها فرش ووسائد محشوة بالقطن، بينما الخدم يجلسون على الأرض على وسائد من بقايا السمسم.

وعلى الرغم من أنّ الاختلاط بالخدم بقي أمراً غير مرغوب فيه خلال الفترة الزمنية التي تضمنها البحث، إلاّ أنّ الحياة أحدثت تغيراتها في هذا التقليد، فعلى سبيل المثال : أنه إذا دخل الخادم ديوان مقيل . مكان يجتمع فيه الناس لمضع أوراق القات بعد الظهر . فالموجودون لا يطردونه، بل أنه وفقاً للعادات المستجِدة يسمحون له بالبقاء بينهم، لكن في أسفل الديوان أو مؤخرته، حيث يضع الناس أحذيتهم، وليس للخادم الحق في تعاطي المداعة معهم . الأرجيلة . التي عادة ما تنتقل من شخص إلى آخر .

2- طريقة التحية : إن التحية المتعارف عليها بين شرائح المجتمع اليمني ومنها التهامي، هي مصافحة الأيدي ثم تقبيلها من الطرفين المتصافحين، عدا الخدم فإن على الفرد منهم أن يقبل يد المواطن الآخر، دون أن ينتظر الخادم من الطرف الآخر أن يقبل يده بالمثل، بل إنّ الكثير من المواطنين لكيلا يقبلوا أيدي الخدم، سرعان ما يبادرون بسحب أيديهم بعد تقبيل الخدم لها، فضلاً على ذلك أن على الخادم عند مخاطبته لأحد المواطنين من الشرائح الأخرى أن يستخدم كلمة ياسّيدي[2].

1- الحضرمي، مرجع سابق، ص 392- 393.

2- الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مر جع سابق، ص 269 .

3- لا يحق للخادم ارتداء الملابس نفسها التي يرتديها سّيده، إلاّ في حالة أن تكون هذه الملابس ذو لون أسود، أو ُمستخدمةٌ أعطاها له سيده [1]. ويرجع ذلك إلى أن الملبس كان مقياساً للدلالة على انتماء الناس الاجتماعي، والتمييز بين الفئات الاجتماعية المختلفة في تهامة.

4- لا يحق للخادم أن يلك أرضاً أو مسكناً أو مكاناً يبني عليه كوخاً يؤويه، إلاّ بموافقة سيده، وللسيد حق طرد الخادم من منزله إذا ما وجد ذلك مفيداً له، وموافقاً لمصالحه الشخصية، كما أنه لا يحق للخادم أن يمتلك إلا زوجته وبقرة وبضعة رؤوس من الغنم، فإذا ما زادت ملكيته عن هذا القدر لم يعد ملكاً له بل لسيده، ومن هذا الإجراء يتضح أن الملكية التي يتمتع بها الخادم هي ملكية محدودة ومقيدة، عرضةٌ للزوال، مما يمنعه من تحصيل الثروة واستثمارها، ويحرمه بالتالي من تغيير مكانته الاجتماعية.

5- إذا أراد الخادم أن يعمل لدى أسياد آخرين في المنطقة التي يعيش فيها، وجب عليه أولاً طلب الإذن من سيده الذي يعمل عنده، وفي حالة حصوله على موافقة سيده يستطيع الخادم مباشرة العمل الجديد، أما في حالة عدم الموافقة وقيام الخادم بمباشرة العمل، فإن سيده الأول يحق له معاقبته .

6- إذا سافر الخادم إلى بلدٍ ما، وجمع بعض الأموال وعاد لزيارة أسرته، يـُحتم عليه أولاً زيارة إلى بيت عاقل المنطقة للسلام عليه، وتقديم هدية له، وطلب الإذن منه لزيارة أسرته، وإذا لم يفعل ذلك باشر عاقل القرية بمعاقبته وسجنه [2]. مما يدلّ على أن الخادم مجرداً من كامل حريته، ويخضع خضوعاً تاماً للسلطة القبلية في المنطقة التي يعيش فيها.

7- أما في المأكل والمشرب ، فكان يندُر أن يشارك أي فرد من أفراد المجتمع الخادم في الأكل من طبق واحد، فقد جرت العادة أن يأكل الخادم بمفرده أو مع بني أقرانه فقط، وفي حالة ما إذا قدم أحد المواطنين شيئاً من المأكل والمشرب لأحد الخدم في إناء، فان المواطن يقوم بغسل هذا الإناء غسلاً جيداً ، بل والبعض منهم قد لا يستخدم هذا الإناء في مأكله أو مشربه مرة أخرى[3].

1- الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص393.

2- المرجع نفسه، ص393- 394.

3- الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص270 .

8-لا يُسمح للخادم حمل السلاح بما في ذلك الجنبية التي يرتديها أغلب السكان في تهامة، إلاّ في حالات نادرة، وذلك عندما يعمل الخدم كمرافقين وحرس لبعض الشيوخ في أرياف تهامة[1].

ومن خلال ماسبق عرضه عن مظاهر عدم الاحترام التي عانى منها الخدم، ومازالوا يعانونها في المجتمع اليمني ومنها تهامة، يمكن توضيح الأسباب والعوامل التي دفعت المجتمع لعزل هؤلاء وعدم احترامهم بهذه الصورة، من خلال آراء بعض الباحثين والمفكرين، حيث يعزي بعضهم أن هذا الواقع ناتج عن وضعهم الاقتصادي، و سوء حالتهم الاجتماعية، وغيرهم يعزيها لموقف عنصري فمثلاً: يرى البعض أن السبب في عدم الاحترام يرجع إلى عامل أساسي، هو فكرة النجاسة التي التصقت بالخدم نتيجة ممارستهم لأعمال التنظيف في مجالات كثيرة، وعدم اهتمامهم بالنظافة[2].

كما يرى آخرون أن السبب لا يرجع إلى لون بشرتهم السوداء، ويستدل على ذلك بأن العبيد في اليمن كان لهم نفس اللون، بل كان بعضهم أشد سواداً من لون الخدم، ومع ذلك كانوا يحظون بمعاملة أرقى في المجتمع عما يعامل به الخدم، وإنما يرجع السبب إلى الإساءة والمعاملة القاسية التي لاقاها اليمنيون على أيدي أجداد الخدم من الأحباش، الذين جاءوا إلى اليمن قبل الإسلام وأثناء حكم النجاحيين على تهامة، وهو ما نتج عنه الكراهية الشديدة لبقايا هؤلاء الأحباش والذين أطلق عليهم فيما بعد بالخدم، وأوكلت إليهم مزاولة الأعمال الممتهنة، وذلك مما عمّق من عزلتهم واحتقارهم[3].

ومما سبق يمكن القول: أن هذا التمييز وعدم الاحترام لهذه الفئة يعود إلى الواقع الفئوي المتخلف، وطريقة الفرز التي اعتمدت الحالة المادية ومدى ما عكسته من فكر وثقافة سائدة بين أبناء المجتمع اليمني عامة، وتهامة خاصة، والتي لم تتغير، أو لم يتم تجاوزها بحكم استمرار التركيبة السياسية بكل امتيازاتها الاقتصادية . الاجتماعية .

1- الشرجبي، الشرائح، مرجع سابق، ص271 .
2- المرجع نفسه، ص 268 .
3- الشهاري، مرجع سابق، ص 75 – 76 .

الفصل الثاني
مظاهر الحياة الاجتماعية في تهامة اليمن

أولاً: العادات والتقاليد في تهامة .

ثانياً : التعليم وأنواعه في تهامة .

ثالثاً : الأوضاع الصحية في تهامة.

بعد دراسة التركيبة الاجتماعية في تهامة التي شكلت المجتمع التهامي خلال الفترة المعنية (1918– 1962)، يتضح أنه من المفيد جداً الوقوف عند عاداتهم وتقاليدهم لرسم صورة حقيقية

قدر المستطاع للحياة الاجتماعية التي كان يحياها أبناء المجتمع. فدراسة العادات والتقاليد يُعد اقتراب من قلب المجتمع، ومحاولة لسماع نبضاته.

وقبل الشروع في هذا الموضوع، سنحاول أولاً توضيح الاتجاهات التي أثرت على عادات وتقاليد السكان في تهامة، ويتمثل ذلك بالاعتقاد الديني الذي كان له تأثير كبير على عادات وتقاليد السكان، ويتمثل ذلك بأن كل الأعياد والاحتفالات العامة كانت ذات صبغة دينية، فهناك عادات استقبال شهر رمضان، وعادات عيدي الفطر والأضحى، وتوديع واستقبال الحُجاج، والمولد النبوي، وبعض الليالي الدينية كليلة النصف من شعبان، وليلة الإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين من رجب وغيرها، وقد انعكست هذه المعتقدات والعادات بشكل قوي مع النزعة الدينية، وذلك نظراً للجهل والأمية التي سيطرت على عقول أغلب فئات المجتمع خلال فترة الدراسة، حيث انتشرت الاعتقادات الباطلة، والشعوذة والسحر والخرافات والتنجيم.

كما أن لطبيعة المنطقة ومناخها الحار أثر على عادات الناس وتقاليدهم، من حيث طريقة صنع الملابس الواسعة، واختيار ألوانها الفاتحة، كما أدى ذلك إلى أتباع أساليب معينة في بناء المساكن التي تتناسب مع طبيعة المنطقة، وهو ما سوف نوضحه في حينه .

أولاً- العادات والتقاليد في تهامة [1]:

لكل مجتمع من المجتمعات عاداته وتقاليده وأعرافه الخاصة، التي يقوم عليها نظام حياته، وعندما يتغير نمط حياة المجتمع، تتغير معه هذه العادات في شكلها وأساليبها، لتأخذ شكلاً جديداً. هذه العادات والتقاليد قد تكون عامة في بعضها تشترك فيها أغلب المجتمعات العربية والإسلامية، كونها تنبثق من منبع واحد وثقافة واحدة، وهو الأصل العروبي الذي يشترك فيه كل أبناء الوطن العربي، بكل ما فيه من سمات العروبة المشتركة، وعوامل القومية العربية

1 – العادة : هي عبارة عن نمط من السلوك يكتسبه الفرد من مجتمعه الذي يعيش فيه، وتميل إلى الثبات بمرور الوقت، حيث تصبح هذه العادة جزء من حياة الفود يُلزم بتطبيقها ومراعاتها، وهي ذات قوة معيارية تتنوع بتنوع ظروف المجتمع، والعمر والنوع والمهنة . أما التقاليد: فتعرف بأنها الأشياء المتوارثة التي يقلد فيها الخلف السلف. أنظر: العودي، حمود : التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية (دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني) عالم الكتب، القاهرة، (د.ط)، 1400هـ/ 1980م، ص 130 . ؛ الجوهري، محمد: التراث الشعبي، وجهة نظر في تحديد موضوعات الدراسة، مطبعة الجامعة، القاهرة، (د.ط)، 1973م، ص 51- 52 .

(من لغة وتاريخ واقتصاد وغيرها)، وكذلك عامل الدين الذي احتوى العروبة وحافظ عليها بين أبناء الوطن العربي . وقد تكون خاصة تتميز بها بعض المجتمعات عن غيرها.

والمجتمع التهامي كغيره من المجتمعات له عاداته وتقاليده، وأعرافه المتوارثة جيلاً بعد جيل، سواء في الزواج ومراسيمه، والأعياد والمناسبات الدينية وغيرها من المظاهر الأخرى، التي تولدت بفعل عوامل دينية وسياسية واجتماعية، وإن كان بعضها يشكل عبئاً كبيراً على بعض أفراد لمجتمع خصوصاً ذوي الدخل المحدود، حيث كانت هذه العادات ملزمة لرب الأسرة لا يستطيع الخروج عليها أو تغييرها، لأنّ الخروج عليها أو تغييرها يُعد في نظر المجتمع خروجاً عن طبيعته، وعن الخصوصية التاريخية التي تميزه، هذه العادات والتقاليد تختلف فيما بينها، وتتباين من منطقة إلى أخرى حسب العوامل الجغرافية، والظروف المناخية . وفي هذا الفصل سنتناول أبرز هذه المظاهر في تهامة اليمن، لتقديم صورة واضحة عنها خلال فترة الدراسة، وفيما يلي أبرز هذه المظاهر الاجتماعية:

1- **عادات الزواج ومراسيمه:**

أ- **اختيار العروس:**

يُعد الزواج الأساس الأول في بناء الأسرة في أي مجتمع من مجتمعات العالم، ولذا فإن هذا الأساس يمر بمراحل يبدأ باختيار الشاب لعروسه التي يريد الارتباط بها، و يقع اختيار العروس في أغلبه في مناطق تهامة على عاتق الأم التي تتولى القيام بهذا الدور، وتختار الفتاة المناسبة لإبنها، مراعية في ذلك الوضع الاجتماعي، وظروف الحياة المعيشية لكلا الأسرتين، وصغر سن الفتاة وذلك لكي تستطيع كما تعتقد تهذيبها وفقاً لمحيط الأسرة، وقد يقوم الأب بهذا الدور فيختار الفتاة المناسبة لإبنه، حيث يفضل بعض الآباء تزويج أبناءه من بنات إخوته، وأبناء عمومته، بحجة صلة الرحم، والاقتصاد في النفقات، وسواءً كان الاختيار عن طريق الأم أو الأب، إلاّ أنّ الأم هي التي تتولى إتمام الخطوات المتبعة في الخطوبة، والاتفاق مع أسرة الفتاة على تحديد موعد الخطوبة[1] .

وخلال هذه المرحلة وبعد اختيار العروس، يقوم الأب باستشارة إخوته وأقاربه في هذا الأمر، وذلك إذا كانت الفتاة من غير العائلة، حيث يدلي كل شخص برأيه، وتتمحور هذه الآراء حول

---

1 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 384. ؛ بازي، داود : مظاهر الحياة الاجتماعية في زبيد ، بحث غير منشور ، ص 14- 16 .

أصول عائلة العروسة، ومكانتها الاجتماعية، ووضعها الاقتصادي، فإذا بدا لهم إمكانية التوافق مع أهل العروسة وأقاربها، فإنهم يوافقون على إتمام هذا الزواج، ومن ثم تبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة الخِطبة .

ب- **الخِطبة:**

من الجدير ذكره أن مراسم ونفقات الخطوبة في المجتمع التهامي لا تختلف كثيراً عمّا هي عليه في أغلب المجتمعات العربية، حيث أنه بعد إجماع الأسرة على اختيار الفتاة المناسبة، تقوم أم العريس بالذهاب مع بعض أقاربها من النساء بزيارة إلى أسرة العروس، حيث يجري في هذه الزيارة التمهيد للغرض من الزيارة، وذلك من خلال إبداء الإعجاب بالفتاة ووصف أخلاقها وجمالها، حيث تلّمح الأم عن رغبتها في خطبتها لابنها، ويكون الرد من أم الفتاة بعرض الأمر على والدها [1] . وقبل الرد بالموافقة تقوم أسرة الفتاة بالسؤال عن أخلاق الخاطب وسلوكه، ومستواه الاجتماعي والاقتصادي، وبعد تمام المعرفة عن الشاب وعدم موافقتها لأسرة الفتاة يأتي الرد سريعاً بالرفض متضمناً عبارة (الفتاة لازالت صغيرة) متبوعة بعبارة أخرى (لا يوجد نصيب)، وعلى الأغلب يأتي الرفض لأسباب تتعلق بوجود فوارق اجتماعية واقتصادية بين الأسرتين[2] .

أّما في حالة الموافقة من قبل أسرة الفتاة تقوم أسرة الشاب بزيارة أخرى إلى أسرة الفتاة للاتفاق حول المهر والكسوة وتحديد موعد لتأكيد الخطوبة، حيث يقوم والد الشاب بدعوة مجموعة من الجيران والأقارب للذهاب معه إلى بيت أسرة العروس، وفي هذا اللقاء تتم الخطبة الرسمية للفتاة من أبيها أو ولي أمرها ، وذلك بناءً على ما اتفق عليه النساء من المهر والكسوة، ويكون الرد من ولي أمر الفتاة بالموافقة، ويختتم الاجتماع بقراءة الفاتحة، ويطلق على هذا الاجتماع بالتضبيط أو تأكيد الخطوبة [3] .

أما إذا كانت العروس من أقارب العريس فقد يذهب الأب والأم وبعض الأقارب سوياً لخطبتها دون الحاجة إلى مقدمات تمهيدية كما هو الحال عندما تكون الفتاة من عائلة أخرى، فيفاتح والد الشاب والد الفتاة بالموضوع، فيطلب والد الفتاة مهلة لمدة أسبوع للرد، وذلك حتى لا

1 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 384- 385.

2 - لطف، الجهات الحيسية، مرجع سابق، ص249 .؛ بازي، مرجع سابق، ص 16.

3 - المرجع نفسه، ص 16 .

يُقال بأنه يريد التخلص من ابنته[1]. بعد تأكيد الخطوبة تُقام للعروس حفلة صغيرة في بيت أبيها تسمى في تهامة بالحالي أو حالي الحديث، تقتصر على نساء أسرة العريس والعروس، يتم فيها إهداء العروس مجموعة من الحلويات، وقطعة من القماش.

والجدير ذكره أن هذه الهدايا يُعاد جزء منها إلى أهل العريس، بينما يتم توزيع جزء منها للجيران والأقارب، ويأتي هذا التقليد كدلالة على قبول الهدية، والتوافق بين الأسرتين، أما في وقتنا الحالي فتقتصر الهدية على عدد من منتجات البلد، والتي تتمثل بالعصائر، وخاتم من الذهب، وساعة يد .

ج – المهور:

يُعد المهر شرطاً أساسياً من شروط الزواج، يتم الاتفاق عليه بين أسرتي العروسين، ويلعب الوضع المادي للعريس دوراً كبيراً في تحديد ما يفرض عليه من مهر قد يرتفع وقد ينخفض، وذلك بما يتناسب مع مكانة الأسرتين ومستواهما الاجتماعي. وكانت ظاهرة المغالاة في المهور منتشرة في تهامة وخاصة بين الفئات العليا وشيوخ القبائل، حيث يدفعون مبالغ كبيرة صداقاً لزواجهم لا يقدر عليه الآخرون، تعبيراً عن إظهار الأبهة والمقدرة والتفاخر بين الناس، أمّا في نطاق الفئات الفقيرة فكان المهر أقل مما هو عليه بين الأغنياء وشيوخ القبائل[2] .

وتشير بعض المصادر أن عادة أخذ المهور في تهامة كانت تختلف من منطقة إلى أخرى، ففي منطقة زبيد عرفت النساء بعدم أخذهن للمهور من العريس مقدماً، بل كانوا يحبذون تأجيل بعضه حيث يُعد أخذ المهر بأكمله مقدماً من العريس عيب كبير، على اعتقاد أن المرأة التي تأخذ مهرها مقماً كاملاً تريد الطلاق من زوجها، ويوضح ذلك ابن المجاور بقوله : ((ونساء أهل هذه البلاد (يقصد بها زبيد) لا يأخذن من أزواجهن المهر كاملاً، وأخذ المهر عندهم عيبٌ عظيم، وكل امرأة تأخذ المهر من زوجها يسمونها مفروكة، أي أن زوجها أعطاها مهرها وفركها أي طلقها))[3].

ويرتبط المهر والزواج في أغلب أرياف تهامة بالقيمة الاقتصادية للمرأة، فكلما زادت مهارة الفتاة في الريف زاد مهرها حيث تُخطب المرأة في المناطق الريفية لنشاطها ومهارتها في العمل،

---

1 – شاكر، محمود: شبه جزيرة العرب، المكتب الإسلامي، دمشق، (د.ط) ، 1396هـ/ 1976م ، ص 246 .

2 – السروري، مرجع سابق، ص 676.

3 – ابن المجاور، تاريخ المستبصر، مرجع سابق، ج1، ص 85– 86 .

أي أنّ الدافع الأساسي لدى بعض الآباء في تزويج أبنائهم الحصول على أيد عاملة، فالأسرة تريد فتاة تتقاسم مع ربة البيت الأعباء الشاقة التي تضطلع بها، حيث أنّ كثيراً من الشباب كانوا يتزوجون ثم يسافرون للعمل في المدينة، تاركين زوجاتهم لخدمة أسرهم[1] .

أمّا في عصرنا الحالي فقد أصبح اقتران الشاب بالفتاة يرتبط بمسائل عدة كالجمال والحسب والنسب، وقد تّم التعبير عن أهمية وضرورة توافر تلك الصفات في أسرة العروسة بالمثل الشعبي المشهور في تهامة: ((ورّث لابنك خال، ولا تورّث له مال)) ويُقصد به أن على الشاب قبل أن يتزوج ويصبح أباً عليه أن يبحث لولده القادم عن خال ينتمي إلى أسرة معروفة بحسبها ونسبها، وذات مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع[2] .

أما عن قيمة المهور خلال فترة الدراسة فكانت تتراوح نقدياً مابين 50 ريال ماريا تريزا كحد أدنى و500 ريال كحد أعلى، إلى جانب ما يقدمه العريس لعروسه من مهر عيني كالأقمشة والحلي التي تتفاوت حسب حالة العريس المادية، ومكانته الاجتماعية [3].

ومن العادات التي كانت متبعة في تهامة ولازالت، أن المهر العيني الذي يدفعه العريس لعروسته من حلي وأقمشة والذي يسمى في تهامة بالواجب أو الجهاز يُعرض على أقارب العروسة وجيرانها للتفاخر به، ويتم تسليم المهر قبل عقد الزواج [4] .

كان الزواج المبكر خلال فترة الدراسة هو الشائع في كافة مناطق تهامة، وذلك للاعتقاد السائد أن الزواج المبكر يصرف الشاب عن الانحراف والانزلاق، وزواج الفتاة ستراً لها، وكانت معظم حالات زواج الفتيات خلال فترة الدراسة تتم بين سني الثالثة عشر والرابعة عشر[5] .

---

1 - الشعبيني ، محمد مصطفى : اليمن الدولة والمجتمع ، دار النهضة ، (د.م)،(د.ط) ، 1975م، ص 81 .

2 - المعمري، سلطان عبد العزيز : العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والحروب القبلية في مجتمعات قبائل المنطقة الجنوبية الغربية من لواء تعز، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب. جامعة تعز ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة بعنوان: ((تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور)) للفترة 25- 27 مايو/أيار 2009م ، النيل للطباعة الحديثة، تعز ج3، 2010م ، ص 955- 956 .

3 - جوهر، مرجع سابق، ص 107. ؛ فخري، مرجع سابق، ص 89- 90.

4 - شاكر، مرجع سابق، ص 248.

5 - العظم، مصدر سابق، ج1، ص 46-47.

ويُهدف من الزواج المبكر عند القبائل في تهامة زيادة عدد أفرادها، وإمداد القبيلة بدماء جديدة تسهم في إبراز دورها، وفرض هيبتها خاصة أن الغلبة في المجتمع القبلي للأكثر والأقوى [1].

وكان الزواج الأفقي هو السائد في تهامة، وقد ساعد هذا النوع من الزواج على بقاء وترسيخ التفاوت الفئوي بين المجتمع كما سبق أن أشرنا، وقد وجد ذلك بوضوح عند فئة السادة الذين كانوا يتمسكون بموضوع الكفاءة في الزواج، بمعنى أنهم لا يزوجون بناتهم إلاّ من فئتهم، وقد نتج عن ذلك بروز ظاهرة العوانس بين نساء هذه الفئة[2].

وهو ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله: ((إن هذه الشريحة لا تسمح لفتياتها بالزواج من غير قبيلي(ويقصد به السيد) ... ودون ذلك فلا يمكن أن تتزوج الفتاة من أبناء الأسر التي يمارس أفرادها بعض الأعمال الحرفية، كأن يكون الفرد حلاقاً، أو صاحب مقهى، أو صانع أحذية، أو دباغ جلود – أمّا الخدم فهم طائفة محتقرة لا يمكن أن يتزوج أي فرد منهم من الفئات الأخرى)) [3].

د – عقد القِران (المِلكة) :

يُعرف عقد القِران في تهامة باسم (المِلكة) أو كَتْب الكِتاب، ويتم عقد القِران في أغلب مناطق تهامة في منزل العريس[4]، ويتولى مهمة العقد مأمون القرية أو المنطقة، وتتفاوت المدة التي تفصل بين العقد وليلة الزفاف (الدخلة) حسب الظروف والاتفاق بين الأسرتين، فأحياناً يتم العقد قبل فترة من الزفاف تصل إلى عدة أشهر، ويتم أحياناً في ليلة الزفاف بساعات، ويرجع ذلك إلى إمكانية أسرة العريس المادية واستعداداتها[5].

---

1 – الجعيدي، مرجع سابق، ص 50 .

2 – ناجي، سلطان: الحقوق الاجتماعية للمرأة في المجتمع اليمني، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ع(1)، السنة(3) ابريل/نيسان، 1980م، ص 52.

3 – الشعبيني، مرجع سابق ، ص 81 .

4 – عدا مدينة الحديدة والمناطق المجاورة لها، فيتم العقد في منزل والد العروسة، كاعتبار لأسرتها .

5 – شاكر، مرجع سابق، ص 248 – 249.

فمن العادات المتبعة في تهامة أنه إذا تأخر الزفاف بعد العقد لفترة طويلة سنه أو أكثر، فإنه يتوجب على العريس في كل مناسبة تقديم هدية لعروسه بهذه المناسبة، وتستمر تلك العادة مدة بقاء العروسة عند أهلها حتى يتم زفافها[1] .

ويبدو أنّ هذا التقليد يؤكد على رغبة العريس في عروسه، وإشعار العروسة بمكانتها لدى العريس وأنه أصبح مسؤولاً عن نفقتها، وذلك مما يؤدي إلى زيادة الألفة بينهما . ومما تجدر ملاحظته أنّ الهدايا العينية التي يقدمها العريس لعروسه قبل فترة الزفاف، لا يتم التصرف بها عند كثير من الأسر، أو التفريط فيها خوفاً من حدوث ما يؤدي إلى عدم إتمام الزواج، والذي يترتب عليه إعادة كل الهدايا العينية أو بعضاً منها إلى أسرة العريس، ولازالت هذه العادة معمول بها حتى وقتنا الحالي .

تتخلل هذه المناسبة مجموعة من المراسيم، حيث أنه بعد تحديد موعد عقد القِران تقوم أسرة العريس بدعوة الجيران والأصدقاء لحضور عقد القران، ويتولى مهمة الدعوة حلاق الحي أو المنطقة، وبحضور المدعوين والأصدقاء يتم عقد القران[2].
بعد الانتهاء من العقد توزع الحلوى وكاسات القهوة والشاي على الحاضرين، وترش العطور، بعدها يقوم الحاضرون بتهنئة العريس ويعبرون عن فرحتهم له بمعانقتهم له[3].

بعد عقد القِران وتحديد موعد الزفاف تبدأ عملية التجهيز لمراسيم الزواج تهيئة ليوم الزفاف، إذ يقوم العريس بتأثيث بيت الزوجية بما يحتاج إليه من أثاث وفرش ولوازمه من ملايات ومطارح، بينما تبدأ العروس بتجهيز نفسها وأدواتها الضرورية التي ستأخذها معها إلى بيت الزوجية، حيث أنه في بعض مناطق تهامة تحمل العروسة معها من بيت أهلها بعض ما تحتاجه من أدوات استعمال منزلها وغرفة نومها، ويبدو أن ما يحدد من مهر هو الذي يساعد العروس على شراء

---

1 – بازي، مرجع سابق، ص 18.

2– أماعن كيفية العقد وصيغته فيتم بأن يجلس العريس أمام وكيل العروس متصافحي الأيدي، ويوضع فوق أيديهما منديلاً من القماش، ويجلس أمامهما المأذون الشرعي وسط دائرة من الأصدقاء ، ويبدأ المأذون الشرعي بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، وبعض الأحاديث النبوية التي تحث على الزواج وترغب فيه ، بعدها يقوم العريس ووكيل العروسة بترديد كلام المأمون لإتمام عقد الزواج حيث يتجه العريس إلى وكيل العروسة مخاطباً إياه قائلاً : ((زوجني موكلتك البكر الراشدة البالغة فلانة على المهر المتراضي عليه)) فيرد عليه وكيل العروس قائلاً : ((زوجتك و أنكحتك ابنتي أو موكلتي فلانة على ما أمر الله به من إمساكٍ بمعروفٍ أو تسريح بإحسان وعلى المهر المتراضي عليه)) فيرد العريس قائلا: ((قبلت نكاحها لنفسي بما ذكر وعلى ما ذكر)) ويختم ذلك بقراءة الفاتحة .

3 – جوهر، مرجع سابق، ص 107. ؛ الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، 385.

لوازم ليلة زفافها، فإذا كان المهر كبيراً خرجت العروس مع أمها أو أحد جيرانها إلى السوق لشراء لوازمها من ملابس وفرش ومباخر ومشاجب [1] . أما المستلزمات الأخرى من المهر والشبكة، وإعداد المنزل وتأثيثه فهي من مسؤولية الزوج .

هـ - حفلات الزواج (الزفاف):

تـُقام الحفلات بمناسبة الزواج لإضفاء الصبغة الاجتماعية القانونية لذلك الزواج، وتختلف مراسيم الزواج وحفلاته باختلاف الفئة الاجتماعية، حيث يلعب الوضع المادي للعريس في تهامة دور في تحديد مستوى إطار مساحة الفرح الذي يقيمه، فكلما كانت الحالة المادية جيدة للعريس، كلما وسع من إطار الفرح والمدعوين للوليمة .

أمّا عن طريقة إعداد المكان الُمعد للفرح (المخدرة) [2]، وخدمة الضيوف فيلعب عاقل القرية في تهامة دوراً بارزاً في عملية الإعداد، حيث يتولى العاقل تدبير ما يلزم لتأثيث المخدرة، وتزويدها بالمقاعد والفرش والوسائد اللازمة وأواني المياه، وذلك من خلال دعوة سكان القرية أو الحي بالتعاون لمساعدة العريس بإحضار هذه الأدوات، ويتم نقلها إلى المخدرة عبر أصدقاء العريس والذين يسمون بالمغرم [3] . كما يتم تكليف بعضهم باستقبال الضيوف والترحيب بهم، ويتولى البعض ترتيب موائد طعام الغداء[4] .

إن هذا العمل الذي يقوم به المغرملساعدة العريس يـُعد واجباً عليهم، ويعتبرون أنّ هذا العرس مهرجاناً احتفالياً عاماً لكل أهل المنطقة، لا يخص أسرة العريس أو العروس. أمّا في عصرنا الحالي فقد بدأت مظاهر المشاركة الجماعية تختفي في بعض المناطق، وتقتصر بعض الأسر في أعراسها على الأقارب والأصدقاء، وذلك نظراً لصعوبة الحياة الاقتصادية، وتكاليف الأعراس الباهظة.

---

1 - لازالت المشاجب تستخدم حتى وقتنا الحالي في بعض مناطق تهامة، وتصنع من سعف النخيل، وتصنع على شكل مخروطي حيث تستخدمها المرأة في تهامة لوضع الملابس عليها لتبخيرها.

2 - المخدرة : تطلق على المكان الذي يتم فيه إقامة حفل الزواج ، واستقبال الضيوف في تهامة، وتقام هذه المخدرة من الأخشاب، ويغطى سقفها وجوانبها بقطع طويلة من القماش والذي يسمى(بالطاقة)، وتختلف المخدرة من حيث اتساعها ومساحتها من عُرس لآخر حسب المكانة الاجتماعية للعريس وحالته المادية، وتختلف تسميتها من منطقة لأخرى ففي زبيد وبيت الفقيه تسمى بالمخدرة، أما في الحديدة والمناطق الشمالية من تهامة فتسمى بالسقيفة . أنظر: بازي، مرجع سابق، ص 17.

3 - بونفان، أحياء زبيد، مرجع سابق، ص 53 .

4 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 385 – 386.

تتخلل أفراح الزواج في تهامة عادات اجتماعية تتجلى فيها فكرة التعاون والتضامن الاجتماعي بصورة واضحة من هذه المظاهر مايلي :

1- ظاهرة الوصل:

تُعد ظاهرة الوصل من العادات الاجتماعية التي مارسها المجتمع التهامي في أفراحه خلال فترة الدراسة، وهي عادة تتجلى فيها فكرة التعاون والتكافل الاجتماعي، حيث تقوم هذه العادة على قيام المدّعوين (الضيوف) بإعطاء العريس وصل عيني يتمثل بأعداد من الماشية (غنم أو ماعز أو بقر)، أو من المواد الغذائية (كالأرز أو الطحين، أو السمن أو العسل) [1].

يختلف مقدار الوصل بحسب المكانة الاجتماعية للعريس وعائلته، فكلما كانت مكانة العريس في مجتمعه عالية، وعلاقته متينة بضيوفه،كلما كان مقدار الوصل ثميناً ومعبراً قدر الإمكان عن قوة تلك العلاقة، وعن المكانة التي يحتلها العريس في قلب الضيف، بعكس العريس الذي ينتمي إلى أسرة أقل مكانة اجتماعية حيث يُقال في المثل: ((الهدية على قدر مُهديها)) [2].

ويُعد الوصل من العادات الاجتماعية التي تشكل مصدر مساعدة للعريس وأسرته في التخفيف من تكاليف الزواج كما يُعد من الأمور الملزمة التي يجب على العريس ردها على أصحابها، لذا فهي بمثابة دين على العريس يقضيها لصاحبها في مناسبة مماثلة لها، ولذا تقوم أسرة العريس بتسجيل هذه الإيصالات في سجل خاص[3] .

ومن العادات في تهامة أن هذه المساعدات تقدم ضمن مراسم شعبية ملفتة للنظر، حيث يتم استقبالها بمجموعة من الخدم الذين يجيدون ضرب الطبول والمزامير، ويكون الاستقبال على مسافة تبعد قليلاً عن منزل العريس، حيث تستمر هذه الفرقة مصاحبة للضيوف القادمين وبصحبتهم المساعدات، حتى يتم توصيلهم إلى بيت العريس، حيث تطلق الأعيرة النارية، والزغاريد ابتهاجاً وترحيباً بهم، حتى يسلم الوصل لأسرة العريس[4].

2- الطرح(النقوط):

---

1 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 386.

2 – العودي، مرجع سابق، ص 134- 135 .

3 – المرجع نفسه .

4 – العودي، مرجع سابق، ص 135 .

تقوم هذه الظاهرة على مساهمة المدعوين من ألأهل والأصدقاء بمبالغ مالية للعريس في يوم عرسه، كل حسب مقدرته وحالته المادية، يتم دفع هذا المبالغ إلى العريس إمّا عن طريق حلاق القرية، الذي يقوم بالإعلان أمام الحاضرين في الوليمة عن مقدار المبلغ الذي قدّمه الضيف، ويعلن اسمه أمام الحاضرين [1] ، وإمّا عن طريق وضع هذه النقود في ظرف مغلق ويكتب عليه اسم الضيف، ومقدار المبلغ الذي قدمه، ثم يعطى للعريس مباشرة، ويختلف مقدار المبلغ المالي من ضيف إلى آخر وفقاً لقرابة الضيف من العريس، ومكانته الاجتماعية، ويُعد هذا المبلغ ديناً على العريس يُرد في ظرفٍ مماثل[2] . ولا يقتصر هذا الطرح على العريس فقط، بل تساهم النساء أيضاً بدفع مبالغ مالية للعروسة .

أما بالنسبة للعروسة فيُقام لها في بيت أبيها مظاهر احتفالية تتمثل بما يلي :

1- حفلة الوسَى:

وهي عبارة عن حفلة تتم في بيت العروسة قبل زفافها، وتكون بمثابة توديع لها، تأتي هذه الحفلة قبل يومين من ليلة الزفاف، وتقتصر على نساء العائلتين والأقارب والجيران، وفي هذه الحفلة تزف العروسة داخل بيت أبيها من حجرة إلى حجرة، بصحبة مجموعة من المنشدات[3].

2- الغَسل والقُمعة :

وهي حفلة صباحية، تتم في بيت العروسة في اليوم الثاني من حفلة الوسى، أمّا في الوقت الحالي فتدمج حفلة الوسى والغسل والقمعة في يوم واحد، حيث تبدأ الحفلة الصباحية بالغسل والقمعة، وتنتهي مساءً بحفلة الوسى، وفي هذه الحفلة تقوم إمرأة تسمى بالمُخضبة بوضع معجون الحِناء على أطراف أصابع العروسة، وتسمى هذه العملية بالقُمعة [4]، كما يتم غسل رأس العروسة بواسطة إمرأة تسمى بالمُكّدية [5] وتسمى هذه العملية بالغُسل بعدها تُؤخذ العروسة إلى غرفة خاصة في بيت أبيها حيث يُعد لها مجلساً في وسط الغرفة للجلوس عليه، ويوضع أمامها إناء من

---

1 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 386.

2- السروري، مرجع سابق، ص 681 .؛ لطف، الجهات الحيسية، مرجع سابق، ص 251 .

3 - بازي، مرجع سابق، ص 24-25.

4 -التقميع: يقصد به تخضيب أطراف أصابع العروس بمادة الحناء، والتي تعطي لوناً أحمر، وكانت هذه المادة تُعد من أساسيات زينة العروس في تهامة خلال فترة الدراسة.

5لمـُ كّدية (الماشطة) : يطلق على المرأة التي تتولى غسل شعر المرأة وتصفيفه وتجميله، ويتم استدعاؤها من قبل أسرة العروسة قبل يوم من الزفاف، مقابل مبلغ معين من المال، وهي ما يطلق عليها حالياً في عصرنا (بالكوافيره) .

المعدن أو النحاس، حيث تقوم كل إمرأة من الحاضرات والمدعوات لهذه الحفلة بوضع مبلغ من النقود في هذا الوعاء، وتسمى هذه العملية بالنقوط أو النجد، ويستمر الاحتفال حتى وقت الظهيرة، ثم تجمع هذه النقود من قبل أسرة العروسة ويستعان بها على تكاليف العرس، وتكون هذه النقوط بمثابة دين على العروسة وأسرتها تُعاد في مناسبة مماثلة لها [1] .

3- السابع:

وهي عبارة عن حفلة تقام للعروسة بعد زفافها بسبعة أيام في بيت أبيها، حيث يقوم والد العروسة بدعوة العريس وأقاربه لتناول طعام الغذاء في اليوم السابع من الزفاف، وتستمر هذه الحفلة حتى منتصف الليل، بعدها ترجع العروسة مع عريسها إلى بيت الزوجية، لتبدأ حياة جديدة مع زوجها، وبهذه الحفلة تنتهي مراسيم الزواج في تهامة [2].

2- الأزياء في تهامة (الملابس) :

لتنوع المناخ بين مناطق اليمن المختلفة دور في تحديد نوعية الملابس التي يرتديها السكان، كما أنّ للحالة المادية أثرها في اختلاف ملابسهم وتنوع جودتها.

ففي تهامة ونظراً لحرارتها الشديدة في فصل الصيف، واعتدالها في الشتاء، يرتدي السكان الثياب المتناسبة مع بيئتهم الحارة، وهي ملابس خفيفة بسيطة في تكويناتها، تتميز بالرقة والنعومة، لها العديد من المميزات الفنية والمهارة العالية في التطريز وأغلب ألوانها الفاتح وبالذات اللون الأبيض.

ويشير أحد الباحثين إلى بساطة ملابس السكان في تهامة، والذين زاروا المنطقة خلال فترة الدراسة قائلاً: ((وهؤلاء هم أخف لباساً، خاصة في القرى المنتشرة والبعيدة عن المدن التهامية، فقد يكتفي أحدهم بما يستر عورته فقط، وما يستر رأسه من أشعة الشمس المحرقة ,... وليس غريباً في هؤلاء الناس أن يخافوا على رؤوسهم، ولا يخافون على أقدامهم ...وذلك لأن أقدامهم نفسها قد تحولت إلى نعال... وأقسى من النعال)) [3].

كما يضيف حسن محمد جوهر، ومحمد أيوب عن ملابس تهامة بقولهما: ((ففي تهامة نظراً لارتفاع درجة الحرارة والرطوبة طوال العام، وفقر الغالبية العظمى من السكان، ترى الأطفال

---

1 - بازي، مرجع سابق، ص 25- 26.

2 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص388.

3 - أل يحي، مرجع سابق، ص 73.

عراة حفاة يضعون في رقابهم حلقات من الحديد، بها أحجبة وتمائم وتعاويذ، تعتقد أمهاتهم وآباؤهم أنها تقيهم شر العين والمرض والحسد ومن الجن، وتجلب لهم الحظ وتبعد عنهم الهموم، ويترك الرجل النصف الأعلى من الجسم عارياً أثناء العمل وأبان اشتداد الحر، ويغطي النصف الأسفل بمئزر مخيط اسطواني الشكل ملون ذي خطوط يشدّ على الأرداف، ... فإذا انتهى من عمله أو تلطف الجو يلبس قميصاً (صدره) قصير الأكمام بينه وبين الفوطة(المئزر) زنار من القطن أو الجلد يعلق فيه الخنجر أو الخرطوش أوكلاهما معاً، كما يضع على رأسه طربوشاً من الخيزران للوقاية من الشمس وتسمى (الكوفية)وهو قُمعية الشكل بنية اللون .. وتعتبر غطاء الرأس في الحديدة، كما تستعمل الشبقة(القبعة) وهي غطاء للرأس، ... يلبسها الرجال والنساء، وتصنع محلياً من الخوص (سعف النخيل)، وهي رخوة متهدلة واسعة النسيج، يتخللها الهواء، متسعة الأطراف، تظلل كل الرأس والعنق، عالية لكي تحفظ الرأس من أشعة الشمس))[1].

وتنقسم الأزياء في تهامة إلى قسمين، القسم الأول يتمثل في الزى الرجالي، وهو وإن كان البارز منه نوعاً معيناً ألفه الناس لظهور الشخص به في المناسبات العامة، إلاّ أنّ هناك إلى جانب الزي الرسمي المألوف أزياء إضافية وهيئات يظهر بها الرجل في حياته العامة، هذه الهيئات تختلف باختلاف المناسبة التي تحتّم ارتداء هذا الزي بالهيئة التي تتوافق معها .

أما القسم الثاني فهي الأزياء النسائية، وتتميز باختلافها وتنوعها.

الزي الرجالي:

كان الزي الذي يرتديه أغلب سكان تهامة، وخاصة الفلاحون عبارة عن: إزار أسود أو أبيض يسمى بالطاقة، يلفه الرجل حول خصره لتصل أطرافه في الجزء السفلي إلى ما فوق الركبة، وذلك لسهولة الحركة أثناء العمل والصعود إلى الجبال أثناء الرعي خصوصاً سكان المناطق القريبة من الجبال[2]، أّما الجزء الأعلى من الجسم فيغطيه بقميص قصير الأكمام يسمى بالصدرة أو الشاية، وعند اشتداد الحر وأثناء العمل يقوم الرجل بخلع هذا القميص ويبقى عارياّ في

1 - جوهر، مرجع سابق، ص 86- 88.

2 - السروري، مرجع سابق، ص 694 .

جزءه العلوي، أما الرأس فيغطى بقبعة مصنوعة من الحصير أو سعف النخيل للحماية من الشمس القوية وخاصة في فصل الصيف[1] .

إضافة إلى ذلك فقد كان هناك عدة أزياء يلبسها السكان في تهامة، في المناسبات العامة، وخاصة في المدن من أبرز هذه الأزياء [2] :

1- **المعجر: (جمعه معاجر)** وهو ثوب يُلتحف به، قال ابن منظور: ((وهو ضرب من الثياب تكون باليمن))[3]، ويسمى بالمصنف في تهامة(الشال) وهو عبارة عن حزام من القماش الملون بعدة ألوان بشكل طولي، يبلغ طوله 5أمتار وعرضه 38 سم، يلفه الرجل حول خصره، لشدّ الوسط، ولوضع الخنجر فيه، وهو نوعان المعجر العادي وهو أقل جودةً، والمعجر الوردي الذي يتميز بجودة قماشه، ووجود زوائد مهذبة له في أطرافه مما يعطي له شكلاً جميلاً .

2- **القَمِيْص:** ثوب أبيض، طويل الأكمام، واسع يلبسه علية القوم من السادة والفقهاء، كتمييز لهم عن بقية الفئات، ويسمى في بعض مناطق تهامة كبيت الفقيه بالمدرعة.

3- الكوفية الخيزران:

تصنع من خيوط الخيزران، تلبس فوق الرأس على شكل دائري تتسع من أسفل وتضيق من أعلى قليلاً تنتهي بقاعدة مدورة لها ثقب في الوسط لدخول الهواء إلى الرأس، كما يتم وضع قطعة من الفضة على شكل قلم للزينة، وكان يلبسها عامة الناس ومنهم مشايخ القبائل .

4- **الشملة** : مفرد شِمال: وهي منسوجات صوفية تصنع من صوف الأغنام والماعز، وتنسج بمنسج خاص يُمد موازياً للأرض، وكانت تستخدم كفراش يمد على الأرض للجلوس عليه، كما استخدمت كلحاف للوقاية من البرد في فصل الشتاء، وخلال فترة الدراسة استخرج السكان من هذه المنسوجات خيوط رقيقة ورفيعة يتم ربطها ببعضها البعض، استخدمت كشال يوضع على الكتف[4].

---

1 - جوهر، مرجع سابق، ص 86- 88.؛ الشرجبي ، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق، ص226- 227

2 - الأهدل، علي مغربي : الملابس والأزياء في تهامة، صحيفة الجمهورية، ع(14488)، يوليو/ تموز2009م، ص11 . Http:// www. Algomhoriah.net

3 - ابن منظور، مرجع سابق، ج4، ص 542.

4 - مقشر، مرجع سابق، ص86.

5- **العمامة (المشدّة):** وهي ما يلفه الرجل على رأسه لاتقاء حرارة الشمس من ناحية، ولإظهار نوع من الوقار والهيبة اللذين ينّمان عن علو المكانة والنضج العمر والعقلي، وكان هذا الزي يستورد من الهند .

6- اليلق:

هو قطعة من القماش، ذولون أزرق يصنع من القطن بدون أكمام، يلبسه الرجل في تهامة فوق القميص .

7- **العكاوة :** هي قطعة فضية اسطوانية الشكل، يلبسها رجال قبيلة الزرانيق في تهامة على رؤوسهم .

ومن الجدير ذكره أن أغلب الرجال في مناطق تهامة يشتركون في زي لا يتخلى عنه أي يمني، وهو وضعهم حزام في الخصر يثبت فيه خنجر معقوف يسمى (بالجنبية)، له مقبض مصنوع من الخشب الجيد أو من العظم، قد يضاف إليه قطعة ذهبية لتجميله، ويختلف سعر هذا الخنجر من بضعة ريالات إلى بضع مئات من الريالات خلال فترة الدراسة، ويختلف وضع هذه الجنبية من فئة إلى أخرى، فالسادة والقضاة يضعونها على الجانب الأيمن من الخصر كتمييز لهم عن بقية الفئات، أما عامة الناس فيضعونها في الوسط[1] .

الزي النسائي :

خضع لباس المرأة في تهامة لما خضع له المجتمع من تقسيم فئوي، فكان لنساء الأغنياء لباسهن الذي يختلف عن لباس نساء العامة من الناس، من حيث جودة القماش وفخامة تفصيله وتشكيله وقيمته، كما كان لموقع سكن المرأة في تهامة دور في تحديد نوعية الملابس التي ترتديها، فنساء المدن يختلفن في نوعية ملابسهن عن نساء الريف، غير أنّ ما يجمع بين هذه الملابس ملائمتها لطبيعة المناخ الحار، واتساعها لسهولة الحركة أثناء العمل، ومن أهم هذه الملابس التي ترتديها المرأة في تهامة المقشط والمقلمة [2]، التي تغطي رأس المرأة، وبخاصة عند خروجها من المنزل، كما تغطي الجزء العلوي من جسمها بشميز قصير الأكمام يتم صناعته بطريقة يدوية عن

---

1 - جوهر، مرجع سابق، 93- 94. ؛ الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مرجع سابق ، ص 147- 148 .

2 - المقشط : يُعرف في تهامة (بالمصر) وهو عبارة عن قطعة من القماش تغطي به المرأة رأسها، أما المقلمة وتسمى بالمقرمة، وهي أيضاً قطعة من القماش طويلة تتشكل من اللونين الأسود والأحمر، توضع فوق المقشط للزيادة في تغطية الرأس من جميع الجوانب، ومن فوائدها الوقاية من أشعة الشمس وخاصة في القرى. أنظر: الأهدل، الملابس والأزياء، مرجع سابق، ص11 .

طريق الإبرة والخيط يسمى (بالصديرية)[1]، أما الجزء السفلي من الجسم فتغطيه المرأة بقطعة من القماش تسمى بالوزرة [2] بدلاً عن الفساتين الطويلة التي ترتديها نساء المناطق الجبلية [3]، كما استخدمت المرأة إلى جانب الوزرة لتغطية الجزء السفلي من جسمها قطعة أخرى من القماش تسمى بالطورية،وهي أشبه بالُلحف الحوكية المعروفة في تهامة من حيث خطوط الألوان الحمراء والصفراء والسوداء الكبيرة والصغيرة غير أن هذه الطورية مصممة بشكل جميل، وتمتاز بمتانة خيوطها التي تقاوم تقادم الزمن، وهذه القطعة كانت في تهامة تعطى للمرأة ليلة زفافها وتظل المرأة محتفظة بها إلى يوم وفاتها لتوضع فوق النعش[4].

كما تلبس المرأة وخاصة في أرياف وقرى تهامة القميص والذي يسمى (بالكورته) ويُعد من أقدم الأزياء المستخدمة في تهامة، ويتميز بفخافة زخارفه الجميلة على واجهته الأمامية، وهو عبارة عن ثوب يغطي كافة أجزاء جسم المرأة . وتصفه الباحثة أمة الرزاق جحاف بأنه: ((عبارة عن زي مادته النسيجية من القطن المخلوط بالكتان، ينسدل على الجسد بحرية كاملة، يتميز بأكمامه العريضة غير المنفصلة في تركيبها، وإنما هي جزء من الثوب، يكون اتساعها بعرض القميص نفسه، يتم تطريزه بخيوط القطن المنسوجة بطريقة تسمى خدوجة، يصل طول القميص إلى منتصف الساق)) [5] .

---

1 – الصُديرية : عبارة عن قطعة من القماش، تزخرف بألوان زاهية في مقدمتها ، تضعها المرأة في تهامة على النصف العلوي من الجسم، وهي نوعان : الأولى وتسمى السمحة وتتصف بتغطيتها لكافة الجزء العلوي بما فيه اليدان حتى المرفقين وتلبسه المرأةغالباً أثناء خروجها من المنزل، أما الثانية وتسمى المؤند وتغطي أيضاً الجزء العلوي من الجسم إلى منتصف الذراعين ، مع وجود فتحة لها في وسط الصدر، وغالباً ما تستخدمها المرأة داخل المنزل ، ويشبه هذا النوع من اللباس في شكله الزي الذي تلبسه المرأة في الهند، والذي يترك فيه جزء من أسفل البطن مكشوفاً ، وهو ما يدلل على تأثير الهجرات الهندية في تهامة .

2 – الوزرة : هي لباس قصير أشبه بالفوطة مفتوحة من الأسفل وضيقة محكمة عند الخصر وتنتهي بحزام له عروتين تربط مع بعضهما بإحكام من الجانب الأمامي لخصر المرأة .

3 – آل يحي، مرجع سابق، ص 88.

4 – الأهدل، مرجع سابق ، ص11 .

5 – جحاف، أمة الرزاق : البعد الاجتماعي في الأزياء الشعبية اليمنية، مجلة حوليات العفيف، صنعاء، ع(3) 2003م، ص 81 .

أما النقاب فتعد نساء المدينة أكثر استخداماً له للستر من الناس عند خروجهن من المنزل، أمّا في القرى والأرياف فتخرج المرأة مكشوفة الوجه، وذلك لصغر مجتمع الريف، وتعارف أهله، وقوة صلاتهم الأسرية[1].

أما عن زينة المرأة في تهامة : فقد استخدمت أنواعاً من الحلي والمجوهرات المصنوعة من الذهب والفضة لتزيين أجزاء من جسمها، فمن أدوات الزينة التي استخدمتها المرأة الأحزمة الفضية على خصرها (وسطها)، والسلوس، والملاقف، والخلاخيل، والخواتم، والقرط، والقلائد[2]. كما اهتمت النساء في تهامة بزينة وجوههن بمادة الشاب[3]، كما يقمن بتخضيب وجوههن وأيديهن وأرجلهن بنقشات الحناء، وخاصة في المناسبات، كما استعملن الكحل والعطر لتطييب أجسادهن[4]

.

أما أهم العطور التي كانت تستخدمها المرأة في تهامة الزباد [5] وذلك لتعطير النحر والرقبة، كما يوضع وراء الأذن ويدهن به الشعر لإكسابه اللمعان والرائحة الطيبة، وكانت أكثر ما تستعمله المرأة في ليلة زفافها كما استخدمت المرأة في تهامة الكحل لتزيين العينيين[6].

3- عادات الولادة والختان:

يمثل قدوم المولود فرحة كبرى في حياة الناس، لاسّيما إذا كان ذكراً، وذلك أن الذكر يعني يداً عاملة قوية تساند الأسرة، وتساعد في إعالتها، وتمدها بالإنجاب الضروري لبقائها، كما أن ولادة الذكر عندالقبيلة يُعد مصدراً للجاه، وقوة يواجهون بها الآخرين. ولذا فقد كان السكان في تهامة يهتمون بإقامة الاحتفالات بقدوم الولد، ويعلنون الفرحة بذلك، وكانت عادة النساء في مثل

---

1 – هديل، مرجع سابق، ص 352.

2 – الأهدل، مرجع سابق ،ص 4.

3 – الشاب: هو عبارة عن خليط من الأصبغة ، تضعها المرأة على وجهها ويديها لترطيبهما، كما تعتقد فيه المرأة الوقاية من حرارة الشمس .

4 – جوهر، مرجع سابق، ص 91- 92.

5 – الزباد : هو عبارة عن سائل دهني عطري ،كان يدخل في صناعة العطور العربية التقليدية القديمة ، حيث يعمل على تثبيت وتركيز روائح العطور الأخرى، وكانت تستعمله المرأة التهامية بمزجه مع عطور أخرى .

6 - pocok, Richard – Description of the East and some other countries- volum the first observation on Egypt – missing editor, p. 191.

هذه المناسبات تبادل الزيارات للمباركة بالمولود الجديد، وتقديم الهدايا العينية والنقدية للمولود وأمه، وعلى الأم الالتزام بإعادة هذه الهدايا في مناسبة مماثلة .

ففي تهامة يبدأ الاهتمام بالمولود منذ ظهور أعراض الحمل الأولى على المرأة حتى نهاية الأربعين بعد الوضع، ففي هذه المرحلة لا تغير المرأة كثيراً من نمط عملها في المنزل أو الحقل بسبب الحمل، عدا بعض المراعاة في الأسابيع الأولى من بداية الحمل، وذلك خوفاً على الجنين من السقوط، وذلك عن طريق تجنب حمل الأشياء الثقيلة، بعدها تمارس المرأة عملها بصورة طبيعية حتى تضع وليدها، وأثناء الأشهر الأخيرة من الحمل تحث نفسها ويحثها الآخرون على العمل والحركة المستمرة، وذلك على اعتبار أن ذلك يسهل عملية وضعها، ويحافظ على صحة الجنين، ويُضرب المثل بالمرأة التي يأتيها المخاض وهي في أثناء العمل، أو خارج المنزل وخاصة في الحقل، فتشبه باللبوة، ويلقب طفلها بابن اللبوة، كرمز للقوة والشجاعة لكل من الأم ووليدها [1] .

وفي لحظة الوضع ونزول الجنين تحرص المرأة ، ويحرص من حولها على ضرورة استنهاضها من مكانها فوراً حتى تكون منتصبة القامة على الأقل، إذا لم تستطع أن تسير بضع خطوات في الغرفة، اعتقاداً بأن ذلك يجعلها تتماثل للصحة بسرعة، ويجعل وليدها ينهض هو الآخر بسرعة، وينموفي صحة جيدة، ولذا يُقال في المثل الشعبي المعبر عن هذا الموقف بالنسبة للشخص الناجح في حياته ((ذرته وقامت)) ، أي أنه عند وضعها له لم تنم بل قامت مباشرة، والعكس بالنسبة للشخص الفاشل فيُقال عنه ((ذرته ونامت)) [2] .

وخلال الفترة الزمنية لدراستنا، ونظراً لعدم وجود مراكز صحية، كانت تتم الولادة بواسطة امرأة تسمى بالقابلة تستخدم علاجات طبيعية لتسهيل عملية الولادة مثل: السليط العربي (زيت السمسم)، وحبة البركة، والقرفة، وبعدها يحنك المولود بقليل من العسل أو التمر، ويوضع في إناء خاص لغسله، ثم يؤذن في أذنيه[3] .

---

1 – العودي، التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية، مرجع سابق، ص 132– 133 .

2 – المرجع نفسه، ص 133 .

3 – الجعيدي، مرجع سابق، ص 53 .

ولتسمية المولود لابد من استشارة فقيه القرية، الذي يفتح كتاب التنجيم لتحديد برج المولود قبل اختيار الاسم المناسب، وبعد اختيار الاسم يعمل لـه تميمة تربط علـى ساعد الطفل، وذلك للاعتقاد بأنها تقيه من الشياطين[1] .

وكان من عادات النساء في مناسبة الولادة، تبادل الزيارات للمباركة بالمولود الجديد والتي تستمر لمدة أربعين يوماً ، وتقديم بعض الهدايا والنقود لأم الطفل كمساعدة لها لتوفير مستلزمات الولادة، ويطلق على هذه الهدايا باسم (رجاية) [2] ، وهي إمّا أن تكون من الملابس أو الحلويات أو من النقود، أو من الفراخ الصغيرة، وكذلك مع كميات من الدقيق والسمن، وتُعد هذه الرجاية من الهدايا الملزمة التي يجب على المرأة إرجاعها في ظرف مماثل، وهي أشبه ما تكون بالقاعدة العرفية الواجبة الاحترام والمراعاة [3] .

وكانت عادات ومراسيم الولادة ولازالت تثقل كاهل الكثيرمن الأسر، وذلك لما يُنفق فيها من أموال، حيث تستمر الاحتفالات بالمولود من قبل النساء في كل ليلة لمدة أربعين يوماً ، ويحضر النساء كل يوم من بعد العصر حتى منتصف الليل، ويتكلف الزوج نفقات ذلك الاجتماع يومياً من شاي وقهوة وحلويات ولذا يُقال في المثل الشعبي التهامي ((عُرسين ولاولاد)) [4]، أي أن نفقات عرسين في الزواج أقل من نفقات الاحتفال بولادة المولود في تهامة. وباكتمال الأربعين يوماً للمرأة بعد الولادة، يقوم الزوج بشراء قطعة قماش لها ثم تُزّين بمادة الحناء ويُقام لها حفلة يحضرها أغلب نساء الحي والأهل، يوزع فيها الشاي والقهوة والمكسرات، ويطلق على المرأة الوالدة في تلك الليلة بعروسة الأربعين، حيث تعد نفسها لزوجها في ليلة عرسها الثاني[5] .

أمّا عملية الختان للمولود (الطهارة) فكان يتم في أغلب مناطق تهامة في اليوم السابع لولادته، ويقوم بعملية الختان حلاق القرية أو المنطقة، مستخدماً في ذلك آلة حادة تسمى بالموس

---

1 – طاهر،علوي عبد الله : الفولكلور اليمني، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412هـ / 1992م ، ج2، ص 728 .

2 – الرجاية : كلمة تطلق على الهدية التي تعطى للمرأة الوالد في تهامة ، ويبدوا أنها مشتقة من كلمة رجاء ، وهو ما يرجوه الإنسان من مساعدة الآخرين وقت الحاجة ، أما في صنعاء فيطلق عليها باسم البنان . أنظر: العودي، مرجع سابق، ص 133 .

3 – المرجع نفسه .

4 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 390.

5 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، ص 390– 391 .

أو الشفرة لقص اللحمة الزائدة التي تغطي ذكر المولود، ولإيقاف نزيف الدم والألم يقوم الحلاق باستخدام بعض المواد الطبيعية، حيث يقوم بكسر بيضة، ويطلي بها موضع الجرح، مع إضافة مسحوق القرنفل أو السكر لإيقاف الدم، ومقابل هذا العمل يحصل الحلاق من أسرة المولود أجراً نقدياً، أو عينياً وغالباً ما يكون من محصول الذرة[1].

واحتفاءً بهذه المناسبة يقوم الأب بذبح الذبائح، ليوزع بعضاً منها على الجيران والفقراء، ويدعي الأقارب لتناول طعام الغداء، ويكون على رأس المدّعوين خال المولود، وبعد تناول الغداء يُقام احتفال يطلق عليه بالمولد يتم فيه مضغ أوراق القات، وذكر اسم الله ابتهاجاً بهذه المناسبة [2] .

أما عندما يكون المولود أنثى فإن الذي يقوم بعملية الختان هي زوجة الحلاق، إلاّ أنّ ظاهرة ختان الإناث لم تكن منتشرة في كل مناطق تهامة، وقد بدأت هذه الظاهرة تتلاشى وتختفي نتيجة للوعي الاجتماعي، وذلك لما لهذه الظاهرة من أضرار على المرأة اجتماعياً وصحياً، وتختلف فرحة ختان الولد عن ختان البنت، حيث تختفي المظاهر الاحتفالية عند ختان الإناث .

أمّا في عصرنا الحالي فقد اختفت هذه العادات، واختفت معها الاحتفالات بهذه المناسبة وأصبحت المراكز الصحية هي التي تجري هذه العملية وخاصة في المدن.

4- عادات الوفاة (المأتم).

إن من الطبيعي بعد أن تحدثنا عن عادات وتقاليد الزواج في تهامة، وما يرتبط بهما من عادات الولادة والختان، أن نتحدث عن عادات وتقاليد الوفاة. ففي اليمن ومنها تهامة يحترم السكان موتاهم ويعظمون سيرتهم، ولهذا كانت الجنازات عندهم من أهم المظاهر الدينية التي يسودها الشعور الحقيقي بالحزن والأسى. فمن العادات المتبعة في تهامة عند وفاة أحد الأفراد أنه يُنعى بموته في أحد مساجد المنطقة، ثم يغسل الميت وينقله المشيعون إلى مسجد آخر للصلاة عليه[3].

أما عن طريقة غسل الميت ودفنه فقد كانت تتم بموجب خطوات تبدأ بوضع الميت على المغسل، قد يكون ذلك المغسل عبارة عن مكان مرتفع (دكه) أو سرير ليرتفع جسم الميت عن الأرض عند غسله، وتبدأ عملية الغسل بصب الماء على الميت لتنظيفه مع استعمال بعض المواد

---

1 - المعمري، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، مرجع سابق، ص 956.

2 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 390.

3 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، ص 420.

المنظفة للجسم، وبعد تطهيره واكتمال غسله يمشط شعره ويرتب، ثم يوضع في كفنأبيض، ويـ ُزين جسمه بالطيب والمسك، وعند وضع الميت في قبره يوجه باتجاه القبلة، ويفك عن وجهه الكفن، ويوضع خده على التراب ثم يغطى لحده بالحجارة والطين، وخلال الدفن تتلى عليه آيات من القرآن الكريم والأدعية[1] .

بعد الانتهاء من الدفن يـ ُعلن حلاق المنطقة أو أحد الحاضرين من أقارب الميت الدعوة إلى قراءة القرآن وتقديم العزاء في أحد المساجد بعد صلاة العشاء، حيث يتوافد الأقارب والجيران وسكان المنطقة إلى المسجد بعد صلاة العشاء لقراءة القرآن والدعاء للميت، ومن ثـّم تقديم العزاء لأهل الميت، وتستمر هذه العادة لمدة ثلاث ليال، كما يذهب البعض لتقديم العزاء في بيت الميت أو أحد أقاربه بعد صلاة العصر [2] .

وخلال فترة العزاء وخاصة في اليوم الثالث من الوفاة تقوم بعض الأسر ميسوري الحال بإقامة مأدبة غداء تذبح فيها الذبائح، ويدعى إليها سكان المنطقة لتناول الغداء والدعاء للميت، وبعد أربعين يوماً من الوفاة تقام ذكرى الأربعين للميت حيث يذكر فيه مآثر الميت وأعماله الخيّره[3].

أما عند النساء فتستمر فترة العزاء شهراً كاملاً، تلبس فيه النساء اللباس الأبيض، وليس الأسود كما هو شائع في بعض البلدان، حيث يتوافد نساء الحي من بعد صلاة العصر كل يوم إلى بيت الميت لقراءة القرآن، وفي اليوم الثالث من الوفاة يتجه أهل الميت من النساء عدا زوجته إلى المقبرة لزيارة الميت، أو كما يطلق عليه اصطلاحاً ((فك الوحده)) ، ويحملن معهن بعض المواد الغذائية كالتمور ونوع من الخبز الهش يسمى (اللحوح) لتوزيعه على الفقراء، كما يضعن على قبر الميت نوع من الأشجار ذو الرائحة الجميلة والذي يسمى في تهامة (بالحباق)، ومن العادات المتبعة أن زوجة الميت لا تخرج من بيتها، ولا تمارس زينتها أثناء فترة الحداد التي تستمر لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام، بعدها تقوم المرأة بغسل رأسها ثم تلبس نوعاً من القماش الأبيض يسمى بالفتوحي، للدلالة على انتهاء فترة الحداد، ومن ثّم تمارس حياتها الاعتيادية بشكل طبيعي[4] .

---

1 – هديل، مرجع سابق، ص 262 – 263.

2 – فخري، مرجع سابق، ص93. ؛ الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 420.

3 – العودي، مرجع سابق، ص 139 .

4 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 421.

أمّا إذا كان المتوفي شيخاً لأحد القبائل، فتختلف مراسم وعادات الوفاة عمّا ذكرناه قليلاً، حيث أنّه بوفاة شيخ القبيلة تُقام له التعازي ابتداءً بقراءة القرآن عليه ثلاث ليال في المسجد، وبعد صلاة العشاء تجتمع أسرة المتوفي ببعض أفراد كبار القبيلة للتشاور في اختيار من يخلف الشيخ من الأسرة في مشيخة القبيلة، وعندما يتفق على الشخصية القادرة على إدارة أمور القبيلة، تبدأ الأسرة بمبايعته، ثم أعيان القبيلة، وبعد مرور ثلاثة أيام على الوفاة تقيم أسرة المتوفي وليمة تسمى بالثالث، حيث يحضره كل أبناء القبيلة مصطحبين معهم ما يسمى بالوصل الذي سبق أن أشرنا إليه، وهو عبارة عن رأس من الغنم أو الماعز أو البقر، أو مواد غذائية وذلك لمساعدة الشيخ الجديد في إقامة هذه الوليمة للحاضرين، حيث أنه أثناء هذه الوليمة تعلن البيعة من جميع الحاضرين للشيخ الجديد، ويتم التوقيع عليها، ثم تقرأ الفاتحة على روح المتوفي، يأتي هذا التقليد لحفظ وحدة القبيلة، وعدم تفرق كلمتها، وأبرز مثال على ذلك ما قامت به قبيلة الزرانيق في تهامة عند موت شيخها محمد يحي منصر، حيث انتخبت القبيلة ابنه يحي بن محمد يحي منصر في اليوم الثالث من الوفاة [1] .

5- عادات الأعياد والاحتفالات الدينية :

شكّلت الأعياد والمواسم الدينية أحد أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في تهامة التي أعتاد السكان على إحياؤها والاحتفال بها، شأنهم في ذلك شان بقية المسلمين في الأقطار الإسلامية الأخرى. ولعل من أبرز هذه الاحتفالات التي كان يحتفى بها سكان تهامة: الاحتفال بقدوم شهر رمضان، وعيدي الفطر والأضحى، والمولد النبوي الشريف، وليلة السابع والعشرين من رجب، وليلة النصف من شعبان، والاحتفال بعودة الحاج، كما انفردت تهامة باحتفالات موسمية تمثلت بالاحتفال بنضوج التمر، وفيما يلي أبرز هذه الاحتفالات :

عادات استقبال شهر رمضان:

تختلف مظاهر استقبال شهر رمضان من بلد إلى آخر، فكلٌ له عاداته وتقاليده، ففي تهامة يتهيأ الناس لاستقبال شهر رمضان مادياً ومعنوياً من النصف الثاني من شعبان، وذلك لإعطائه حقه من صيام وفعل الخير والتصدق . فقبل دخول الشهر تقوم أغلب الأسر التهامية، بتنظيف

1 - المرجع نفسه، ص 421- 422.

البيوت وتنظيمها، وتبييضها بمادتي النوره الحجري والجص، كي تكون ملائمة للجو الروحاني لشهر رمضان ولازالت هذه العادة تمارس حتى عصرنا الحالي[1] .

وما إنْ يدخل رمضان حتى ترتسم البسمة على شفاه الأطفال والآباء فرحاً بقدوم الشهر، حيث يقوم السكان بالتهليل والتكبير وأداء بعض الأناشيد الدينية احتفاءاً بهذه المناسبة، كما يهنئ بعضهم بعضاً بهذه المناسبة الدينية . وفي أثناء نهار رمضان يخلد معظم السكان إلى الراحة، بحيث يتغير نظام الحركة اليومية، ويتوقف الناس عن العمل، وتغلق المحلات والدكاكين أثناء النهار، حيث تبدأ الحركة التجارية من بعد صلاة العصر حتى وقت الفجر، وبعد غروب الشمس يتناول المسلمون إفطارهم بقليل من الطعام والشراب، ثم يؤدون صلاة المغرب، ويتناولون الوجبة الأساسية العشاء، ثم يتوجهون إلى المساجد لأداء صلاة العشاء والتراويح [2] .

أمّا ليالي رمضان فتنقلب إلى حركة مستمرة حتى وقت السحور، بحيث يمارس فيها السكان أعمالهم، وفتح محلاتهم التجارية، ويقضيها البعض في قراءة القرآن وأداء صلاة التراويح في المساجد، وإقامة حلقات الذكر، وقراءة الأحاديث النبوية، كصحيح البخاري ومسلم، ورياض الصالحين، وبدخول العشر الأواخر من رمضان يزداد الناس تعبداً وعكوفاً في المساجد والجوامع، ومن أعظم ليالي العشر هي ليلة السابع والعشرين من رمضان إذ يحتفلون بهذه الليلة أكثر من احتفالهم بالليالي السابقة، إذ يُختم فيها القرآن الكريم في أغلب مساجد وبيوت تهامة، وتوزع الحلويات، وترش العطور بهذه المناسبة، ولازالت هذه العادات تمارس حتى عصرنا الحالي[3] .

عادات عيدي الفطر والأضحى :

يحتفل المسلمون في تهامة في الأيام الثلاثة الأولى من شهر شوال بعيد الفطر، والذي يسمى بالعيد الصغير، حيث يتهيأ السكان لقدومه بشراء الملابس الجديدة، ومستلزمات العيد الغذائية، وفي يوم العيد يخرج الناس للصلاة إلى مصلى العيد والذي يكون عادة في مكان واسع بعيداً عن المساكن، وبعد الانتهاء من صلاة العيد يزور الناس بعضهم بعضاً، ويتبادلون التهاني والتبريكات فيما بينهم، حيث تبدأ الزيارات للمعايدة والتي تستمر لمدة أيام العيد، بزيارة الأهل والأقارب، ثم

---

1 – هارون، الدر النضيد، مرجع سابق، ص 299.

2 – العبيكان، طرفة عبد العزيز، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، (د.ن)، الرياض، (د.ط)، 1406هـ / 1996م، ص 282 .

3 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 416– 417.

الجيران، ثم الأصدقاء، وتقدم في هذه الزيارات العطور والحلوى للمعايدين، أّما ألفاظ التهاني التي كانت تتبادل بين السكان بهذه المناسبة عبارة: ((كل عام وانتم بخير)) وإذا كانت المناسبة لعيد الأضحى فيقول الزائر بالإضافة إلى العبارة السابقة عبارة: ((كل عام وأنت حاج إنشاء الله)) [1] .

ومن العادات التي يمارسها السكان في تهامة خلال مناسبات الأعياد هي تقديم هدايا للأقارب من النساء والتي تسمى في تهامة (بالعوادة)، وتسمى في صنعاء بـ(العسب)، وكانت هذه الهدايا تقدم على شكل مواد غذائية من حبوب الذرة أو السمن أو من اللحم، أّما في عصرنا الحالي فقد صار النقد هو الغالب في الريف والمدينة [2] . وكان الاهتمام الأكثر للمرأة البعيدة عن الأسرة أي التي تنتقل بعد زواجها إلى منطقة أخرى، حيث يعطى لها كمية أوفر من العوادة، كما يحصل الأطفال بمناسبة الأعياد على مبالغ نقدية بسيطة تسمى بالعيدية [3] .

أما عيد الأضحى فيعد أكثر أهمية واحتفاءً به من الناحية الشعبية والاجتماعية، وتتبع فيه أغلب التقاليد التي يمارسها السكان في عيد الفطر، مع مباشرة ذبح الأضحية بعد العودة من صلاة عيد الأضحى.

ولم يقتصر سكان تهامة على الاحتفالات بالعيدين فقط، فقد كان هناك مناسبات دينية حرصوا على الاحتفال بها، **كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف** الذي يعده بعض المتمسكين بالعادات الإسلامية من البدع المستحدثة في الدين، لكن بعض المسلمين رغبة منهم في تكريم نبيهم يحتفلون بمولده في كل عام يوم 12 ربيع الأول . حيث يقوم الناس في هذا اليوم بزيارة مقابر موتاهم، ويدعون لهم بالمغفرة، كما يقوم بعض الأغنياء بالتصدق على الفقراء، كما يوسعون على أولادهم، وذلك بشراء الملابس الجديدة. كما يقوم أغلب السكان وخاصة في مدينة زبيد والمناطق المجاورة لها بتأخير وجبة الغداء إلى وجبة عشاء، وبعد صلاة العشاء يتم الاحتفال بالمولد النبوي

---

1 – هارون، الدر النضيد، مرجع سابق، ص 300. ؛ الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 417.

2 – إن ظاهرة استبدال الناس لتلك الهدايا العينية بهدايا نقدية في وقتنا الحالي، إنما يدل على متغيرات العصر الاقتصادية والتجارية، وانهيار البناء الاقتصادي التقليدي، والذي كان يعتمد بدرجة أساسية على الزراعة، والذي تحول إلى بناء سوقي دولي.

3 – العودي، مرجع سابق، ص 149 – 150 .

في البيوت والمساجد من خلال تدارس سيرة الرسول وحياته الدعوية، ويستمر ذلك حتى وقت الفجر [1] .

كما كان يحتفل بليلة الإسراء والمعراج، في السابع والعشرين من رجب من كل عام، وتمارس فيها من المظاهر ما يمارس في ليلة المولد النبوي. وكانت أكثر المناطق التهامية ا حتفاءً بهذه الليلة هي منطقة حيس، حيث كان يفد إليها في هذه الليلة عدد كبير من السكان من المناطق الأخرى لإحياء هذه الليلة حتى طلوع الفجر، وبعد الفجر يقوم مجموعة من الشباب بالسباق على الخيول أمام الحاضرين، منهيين بذلك فرحتهم، وتسمى هذه العملية بالتصبيحة، ولازالت هذه العادة تمارس حتى عصرنا الحالي[2] .

أما ليلية النصف من شعبان، فكان يحتفل بها السكان اعتقاداً من بعضهم باعتبارها وقت تثبيت مصير الإنسان في العام التالي، حيث كان يعتقد أن هناك شجرة في الجنة تسمى شجرة المنتهى تحمل أوراقاً بعدد البشر الأحياء، وكل ورقة تحمل اسم شخص واحد، وتهز الشجرة في ليلة النصف من شعبان بعد الغروب، ومن كان مقدراً له الموت خلال العام القادم تسقط ورقته، ولذا فإن الناس يجتمعون في تلك الليلة بالمساجد لتأدية الصلاة، وترديد بعض الأدعية الخاصة بتلك المناسبة[3] . ويبتهج الناس في هذه الليلة، وتوزع الحلويات على الأيتام والفقراء، وكان أكثر اهتماماً بها هم العلماء، وتسمى في تهامة بليلة البهجة ، وكانت أكثر المناطق التهامية احتفاءًبهذه الليلة هي منطقة الجراحي، حيث تتم السهرة فيها حتى الصباح، وبعد طلوع الفجر يقام مهرجان تنافسي يتم فيه السباق على الخيول[4] . ومن العادات المتبعة في ليلة النصف من شعبان وخاصة في مدينة زبيد، أنه يتجه أغلب سكان المدينة بعد صلاة العشاء إلى مسجد في المدينة يعرف بمسجد البرم يجلسون فيه على شكل حلقات يسبحون الله ويذكرونه، وبعد الانتهاء من ذلك يقوم أحد السادة من بني الانباري والذي يُعتقد فيه بأنه يمتلك شعرة من شعرات الرسول محفوظة لديه

---

1 – هارون، الدر النضيد، مرجع سابق، ص 300 – 301.

2 – المرجع نفسه، ص 301 .

3 – عمر، إبراهيم سمير: الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط) ، 1992م، ص 205 .

4– لطف، الجهات الحيسية، مرجع سابق، ص 252 .

في وعاء زجاجي محكّم، توارثتها الأسرة عبر الأجداد، حيث يقوم بإخراجها للناس لرؤيتها، وتقبيلها كلٍ على حده وذلك تبركاً بها ولازالت هذه العادة تمارس حتى وقتنا الحالي[1].

ومن الاحتفالات التي كانت تمارس في تهامة خلال فترة الدراسة، **الاحتفال بعودة الحاج من الأماكن المقدسة**، وكان حجم الاحتفال يتحدد بمكانة الحاج في المجتمع، وحالته المادية، فمن العادات المتبعة في هذه المناسبة إنه بعد إكمال الحاج مناسك الحج ورجوعه إلى أهله يستقبل استقبالاً حاراً من قبل سكان بلدته ويُعد له المدراهة (المرجوحة) للتأرجح بها، وما إن يصل منزله يحضر سكان القرية لتهنئته والسلام عليه، ثم يقوم حلاق القرية بغسل قدمي الحاج وإزالة غبار السفر، كما يقوم بعض الحجاج وخاصة الموسرين منهم بإعداد وليمة يدعي فيها الجيران والأصدقاء، وبعد صلاة العشاء يزف الحاج في موكب من سكان منطقته من المسجد إلى منزله، تردد فيه الأناشيد الدينية المعبرة عن هذه المناسبة ، وبهذه الزفة تنتهي مراسيم الاحتفال بعود الحاج[2] .

ومن الاحتفالات التي اعتاد الناس على إقامتها هي **الاحتفال بتخرج الصبي من المعلامة(الكُتّاب)**، وإكماله لحفظ القرآن الكريم، وكانت تقام بهذه المناسبة مراسيم احتفائية، تتمثل بإقامة حفلة للطالب الذي أكمل حفظ القرآن يدعى إليها الجيران والأصدقاء من الرجال والنساء، وفي مقدمة الجميع فقيه القرية وزملاء الطالب، حيث تردد في هذه الحفلة الأناشيد الدينية المعبرة عن هذه المناسبة، التي تتناول في مضمونها أهمية حفظ كتاب الله والاهتمام به، والإشادة بأسرة الطالب وبالفقيه الذي تولى تعليمه وتهذيبه [3] . وفي أثناء الاحتفال يلقي الفقيه (المعلم) قصيدة ملحنة تسمى (بالزملة) تلقى عادة في أغلب الاحتفالات التي تقام بهذه المناسبة، ومن أبرز هذه القصائد المشهورة [4]:

الحمد لله الذي هدانا	لملة الإسلام واجتبانا
علّمنا من فضله القرآنا	ن بعد ماكُنا من العُميانا
لا نعرف الخط ولا البيانا	حتى جلسنا مجلس الفتيانا

1 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 415 – 416.

2 – المرجع نفسه، ص 423- 432.

3 – بازي، داود : مراسيم الاحتفاء بتخريج الصبي من المعلامة، مجلة الغراء، زبيد، ع (7،8) يناير. يونيو / كانون الثاني . حزيران 2007م ، ص67 .

4 – المرجع نفسه، ص 68 .

ثم يختتم الفقيه هذه القصيدة بالإشادة بالطالب واجتهاده، ويمسك بيده قائلاً أمام الحاضرين:

هذا ولدكم قد قري وقد كتب	تعلم القرآن واجتاز الأدب
فالله يعطي ويجازي ويهب	وليس مثل العلم شيء مستحب
العلم مصباح وتاج وأدب	فاطرح على اللوح دنانير ذهب

وما إنْ ينتهي الفقيه من قصيدته حتى يبادر الحضور وأسرة الطالب بوضع إناء من المعدن، يضعون فيه نقوداً معدنية، كلٌ حسب حالته المادية، حيث تجمع هذه النقود وتعطى للفقيه تكريماً له.

كما تقوم بعض الأسر الميسورة بإعداد وليمة غداء للمدعوين بهذه المناسبة، وبعد صلاة العشاء يتوافد المدّعوين والأقارب والجيران إلى أقرب مسجد لبيت الطالب لزفافه على نغمات الأناشيد الدينية، وسط فرحة الجميع، حيث يستمر موكب الزفاف حتى باب منزل الطالب، حيث يُختم هذا الحفل بالدعاء والاستغفار، ثم قراءة الفاتحة[1] .

يتضح مما سبق، أن هذه المراسم الاحتفالية، إنما تؤكد على مكانة كتاب الله لدى المجتمع خلال فترة الدراسة، وعاداته وتقاليده النابعة من إيمانه بأهمية العلم والدور الكبير الذي يلعبه العلماء في الحياة العامة، كما تبين مدى التشجيع والتحفيز الذي كان يوليه الآباء للاهتمام بحفظ القرآن الكريم.

فضلاً عن ذلك فقد شهدت تهامة خلال فترة الدراسة عدداً من الاحتفالات الموسمية التي اعتاد السكان على إقامتها سنوياً من هذه الاحتفالات: **الاحتفال بنضوج التمر** وهو احتفال اعتاد سكان تهامة على إحيائه موسمياً، إذ كان الناس يتوافدون من مختلف القرى والمدن التهامية إلى مناطق النخيل للمشاركة فيه، وتستمر تلك الاحتفالات حتى نهاية جني التمور، والتي تستمر غالباً لمدة ثلاثة أشهر[2]. كانت هذه الاحتفالات تعبر عن مدى الاحتفاء بهذه المناسبة، والتي تتخللها استعراضات من الرقصات التهامية، وسباق الخيول والهجن (الجمال)، وبمجرد الانتهاء من جني ثمار النخيل يرجع الناس إلى قراهم ومساكنهم .

كما تفرد سكان مدينة زبيد بمناسبة أخرى لنضوج التمور، وهي المعروفة **بسبوت النخل**، إذ يخرجون في أيام البسر والرطب من كل يوم سبت إلى بساتين النخيل برجالهم ونسائهم، ويخرجون

---

1 – المرجع نفسه، ص 68 – 70 .

2 – تبدأ عادة من شهر مايو/ أيار وحتى نهاية أغسطس /آب .

معهم بعض آلات الطرب، كما يخرج الباعة لبيع الفواكه والمواد الغذائية، وتقام الاحتفالات وينعش البيع والشراء وسط فرحة الجميع وبهجتهم[1] .

6- البيوت في تهامة :

يُعد البيت التهامي في مدن وأرياف تهامةدليلاً حسياً على وضع صاحبه الاجتماعي من حيث الغنى والفقر، فبيوت الفقراء كانت أغلبها يتألف من غرفة واحدة، أو كوخ(عُشه) وحولها حظيرة للحيوانات، مع تخصيص مكان بجانب الكوخ للطبخ . أما بيوت الوجهاء من السادة والقضاة وشيوخ القبائل، فكانت تتميز إلى حد كبير بسعتها، وموقعها المتميز، كأن تكون على ربوة عالية، أو بعيدة إلى حدٍ ما عن بيوت الفلاحين للتمييز الأكثر لها .

ويختلف بناء وشكل هذه البيوت في تهامة من منطقة إلى أخرى ففي المدن[2] كانت البيوت تبنى بالطين المحروق، والذي يعرف في تهامة بالآجر أو القولب، والذي تتم صناعته بمزج التراب النقي والناعم مع مخلفات زراعية، وخاصة مخلفات محصول الدخن والذي يسمى بالحماط وبعضاً من مخلفات الماشية (الذبل)، حيث تخلط مع بعضهما بالماء ويخمر لفترة معينة، بعدها يوضع في أواني على شكل مربعات ومستطيلات، وبعد تعرضه للشمس يحرق بالنار في أفران خاصة، وبعد خروجه من الأفران يصبح جاهزاً للاستخدام[3] .

كما استخدم الطين النيئ، والنوره، والجص، والخشب كمواد مكملة لبناء البيوت في مدن تهامة، حيث كان يستخدم الطين والنورة للربط بين أعمال البناء، وتكسية وطلاء الجدران، وتشكيل وزخرفة المباني وعمل النقوش وتُعد النوره البيضاء ولازالت تمثل العنصر الأهم في بناء البيوت في تهامة، وذلك لما لها من أهمية في إضفاء الجوانب الجمالية على البيت التهامي وخاصة في المدن[4] .

---

1 - السروري، مرجع سابق، ص 686 .

2 - تعد مدينتي الحديدة وزبيد من أبرز المدن في تهامة خلال فترة الدراسة ، والتي كانت أغلب بيوتها يبنى بالآجر (الطوب الأحمر) .

3 - الشلالي، صباح حمود : تراث الفن المعماري والفضاء الداخلي لمدينة وريف زبيد ، مجلة تهامة، جامعة الحديدة، ع (8)، يوليو/ تموز 2007م، ص 13 – 14.

4 - لطف، مرجع سابق، ص 144.

أما الجص والأخشاب فقد استخدمت لتغطية الأسقف والقباب، كما استخدم الجص لتغطية الواجهات الأمامية للمنازل[1] . وكان لهذه المواد السابقة دور في التقليل من درجة حرارة المساكن في تهامة خلال فصل الصيف، حيث تساعد على عكس الإشعاع الشمسي، ومنع دخول الحرارة إلى الداخل، وذلك بامتصاص وخزن الفائض منها أثناء النهار، ثم التخلص منه أثناء الليل [2] . وتحاط البيوت في مدن تهامة، بجدران سميكة من الآجر (القولب)، والذي يتميز بجمال واجهاته الخارجية، أما واجهاته الداخلية فتطلى بمادة الجص، وذلك مما يساعد على التقليل من درجة الحرارة [3] .

أما عن مكونات البيت التهامي في المدن فيتكون بصفه عامة مما يلي[4] :

1- **الباب الخارجي:** وهو المدخل الرئيسي للمنزل، ويتكون هذا الباب غالباً من فردتين (مصراعين) من الخشب، يختلف هذا الباب من منزل إلى آخر من حيث الكبر والصغر، حيث أن كبر مساحة هذا الباب تدلل على مكانة صاحب المنزل الاجتماعية، وحالته المادية، ويعرف هذا الباب في تهامة بالباب البراني(أي الخارجي)، وذلك لأن معظم بيوت تهامة لها بابان، هذا الباب وباب داخلي ينفذ إلى ساحة البيت.

2- **الليوان:** وهو عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل، تخصص لاستقبال الضيوف، وتسمى بالمبرز أو الديوان، ويوجد الليوان غالباً في بيوت ميسوري الحال، والعلماء وذو الوجاهة في المنطقة، ويتميز بزخرفة واجهته الأمامية، كون موقعه مواجهاً للباب الخارجي، حيث أنه أول ما يواجه الضيوف عند دخول البيت .

3- **المربعة** : وهي عبارة عن غرفة واحدة يتسع صدرها لأربعة أو خمسة أسِرة خشبية، وتعد المقر الرئيسي للأسرة التهامية، حيث يتم فيها ممارسة الأعمال المنزلية، كما يتم فيها النوم خلال فصل الشتاء، وهي أقل مساحة من الليوان، وتتميز المربعة باحتوائها على مساحة واسعة أمامها تسمى بالقبل أو الفناءيستخدم لنوم الأسرة في فصل الصيف، وتُ زين المربعة بزخارف جميلة من الداخل

---

1 - بونفان ، العمارة في زبيد ، مرجع سابق ، ص 2155 .

2 - الشلالي، مرجع سابق ، ص 14 .

3 - المرجع نفسه، ص 19 – 20 .

4 - بازي ، داود : فنون العمارة التقليدية في مدينة زبيد، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب – جامعة الحديدة بعنوان ((ز بيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي)) للفترة من 14- 17 ديسمبر /كانون أول، 2002م ، ص 53- 72 . ؛ الشلالي، مرجع سابق، ص 25- 35 .

تتكون من عقود وثريات، كما يعنى بزخرفة أبوابها على نحو يعطيها تميزها المستقل، وطابعها التهامي، أمّا أرضيتها فكانت تبلط بطبقة مرصوفة من الطين، أو بالأسمنت في وقتنا الحالي .

4- **الخلوة:** وهي عبارة عن غرفة صغيرة، يتم بناؤها في أعلى المربعة، تستخدم كاستراحة لرب الأسرة، وتتميز باحتوائها على باب مستقل، يتم الصعود إليها بواسطة مدرج حجري .

5- **الصفة:** هي عبارة عن غرفة صغيرة، أشبه بالسقيفة مفتوحة من الجانبين، يتم بناؤها أمام المربعة، تفصل بينهما ساحة القبل، تستخدم لاستراحة الأسرة وقت الظهيرة، كما يوضع فيها الأغراض المنزلية كالفرش والوسائد .

أما في القرى والأرياف فكانت المساكن عبارة عن أكواخ دائرية ، تبنى من أعشاب وغصون الأشجار، تسمى هذه الأكواخ في تهامة بالعشة أوالديمة [1] .

وفي وصف هذه المساكن البسيطة يقول الرحالة نيبور : ((أمّا في تهامة فمعظم بيوتها عبارة عن أكواخ، وبناؤها لا يكلف كثيراً ، فهي تبنى من أغصان الشجر والأعشاب، وتكسى جدرانها بالطين المخلوط بمخلفات الحيوانات، وتدهن من الداخل بالكلس، وسقوفها مبنية بأعشاب متوفرة بكثرة في تهامة، ونادراً ما تكون لها نوافذ، أما الأبواب فهي مجرد قطعة من الحصير، وفي هذه البيوت وحولها توضع سرر (مقاعد) أشبه بكراسي طويلة منسوج سطحها بخيوط من القش، ويجلس عليها المرء وينام بارتياح، ونادراً ما تكون الأكواخ مقسمة من الداخل إلى أجنحة أو حجرات، فإذا كان حجم الأسرة كبيراً, ... فإنه يتم بناء أكثر من كوخ للأسرة الواحدة، ثم تحاط جميعها بسياج واحد يبنى من أغصان الشجر)) [2].

ويرجع السبب في اتخاذ هذا النمط السكني في قرى وأرياف تهامة إلى حرارة المنطقة، الذي يفرض اتخاذ هذا النمط مما يساعد بدوره على التخفيف من درجة الحرارة وبخاصة في فصل الصيف، ومرور الهواء إلى داخل الكوخ [3]. كما يضيف الباحث البريطاني إدجار أوبالانس سبباً آخر حيث يقول: ((أما في تهامة فيستخدم السكان الأكواخ المصنوعة من القش وأعواد البوص، حيث لا توجد عندهم فكرة دفاعية طالما أنهم لا يملكون إلاّ القليل أولا يملكون أشياء ذات بال، وعندما تلوح المتاعب في الأفق سرعان ما يولون الأدبار أكثر من بقائهم ودفاعهم، حيث

1 - جوهر، مرجع سابق، ص 77 – 78.

2- الصائدي، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، مرجع سابق، ص 199 .

3- جوهر، مرجع سابق، ص 77- 78.

يستطيعون بسرعة تشييد العديد من الأكواخ المصنوعة من القش، حيثما ينتهي بهم المطاف ( )[1].

أما عن طريقة بناء الكوخ فكان يتم بطريقة تقليدية، حيث تبدأ الخطوة الأولى في بنائه بإقامة أساس الكوخ، والذي يبنى من الطين والحجارة على هيئة جدار دائري أو مربع، يتم ارتفاعه عن الأرض بنحو مترين [2] . بعد إقامة الأساس يأتي دور بناء رأس الكوخ (العشة)، والذي يقام على شكل هرمي، حيث توضع مجموعة من الأخشاب تسمى الضلوع على الجدار المقام بشكل مائل على هيئة هرم أو مخروط من جميع الجهات، حيث تتلاقى رؤوس الأخشاب من أعلى، ثم يشدّ بعضها إلى بعض وتغطى بفروع الأشجار اليابسة، ثم تشدّبالحبال شداً محكماً ابتداءً من الأسفل إلى الأعلى، ثم يغطى رأس العشة بالقش ويشد بالحبال، وبعد إكمال بناء العشة، تطلى واجهتها الداخلية بالطين المخلوط بمخلفات الحيوانات، ثم تبيض بمادة النورة (الكلس) أو الجص[3] .

ومن خلال ماسبق يتضح أن بناء البيوت في مدن وقرى تهامة، وتنوع أدوات ومواد البناء المتمثل بالطين والآجر والنورة والأخشاب، يتناسب مع طبيعة المنطقة ذو المناخ الحار في فصل الصيف، كما كان يشكل نمطاً معمارياً له القدرة على التأثير الحراري، من خلال توجيه المبنى والوظائف، واختيار المواد المناسبة العازلة للحرارة، كما كان لارتفاع الأسقف في بيوت المدن، ووجود الفتحات المتعددة للمنزل التهامي دور في تنشيط حركة الهواء، والتحكم الحجمي بالحرارة المكتسبة من خلال طرد الهواء الحار عبر هذه الفتحات .

7- الأكلات الشعبية في تهامة :

لكل مجتمع مأكولاته الخاصة، وطريقته في إعدادها التي يعتاد عليها ويألفها، وإن فرضته عليه بيئته، إلاّ أنّه يجد فيه ما يكفيه، ويسد به رمقه ويشبعه. وقد اختلفت صناعة المأكولات في اليمن من منطقة إلى أخرى، كما اشتهرت كل منطقة عن غيرها بمأكولات تميزت بها وأصبحت تُعرف بها.

ففي تهامة اعتمد السكان في طعامهم على ما تنتجه المنطقة من ثروات زراعية وحيوانية. وكانت من أهم محاصيلهم الذرة بأنواعها الأصفر والأحمر والأبيض والدخن، لهذا كان خبزهم

1- أوبالا نس، إدجار : اليمن الثورة والحرب، تر/ عبد الخالق محمد لاشين، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط2، 1990م، ص 51 .

2 - جوهر، مرجع سابق، ص 77 – 78.

3 - شجاب، قبيلة الزرانيق، مرجع سابق ، ص 42 -43 . ؛ مقشر، مرجع سابق، ص 90 - 91 .

يصنع من هذه المحاصيل[1] . كما عُرف عن أغلب السكان بأكلهم للملوخية والباميا، وطباخة الخفوش (الكُبان)، واللحوح، والفطير، وكانت هذه الأكلات من الوجبات الأساسية للسكان، وبخاصة الفقراء[2] .

ومن مأكولات السكان في تهامة وخاصة في المدن الساحلية السمك، الذي كان يُحفظ بطريقة بدائية عن طريق الملح، وكان يطبخ مع التمر الهندي الذي يسمى بالحُمر، كما تستعمل الشطة (الفلفل الحار) في طبخه، وتعد هذه الأكلة بالإضافة إلى الفتة التي هي عبارة عن خبز مخلوط بالموز والعسل من أحب أنواع المأكولات الشعبية لدى السكان حتى وقتنا الحالي[3] .

وكان من مأكولاتهم اللحوم، وذلك لتوفر الثروة الحيوانية في تهامة من أغنام وماعز وأبقار وجمال، كما استفادوا من مشتقاتها في صناعة الأجبان، واستخراج اللبن والسمن.

وقد اختلف استخدام تناول المأكولات بين فئات المجتمع التهامي، وذلك بحسب مراكزهم الاجتماعية، فكان للفئات الغنية ومن في مستواهم طعام منوع وفاخر يحتوي على العسل واللحم والسمن البلدي، وخبز القمح المستورد والذي لا يستطيع شراءه، (خلال فترة الدراسة)، إلاّ فئة الأغنياء والتجار، وغيرها من الفواكه، بينما كانت الفئات الفقيرة من عامة الناس لا يأكلون إلاّ ما تيسر لهم من الطعام ، فكان أهل الحرف من الصيادين والفلاحين ومن في مستواهم يتناولون طعاماً بسيطاً ، يحتوي على فطيرة وخبز ذرة ولبن، أو رغيف دخن وكبان وقليل من زيت السمسم[4]

.

أما حالياً فقد أصبح الأرز هو الطعام الرئيسي لأغلب سكان تهامة مضافاً إليه اللحم، وتُعد وجبة الفطور والغداء من الوجبات الأساسية، أما وجبة العشاء فيأتي وقتها عند أغلب السكان أثناء مضغ أوراق القات الذي يعطي شعوراً كاذباً بالشبع، حيث يكتفي الفرد بشرب كأس من الحليب بدلاً من وجبة العشاء، أما عن فواكههم فهي البطيخ الذي يسمى (بالحبحب)، والموز الذي يزرع بكثرة على أودية تهامة، والأناناس الذي يعرف بالشمام، والمانجو والبلح .

8- الرقصات والأغاني الشعبية في تهامة:

أ- الرقصات الشعبية:

---

1 - جوهر، مرجع سابق، ص 96.

2 - السروري، مرجع سابق، ص 691 .

3 - جوهر، مرجع سابق، ص 99 – 102.

4 - جوهر، مرجع سابق، ص 102.

يُعد الرقص من الموروثات الشعبية لأيمجتمع، يستطيع الفرد من خلاله أن يعبّر عن أحاسيسه ومشاعره تجاه الحياة. ويرى بعض الباحثين أنّ الإنسان منذ القدم حاول أن يحاكي ما في الطبيعة من كائنات، فذهب يقلدها ويتعلم منها، ولم يلبث أن تحول هذا التقليد إلى رقصات وألعاب شعبية، أصبحت تمارس كطقوس يؤديها الإنسان في أفراحه[1] .

وقد اشتهرت تهامة بالعديد من الرقصات الشعبية والتي تزيد عن 18نوعاً ، تختلف من منطقة إلى أخرى، تعتمد في أدائها على إيقاع الطبل والمزمار بشكل خاص، وتتميز بإيحاءاتها التعبيرية، وتؤدى جماعياً في كثير من ضروبها أو على إنفراد.

ومن أبرز الرقصات والألعاب الشعبية في تهامة مايلي :

1- الحِقفة: وهي رقصة تؤدى بحركة خفيفة، وبشكل جماعي على صوت الطبل والمزمار (القصبة)، لها إيقاع هادئ، وحركات خاصة منتظمة تسمى هذه الرقصة في مدينة حيس باليماني[2]. تؤدى هذه الرقصة بأن يقف الراقصون صفاً واحداً وبانتظام متجهين بوجوههم إلى الأمام، ثم يبدأون بالتحرك صعوداً وهبوطاً دون الوصول إلى الأرض، وتتكرر هذه الحركات عدة مرات دون الرجوع إلى وضع الاعتدال، وأثناء تأدية هذه الحركات الراقصة على صوت المزمار، يتم الدوران بحركة خفيفة والعودة إلى الوضع الطبيعي في الهبوط والصعود، مستمرين في ذلك حتى نهاية الرقصة [3] .

2- رقصة الجَلّ: وهي رقصة تؤدى من قبل راقص واحد، يستخدم في أدائها سيفين أو خنجرين يطلق عليهما في تهامة بالجنبية، حيث يقوم الراقص بإمرار الخنجرين بحركات سريعة من تحت إبطيه، وتقليبهما في يديه مع الدوران، وهي رقصة تتطلب مهارة وخبرة من الراقص وذلك لتجنب أي خطر أثناء تقليبه للخنجرين[4] .

3- رقصة الشَنْب: تؤدى هذه الرقصة على صوت الطبل والمزمار، وتؤدى بشكل فردي، وغالباً ما تؤدى بشكل جماعي، وتتمثل بأن يقوم الراقص بحمل خنجر في يديه، ويحركهما بين فخذيه مؤدياً

---

1 – بازي، داود : الرقص الشعبي في مدينة زبيد، صحيفة الثقافية، ع (11)، سبتمبر / أيلول ، 1999م، ص 5 .

2 – مقابلة شخصية مع الباحث في مجال الأدب/ عبد الجبار باجل في منزله بمدينة حيس بتاريخ 2009/6/7م .

3 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 445.

4 –العُمري، عبدالله خادم : الرقص الشعبي في تهامة (ضمن مسرحية فلكلور تهامي) (د.ن)، (د.م)، ط2 ، 1997م، ص 107 – 109 .

قفزات إلى أعلى، حيث يقوم برفع رجليه الواحدة تلو الأخرى مع تمرير الخنجرين بينهما أثناء القفز، وذلك في حركة سريعة [1] .

4- رقصة الحجّلة (المحنجل): تؤدى هذه الرقصة بين راقصين، وقد يقوم بها راقص واحد على إيقاع الطبول، وكيفيتها هو أن يقوم الراقص بالوقوف على إحدى قدميه، بينما يرفع الأخرى عن الأرض، ثم يبدأ الرقص بالهبوط إلى أسفل إلى أسفل ببطء شديد، دون أن تسقط قدمه المرفوعة، ثم يصعد إلى أعلى في كل مرة، وتتكرر هذه العملية حتى يشعر الراقص بالتعب فتنتهي الرقصة [2].

5- رقصة الشاميّة : ترجع أصل هذه الرقصة إلى بلاد الشام، وهي مأخوذة من رقصة الدبكة التي تشتهر بها بلاد الشام، وتؤدى بشكل فردي من خلال قيام الراقص باستخدام عصى طويلة أو سيف للعب بهما في الهواء، مؤدياً بذلك حركات سريعة يستخدم فيها القدم للركل، ثم القفز إلى أعلى . فضلاً عن ذلك فقد انفردت بعض الفئات في تهامة بممارسة رقصات معينة، ومن أهم هذه الرقصات:

6- رقصة الكُدي: وتسمى برقصة الُعريسي، نسبة إلى فئة الريسأ (الحلاقين) التي تفردت بهذه الرقصة، حيث يؤدونها في أعراسهم بشكل جماعي ذكوراً وإناثاً ، وتتمثل بأن يقوم الراقصون بهز الكتفين يميناً وشمالاً بحركة سريعة، وتحريك اليدين إلى الأمام مع الدوران، ثم الهبوط إلى أسفل والصعود إلى أعلى وذلك على صوت الطبل والمزمار .

7- رقصة الطبعة : وهي رقصة انفردت بها فئة الأخدام في أعراسهم، ولذا يسميها البعض برقصة (الخُدمي)، تؤدى بشكل جماعي، تبدأ براقصين يقفان في مواجهة بعضهما وجهاً لوجه في مساحة ضيقة، يحيط بهما مجموعة من الناس، حيث يقوم كل راقص بمد ذراعيه يميناً وشمالاً على كتفي من بجواره، بينما أطراف قدمي كل منهما ملتصقة ببعضها، وعلى إيقاع الطبل والمزمار يحرك كل راقص قدميه إلى الأعلى الواحدة تلو الأخرى بشكل منتظم وموزون، وإنزالها بقوة إلى الأرض في وقت واحد (أي أنهما يضربان الأرض بقدميهما بضربات متسارعة)، ولذا سميت بالطبعة، وأكثر ما تؤدى هذه الرقصة في أعراس الأخدام، حيث يشترك العريس والعروس في هذه الرقصة . فقد ذكر المؤرخ الحضرمي في كتابه، أن العروسة عندما تزف إلى بيت عريسها، ترفض الدخول إلى بيت عريسها، إلاّ بعد أنّ يحضر والد العريس وأهله لاستقبالها، ثم ينزل العريس

---

1 - المرجع نفسه، ص 109 .

2 - المرجع نفسه .

يرقص معها رقصة الطبعة أمام الحاضرين: ((رِجلاً برجل، وكتفاً بكتف، بالتصاق وانفراد قدر ساعة، حتى تعرف قوته من خلال استمرار الرقص من عدمه)) [1].

ب- الأغاني الشعبية والأهازيج :

تُعد الأغنية الشعبية نوع من أنواع الأدب الشعبي، يتغنى بها الناس تحت تأثير انطباعاتهم وانفعالاتهم، فهي تعكس حال المجتمع، وتلخص حياته في أقوال وكلمات ولها مذاقات مختلفة، تناسب الموقف وتصبغه بنكهة خاصة مفعمة بالمشاعر الجّياشة [2]. لقد بدأت الأغنية الشعبية مرتجلة تحركها روح الدعابة والخِفة، ثم أفرغ فيها المجتمع معتقداته وطورها باستمرار نحو الأفضل متأثرة بالتطور التاريخي للمجتمع، مما أدى إلى استبدال اللحن تجاوباً مع ظروف المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية. وقد شكّلت الأغنية الشعبية جزءًمهماً من التراث الشعبي اليمني بشكل عام، وفي تهامة بشكل خاص، حيث أنها تعكس عادات المجتمع وتقاليده، من خلال تقديم صورة عن هذه العادات والتقاليد، والقواعد السلوكية، والقيم الأخلاقية، والمعتقدات التي تواكب حياة المجتمع في جميع مناحيه[3] .

وبطبيعة الحال يمكن تقسيم هذه الأغاني إلى أنواع منها :

1- **أغاني المرأة** : وهي أغاني كانت تغنيها المرأة في تهامة عند قيامها بالأعمال المنزلية لتخفيف وطأة العمل عليها، وقد تنوعت وتعددت أساليب الإلقاء والأداء لهذه الأغاني، فمنها ماكان يتم بطريقة فردية، ومنها ما يتم بطريقة جماعية، وتختلف أنغامها باختلاف أداة العمل المستعملة [4].

ومن هذه الأغاني التي كانت تغنيها المرأة في تهامة :

أ- **أغاني المهد**: ويقصد بها الألفاظ الدالة على الحركات التي كانت تقوم بها المرأة أثناء تنويم طفلها، وملاعبته ومضاحكته، وهي ترانيم موزونة تصحب عادة مداعبة الطفل، وتحريك سريره لينام، أو لحمله ليكف عن البكاء، أو لتدليله أثناء تدليك جسمه، وهي أغاني تصدر عن الأم

---

1 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 392.

2 - بازي : الأغنية الشعبية (أغاني المهد)، مجلة الغراء، زبيد، ع(5-6) ، يوليو- ديسمبر/ تموز- كانون الأول 2006، ص 66 -68 .

3 - بازي، الاغنية الشعبية، مرجع سابق، ص 68.

4 -الجُعيدي، مرجع سابق، ص 48 .

لتعبر بها عن واقع حالها في لحظة عابرة ، تؤثر فيها وفي مشاعرها ، فتندفع إلى الترنم والغناء لتعبر عن تلك المشاعر، سواءًكانت مشاعر نحو طفلها، أو زوجها أو نحو المجتمع [1].

عُرفت هذه الأغاني في الأدب العربي بأسماء متعددة منها أغاني الترقيص، والزقزقة، والهدهدة، وكلها مسميات تدل على هذا النوع من الغناء الشعبي [2].

تنقسم أغاني المهد في تهامة إلى أغاني صباحية، تؤدى أثناء النهار، وتأتي هذه الأغاني مقتصرة على مقطعين أو ثلاثة، لتعبر عن حالة الأم أثناء النهار، حيث تنتظرها أعمالها المنزلية من إعداد طعام الغداء، وغسل الملابس، وذلك قبل عودة زوجها من العمل، وفي نفس الوقت تريد تنويم طفلها كي تقوم بهذه الأعمال، وللتعبير عن هذه الحالة تستخدم أبيات شعرية تعبر عن مدى انزعاجها من طفلها، حتى أنه تتمنى له الموت، وهي في حقيقة الأمر لا تريد له إلاّ السعادة، ومن أبرز هذه الأغاني التي كانت تُقال في ذلك :

أرجد ابني أرجد [3]	أرجد على الله
شالك وحشُ[4]	جايع فحشُ[5]
وإذا أتاك بمليل[6]	شاهب لطلحة كبشُ[7]

ومن خلال هذه الأغنية نجد أنه يغلب عليها طابع اللهجة التهامية البسيطة، وإنها تعّبر عن مدى ما كانت تقوم به المرأة من أعمال في منزلها، حيث كانت تتحمل قدر كبير من الأعمال سواءًفي المنزل أو خارجه في الحقل .

1 – طاهر، الفولكلور اليمني، مرجع سابق ، ص 729 .

2 – بازي، الأغنية الشعبية، مرجع سابق، ص 68.

3 – أرجد : تعني في اللهجة التهامية أرقد بمعنى نام ، ففي تهامة يستبدل الناس حرف القاف إلى جيم ، أثناء النطق، وخاصة في مدينة زبيد .

4 – أي أتمنى لك بحيوان مفترس كالأسد، والذي يطلق عليه عند عامة الناس في تهامة بالوحش.

5 – جايع فحشُ: أي شديد الجوع .

6 – بمليل : أي وقت المساء .

7 – شاهب لطلحة كبشُ: يقصد بها أنها ستعطي لطلحة وهو ولي من الأولياء في تهامة يتبرك به ، ويزار قبره من بعض عامة الناس، ويسمى بطلحة الهتار، كبش : أي رأس من الغنم . وتستعملها المرأة لتخويف طفلها حتى ينام .

أما الأغاني المسائية، فتغنيها المرأة في المساء لطفلها، وتتميز هذه الأغاني بعمق النفس، أي أنها تأخذ مساحة أكبر من وقت المرأة، كما تتميز بالإسهاب وتعدد الصور الخيالية، والتي تحمل في طياتها الكثير من الأبعاد والدلالات، ويرجع ذلك أن المرأة في المساء تكون قد أنهت أعمالها المنزلية، ولم يعد أمامها سوى طفلها، ولذا فهي تلاعبه وتضاحكه، وتقضي وقتاً في ذلك، ومن أبرز هذه الأغاني التي كانت تغنيها المرأة في المساء لتنويم طفلها [1]:

ساريو[2] الليلة ويا ساري زبيد	ابني سرى الليلة على مجرى الجويد[3]
ساريو الليلة ويا ساري عدن	ساريو الليلة على مجرى أمحسن
قل لمحارش[4] ماشتحصل بالمفتن[5]	لاعيشتك ذوقه ولا صوتك حسن [6]

كما غنت المرأة في تهامة لطفلها أثناء تغسيله، وتطييبه بمادة الحناء، ومن هذه الأغاني التي كانت تقال[7] .

ياحنا ويا حاني [8]	ويا سَعد من تحنى به
تحنى به صفي الدين [9]	والباقي سفينا به [10]
ألا يا داخل الجنة	بشرنا بما فيها
فيها القبة الخضراء	محمد ساكن فيها

1 – بحر، نجاة حسن عبده : أغاني المرأة اليمنية في تهامة ، مجلة زبيد ، الجمهورية اليمنية ، ع(1) ، مايو /أيار 2009م ،ص 23 –24 .

2 – الساري: يقصد به الخارج في الليل، وهي مأخوذة من كلمة سرى.

3 – الجويد : يقصد به السفينة أو المركب في البحر .

4 – المحارش : يقصد به الذي ينقل الكلام بين الناس للإيقاع فيما بينهم ، أي الفتان .

5 – ما شتحصل بالمفتن : أي ماذا تجني أيها النمام من وراء زرع الفتن بين الناس .

6 –أي أن عملك هذا لا تجني من وراءه إلاّ العيش النكد والسمعة غير الطيبة بين الناس.

7 – بازي ، مظاهر الحياة الاجتماعية في مدينة زبيد ، مرجع سابق ، ص76 .

8 – الحناء هي مادة تستعمل في تهامة للتطييب، وأكثر ما تستخدمه المرأة في الزينة ليلة زفافها، والحاني صفة للحناء، وهو شدة الحمرة.

9 – صفي الدين : لقب لولي من الأولياء في تهامة .

10 – سفينا به : يقصد به في اللهجة التهامية الرمي ، سفى بالشئ أي رمى به .

ففي هذه الأغنية الشعبية، وغيرها من أغاني المرأة في تهامة رغم بساطتها –إلاّ أنها تحمل الكثير من الدلالات، فهي وإنكانت تُختزل في بيت شعري أو أكثر، إلاّ أنّ الهدف منها هو تشجيع الطفل على استعمال الحناء، وتحبيبه إليه.

ب- **أغاني الطحين** : كان للمرأة في تهامة أغانيها الشعبية وقت طحن الحبوب على الرحى الحجرية، ومن هذه الأغاني التي قيلت في هذه المناسبة مايلي[1] :

عيني رأت وسط البحور غزالُ	لا كان يقع لي[2] لأشتريه بمالُ
واكسيه حرير واهب له زمامُ[3]	وأطلعه صنعاء يكون إمامُ
واترك الوالي يكون غلامُ	وأطلّعه للحاسدين هوانُ[4]

كما تغنت المرأة في تهامة بالأرض والزراعة، ووقت الذري والحصاد، وهو ما نلمسه في كثير من الأغاني والأشعار النسائية في تهامة.

2- أغاني الأعراس والمناسبات الدينية :

يتميز الأدب الشعبي التهامي بتنوع أغانيه المختلفة التي تتناول أغلب مجالات الحياة، ومنها أغاني الأعراس والمناسبات الدينية، والتي تتمثل بالتواشيح الدينية التي تؤدى بمناسبة استقبال شهر رمضان، ومناسبة المولد النبوي، من هذه الأغاني: أغاني الموال الشعبي، الذي يؤدى في مناسبات الأعراس، والأسمار الليلية، كما يردده المسافرون في رحلاتهم وأسفارهم[5].

1 - مقابلة شخصية مع الباحث في مجال الأدب / عبد الجبار باجل في منزله بمدينة حيس بتاريخ 2009/6/7م .

2 - يقع لي : أي لي مقدرة على ذلك .

3 - الزمام هي حلقة صغيرة من الذهب أو الفضة، تضعها المرأة في مقدمة الأنف للزينة.

4- هوانُ: هي كلمة يقصد بها التحدي.

5 - ورو، هشام عبد الله: من فنون الشعر الشعبي في تهامة، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425 (د.ط)، 2004، ص 57- 58 .

وأغاني الشلة التي تؤدى بشكل فردي أو جماعي، وبدون أي آلة موسيقية، ويسمى من يؤدي هذه الأغاني بالشلال، فضلاً عن أغاني الوزبة، التي تؤدى بأنغام موسيقية شعبية، وعلى دقات الطبول وصوت المزمار (القصبة)، وعادة ما يصحب هذه الأغاني رقصات شعبية[1].

ومن خلال ماسبق يتضح بأن مناسبات الأعياد والأفراح والأحزان، وكثير من العادات والتقاليد التي سبقت الإشارة إليها هي في أغلبها مشتركة مابين منطقة تهامة، وكثير من مناطق اليمن، كما تشترك مع الكثير من مناطق الوطن العربي بشكل عام، مع اختلافات بسيطة تعود لخصوصية المنطقة العربية، مما يدلل على العوامل المشتركة التي تجمع أبناء العروبة في اللغة والتاريخ والاقتصاد والثقافة .

ثانياً - التعليم وأنواعه في تهامة 1918 – 1962.

للتعليم دور أساسي وفّعال في بناء الأوطان، وتثقيف الناس، ومكافحة الأمراض البيئية والاجتماعية، فهو الأداة الأساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في كل المجتمعات، كما أّنه وسيلة يستطيع الإنسان بواسطتها أن يصقل مهاراته وخبراته وفقاً لما تقتضيه المعرفة العصرية المعتمدة على التقنية الحديثة، ووفقاً لذلك أصبح تطوير التعليم محور اهتمام أغلب دول العالم باعتباره من الركائز الأساسية لتحقيق التنمية بأبعادها المختلفة، وفي مقدمتها تطوير قدرات

1 -العُمري، عبدالله: الشعر الشعبي المغنى في تهامة، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ط1، 2004، ص 371- 372 .

الإنسان وإبداعاته حيث يُعد الحصول على قدر مناسب من التعليم شرطاً أساسياً لمشاركة الفرد في بناء المجتمع في مجالاته المختلفة، والإسهام في تطويره .

ويقاس تقدم المجتمع بتقدم التعليم فيه، فكلما كان التعليم متقدماً وبأساليب حديثة ومتطورة ومعتمداً على كفاءات مؤهلة تربوياً وتكنولوجياً ، كلما كان حال ذلك المجتمع متزناً ومثقفاً ومؤهلاً للنمو بشكل طبيعي وبأفضل الصور العلمية والثقافية.

وبالنظر إلى وضع التعليم في اليمن ومنها تهامة خلال فترة الدراسة، نجد أن مستوى التعليم بشكل عام كان متدنياً إلى حدٍ كبير، حيث بلغت نسبة الأمية بين السكان ما يقارب 85%، وتزداد هذه النسبة عند الإناث، ولم يصل التعليم إلاّ إلى قطاع ضئيل جداً من السكان [1] .

ومن اللافت أن التعليم كان يخدم فكرة واحدة هي فكرة الإمامة وتثبيتها، وتعميق جذورها في أذهان الناس،واعتبارها أصلاً مكيناً من أصول الدين الإسلامي، ودعامة من دعائمه، بحيث يصبح الإمام هو الدولة، والدولة هي الإمام[2].

ونتيجة لذلك ظل التعليم متخلفاً يقتصر على التعليم الديني واللُغوي في المساجد والمدارس الصغيرة الملحقة بالمساجد، والرُبُط والمعلامات (الكتاتيب)، ولعل أصدق تعبير عن حالة التعليم خلال فترة الدراسة ما جاء على لسان أحد المؤرخين اليمنيين في كتابه حيث قال ما نصه :

((وبعد رحيل الأتراك عن اليمن عام 1918 ظل الوضع التعليمي كما تركه الأتراك، ولم يحدث أي تغيير أو تنظيم، أو تطوير للأوضاع التعليمية، وذلك نتيجة للحروب الأهلية التي دخل فيها الإمام يحي من جهة، ولتخوفه الشديد من الانفتاح على العالم من جهة أخرى)) [3] . أمّا الرحالة السوري نزيه العظم، فقد أوضح حالة التعليم حينذاك بقوله : ((ولا توجد مدارس بالمعنى المفهوم إلاّ في صنعاء والحديدة وبعض المدن الكبيرة . لكن المساجد تقوم مقام المدارس في أغلب القرى والنواحي الصغيرة، ولذا كانت نسبة الأميين إلى المتعلمين كبيرة جداً)) [4].

1- العوامل التي ساهمت في غياب التعليم النظامي الحديث، وانتشار التعليم الديني:

---

1 - العطار، مرجع سابق، ص 159. ؛ الشرجبي، الشرائح، مرجع سابق، ص67 -68.

2 - طاهر، علوي عبد الله: واقع التعليم في اليمن قبل ثورة 26 سبتمبر 1962م، مجلة الإكليل، صنعاء، وزارة الإعلام والثقافة، ع (1)، السنة الخامسة، 1987، ص 6.

3 - الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم، مرجع سابق، ص 75.

4 - العظم، مصدر سابق، ج1، ص 258.

مما سبق يتضح أن التعليم في اليمن ومنها منطقة تهامة كان متخلفاً يقتصر أغلبه على العلوم الدينية والُلغوية، أما التعليم الحديث فقد كان شبه غائب ولاسيما في الفترة الأولى من حكم الإمام يحي حميد الدين، ويرجع ذلك إلى عوامل عدة أبرزها مايلي:

1- الاضطرابات السياسية والحروب القبلية التي خاضتها الإمامة مع بعض القبائل، وذلك بعد خروج العثمانيين من اليمن عام 1918 . حيث أدى خروج العثمانيين من اليمن إلى حالة من الفوضى الإدارية والإرباك والفراغ السياسي، الأمر الذي أدى إلى قيام بعض القبائل بحركات معارضة للنظام الإمامي المتمثل بالإمام يحي حميد الدين، وخروج بعض العلماء على النظام الجديد، **وكانت أهم هذه الحركات المعارضة**، انتفاضة قبيلة حاشد عام 1919 – 1920، وحركة الزرانيق في تهامة عام 1928 –1929، وتمرد قبيلة القُحرى في تهامة عام 1919، وحركة المقاطرة في تعز 1919– 1920 ، وتمرد قبيلتي عبيدة ومراد في مأرب والجوف عام 1931– 1933 [1] . وقد انشغل الإمام يحي بقمع هذه الحركات القبلية، وتجهيز الجيوش لإخضاعها بدلاً من الاهتمام ببناء الدولة الجديدة، وإقامة المشاريع الخدمية ومنها التعليم، فضلاً عن ذلك لم تكن انتفاضات القبائل هي الخطر الوحيد الذي واجه الإمام يحي في بداية حكمه، بل كانت هناك قوى خارجية، استغلت وضع اليمن حينذاك محاولةً السيطرة على أجزاء من أراضيه، وإحداث الاضطرابات، وتمثلت هذه الأخطار فيما يلي :

أ- خطر الأدارسة وسيطرتهم على الجزء الشمالي من تهامة، بما فيه ميناء اليمن الرئيسي الحديدة، وذلك بمساندة ودعم الاستعمار البريطاني في جنوب اليمن حينذاك، ولم يستطع الإمام يحي استرداد هذه المناطق إلاّ بعد وفاة محمد الإدريسي عام 1925 [2] .

ب- الخطر البريطاني: الذي كان يحتل الجزء الجنوبي من اليمن، وتمثل ذلك الخطر في إثارة الاضطرابات داخل السلطة الإمامية، لمحاولة السيطرة وضم أراضٍ يمنية أخرى، وقد استعملت بريطانيا الطائرات عام 1928 ، لضرب مناطق يمنية في الشمال، ولم تنته تلك المناوشات بين الجانبين إلاّ في عام 1934، وذلك بتوقيع المعاهدة اليمنية البريطانية [3] .

---

1 – لمعرفة التفاصيل عرهذه الحركات والانتفاضات القبلية، يُنظر المسعودي، مرجع سابق، ص 126– 177 .

2 – فخري، اليمن ماضيها وحاضرها، مرجع سابق، ص 214.

3 – مجموعة من المؤلفين السوفيت، مرجع سابق، ص 34 –35 وللرجوع إلى نص المعاهدة، يُنظر سالم ، تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، ص 519 – 522 .

ج – الصراع اليمني السعودي: والذي استمر على شكل مناورات على الحدود، وانتهى باتفاقية الطائف عام 1934، التي وضعت حداً للصراع بين الطرفين، وأدت إلى ضم نجران وعسير اليمنيتان إلى أراضي المملكة العربية السعودية [1] .

لقد انعكس هذا الوضع السياسي على الوضع الاقتصادي للبلد، حيث تضررت الزراعة التي كانت تُعد المورد الرئيسي للاقتصاد في تلك الفترة، وأهمل الكثير من الأراضي الزراعية، وتحول معظمها إلى أراضي بور، وذلك بسبب هجرة كثير من الفلاحين إلى خارج البلاد، وانشغال بعضهم بالحروب، وهو ما انعكس على غياب التعليم الحديث وانتشار التعليم الديني.

2- رغبة الإمامة في توطيد واستقرار حكمها، وذلك من خلال نشر التعليم الديني، والذي أدى بدوره إلى تحقيق أهداف الإمامة المتمثلة بنشر الفكر الزيدي من خلال المناهج المعتمدة في المدارس الدينية، سواء كانت زيدية أم شافعية، حيث أنه كلما تعمق الفكر الزيدي في نفوس الناس ، كلما زاد ذلك في ولائهم وحبهم لسلطة الأئمة الزيديين، ومنهم الإمام يحي [2]، ورفد الدولة بموظفين وإداريين، وقضاة، ومدراء نواحي متشبعون بالفكر الزيدي، يدينون بالطاعة والولاء للإمام، يتم توزيعهم على جميع أنحاء اليمن، الأمر الذي يضمن للإمامة استقرار الوضع في البلاد[3] .

3- سياسة السلطة الإمامية في حكم البلاد،التي لعبت دوراً مؤثراً وسلبياً في التطور الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي على وجه الخصوص، هذه السياسة تمثلتفي عزل البلاد داخلياً وخارجياً ، حيث كان للعزلة الداخلية انعكاسات سلبية، ليس على المستوى الاقتصادي فحسب، بل والاجتماعي والثقافي، وهو ما انعكس على وعي المجتمع، الذي ظل محدوداً للغاية، وغلب عليه التفكير الديني. وكان من أسباب هذه العزلة، انعدام وسائل النقل الحديثة، وانعدام الطرقات المعبدة، واقتصار التنقل على الجمال والحمير والبغال كما أشرنا فيما سبق، كما كان للتكوين الطبيعي لليمن دور كبير في العزلة الداخلية، وإعاقة التواصل بين السكان [4] .

أمّا العزلة الخارجية، التي اتخذها الإمام يحي حميد الدين نهجاً في حكمه لليمن وعدم السماح بفتح منافذ على العالم الخارجي تسهم في تحقيق تطور الأوضاع في جميع المجالات،

---

1 – المرجع نفسه، ص 382 .

2 – طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 6.

3 – البكري، عبد الحميد : التعليم في اليمن (1918 – 1962)، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ـ ابن رشد ـ جامعة بغداد ، 1421 / 2000، ص 57 .

4 – غالب، نظام الحكم والتخلف الاقتصادي في اليمن، مرجع سابق، ص 62.

ومنها المجال التعليمي، (إلاّ فيما ندر) وفق الاتفاقيات التجارية التي عقدها الإمام يحي مع بعض الدول، وكانت أغلب هذه الاتفاقيات تلغى أو تُجّمد، وكانت حجة الإمامة في فرض هذه العزلة على اليمن عدة مبررات منها ماورد على لسان الإمام يحي حميد الدين بقوله :

((إننا نفضل أن نعيش في ظل الفقر مكتفين بأكل العُشب، على أن نرى ثروة بلادنا تحت أقدام أجنبي)) [1] . أي أن الدافع لفرض العزلة هو الخوف من الأجانب، وما يتوقع حدوثه إذا سُمح للأجانب بالإقامة الدائمة في اليمن. أمّا الإمام أحمد فقد برّر ذلك بقوله: ((يجب على المرء أن يختار بين الحرية في الفقر، والتبعية في الغنى، وأنا اخترت الاستقلال)) [2] .

وكان المبرر الثاني للعزلة الدفاع عن الشعب ضد الإلحاد والعلوم الوثنية [3].

كان لهذه العزلة الخارجية دوراً في بقاء الجمود الثقافي والتمسك بالقيم والعادات، والتقاليد الاجتماعية البالية وعدم تطويرها، فضلاً عن عدم إحداث أي احتكاك مع الثقافة العالمية، ومتابعة التطورات الثقافية والعلمية في مجالات مختلفة، على المستوى الفردي والجماعي، كما كان لعدم وجود وسائل الاتصال الجماهيري كالإذاعة والتلفزيون والصحافة دور في تكريس التعليم الديني، وغياب التعليم الحديث .

إلاّ أنّ هذا الوضع لم يبق على ما هو عليه بعد قيام ثورة سبتمبر/أيلول 1962، إذ بدأ الاتصال بالعالم الخارجي ، وعُبّدت الطرق مما جعل الاتصال الداخلي بين القرى والمدن سهلاً وممكناً ، كما تطورت وسائل الاتصال الجماهيري، وانتشرت المدارس في المدن والقرى، وذلك مما أدى إلى انخفاض نسبة الأمية بين المجتمع.

فضلاً عمّا سبق، فقد كان للوضع المعيشي للسكان، والذي اتسم بالانخفاض في مستوى دخل الفرد ممّا أثر على معيشته، وبالتالي أدى إلى تعرضه للكثير من الأمراض والأوبئة، كل ذلك وما سبق كان له أثر كبير في طريقة تفكير الإنسان اليمني، مما جعله يعيش مقتنعاً وراضياً بالحياة التي يعيشها، لا يطالب بأكثر من ذلك، هذه القناعة انعكست على نظرته للتعليم، فأصبحت قاصرة على تعليم أبنائه القراءة والكتابة فقط، وهو ما وجد في مؤسسات التعليم الديني.

2- أنواع التعليم في تهامة :

---

1 – العطار، مرجع سابق، ص 36.

2 – المرجع نفسه، ص 81.

3 – جولوبوفسكايا ، ثورة 26 سبتمبر ، مرجع سابق ، ص 22 .

أ- **التعليم الديني وتمثل في المؤسسات التالية :**

1- الكتاتيب (المعلامات) :

ضبط ابن منظور في لسان العرب كلمة مَكْتَبٌ بفتح الميم وسكون الكاف، وفتح التاء، بأنه موضع للتعليم، وجمعه كتاتيب ومكاتب، فالَمكْتَبُ هو موضع التعليم، والُمكْتِبْ هو الُمعلِم الذي يعلم الكتابة، والكُتّابُ هم الصبيان الذي يتعلمون[1].

وقد تحدّ مفهوم الكُتّاب، إذ أصبح يطلق على المكان الذي يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة، ويرى بعض الباحثين أن الكتاتيب ارتبط تأسيسها بنشوء المساجد[2] .

وتُعد الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، حيث كانت تقوم بدور تعليمي مهم يقوم على أساس تعليم القرآن الكريم، ومبادئ الدين الإسلامي، وتعلم القراءة والكتابة، وبظهور المدارس ظلت الكتاتيب تؤدي دورها التعليمي جنباً إلى جنب مع المدارس في القرى والأرياف، وحتى في عواصم المدن، ولذا تُعد مرحلة أولى يتم فيها تأهيل الصبيان إلى مرحلة الالتحاق بحلقات المساجد، والانتظام في المدارس[3].

وقد وجدت هذه المؤسسة التعليمية في اليمن ومنها تهامة خلال فترة الدراسة، وكانت تسمى بالمعلامات[4]، وتُقام إمّا مندمجة ضمن المسجد أو المدرسة، أو منفصلة عنهما، وكانت منتشرة في أغلب مدن وقرى تهامة، ويرجع ذلك إلى سهولة إنشائها، وحرص المجتمع آنذاك على تعليم أبنائه القرآن الكريم، والقراءة والكتابة، وتيسيراً على الصبية الالتحاق بأقربها إلى دورهم [5].

يطلق على طلاب المعلامة لفظ (الصبيان)، ولم تقتصر المعلامة على الذكور من الأطفال، وإنما كان هناك من الآباء من يقوم بتعليم بناته في هذه المعلامات مع الأولاد نظراً

---

1 - ابن منظور، مصدر سابق، ج1، ص 698.

2 - الحسيني، عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة الرسولية، وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ط) ، 1973م، ص 22 - 23 .

3 - الهيتي، شاكر محمود عبد المنعم : مؤسسات زبيد الثقافية في عهد الملك الأشرف الغساني (787 – 803 هـ) ، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب – جامعة الحديدة بعنوان (زبيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي) للفترة من 14 – 17 ديسمبر/كانون الأول، 2002 ، ص8 .

4 - المعلامة : هي عبارة عن غرفة ملحقة بأحد المساجد، أو بجواره ، يلتحق بها الأطفال بعد سن الخامسة من العمر ، لتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم .

5 - السروري، مرجع سابق ، ص 545. ؛ حمّاد، مظاهر الحضارة في اليمن ، مرجع سابق، ص 618 .

لصغر سنهن، وقد يحدد المعلم مكاناً خاصاً للبنات داخل المعلامة، وكان من عادات المجتمع التهامي أنه عندما يصل عمر البنت إلى عشر سنوات لا يسمح لها بمواصلة تعليمها [1] .

أما مدرس المعلامة فكان يطلق عليه في تهامة والمناطق الجنوبية من اليمن بالفقيه، أما في صنعاء فيسمى بسيدنا، وكان أغلب هؤلاء المعلمين لا يتقاضون أجوراً رسمية من الدولة، وإنما يتقاضون أجورهم من أهالي الطلاب، حيث يدفع كل طالب آخر الأسبوع مبلغ من المال يتفاوت حسب حالة أسرة الطالب المادية، وتسمى هذه النقود بحق الخميس[2] .

فضلاً عن ذلك فقد كان يحصل معلم المعلامة إلى جانب النقود الأسبوعية، هدايا وبعض المأكولات في مناسبات الأعياد، وإذا كان المعلم من خارج القرية يكون أكله كل يوم في بيت طالب من طلابه[3] .

أما عن المنهج الدراسي لهذه المؤسسة التعليمية، فلم يكن هناك منهج محدد للتعليم، ولا سنوات محددة للدراسة، بل يخضع برنامجها الدراسي لاجتهادات المعلم إلاّ أنّ أغلب ما يُركز عليه للطالب في هذه المرحلة هو تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وحفظ بعض سور القرآن الكريم، وذلك لأهميتها في إقامة الصلوات[4] .

حيث يبدأ المعلم بتعليم الصبية حروف الهجاء، ومبادئ القراءة والكتابة على الألواح الخشبية، وحفظ السور القصار من القرآن، ثم يبدأ المعلم بالتدرج، حتى يتم الطالب الانتهاء من حفظ القرآن ، فإذا ما أتم الصبي حفظ القرآن في المعلامة، يُقام له بهذه المناسبة احتفال يتفاوت مظهره وفقاً للحالة المادية لأسرته [5] . وإلى هذا المنهج وطريقة حفظ القرآن في المعلامة يشير أحد مناضلي الثورة اليمنية، والذين درسوا في هذه المؤسسة التعليمية [6] في مذكراته بقوله :

---

1 – البكري، مرجع سابق ، ص 35 .

2 – طاهر، المعلامة، مرجع سابق ، ص 887 .

3 – البكري، مرجع سابق، ص 35 .

4 – الذيفاني ،عبدالله : التعليم في اليمن، مركز عبادي للنشر، صنعاء، ط1، 1996م، ص 79 .

5 – حماد، مرجع سابق، ص 618 .

6 – هوأحمد محمد نعمان : الذي يُعد أحد مناضلي الحركة الوطنية اليمنية ضد النظام الإمامي خلال فترة الدراسة ، ولد في منطقة ذبحان بمحافظة تعز عام 1909م، درس في معلامات قريته، بعدها انتقل إلى زبيدللدراسة على علمائها في الرُبُط له إسهامات واضحة في تطور الحركة التعليمية في اليمن، حيث قام بتأسيس مدرسة ونادي ذبحان الأدبي الثقافي، وعندما تم إقفال المدرسة من قبل السلطات الإمامية، سافر إلى مصر للدراسة في الأزهر الشريف ، وقد اقترن اسمه باسم محمد محمود الزبيري في تأسيس حزب الأحرار في عدن عام 1944 م، شارك في حركة 1948 الدستورية ضد النظام الإمامي، وبعد فشل الحركة

((كنا نتعلم القراءة عند الفقيه، ونقرأ القرآن ونحفظه غيباً وليس فهماً، وربما كان الفقيه نفسه لا يعرف المعاني، بل يكتفي بالألفاظ، وربما حفظاً مغلوطاً لأننا لا نفهم المعنى، ولسنا مطالبين بفهم المعاني، كنا نبدأ بالألف باء، ثم نقرأ بعدها جزء عمّ، ونواصل قراءة السور سورة فسورة، حتى نصل إلى سورة البقرة ، كنا نختم القرآن جزءًبعد جزء، وكلما حفظ الطالب جزءًمن القرآن يقيمون له حفلة يشترك فيها الفقيه والزملاء في المعلامة)) [1].

وتُعد طريق التلقين هي الطريقة الرئيسية للتعليم في مرحلة المعلامة، ولعلها الطريقة المناسبة، لأن الطفل في هذه المرحلة ليس له من القدرة على الفهم بشكل كبير، بحيث يستوعب كل ما يأخذه في المعلامة .

ونظراً لاختلاف الفروق الفردية بين الطلاب، فكان التعليم في المعلامة يتخذ أسلوب التعليم الفردي، وهو ما يشكّل عبئاً على المعلم، ولتخفيف هذا العبء كان المعلم يقوم بتكليف كبار الطلاب والمتقدمين على زملائهم في حفظ القرآن، بتحفيظ وتلقين من هم أدنى مستوى منهم[2]. وبهذه الطريقة كان المعلم يخفف عن نفسه مشقة تلقين كل طالب على إنفراد .

ويلتحق الطالب بالمعلامة فور بلوغه سن التمييز، وعادة ما تكون في السنة الخامسة أو السادسة من العمر ، ليكون أول تلقيه القرآن الكريم، أّما عن مدة بقائه في المعلامة فيتوقف في المقام الأول على قدرة الصبي ومهارته في الحفظ والانتهاء من ختم القرآن، وهي فترة يستطيع بعض الصبيان إنهاءها في سنتين، وقد تمتد إلى أكثر من ذلك [3] .

وكان بعض الأطفال ينقطعون عن التعليم في هذه المرحلة، وذلك نظراً لظروف المعيشة واحتياج الآباء لمساعدة أبنائهم في زراعة الأرض، وكذلك لعدم وجود الوعي لدى بعض الآباء بأهمية التعليم، إذ يكتفون بتعليم أبنائهم القراءة والكتابة، وحفظ بعض سور القرآن.

اعتقل وسجن في أحد سجون حجة، بعد خروجه من السجن عمل على تأسيس كلية بلقيس في عدن عام 1956م، تقلد عدة مناصب بعد قيام الثورة اليمنية 1962م، توفي عام 1996م . أنظر: بعكر، عبد الرحمن طيب : ثمانون عاماً من حياة النعمان، (د.ن)، (د.م) ، ط1، 1990م، ص 33 – 47 .

1 – مذكرات أحمد محمد نعمان، سيرة حياته الثقافية والسياسية، مراجعة وتحرير/ علي محمد زيد ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ط2 ، 2004م ، ص 15 .

2 – طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 12 .

3 – حمّاد، مرجع سابق، ص 618 .

أما عن مواعيد الدراسة والعطل الرسمية في المعلامة، فتبدأ الدراسة كل يوم بعد طلوع الشمس حتى وقت صلاة الظهر، ثم يسمح للصبية بفترة استراحة يرجعون فيه إلى أسرهم لتناول طعام الغداء، ثم يعودون إلى المعلامة مرة أخرى، ويستمرون فيها إلى قبيل غروب الشمس، عدا يوم الخميس فإنهم لا يعودون بعد الغداء، وتعدّ هذه الفترة المسائية بمثابة مراجعة لما أخذ في الفترة الصباحية، ويستمرون على هذا المنوال طوال السنة، حيث لم يكن هناك إجازات فصلية أو سنوية عدا يوم الجمعة من كل أسبوع، وأيام الأعياد الدينية كعيدي الفطر والأضحى(1).

أمّا عن أدوات ووسائل التعليم في المعلامة فقد كانت بسيطة جداً، وخالية من التعقيد بحيث تستخدم الألواح الخشبية لكتابة الدروس سواء حروف الهجاء، أو كتابة سور القرآن، أو الحساب، وكان اللوح يُطلى بمادة النورة الحجري البيضاء، كما استخدم القلم الذي كان يصنع من قصب الحلال (اليراع) أو الخشب بشكل مدبب، أما الحبر فكان يتم صنعه من مزج ما يتراكم من دخان سراج (الجاز) ، حيث يخلطونها بسائل الصبر بعد غليه على النار، ثم يضيفون عليه قليلاً من مسحوق الفحم النباتي، وبعد الخلط والمزج يصبح ذو لون أسود، يتم فيه غمس القلم ثم الكتابة على اللوح الخشبي(2).

وللمعلامة آداب يجب الالتزام بها من قبل طلاب المعلامة، ومن خالفها يعرض نفسه للعقاب من قبل المعلم، ومن هذه الآداب مايلي(3) :

1- تقدير المعلم، والسلام عليه، وتقبيل يده كل يوم عند دخول المعلامة .

2- عند نهاية اليوم الدراسي، وقبل الخروج من المعلامة، يقوم أحد الطلاب بتأدية التغفيرة، حيث يصيح بأعلى صوته أمام زملائه قائلاً : ((غفر الله لسيدنا ولوالديه، ولوالدينا مع والديه، ولمن قرأ لديه، وتعلم بين يديه)) ، ويردد الطلاب ما يقوله زميلهم بصوت عالي، وتسمى هذه بالتغفيرة .

3- إذا أراد أحد الطلاب الخروج وقت الدراسة لقضاء حاجته، عليه أن يقف ويستأذن المعلم بالسماح له لقضاء حاجته.

---

1 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 12. ؛ الأكوع، صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي، مرجع سابق، ص 38 – 44 .

2 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، ص12.

3 - البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 31 – 32 .

4- عند غياب أي طالب بدون إذن المعلم، يرسل المعلم في طلبه مجموعة من الطلاب ليأتوا به، فإذا رفض يقوم الطلاب بسحبه بالقوة، ثم يعاقبه المعلم على غيابه، أما إذا زادت أيام الغياب وأهمل الطالب دروسه، فإن المعلم يتدرج معه في العقوبة، مبتدءاً بحبسه في إحدى زوايا المعلامة، مع منع زملائه بالتحدث معه، فإذا لم يفد ذلك يحبس داخل المعلامة عند ذهاب زملائه لتناول الغداء، فإذا زاد غيابه وإهماله لدروسه، فيطبق المعلم عليه أقصى العقوبات وهي الضرب بالفلكة[1] .

وعلى الرغم من بساطة هذه المؤسسة التعليمية، وتخلف أساليب وطرق التدريس فيها، والوسائل المستخدمة للقراءة والكتابة، إلاّ أنها لعبت دوراً لا يستهان به في التخفيف من الأمية، والتقليل من انتشارها في المجتمع، الأمر الذي جعل بعض من زاروا اليمن خلال تلك الفترة أن يقول بأنه لم يكن هناك للأمية من نصيب يذكر، إذا تبلغ نسبة الأمية 5% [2] .

وعلى الرغم مما في هذا القول من مبالغة، إلاّ أنّه يدل على أهمية هذه المؤسسة، لقد كان لهذه المعلامات الفضل في تأهيل الطلاب للالتحاق بحلقات العلم في المسجد، وعندما تّم افتتاح المدارس الابتدائية والمتوسطة كان طلابها من خريجي هذه المعلامات، حيث أنه لم ينتهِ دور هذه المؤسسات بظهور المدارس الحكومية، بل استمرت تعمل جنباً إلى جنب حتى ما بعد قيام ثورة سبتمبر/أيلول 1962 .

2- **المساجد (الجوامع):**

ارتبط التعليمبالمسجد ارتباطاً وثيقاً، فمنذ فجر الإسلام كان المسجد النبوي في المدينة المنورة منبراً ورمزاً للدين الإسلامي، ولدولة الإسلام، ففيه تُقام شعائر الدين، وفيه كان يُعلن الجهاد، وتجهز السرايا والغزوات،وتُعقد فيه مجالس الدولة والقضاء، وبين جنباته عُقدت حلقات العلم الأولى[3] .

1 - الفلكة : هي عبارة عن عصى من الخشب مقوسة ، يثقب طرفيها ويدخل فيه حبل حيث تدخل قدمي الطالب في الحبل، وتلف العصى عدة لفات، حتى يضيق الحبل ويضغط على ساقي الطالب، ثم يقوم طالبين برفع قدمي الطالب إلى أعلى بواسطة طرفي العود، ويقوم المعلم بضربه على قدمه عدة مرات، ويعد هذا العقاب من أقسى العقوبات في المعلامة، ولا يلجأ المعلم إليه إلاّ للطالب المهمل . أنظر: الأكوع، صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي، ج1، مرجع سابق، ص 47 – 48 .

2 - زكريا، مرجع سابق، ص 155 .

3 - الوشلي، عبدالله قاسم : المسجد ودوره التعليمي عبر العصور خلال الحلق العلمية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م ، ص 22- 23 .

ومع انتشار الإسلام في أرجاء المعمورة ازدادت أهمية المسجد، إذ كان النواة والمركز لتخطيط المدن في الإسلام، كما كان مركزاً تعليمياً اتخذه صحابة رسول الله لتعليم وتفقيه الناس بأمور دينهم في شتى الأمصار الإسلامية[1] .

لقد شكلت المساجد الأساس القوي للبناء التعليمي والحضاري في اليمن، فأهتم السلاطين والأمراء والأعيان والأغنياء والعلماء وغيرهم من فئات المجتمع ببنائها، رغبة منهم في نيل الأجر والثواب من الله تعالى، ولما لها من دور تعليمي وديني في نفس الوقت، ولم تكن تهامة بمنأى عن ذلك، حيث أدت المساجد دوراً تعليمياً مهماً، إلى جانب أهميتها بوصفها دوراً للعبادة، وكان المسجد (الجامع) يمثل المدرسةوالجامعة التي تخرج منها الكثير من العلماء والمفكرين قديماً وحديثاً، حيث لم يخلو مسجد أو جامع من وجود عالم أو أكثر يقوم بالتدريس في شتى العلوم الشرعية، واللغوية، والأدبية والتاريخية [2] .

لقد حظيت تهامة وخاصة مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية(626-858هـ/1228-1454م) بإنشاء العديد من المساجد التي ساهم في إنشائها ملوك بني رسول ونسائهم، وغيرهم من الأمراء والأعيان والعلماء، ولم يقتصر جهود الدولة عند هذا الحد، بل قاموا بالإنفاق عليها من ممتلكاتهم الخاصة، وأوقفوا لها الأراضي والعقارات لكي يضمنوا استمرارية دورها التعليمي[3] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ظهور المدارس الحكومية في تهامة خلال فترة الدراسة لم يلغِ الدور التعليمي للمساجد، فقد ظلت المساجد تؤدي وظيفتها العلمية على أكمل وجه، وسارت جنباً إلى جنب مع المدارس وغيرها من المرافق التعليمية، فعقدت فيها الحلقات العلمية، وقصدها الطلبة من شتى أنحاء اليمن لتلقي العلم على العلماء البارزين في عصرهم [4]. ولا نبالغ القول إذا قلنا أن الحلقات العلمية في المساجد وجدت قبولاً وتفضيلاً عند الكثير من شيوخ العلم وطلابه على

---

1 - العبادي، عبدالله قائد حسن : الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة أم القرى ، 1416هـ / 1995م ، ص 146 .

2 - الأكوع، محمد علي : حياة عالم وأمير وصفحة مجهولة من تاريخ اليمن المعاصر، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ط1، 1987م، ص 146 .

3 - العبادي، مرجع سابق، ص 147 .

4 - الأكوع ،إسماعيل : المدارس الإسلامية في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1995م، ص 305- 306 ؛ الأهجري، عبد الغني : الحياة العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة المنصورة ، 1429هـ/ 2008م ، ص 183 .

المدارس الحكومية ؛ ويرجع ذلك إلى أن التعليم في المساجد تميز بتكافؤ الفرص التعليمية للجميع، وعدم وجود قيود على أعداد الطلاب، وحرية نشر العلم فيه، إذ يستطيع أي فرد أن ينضم إلى حلقة المسجد التي يريدها دون قيد أو شرط، فالطالب يختار الشيخ والموضوع الذي يرغب في تعلمه، وباستطاعته كذلك أن يتنقل من حلقة إلى أخرى، كما توافرت في المساجد مراحل التعليم المختلفة، حيث لم يشترط سناً معينة للالتحاق بها، أو مدة محددة للبقاء فيها، وهو ما لم يتحقق في المدارس الحكومية [1] .

أما عن طبيعة التعليم في المساجد فكانت تتميز بالتنظيم الملائم والحرية والمرونة، يتقدم الطالب في تعلمه على ما أحرز من إجازات [2] في الكتب التي درسها على مشايخه، سواء كانت دينية أم لُغوية، أم تاريخية [3] .

وقد شكلت الإجازات العلمية مظهراً من مظاهر الحياة العلمية في تهامة، إذ حرص طلبة العلم على نيل إجازة شيوخهم، وقد تعددت نوعيات تلك الإجازات العلمية، فبعضها كان يمنح شفوياً ، حيث يجتمع عدد من العلماء لمناظرة شخصٍ ما والتعرف من خلال هذه المناظرة على علمه، ومدى إجادته فيه، فإذا وجدوه ملماً بالعلوم التي درسها أجاوزه فيها، وكانت هذه الإجازة تؤهله للعمل في التدريس، والفتوى، والارتقاء لمنصب القضاء، فضلاً عن ذلك فقد كانت هناك إجازات وشهادات مكتوبة يحصل عليها الطلاب الدارسين في هذه المساجد تشهد بدراستهم على أحد العلماء المبرزين، وبنوعية الكتب والمصنفات التي أُجيزوا فيها، كما تشهد بنوعية الدراسة التي يتخصص فيها الطالب[4] .

فقد يُجاز الطالب في كتاب واحد قرأه على أحد مشايخه فيجيزه فيه، وتسمى هذه إجازة خاصة، أو يجيزه في كل ما أخذه عليه، أو على عدة مشايخ وتسمى هذه الإجازة إجازة عامة

---

1 – البكري ، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 50 .

2 – الإجازات : مفردها إجازة، وهي مشتقة من التجوز، وهو التعدي، فكأنه عدى روايته حتى أوصلها للراوي عنه، وتكون عند علماءالحديث أن يأذن الشيخ للراوي شفاهاً ، أو كتابة، أو رسالة أن يروي عنه حديثاً أو كتاباً، أو ما صح عنده من مسموعات، كما يقصد بها إجازة المقرواءت التي ينالها الطالب من مشايخه، الذين درس عليهم في الفنون العلمية المختلفة . أنظر: العبادي، مرجع سابق، ص 228 .

3 – البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 50 .

4 – حماد، مرجع سابق، ص634 – 635 .

وتكون صفتها كالتالي: ((أجزتك في المنقول والمعقول، وما تصح روايته ودرايته)) [1] بعد أن يعدد مشايخه الذين أخذ عليهم وسمع منهم، وهي بمثابة الشهادة العلمية في عصرنا الحالي .

أمّا ما يخص العلوم التي كانت تدرس في مساجد تهامة ومدارسها الدينية ، فتتمثل بالعلوم الدينية، والُلغوية، حيث احتلت هذه العلوم موضع الصدارة، نظراً لارتباطها بالدين من ناحية، وبحياة الناس من ناحية أخرى، ثم يليها في الأهمية علوم الطبيعة كالمنطق والفلسفة، وعلم الكلام، والجبر والحساب والهندسة والفلك .

وفيما يلي ذكر لأهم العلوم التي كانت تـُدرّس في كل علم.

1. العلوم الدينية: وتشمل القرآن وعلومه، علم الحديث، السيرة، الفقه، علم الفرائض.

أ- القرآن وعلومه: كان للقرآن الكريم وعلومه أهمية كبرى في مساجد ومدارس تهامة الدينية، حيث كان القرآن أول علم يدرّس باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي ولذلك اُهتم بحفظه وترتيله وتفسيره، وتخصصت بعض المدارس في الاقتصار على تدريسه وتوفير المدّرسين الحافظين له، ويرتبط بحفظ القرآن تفسيره وشرح أحكامه ولذا جلبت لهذا الغرض أغلب كتب التفاسير المشهورة آنذاك من مختلف بلدان العالم الإسلامي ومنها: ((تفسير القرآن)) للإمام الواحدي، و ((تفسيرالبغوي)) ، و ((تفسير البيان في أحكام القرآن)) للموزعي، و ((النقاش في التفسير)) ، و ((الشاطبية في علم القراءات)) ، و ((القراءات السبع)) [2].

ب- السيرة : ((سيرة ابن هشام)) ، و ((الشفا بتعريف حقوق المصطفي)) للقاضي عياض،

و ((المستصفى في سنن المصطفى)) للقريضي، و ((شمائل الرسولε)) للترمذي[3].

ج- علم الحديث: من أهم الكتب التي كانت تدرّس فيه: كتب الصحاح الستة [4]، وكانت من أهم الكتب التي أُعتمد عليها في مدارس تهامة ومساجدها كتاب ((صحيح البخاري)) ،

---

1 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 465.

2 - حيدر، فاروق أحمد : التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية . جامعة عين شمس، (د.ت)، ص 73 .؛ الأهجري، الحياة العلمية في اليمن، مرجع سابق، ص 303 – 304 .

3 - السنيدي، عبد العزيز: المدارس اليمنية، مطبعة السفير، الرياض، ط1، 2003/1424، ص 230.

4 - كتب الصحاح هي : صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن ابن ماجه، وسنن النسائي .

و ((صحيح مسلم)) ، إلى جانب كتاب ((بلوغ المرام من أدلة الأحكام)) لابن حجر، و ((الأربعين النووية)) [1].

د- علم الفقه: يختلف مقرر علم الفقه في اليمن من منطقة إلى أخرى تبعاً لاختلاف المذاهب وظهور مؤلفات جديدة مع مرور الزمن، فقد كانت المناطق الجنوبية والغربية من اليمن ومنها تهامة تدّرس فقه الإمام الشافعي وقليل من فقه الإمام أبو حنيفة، أما المناطق الشمالية فكانت تدّرس الفقه على المذهب الزيدي، ومن أهم الكتب التي كانت تدّرس في مدارس تهامة في علم الفقه وأصوله: كتاب ((التنبيه والمهذب)) على مذهب الإمام الشافعي لأبي إسحاق الشيرازي، و ((الرسالة في أصول الفقه)) للإمام الشافعي، و ((مصنفات القاضي أبي الطيب)) وأهمها: شرح المولدات، و ((العدة للقاضي حسين الطبري)) ، و ((الإفصاح لأبي علي الطبري)) ، و ((التبصرة في أصول الفقه)) ، و ((النكت في المسائل المختلف عليها بين الإمامين الشافعي والحنفي للإمام الشيرازي)) ، وكذلك شروح هذه الكتب ومنها: شرح اللُمع لموسى بن أحمد التباعي، وشرح التنبيه المسمى هداية المبتدى وتذكرة المنتهى للعامري، ومذاكرة التنبيه في المسائل المشكلة من التنبيه، والإشراف في تصحيح الخلاف، والفتوح في غرائب الشروح، لمنصور الأصبحي [2]. ومن الكتب التي كانت تدّرس أيضاً: ((البيان)) ، و ((الزوائد)) للعمراني، و ((معونة الطلاب)) بفقه معاني كلم الشهاب لابن أبي الخير، و ((الشامل)) للصباغ، و ((الإبانة، وإحياء علوم الدين)) للإمام الغزالي، وشروح هذه الكتب ومنها: شرح الوسيط للعامري، والعزيز شرح الوجيز، والحاوي وشرحه للقزويني، والمنهاج للنووي، و ((معين أهل التقوى على التدريس والفتوى)) للأصبحي، و ((الوسيط)) للإمام الواحدي، والحاوي الصغير وتفسيره، وكان المعتمد في تدريس الفقه الحنفي: ((كتاب القاضي)) لابن عوف، و ((الجوهرة المنيرة)) لأبي بكر الحداد،

و ((مختصر القدوري)) ، وشرحه ((السراج الوهاج)) لأبي بكر الحداد، و ((درر المهتدي وذخر المقتدي)) للهاملي، وشرحه ((سراج الظلام)) لأبي بكر الحداد، و ((المنظومة في

1 – حماد، مرجع سابق، ص 625 .

2 – الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن، مرجع سابق، ص68 .

مذهب أبي حنيفة)) ، أما الطرق الصوفية فكانوا يعتمدون على كتب الفقه السابقة الذكر إلى جانب الكتب الخاصة بهم ومن أهمها كتاب ((الفصوص)) لابن عربي[1].

هـ – علم الفرائض: يُعد من العلوم التي كانت تدّرس في مدارس تهامة، ومن أهم المؤلفات التي كانت تدّرس في هذا العلم: ((كفاية المبتدئ)) للعامري، و ((الفرائض)) لأبي بقية الفرضي، و ((الكافي في الفرائض)) للصردفي وشرحه للبريهي، و ((المختصر في الفرائض)) لابن زهير، و ((مختصر الفرائض)) للمليكي[2].

2 ـ علوم اللغة والأدب: تُعد الحياة الأدبية الدعامة الثانية التي أمدت الحركة العلمية في اليمن ومنها تهامة بالعديد من المؤلفات وساهمت في نشر المعارف المتنوعة، وكان للعلماء الوافدين إلى اليمن دوراً كبيراً في إثراء الحياة الفكرية والتعليمية ومن أشهر هؤلاء العلامة الفيروز أبادي الذي استقر في زبيد ودّرس في مدارسها وتوفى بها عام 1414م[3] ومن أهم العلوم التي كانت تدّرس في مساجد ومدارس تهامة في هذا المجال:

أ– علم النحو: حظي علم النحو بعناية خاصة باعتباره أداة تقويم اللسان والوسيلة المثلى لقراءة القرآن قراءة صحيحة سليمة، ومن أهم كتب النحو التي كانت تُدّرس: ((الكافي)) في النحو، و ((مختصر ابن عباد)) في النحو، و ((كشف المشكّل في النحو)) لابن حيدره، و ((المفصل في علم النحو)) لجار الله الزمخشري، و ((ملحة الإعراب)) للحريري،

و ((مغانم المعاني في حروف المعاني)) في النحو للموزعي، و ((الكافية في النحو)) لابن الحاجب، بالإضافة إلى منظومة ابن دريد، وكتاب ((الجُمل)) للزجاجي، و ((مختصر الإبراهيمي)) في النحو، و ((المستعذب في شرح ألفاظ المهذب)) لابن بطّال الركبي، و ((ألفية بن مالك)) [4].

ب– علم اللغة: من أهم الكتب التي كانت تدرس في هذا العلم: ((مختصر العين)) للخوافي، و ((نظام الغريب)) لعيسى الربعي، و ((قيد الأوابد لإسماعيل الربعي،

---

1 – السنيدي، مرجع سابق، ص226– 228 .

2 – حماد، مرجع سابق ، ص625. ؛ الأكوع ، المدارس الإسلامية في اليمن ، مرجع سابق ، ص 10 .

3 – حيدر، مرجع سابق ، ص 77 .

4 – السنيدي ، مرجع سابق ، ص6 .

و ((القاموس المحيط)) للفيروز أبادي، و ((شمس العلوم)) لنشوان الحميري، و ((كفاية المتحفظ)) لابن الأجدابي[1].

3 . العلوم الأخرى: وتشتمل هذه العلوم على:

أ- علم التاريخ والأنساب: كان هذا العلم يدّرس في تهامة، وخاصة في مدارس زبيد رغم أن وثائق وقف المدارس لم تنص على ضرورة وجود مُدّرس لعلم التاريخ، ولكن المصادر التاريخية أوردت العديد من الإشارات الدالة على أنّهذا العلم كان يُدّرس كمادة مستقلة، فقد ذكر الجندي في كتابه السلوك أن كتاب ((طبقات فقهاء اليمن)) كان من الكتب التي تدّرس آنذاك، كما ذكر بعض الباحثين اليمنيين أن علم التاريخ كان من العلوم التي دُّرست في اليمن سواء أكانت كتب السير أو التراجم لطبقات العلماء المختلفة، أو تاريخ الدول أو المدن أو الطوائف. ومن العلماء الذين ألفوا كتباً في التاريخ والأنساب ودّرسوا في مدارس اليمن: المقري، والعامري، والشرجي، وابن الديبع، والثلاثة الأخيرين كانوا مدّرسين للحديث، وهذا يدل على ارتباط علم التاريخ وطرق تدريسه بعلم الحديث، نظراً لتشابه العِلمين في طريقة الكتابة التي تعتمد على نقد الحديث أو الرواية التاريخية جرحاً وتعديلاً [2].

ب- علوم الكلام والمنطق والفلسفة: لاقت هذه العلوم معارضة شديدة من أتباع المذهب الشافعي ذوى المعتقد الحنبلي، ولذلك كان الفقهاء الشافعية الأشعرية يقومون بتدريسها في المنازل تجنباً لمعارضة فقهاء الشافعية الحنابلة، ولذلك لم تذكر هذه العلوم ضمن منهج الدراسة الذي يحدده المنشئ أو الواقف، ومن أهم الكتب التي كانت تدّرس في هذه العلوم: ((الأنصار في الرد على القدرية الأشرار)) للعمراني، و ((جلاء الفكر في الرد على نفاة القدر)) ، و ((التبصرة في علم الكلام)) لمحمد العمراني، و ((الجواب الشافي في الرد على المبتدع الجافي)) للشرجي، و ((الحجة القوية في الرد على القدرية)) للقعيطي[3].

---

1 - الأكوع، المدارس الإسلامية، مرجع سابق ، ص 12 .

2 - ابن الديبع، بغية المستفيد، مرجع سابق، ص11 .

3 - حيدر، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص78- 83 .

ج- علم الفلك: لم يكن علم الفلك يدّرس ضمن المنهج الدراسي في المدارس اليمنية، وإنما كان يدّرس لمن يرغب فيه ومن أبرز الكتب التي كانت تُدّرس في هذا العلم: ((الزيج)) للهمداني، و ((اليواقيت في علم المواقيت)) لابن المبردع [1].

د- علوم الحساب والجبر والمقابلة: كان علم الحساب من العلوم التي تدّرس للأطفال في سن مبكرة في الكُتّاب، أما علم الجبر والمقابلة فكان يدّرس في المرحلة الثانية من مراحل التعليم(المساجد)، ومن أهم المؤلفات التي كانت تُدّرس كتاب: ((شرح مختصر الخوارزمي في الجبر والمقابلة)) للمزيجفي، وكتاب ((مفيد الطلاب في معرفة الحساب)) للهاملي [2].

أما عن طرق التدريس التي كانت متبعة في مساجد ومدارس تهامة، والتي أتبعها مشايخ العلم لتوصيل معارفهم وعلومهم إلى طلابهم، فقد كانت تختلف من شيخ إلى آخر، حيث كان لكل شيخ طريقته التي يراها مناسبة لإيصال المعلومات إلى طلابه، إلاّ أنّ نزعة التقليد إلى ما هو قديم جعل من طريقة الحفظ أكثر شيوعاً خلال فترة الدراسة، ومن أبرز هذه الطرق التي كانت تستخدم في مساجد ومدارس تهامة مايلي:

1- **طريقة الحفظ** : وتعد هذه الطريقة من أهم الطرق المتبعة وأشهرها، سواء في مرحلة المعلامة، أو مرحلتي الدراسة بالمسجد والمدرسة، وتستخدم خاصة في حفظ القرآن الكريم، والأحاديث، والأشعار، وبعض كتب النحو والصرف، والفقه وأصوله [3]، وتُعد طريقة الحفظ لاسّيما في القرآن الكريم، والأحاديث من أهم العمليات الدالة على نبوغ الطالب آنذاك في التحصيل العلمي، وتمتد عملية الحفظ إلى العديد من أمهات كتب الفقه واللغة [4] .

2- **طريقة الكتابة والإملاء** : تعد هذه الطريقة من أقدم طرق التعليم استخداماً وبخاصة في حلقات المساجد والمدارس والمجالس العلمية، وتعتمد على قيام المدرس بإملاء محاضراته ودروسه على طلابه، الذين يكتبون خلفه ما يمليه عليهم[5]، وقد يقوم بعض الطلاب بنقل الكتب التي يدرسونها

1 - حيدر، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 81 .

2 - المرجع نفسه .

3 - السروري، مرجع سابق، ص 554 – 555 .

4 -حمّاد، مرجع سابق، ص 640 .

5 - حيدر، مرجع سابق ، ص 91 . ؛ الحداد ، مدينة حيس اليمنية، مرجع سابق ، ص87 .

مع أساتذتهم، ويقوم كل أستاذ بمطابقة ما نقله كل طالب عن النسخة التي معه، بعد ذلك تبدأ مرحلة وضع الشروح والتعليقات والأجوبة على ما يتضمنه الكتاب من مسائل[1] .

3- **طريقة القراءة :** وتقوم هذه الطريقة بأن يقرأ الطالب الدرس والشيخ يستمع، وبعد انتهاء الطالب من قراءة الدرس يقوم الشيخ بشرح الدرس وتوضيح ما لم يُ فهم، والغرض من هذه الطريقة تعويد الطالب على كيفية النطق اللغوي الصحيح للكلمات، وهي طريقة أكثر نفعاً للطلاب لكونها تساعدهم على تقويم ألسنتهم، فلا يلحنون في كلامهم عند القراءة، إذ ينبه الشيخ لمن يقرأ من الطلاب إذا لحن، ويبين له الصواب، ويشرح له ما يتعلق بموضوع الدرس[2] .

4- **طريقة السؤال والجواب:** وهي طريقة استخدمها مشايخ العلم لاكتشاف المتميزين من طلابهم، وقد ألّف عدد من العلماء كتبهم على منوال هذه الطريقة، وذلك لسهولة فهمها، واستيعابها من قبل الطلاب.

5- **طريقة الشعر التعليمي:** وتتلخص بأن يقوم الشيخ بنظم المادة التعليمية على شكل أبيات شعرية بسيطة، ليسهل على الطالب حفظها، ومن ثّم استيعابها[3].

أما عن أوقات التدريس في المساجد والإجازات، فكان لكل مدرس مواعيد معينة يختارها للتدريس، مراعياً في ذلك ظروف طلابه، حيث كان بعض المشايخ يبدأون دروسهم من بعد صلاة الفجر، حيث يلقي على طلابه درسين أو ثلاثة في موضوع واحد، أو في عدة موضوعات، وبعضهم كان يأتي وقت الضحى ويستمر في التدريس حتى وقت صلاة الظهر، وكان بعضهم يختار لدرسه مابين صلاة العصر إلى المغرب، وآخرون كانوا يدرسون بين المغرب والعشاء [4] . هذا في حالة عدم تحديد الواقف للمسجد وقت الدراسة، أما إذا حدّد الواقف على المسجد، وقت معين للتدريس، فكان وقت التدريس يبدأ على الأغلب من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظهر[5].

وكانت الدراسة في المساجد تأخذ شكل الحلقات المتخصصة، بحيث يأخذ كل شيخ مكاناً في المسجد مستنداً على أحد الأعمدة، ويجتمع حوله الطلبة للاستماع إليه والأخذ منه، فإذا انتهى من

---

1 حمّاد، مرجع سابق ، ص 641 . السروري ، مرجع سابق ، ص 556 .

2 - الأكوع ، المدارس الإسلامية في اليمن، مرجع سابق، ص 190 .

3 - المرجع نفسه، ص 308 .

4 - المرجع نفسه، ص 18 .

5 - لطف، الجهات الحبسية، مرجع سابق، ص 309 .

مادة درسه، انتقل الطلاب الذين كانوا معه إلى حلقة شيخ آخر وفي فن آخر[1]. ويرى بعض الباحثين أن هذه الطريقة في التعليم لم تتفرد بها مساجد ومدارس اليمن، بل كان يؤخذ بها في مدارس إسلامية مشهورة، مثل المدرسة المستنصرية في بغداد، والأزهر في القاهرة، وجامع الزيتونة في تونس، وأماكن أخرى من بلدان الوطن العربي[2] .

كانت مدة الدراسة في المساجد تستمر تسعة أشهر، تبدأ من أول شهر محرم، وتنتهي في نهاية ذي القعدة، ويعطى الطالب إجازة سنوية ثلاثة أشهر وهي شعبان ورمضان، وذي الحجة، فضلاً عن أيام الجُمع والأعياد الدينية [3] .

وفيما يلي أبرز الجوامع التي كان لها دوراً علمياً وتعليمياً في تهامة خلال فترة الدراسة.

1- جامع الأشاعرفي زبيد :

يـُعد جامع الأشاعر في زبيد من أقدم الجوامع في اليمن بعد جامعي صنعاء والجند، حيث يرجع بناءه كما تروي بعض المصادر إلى العام الثامن للهجرة على يد جماعة من قبيلة الأشاعر على رأسهم أبي موسى الأشعري[4] .

وقد احتل جامع الأشاعر مكانة روحية عالية عند أهل اليمن، وأهالي زبيد خاصة، وذلك مما حذا ببعض العلماء لتصنيف المؤلفات التي تبرز مقامه وفضله، وأخباره وأخبار من قام بالتدريس فيه[5] يـُعد جامع الاشاعر من أبرز مراكز التعليم بمدينة زبيد، إذ امتدت أهمية حلقاته العلمية حتى عصرنا الحاضر، كما لقي من سلاطين الدولة الرسولية في اليمن عناية تليق بمكانته من حيث ترتيب العلماء والمبرزين للتدريس فيه، كما أوقفوا عليه كثيراً من الأراضي والعقارات [6]. كما

1 – هائل، علي مصلح: الأثر الثقافي في حركة المعارضة الوطنية اليمنية (1934 –1962م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة عدن، 1428/ 2007، ص 74.

2 – الحلو، صادق ياسين : المدرسة الشمسية في ذمار ودور بعض من علمائها وطلبتها في التعليم والحركة الوطنية في اليمن في العصر الحديث، مجلة كلية الآداب والألسن، جامعة ذمار، العدد (8)، ص 25 .

3 – الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن، مرجع سابق، ص 17 .؛ الحداد، مدينة حيس اليمنية، مرجع سابق، ص 89.

4 – المقداد ، محمد بن عبد الوهاب : قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون في فضل مسجد الاشاعر، تح/ عبد الرحمن الحضرمي، مجلة الإكليل، ع (3–4)، السنة الأولى، صنعاء ، 1401هـ/ 1981م، ص108 .

5 – من هذه المؤلفات كتاب (قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون في فضل مسجد الأشاعر، لمؤلفه محمد عبد الوهاب المقداد، وكتاب تحفة الناظر في أخبار مسجد الاشاعر لمؤلفه محمد بن دبا، وكتاب جامعة الأشاعر لمؤلفه عبد الرحمن الحضرمي .

6 – الحضرمي، عبد الرحمن: جامعة الاشاعر في زبيد، الشركة اليمنية للطباعة والنشر، صنعاء، ط1، 1974م، ص 53.

نال عامة أهل المدينة والطلاب نصيباً من العناية التعليمية، من خلال ما تميّز به المسجد عن غيره من مساجد تهامة باستحداث منبر خاص لقراءة الحديث والوعظ، بعد صلاتي الفجر والعصر من كل يوم[1]. نال جامع الأشاعر كغيره من الجوامع عبر الفترات الإسلامية الكثير من الإضافات من حيث التجديد والتعمير في مراحل تاريخية عدة [2] . أضطلع بمهمة التدريس في جامع الاشاعر منذ تأسيسه عدد من المشايخ والعلماء الكبار، أبرزهم إمام الشافعية في عصره الفقيه محمد بن أبي بكر الزوقري المشهور بابن الحطاب (ت 1266م)، والشيخ الحنفي أبو بكر بن يوسف المكي (ت 1297م)[3] .

أما في فترة البحث فقد برز عدد من العلماء والمشايخ تولوا مهمة التدريس فيه، من أبرزهم الفقيه إبراهيم بن عبد الله بن أحمد المزجاجي، والعلامة محمد أحمد ناصر، والعلامة عبده أحمد الحزامي، والعلامة عبد الرحمن بن عبد القادر الأنبا ري، والفقيه محمد بن محمد المقبولي[4].

2- الجامع الكبير في زبيد[5] :

---

1 - المقصود بالمنبر هنا هو: منبر خصص لجلوس قارئ الحديث الشريف، ليتجه منّ خلاله إلى الحاضرين، وهو غير منبر الخطابة . أنظر: العبادي، الحياة العلمية في زبيد، مرجع سابق، ص148 .

2 - على مدى تعاقب الأجيال والحقب التاريخية استمر بقاء الجامع بفضل الترميم والتجديد الذي شمله في مراحل تاريخية متعددة، منها عناية ملوك ووزراء الدولة الزيادية خاصة القائد " الحسين بن سلامة " مولى ووزير الزياديين الذي جدد عمارته في أواخر عهد الدولة الزيادية عام 403هـ/1016م ، وفي عام 674هـ/1275م أنشاء الأمير شهاب الدين منبر الحديث والوعظ ، وفي عام 832هـ/ 1428م جدد عمارته خازندار زبيد الأمير سيف الدين برقوق الطاهري ،حيث عمره عمارة متقنة وزاد فيه زيادات مستحسنة منها أجنحته الشرقية والغربية ومقصورة النساء وجعل للجامع خزانة جيدة لحفظ أمتعته وكساه بالنورة وزخرف جداره القبلي بأنواع النقوشات ونصب في المسجد منبًرا مزين بالآيات القرآنية، وفي عام 891 هـ/ 1486م قام بهدمه وإعادة عمارته الملك المنصور تاج الدين " عبد الوهاب بن داود بن طاهر " فبنلهاء حسناً ورفعه عن الأرض نحو سبعة أذرع وزيدت فيه زيادات من جانبه الأيمن وجعل في جداره القبلي نافذتان من الحديد أضاءت منهما جوانب المسجد وأبدل ما تلف وجعل للبركة رواق يماني زيادة على الرواق الأول الشرقي، كما جعل لها باب خارج عن المسجد يدخل منه الناس أيام ا لمطر صيانة للمسجد من النجاسات، وفي عام 949هـ/ 1542م تم إصلاح وترميم منبر الخطابة على يد الوالي العثماني " مصطفى باشا النشار كما تم تجديد وإصلاح بعض سقوف الجامع في عام 1276هـ/1859 خلال العهود الأخيرة للعثمانيين في اليمن. أنظر: حماد : مظاهر الحضارة في اليمن، مرجع سابق، ص 852- 826 .

3 - العبادي ، الحياة العلمية في زبيد، مرجع سابق، ص 149- 150 .

4 - الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، مرجع سابق، ص 64 .

5 - يرجع تاريخ بناء الجامع إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وقد أدخل على الجامع العديد من الإضافات والتجديدات عبر حقب التاريخ الإسلامي، حيث أهتم به بنو زياد وقاموا بتجديده عام 1000م ، ثم تعرض للهدم على يد

يُعد الجامع الكبير من أكبر مساجد زبيد مساحة، وأكثرها اتساعاً، وثانيها في المنزلة الروحية لدى السكان، وقد حظي بالرعاية والعناية من قبل سلاطين بني رسول، حيث رتبوا فيه الخطباء والمدرسين، وكان يؤم حلقاته العلمية عدد كبير من الطلاب، إذ تشير بعض المصادر أنّ بعض حلقاته كانت تزيد عن مائتي طالب(1) .

كان يمثل الجامع الكبير في زبيد أهم المدارس العلمية ، حيث كانت تدّرس فيه مختلف العلوم الدينية واللغوية، من القرآن وعلومه، والحديث الشريف وأسانيده ومصطلحه، والفقه وأصوله، واللغة العربية، ومن أبرز من اضطلع بمهمة التدريس فيه العلامة كمال الدين موسى بن محمد الضجاعي حيث كان يدرس فيه الفقه طيلة العام، عدا شهر رجب وشعبان ورمضان فيقوم بتدريس الحديث الشريف (2)، والعلامة جمال الدين محمد الطيب بن أحمد الناشري، والذي اشتهر بحسن التدريس والصواب في الفتوى، كما برز عدد من العلماء الكبار الذين وفدوا إلى زبيد للتدريس بالجامع الكبيرمن أبرزهم الفقيه محمد بن خضر الكايلي والذي كان يجلس للدرس من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر(3) .

أما أبرز الذين مارسوا التدريس فيه خلال فترة البحث فهم: العلامة أبو بكر بن علي البطاح، والعلامة يوسف بن محمد البطاح، والعلامة السيد يحي بن عمر الأهدل، والعلامة عبد الله محمد البطاح، والعلامة عباس محمد السالمي، والعلامة داود السالمي، والحافظ محمد سعيد

علي بن مهدي الرعيني فأعاد المبارك بن منقذ والي زبيد تجديده بتوجيه من توران شاه الأيوبي، وقد بدأ ببناء المقدمة من الجامع في عام 1177م ، وتفيد المصادر أنه أعاد الخطبة إليه بعدما توقفت، ثم أمر الأمير سيف الإسلام طغتكين الأيوبي ببناء مجنباته الجنوبية والشرقية والغربية مع المنارة عام 1186م، وفي عهد الأشرف إسماعيل بن الظاهر يحي عام 1441م بنيت للجامع بركة كبيرةمن الناحية الشرقية، حيث انتفع الناس بها كثيراً، كما عّمر جزء من أسقفه، وأقام فيه قُراء يقرأون القرآن عقب كل صلاة، ورتب لهم مايقوم بكفايتهم ،وفي عام 1718 قامت هيئة الأوقاف في زبيد ببناء المقاصير الملحقة به، وبناء جدار مساند للجدار الغربي للجامع لمنعه من السقوط . أنظر: ابن الديبع، الفضل المزيد على بغية المستفيد، مرجع سابق، ص70 – 80.؛ حمّاد ، مظاهر الحضارة في اليمن، مرجع سابق، ص824 .

1 – العبادي ، الحياة العلمية، مرجع سابق ، ص 151 .

2 – المرجع نفسه، ص 154 .

3 – الأهجري، الحياة العلمية في اليمن، مرجع سابق ، ص 188 .

ُجمع، والحافظ عبيد علي الزبيدي، والعلامة محمد عمر راجح، والفقيه حسن علي قروش، والعلامة أحمد محمد عبد الباقي خليل، والعلامة أسد حمزة عبد القادر [1] .

3- الجامع الكبير في مدينة الحديدة [2]:

يُعد الجامع الكبير في الحديدة من الجوامع الشهيرة، والذي كان له دوراً علمياً خلال فترة الدراسة، ساهم الجامع بدور علمي من خلال احتوائه على حلقات علمية، تبناها عدد من علماء المدينة، كان أبرز من تولى مهمة التدريس فيه العلامة أحمد بن عبد الله بن طاهر بن حسين القديمي، والعلامة عبد الله محمد مكرم وابنه عبد الرحمن عبد الله محمد مكرم، كما كان يُقام في الجامع قراءة صحيح البخاري في شهر رجب من كل عام، ولازالت هذه العادة تمارس حتى وقتنا الحالي[3]

.

4-جامع الزيلعي في مدينة الُلَحّية :

يُعد جامع الزيلعي أقدم الجوامع في مدينة الُلَحّية، حيث تذكر بعض المصادر أن تاريخ بناءه يرجع إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[4] .

يقع الجامع على مكان مرتفع في الجنوب الشرقي من مدينة اللُحّية، ويتكون من جزءين أمامي وخلفي، ويوجد بداخل الجامع حجرة واسعة كانت تخصص لإقامة الدروس، وظل الجامع يؤدي دوره التعليمي حتى فترة الدراسة، ويلحق بالجامع منارة عالية نسبياً تقع في زاويته الشمالية

---

1 - الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها، مرجع سابق، ص 52- 54 .

2 - يعود تاريخ بناء الجامع إلى مطلع القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وذلك على نفقة السيدة فاطمة بنت أحمد الزراق، تعرض الجامع كغيره من الجوامع للتوسعة والإضافات من قبل بعض تجار الحديدة، كان على رأسهم التاجر محمد دحمان بادويلان الذي قام في عام 1255هـ بإضافة خمسة صفوف في مؤخرته مرتفعة أسقفها عن الصفوف الأمامية للجامع، كما قام بعمارة منارته ، وفي عام 1951 قام ولي العهد محمد البدر بن الإمام أحمد حميد الدين بإصلاح أسقف صفوفه الأمامية ورفعها عن مستواها الهابط ومساواتها بالصفوف الأخيرة، وفي عام 1974 تم هدم الجامع، وإعادة بنائه بشكل حديث على نفقة التاجران علي محمد الجبلي، وعبد الله عقيل باعبيد . أنظر: الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 142 – 143 ؛ صحيفة 26 سبتمبر، الجمهورية اليمنية، ع(1265)، يونيو/ حزيران 2006، ص22 .

3 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 142 – 143.

4 - قام بتجديده الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي، حينما قدم إلى الُلَحيّة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وسمي الجامع باسمه . أنظر: الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص217 .

الغربيـة، والجـامع بجميـع أقسـامه ملـبس بـالنورة البيضـاء(الكلـس)، وتتخللـه مـن الـداخل زخـارف معمارية، وأشرطة كتابية تتضمن بعض الأدعية والآيات القرآنية [1] .

5- الجامع الكبير في المراوعة :

يرجع بناء الجامع إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي علي يد الشيخ علي بن عمر الأهدل، وقد تم بناءه في بداية تأسيسه من القش، وقد أعيد بناءه بالطوب الأحمر (الآجر) على يد الشيخ أحمد بن علي بن عمر، تعرض الجامع في مطلع القرن العشرين وخلال الحرب العالميـة الأولـى لأضـرار ألحقـت بجـزء كبيـر منـه، نتيجـة سـقوط قذيفـة عليـه مـن قبـل القـوات البريطانية، وقد تم إصلاح هذه الأضرار عام 1916، وأضيفت له ثلاث قباب، وباب من الناحية الغربية كانت تُقام فيه الحلقات العلمية المنتظمة، كما كان يلحق به في الجزء الجنوبي منه حجرة خصصت لتعليم القرآن الكريم، ولا يزال الجامع قائماً حتى وقتنا الحالي [2] .

6- الجامع الكبير في بيت الفقيه [3]:

يقـع الجـامع الكبيـر فـي حـارة الصـليفيين إحـدى حـارات مدينـة بيـت الفقيـه، ويرجـع تأسيسـه إلـى منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي على يد الشيخ أحمد موسى بن عجيل، ويحوي الجامع على فناء واسع وبه ثلاثة محاريب، وله أربعة وعشرون عموداً [4] .

7- الجامع الكبير في الزيدية :

يقع الجامع في الحارة الغربية من مدينة الزيدية [5]، حيث قام بتأسيسه الفقيه علي بن محمد، ثم تعرض الجامع للتجديد على يد يحي بن أحمد الكبسي، عندما كان عاملاً على مدينة الزيدية

---

1 - الزيلعي، أحمد عمر: بنو الزيلعي العقيليون وانتشارهم في تهامة، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، ع (12)، مارس 2004م، ص57 .

2 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 159.

3 - تعرض الجامع كغيره من جوامع تهامة للتجديد والتوسعة، حيث أُعيد بناءه وتوسيعه عام 1318م، وجدد للمرة الثانية في عهد الدولة الطاهرية في اليمن بأمر السلطان عامر بن عبد الوهاب، كما تم توسيعه في جهته الشرقية عام 1703، وخلال الحكم العثماني على اليمن قام الوالى العثماني محمود باشا ببناء منارته العالية، والذي يبلغ طولها حوالي 30 متراً .أنظر: الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص239.

4 - المرجع نفسه، ص 239.

5 - تنقسم مدينة الزيدية إلى حارتين : الحارة الشرقية وتسكنها عدة أسر أبرزها بنو الملاح، وبنو صائم الدهر، وبنو حسين وبنو نمص، وبنو الشحاري وبنو عامر، والحارة الغربية والتي تضم بنو خمجان، وبنو السادة، وحي الجامع الكبير .

عام 1938، وذلك بأمر ولي العهد أحمد يحي حميد الدين، يحوي الجامع في هيئته الحالية على خمسة عشر قبة، وثلاثة عشر عموداً، ولا يزال الجامع قائماً حتى عصرنا الحالي[1].

3–الرُبط:

الرُبط: مفردها رباط، وهو اسم مشتق من المرابطة، وملازمة ثغر العدو[2]، ويقصد به التوجه والإقامة للقيام بعمل جليل وعظيم، يتطلب الصبر والجهد ورباطة الجأش[3]، ويطلق هذا اللفظ على البناء المحصّن الذي يُقام بقرب الحدود، ويرابط به جماعة من المجاهدين لمهاجمة الأعداء ودفع خطرهم[4].

ولم يلبث أن أصبح الرباط مصطلحاً يطلق على المرابطين في مواقع التعليم، ولذا أطلق الرباط على المؤسسة التعليمية التي تحوي بين جنباتها مشايخ العلم، وطلبته المرابطين فيه، والملازمين لحلقاته [5] . ويرجع بعض المؤرخين السبب وراء إطلاق مسمى الرباط على هذه المؤسسة لتشابه الغرض والوظيفة، فالمرابط على الثغر يجاهد العدو، والمرابط في المؤسسة التعليمية يجاهد النفس على طاعة الله، وهجر الدنيا والانقطاع للعبادة، ولهذا الهدف أسست الرُبط[6] . انتشرت هذه المؤسسة التعليمية في المناطق التي يقطن غالبيتها أتباع المذهب الشافعي والحنفي، وكان انتشارها في منطقة تهامة أكثر من غيرها، وذلك لتزامن إنشائها مع انتشار التصوف على نطاق واسع بين فقهاء المنطقة، وطلاب العلم، إذ قام عدد من رجالات الصوفية بإنشاء بعض الرُبط، وذلك أنّ التصوف في مراحله الأولى ارتبط بمجاهدة النفس، وتربيتها على العبادة، والاشتغال بالأوراد والأذكار التي يتلقاها المريد عن شيخه، وقد تطلب هذا الأخذ والتلقي إلى تهيئة أماكن؛ لذا كانت الرُبط المكان المناسب لهذا الغرض[7] .

---

1 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 219.

2 – ابن منظور، مرجع سابق، ج7، ص302، مادة (ربط).

3 – البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق ، ص 44 .

4 – العبادي، مرجع سابق، ص 211 .

5 – سليمان، كرامة مبارك: التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1994م، ص52.

6 – الخطيب، محمد : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1411/ 1991، ص 74- 75 .

7 – العبادي، مرجع سابق، ص 212 .

شكّلت الرُبُط خلال فترة البحث في تهامة معاقل علمية مهمة قامت بأدوار بارزه في ازدهار الحياة الفكرية، وذلك من خلال نشر العلوم الشرعية واللغوية، وتخريج عدد من العلماء والمبرزين، الذين شاركوا في مسيرة الحياة العلمية بعد ثورة سبتمبر/أيلول 1962.

لم تكن هذه الرُبُط تلتزم بمنهج موحد، وذلك لعدم خضوعها لجهة واحدة تشرف عليها، بل كان لكل رباط شيخ يتولى تحديد الكُتب التي تُدرّس، وتحديد المعلمين لكل كتاب حسب التخصص، وتوزيع أوقات الدروس وتنظيمها [1].

وكان أغلب ما يُدرس في هذه الرُبُط، العلوم الإسلامية والعربية، كالتفسير، والفقه وأصوله، والحديث، والنحو، والصرف، والمواريث، وبعضها كان يدرس الفلك، والحساب، والجبر، والتاريخ، والأنساب[2].

كان التعليم في الرُبُط يُقسم إلى مراحل متدرجة يبدأ من الأسهل إلى الأصعب، حيث يبدأ الطالب أول ما يلتحق بالرباط بحفظ المتون المبسطة مثل متن ملحة الإعراب، أو متن الأجرومية في النحو، بعدها ينتقل الطالب في المرحلة الثانية بشرح هذه المتون وبصورة مبسطة ودراستها، وبالتدرج يصبح الطالب ملماً بالعلوم الشرعية واللُغوية، حيث يصبح مؤهلاً لأخذ الإجازة من قبل العلماء الذين درس على أيديهم[3] .

أما عن أوقات الدراسة في الرُبُط ومدتها والإجازات السنوية والأسبوعية فهي نفس التي كانت تتبع في المساجد والمدارس الدينية، وكانت الدراسة فيها مقتصرة على الذكور دون الإناث. ومن أبرز الرُبُط في تهامة التي لعبت دوراً علمياً خلال فترة البحث رباط يحي بن عمر الأهدل[4]، ورباط البطاح في زبيد[5]، ورباط علي يوسف بهايا[6]،

---

1 – البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 46 .

2 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص462– 465.

3 – البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 46– 47 .

4 – ينسب هذا الرباط إلى مؤسسه السيد العلامة يحي بن عمر مقبول الأهدل (ت 1734م)، ويعرف برباط الإدريسي، ويقع هذا الرباط في ربع العلي من الجزء الشرقي من زبيد .

5 – ينسب إلى الشيخ العلامة يوسف بن محمد بن يحي بن أبي بكر علي البطاح (ت 1830م)، ولا يزال هذا الرباط تقام فيه الحلقات العلمية حتى عصرنا الحالي، ويدرس فيه في الوقت الحالي العلامة أحمد بن داود البطاح، الذي يقع بيته بجوار الرباط .

6 – يعد رباط علي يوسف بهايا من الرُبُط العلمية في مدينة زبيد، وموقعه في ربع العلي، وممن درّس فيه العلامة محمد سيف الشرعبي، والعلامة خالد محسن حسن الشرعبي .

ورباط المهادلة[1]، ورباط الجامع الكبير[2]، ورباط جامع الأشاعر[3]، ورباط الفرحانية، ورباط الغصينية، ورباط الدارة، ورباط حرض[4]، ورباط الأهدل في مدينة المراوعة، وغيرها من الرُبُط التي لا تكاد تخلو منها مدينة علمية في تهامة[5] .

ولم يقتصر دور هذه الرُبُط على الدور التعليمي فقط، بل تعداه إلى الدور الاجتماعي، وذلك من خلال قيام بعض مشايخ هذه الرُبُط بالتوجيه والإرشاد في أوساط المجتمع، وقيامهم بحل المشاكل والخلافات بين الناس، وذلك لقبول كلمتهم، وهو ما جعل لهذه الرُبُط والقائمين عليها مكانة اجتماعية في نفوس الناس، ولذا أنفقوا عليها بسخاء، وأوقفوا عليها الأموال لكي تستمر .

4- **المدارس العلمية:**

اقتصر التعليم في أغلبه خلال فترة الدراسة في اليمن ومنها تهامة على التعليم الديني، وذلك للأسباب المُشار إليها سابقاً . ولتحقيق أهداف الإمامة المتمثلة بنشر الفكر الزيدي، واستقرار المملكة قامت الإمامة بتأسيس بعض المدارس في أغلب مدن اليمن ومنها تهامة، وأطلق على هذه المدارس بالمدارس العلمية[6] .

كان الهدف الأساسي من تأسيس هذه المدارس، هو الحاجة لتأهيل وإعداد موظفين، وخاصة بعد أن وسع الإمام سيطرته على معظم المناطق اليمنية، ولذا كان بحاجة إلى قضاة ومدراء نواحي وإداريين وكتبة يديرون هذه المناطق تحت سيطرته، كما هدف إلى نشر الفكر الزيدي بعد أن بدأ ينحسر أمام المد السني، الذي كان للعثمانيين دوراً كبيراً في تشجيعه ونشره[7].

---

1 – رباط المهادلة يقع بالقرب من بيت المهادلة في ربع الجزء في زبيد، ودّرس فيه عدد من العلماء أبرزهم العلامة أبكر عبد الرحمن الأهدل .

2 يُعد رباط الجامع الكبير في زبيد من أكبر الرُبُط في تهامة خلال فترة الدراسة، وهو يتكون من أربعة عشر حجرة (مقصورة)، وتم تأسيس رباط الجامع في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

3 – وهو عبارة عن حجرة واحدة، وموقعها بجوار جامع الأشاعر من الناحية الغربية .

4 – مؤسس هذا الرباط هو منصور بن جعدان، ويقع هذا الرباط في مدينة حرض، وهي من مدن تهامة الشمالية ، وكانت من مراكز العلم التي يقصدها الطلاب خلال فترة الدراسة .

5 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص461.

6 – يقصد بالعلمية هنا العلم الشرعي المقصور على معرفة الفقه وأصوله، لا التعليم الحديث القائم على التجارب العملية، أو التعليم المهني. أنظر: البردوني، عبدالله : الثقافة والثورة في اليمن، دار الفكر، دمشق، 1992م، ص 423 .

7 – البكري، مرجع سابق، ص 63 .

كانت هذه المدارس العلمية بمثابة معاهد عليا متخصصة في تدريس العلوم الشرعية، وهي بذلك تشبه الأزهر الشريف بالقاهرة، ويذكر البردوني بأن هذه المدارس العلمية الدينية كانت نقطة وسط بين الجوامع والجامعات الحالية مع اختلاف بسيط في نوعية التطور الاجتماعي والثقافي[1]، وكانت مناهج هذه المدارس مقصورة على العلوم الدينية المتنوعة، كالتفسير والحديث والسيرة والفقه، والعلوم الُلغوية والأدبية، حيث كانت تقترب في بعض مقرراتها من مثيلاتها من المدارس في القاهرة وتونس وسوريا [2] .

أمّا بالنسبة لطرق التدريس في هذه المدارس، فتُعد امتداداً لأساليب وطرائق التدريس التي كانت تتبع في حلقات الجوامع، إذ يقوم الشيخ بإلقاء الدرس وطلابه حوله مستمعين لما يلقى عليهم، ثم يقوم بشرح النقاط غير الواضحة[3]. وكان عدد سنوات الدراسة في هذه المدارس مابين 6–7 سنوات، عدا المدرسة العلمية في صنعاء التي كانت مدة الدراسة فيها 12 سنه، إضافة إلى سنة تحضيرية، موزعة على ثلاثة فصول، كل فصل يحتوي على أربع شعب، يقضي الطالب في كل فصل أربع سنوات ، يُطلق على الشعبة الثالثة في الفصل الأخير شعبة المنهاج ، أما الشعبة الرابعة والأخيرة كانت تسمى شعبة الغاية أو الاجتهاد[4] .

أمّا بالنسبة لأوقات الدراسة في هذه المدارس، فكانت تبدأ من شروق الشمس إلى أذان الظهر، ويُعد يوم الخميس والجمعة من كل أسبوع إجازة رسمية، ويبدأ العام الدراسي ببداية شهر شوال وينتهي في شهر رجب، حيث تبدأ اختبارات الطلاب في هذا الشهر، وذلك عبر لجان مكلفة من وزير المعارف، تتوزع على جميع المدارس العلمية في عموم اليمن، وتستمر الاختبارات إلى منتصف شهر شعبان[5] .

يتم امتحان الطلاب شفوياً، وذلك من خلال وقوف الطالب أمام لجنة الامتحان المكونة من عدة مشايخ، ويجيب الطالب على كل الأسئلة التي تلقى عليه من قبل أعضاء اللجنة في جميع المواد التي درسها، وبعد إكمال مقابلة الطالب شفوياً كان غالباً ما يعطى له امتحاناً تحريرياً ، بعدها

---

1 – البردوني، الثقافة والثورة في اليمن، مرجع سابق، ص 417 .

2 – باعباد، علي هود : التعليم في الجمهورية العربية اليمنية (ماضيه . حاضره . مستقبله)، منشورات جامعة صنعاء، اليمن، ط3، 1988م، ص 26 .

3 – البكري، مرجع سابق، ص 66 .

4 – الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن، مرجع سابق، ص 403 – 406 .

5 – البكري، مرجع سابق، ص 67 .

تجتمع اللجنة وتقرر درجة كل طالب في كل مادة على حِدة [1]، وكانت المدارس العلمية تؤمن للطالب المسكن والغذاء ومبلغاً من المال شهرياً، ولذا كان الإقبال عليها شديداً، وهو ما جعل الالتحاق فيها يخضع لشروط معينة منها[2] :

1-أن يكون مستوى الطالب المتقدم إلى هذه المدارس معادلاً للابتدائية .

2- خضوع الطالب لاختبارات مكثفة تمكّنه من الالتحاق بالمدرسة .

3-إذا كان مستوى الطالب المتقدم عالياً، كأن يكون من خريجي الجوامع وقطع شوطاً فيها فإنه يلتحق بالشعبة التي تتناسب مع مستواه بعد إجراء اختبار له لتحديد مستواه.

4- أن يأتي الطالب بكفيل (ضامن) يكفله بعدم خروجه من المدرسة إلا بأمر شريف، وفي حالة المخالفة فإن الضامن ملزم بدفع كل ما أخذه الطالب من المدرسة .

وتميزت هذه المدارس بأن خريجيها يجدون فرص العمل مباشرة في مجال القضاء أو التدريس، أو كمحاسبين في الألوية والأقضية، وذلك لتنفيذ سياسة الدولة التي أنفقت عليهم طوال فترة دراستهم [3] .

أمّا بالنسبة لمدرسي هذه المدارس العلمية فكان يطلق عليهم لقب شيخ، وكانوا من خريجي حلقات الجوامع، وهجر العلم، ومن خريجي المدارس العلمية نفسها، حيث أن الطالب المتخرج بتفوق من هذه المدارس يُعين في مدرسته، ويطلق عليه في هذه الحالة بالمُعيد، وكان هؤلاء المدرسون يتقاضون مرتبات مقابل تدريسهم، تتفاوت حسب مرتبة الشيخ، كانت هذه المرتبات عبارة عن مبالغ نقدية من الريالات، وعينية من حبوب الذرة [4] .

وكان لهذ المدارس إلى جانب هيئة التدريس هيئة إدارية تعمل على ترتيب سير العملية التعليمية[5].

وقد انتشرت المدارس العلمية في أغلب مناطق اليمن ومنها تهامة، وكانت أكثر انتشاراً في المناطق الشمالية من اليمن، وذلك لوجود المذهب الزيدي، حيث بلغ عددها في عهد الإمام يحي

---

1 - البكري، مرجع سابق، ص 67 .

2 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 9- 10.

3 - المرجع نفسه، ص 10 .

4 - البكري، مرجع سابق، ص 71 .

5 - العز عزي، اليمن من الإمامة إلى الجمهورية، مرجع سابق، ص 95.

حميد الدين ستة عشر مدرسة تضم 1761 طالباً [1]، وزاد عددها في عهد نجله الإمام أحمد يحي حميد الدين حيث وصل عددها في عام 1956 إلى أربعة وخمسون مدرسة موزعة على مناطق اليمن[2] . كان نصيب تهامة من هذه المدارس ثلاث مدارس علمية، وهما المدرسة العلمية في زبيد، والمدرسة العلمية في بيت الفقيه، والمدرسة العلمية في منطقة الزيدية.

أ- المدرسة العلمية في زبيد :

تأسست هذه المدرسة عام 1938، وذلك عندما قدم ولي العهد أحمد بن يحي حميد الدين لزيارة مدينة زبيد حيث التقى خلال الزيارة بعلماء زبيد، وطلب منهم إعطائه الإجازة فيما تعلمه فوافق علماء زبيد بشرط أن يخضع للمناقشة في جلسة علنية في جامع الأشاعر، فوافق على ذلك، وعقدت الجلسة العلمية، وتم مناقشة ولي العهد في علوم الحديث والفقه والفرائض واللغة العربية، وأثبت جدارته بالحصول على إجازة علماء زبيد له [3] ، وبعد حصول ولي العهد على الإجازة اعتمد المدرسة العلمية بالأشاعر كمدرسة رسمية، واعتمد لها مبالغ مالية وعينية من عائدات أوقاف زبيد، تصرف على مشايخها والذين بلغ عددهم 12شيخاً ، فضلاً عن صرف مخصصات شهرية لطلابها والذين بلغ عددهم مائة طالب، والذي كان مقتصراً على الذكور فقط دون الإناث [4]
.

والجدول التالي يوضح المخصصات الشهرية لمشايخ المدرسة العلمية في زبيد لعام 1938.

---

1 - العطار، مرجع سابق، ص 108.

2 - وذلك حسب تقرير منظمة اليونسكو (1955- 1956) ، الإحصاء التربوي العالمي، نقلاً عن الذيفاني، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 195 .

3 - الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 461.

4 -حيث اعتمد لكل طالب في بداية تأسيسها ست كيلات من حبوب الذرة ، وريال ونصف ماريا تريزا شهرياً .

أنظر: الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 461- 462.

جدول يوضح المخصصات الشهرية لمشايخ المدرسة العلمية في زبيد[1]

اسم الشيخ	المخصص له عينياً من محصول الذرة .	المخصص له نقدياً بالريال الفضي[2] .
أحمد محمد الأهدل	25 كيله	10ريال
حسين محمد الوصابي	25 كيلة	10ريال
محمد أحمد السالمي	25 كيلة	10 ريال
محمد صديق البطاح	20 كيلة	10 ريال
يحي محمد يوسف جدي	20 كيلة	10 ريال
محمد بن محمد البحر	15 كيلة	3 ريال
عبدالله بن زيد المغربي	15 كيلة	3 ريال
محمد عباس إلياس	15 كيلة	3 ريال
محمد يوسف فقير	15 كيلة	3 ريال
إبراهيم عبدالله المزجاجي	15 كيلة	3 ريال
عبدالله فتاح السالمي	15 كيلة	3 ريال
محمد أحمد يحي قشاعة	15 كيلة	3 ريال

ظلت المدرسة العلمية تؤدي دورها العلمي حتى عام 1953، حيث أغلقت لمدة عام [3]، وبعدها أعيدت الدراسة فيها حتى قيام ثورة سبتمبر/أيلول 1962، حيث تم تأسيس مبنى جديد لها سمي بمدرسة الفوز وظلت الدراسة فيها حتى عام 1982 تحولت بعدها إلى معهد علمي سمي بمعهد المرتضى، وهو لا يزال قائماً حتى عصرنا الحالي [4] .

1 – الحضرمي، تهامة في التاريخ، مرجع سابق، ص 462.

2 – الريال الفضي: كانت قيمته خلال فترة الدراسة تساوي 0,76 إلى 0,80 سنتيم من الدولار الأمريكي .

أنظر: العطار، مرجع سابق، ص 236.

3 – يرجع السبب في إغلاقها إلى قيام الإمام أحمد بجعل كتاب الأزهار في الفقه الزيدي، من الكتب الملزمة للتدريس في المدرسة العلمية، وهو ما رفضه علماء زبيد، الذين كان أغلبهم من أتباع المذهبين الشافعي والحنفي، وذلك مما حذا بالإمام الأمر بإغلاق المدرسة لمدة عام، وبعد مناقشة الإمام من قبل مديرها حسين عبدالله الحدايا، بأن يكون تدريس كتاب الأزهار اختيارياً وليس ملزماً، إلى جانب فقه المذهبين الشافعي والحنفي، فوافق الإمام أحمد على ذلك، وأعيد فتح المدرسة. أنظر: الحضرمي، جامعة الأشاعر بزبيد، مرجع سابق، ص 454 .

4 – هارون، الدر النضيد، مرجع سابق، ص 469.

ولم تكن المدرسة العلمية في زبيد هي الوحيدة في تهامة، بل قامت الإمامة بتأسيس مدرستين أخريين في منطقتي بيت الفقيه والزيدية، ولكن لم تسعفنا المصادر بأي تفصيل عن هاتين المدرستين، سوى أنهما تّم تأسيسهما عام 1938[1] .

فضلاً عن هذه المدارس فقد كانت هناك مدارس دينية في تهامة وبخاصة في مدينة زبيد عملت جنباً إلى جنب على نشر التعليم الديني، حيث تخصصت بعضها بتدريس الفقه الشافعي كمادة أساسية [2]، وأخرى لتدريس الفقه الحنفي إلى جانب العلوم الشرعية الأخرى، وعلوم اللغة العربية [3] . كما وجدت مدارس لتدريس المذهبين الشافعي والحنفي معاً [4]، وتفردت بعض المدارس بتدريس علوم بمفردها مثل الحديث وعلم القراءات[5].

ب- التعليم النظامي الحديث ومراحله:

فضلاً عن هذه المؤسسات التعليمية ذات الصبغة الدينية، شهدت اليمن ومنها تهامة خلال فترة الدراسة تأسيس بعض المدارس النظامية التي أدخلت في مناهجها بعض العلوم الحديثة، وقد جاء هذا التغير في نوع التعليم عندما قبل الإمام يحي في نهاية الثلاثينات، وتحت ضغط المعارضة الوطنية بفكرة إرسال بعض البعثات التعليمية للدراسة خارج اليمن، واستقدام بعض الخبراء في مجال التعليم، حيث كان لهذه البعثات التعليمية بعد عودتها دور في تغيير أوضاع اليمن، وتنوير عقول أبنائه، وجعلهم يتطلعون نحو التجديد والتحديث، وذلك لاحتكاكهم بثقافات وأفكار جديدة، وتعرفهم على التطورات التكنولوجية، والخدمات العامة التي توفرها الحكومات لمواطنيها، ومن خلال المقارنة بين أوضاع اليمن وما كانت تعيشه من تأخر وتخلف، وبين البلدان

---

1 - البكري، مرجع سابق، ص 64 – 65 .

2 - من أهم هذه المدارس التي اختصت بتدريس الفقه الشافعي في تهامة المدرسة المعزية (الميلين)، والمدرسة العاصمية، والمدرسة المنصورية العليا، والمدرسة السيفية الكبرى، والمدرسة الشمسية، والمدرسة العفيفية . أنظر: العبادي، مرجع سابق، ص 170- 177 .

3 - من أبرز هذه المدارس التي اختصت بتدريس الفقه الحنفي، المدرسة الدحمانية، والمدرسة المنصورية الحنفية ، ومدرسة علي بن عمر العلوي . أنظر: العبادي، مرجع سابق، ص 189- 194 .

4 - من المدارس التي اختصت بتدريس فقه المذهبين الشافعي والحنفي، مدرسة وجيه الدين العلوي، والمدرسة المحالبية . أنظر العبادي، مرجع سابق، ص 195- 196 .

5 - من هذه المدارس: مدرسة المنصورية للحديث، والمدرسة التاجية للقراءات والحديث. أنظر: العبادي، مرجع سابق، ص 197- 198 .

التي درسوا فيها، وما تعيشه من تطور في جميع المجالات، كل ذلك جعل هؤلاء الطلاب يسعون إلى إصلاح أوضاع البلاد ونشر التعليم الحديث في بلادهم .

كما كان لاستقدام المدرسين والخبراء العرب في المجال التعليمي دور في تنظيم وتحسين العملية التعليمية، ومن هذه البعثات التي استقدمت إلى اليمن عام 1946 البعثة اللبنانية المكونة من أحد عشر عضواً برئاسة الدكتور عدنان ترسيسي[1] وكان لهذه البعثة دور في تنظيم التعليم في اليمن وتقسيمه إلى ثلاثة أنواع وهي: تعليم عام، وشرعي، وفني[2].

كما كان لهذه البعثات التعليمية الأثر الكبير في نشر التعليم الحديث، والوعي الوطني بين التلاميذ، كما كان لها أكبر الأثر في إقناع السلطة الإمامية بإرسال مزيد من الطلاب للدراسة في الخارج، حيث كان لعودة هؤلاء كما أشرنا دور في فتح المدارس الحديثة النظامية، كما شكّلوا النواة الأولى لقيام الثورة اليمنية عام 1962.

ومن خلال الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع المعنية بموضوع التعليم خلال فترة الدراسة[3]، والتي تّم الإطلاع عليها، نجد أن التعليم النظامي في اليمن ومنها تهامة كان يقسم إلى أربع مراحل وهي كالتالي:

1- مرحلة التعليم الأولي ((التحضيري)) :

تُعد هذه المرحلة حالة متطورة من التعليم الأهلي في المعلامات (الكتاتيب)، التي كانت منتشرة في أغلب مناطق اليمن ومنها تهامة، وقد أُدخل على هذه المرحلة شيء من التنظيم، فحددت سنوات الدراسة فيها بثلاث سنوات، ونظمت فصولها إلى ثلاثة فصول[4] . يطلق على مدارس هذه المرحلة بالمكاتب التحضيرية، وهي تشبه إلى حدٍ ما في عصرنا الحالي بمرحلة

---

1 - فمن أبرز أعضاء البعثة، الأستاذ/محمد دوغان، والأستاذ/ رشيد سنو، والأستاذ/ أحمد فؤاد، والدكتور/ أحمد رمضان، والدكتور/ حسن شهاب، والدكتور رضا رضوان . أنظر: البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص188 .

2 - قسّم الدكتور عدنان ترسيسي وأعضاء بعثته التعليم في اليمن إلى ثلاثة أنواع : وهو التعليم العام والذي يضم ثلاث مراحل، وهما المرحلة الابتدائية، والمرحلة المتوسطة (الإعدادية)، والمرحلة الثانوية . أما التعليم الفني فقسم إلى ثلاثة أنواع: دار الصناعة، ومعهد الزراعة العملية، ودار لتأهيل المعلمين. أما التعليم الشرعي، فكان ينحصر في المدارس العلمية السابقة الذكر. أنظر: صحيفة الإيمان، صنعاء، ع (175)، صفر 1366هـ، ص2.

3 - طاهر، واقع التعليم في اليمن قبل ثورة 26 سبتمبر، مرجع سابق، ص 6-7.؛ العطار، مرجع سابق، ص 102-106. ؛ ناشر ،عدنان عبده : التعليم في العهد العثماني والإمامي الملكي والبريطاني في اليمن إلى الثورة اليمنية 1962، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الدراسات العليا ـ الجامعة الأردنية، 1994، ص 28-29 .

4 -البكري، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 114 .

الحضانة، إلاّ أنّ أوجه الاختلاف بينهما أن المكاتب التحضيرية لا اعتبار فيها لعمر الطالب الملتحق بها، فقد يحوي المكتب الواحد طلاب في عمر خمس سنوات، إلى جانب طلاب أعمارهم في الثانية عشرة[1] .

يوُعد الهدف الأساسي من تأسيس هذه المكاتب ونشرها في أنحاء اليمن، تعليم الطلاب القرآن الكريم وتجويده، وتعليم الطهارة وشروط الوضوء والصلاة ، فضلاً عن ذلك تعليمهم الخط والحساب، وكانت أغلب المكاتب تحتوي على معلم واحد يدير شؤون المكتب، ويقوم بمهمة التدريس فيه[2].

تطورت هذه المكاتب خلال حكم الإمام أحمد يحي حميد الدين، إذ وجدت مكاتب ذات أربعة فصول، وأخرى ذات خمسة فصول، وازداد فيها المعلمون من أثنين إلى أربعة، وخاصة مكاتب المدن والقرى الكبيرة، وأصبح يطلق عليها بالمكاتب الأحمدية نسبة إلى الإمام أحمد[3].

ففي إحدى الوثائق التي هي عبارة عن جدول للحصص الأسبوعي، يتضح أن مدينة زبيد إحدى مدن تهامة، كان يوجد بها مكتب من هذا النوع يحوي على أربعة فصول، وأربعة مدرسين، وكانت تمارس فيه بعض الأنشطة الرياضية، ويدرس فيه مادة الدين والفقه الشافعي[4].

ومما تجدر ملاحظته أن التعليم الأولي التحضيري كان إجبارياً ، ويتضح ذلك من خلال وثيقة تبين فيها أمر الإمام يحي بجعل التعليم ملزماً في المدارس الأولية، حيث جاء في الوثيقة ما نصه : ((وليعلم أولياء الأطفال أنا نأمرهم بإرسال أولادهم إلى مدرسة التعليم، ولا نقبل لأحدٍ منهم عذراً في التأخر والتراخي في هذا الأمر الواجب، ومن تأخر عن ذلك كان على المعلم الرفع به إلى عامل الجهة، وعلى عامل الجهة ضبطه الضبط المحقق، ولا نظن أحداً من المحبين يتراخى عن تعليم ولده ما هو نافع له في الحياة الدنيا وبعد الممات ... فما أمرنا به لازم محتم، وواجب على كل مسلم، ومن أخل بالواجب من معلم أو ولي استحق العقوبة، وأحرم نفسه جزيل المثوبة)) [5].

---

1 – طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 6-7.

2 – البكري، مرجع سابق، ص 114 .

3 – الذيفاني، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 79 .

4 – المركز الوطني للوثائق، صنعاء، وثيقة توضح جدول دروس الحصص الأسبوعي في مكتب زبيد الأولي المكون من أربعة فصول . ينظر ملحق رقم (18) .

5 –المركز الوطني للوثائق، صنعاء، وثيقة تبين أمر الإمام يحي بجعل التعليم إجبارياً في المدارس الأولية، ملحق رقم (19).

ومن خلال ماسبق يتضح أن الإمام كان مشدداً على هذا النوع من التعليم، وقد استخدم عدة طرق لإلزام الآباء بدفع أبنائهم إلى هذه المكاتب، منها إرسال المفتشين في بداية كل عام إلى القرى والمدن لتدوين أسماء الأطفال الذين بلغوا سن الخامسة، ويلزم الآباء بإرسالهم إلى المكاتب الحكومية الأولية في القرى والمدن، لكّن بعض الأهالي كانوا يتحفظون على تسجيل أبنائهم في هذه المكاتب الحكومية، ولعل ذلك يرجع إلى الإشاعة التي ترافق تسجيل الأطفال، وهي أنّ الأبناء الذين يلتحقون بهذه المكاتب لا يعودون بعد تخرجهم إلى أسرهم، إذ يحتفظ بهم الإمام عنده كموظفين وجنود تابعين له، وقد أثّرت هذه الإشاعة لدى أغلب الآباء في تهامة، نتيجة للجهل الذي كان يقبع فيه الكثير منهم لدرجة أنهم كانوا يدفعون رشاوى للمفتش لإسقاط أسماء أبنائهم من السجل، ويفضلون تعلم أبنائهم في المعلامات الأهلية، التي كانت تعمل جنباً إلى جنب مع هذه المكاتب النظامية[1] .

كانت هذه المدارس تفتقر إلى التجهيزات الضرورية للتعليم، كالمباني، والكتب، والكراريس، وكان التعليم يلقن شفوياً ، ويعتمد في الأساس على ذاكرة التلاميذ، كما أنه لم يكن يوجد منهاج دراسي موحد لهذه المرحلة، فكل مكتب ينظم نفسه بحسب إمكانياته[2] .

أما بالنسبة لكيفية الاختبارات في هذه المكاتب التحضيرية، فيتم عبر لجنة مكونة من طلاب المدارس العلمية، وخاصة من المدرسة العلمية بصنعاء، حيث تشكل هذه اللجان من قبل وزارة المعارف للنزول لاختبارات الطلاب، وبعد الفحص يتم اختيار الطلاب الناجحين، وإلحاقهم بالمرحلة الثانية من التعليم وهو التعليم الابتدائي[3] .

بلغ عدد المدارس التحضيرية (المكاتب) في اليمن 686 مكتب تحضيري حتى عام 1958، موزعة على جميع ألوية اليمن، وكان نصيب تهامة (الحديدة) 105 مكتباً ، والجدول التالي يوضح نصيب كل لواء من هذه المكاتب وأعداد المعلمين والطلاب.

جدول يوضح عدد المدارس الأولية (المكاتب)، وعدد المعلمين والطلاب لكل لواء لعام 1958[4] .

اللواء (المحافظة)	عدد المدارس التحضيرية	عدد المعلمين (ذكور)	عدد الطلاب (ذكور)	عدد المفتشين (ذكور)

1 - الذيفاني، مرجع سابق ، ص75- 77 .

2 - العطار، مرجع سابق، ص 104.

3 - البكري، مرجع سابق، ص 118 .

4 - العطار، مرجع سابق، ص 103.

	(المكاتب)			
صنعاء	270	389	15386	23
حجة	125	215	4242	4
صعدة	24	26	1129	1
إب	52	81	3444	3
الحديدة (تهامة)	105	164	6226	4
تعز	110	143	8226	--
المجموع	686 مدرسة	1018 معلماً	38653 طالباً	35 مفتشاً

من خلال الجدول السابق يتضح أن التعليم في هذه المدارس كان مقتصراً على الذكور دون الإناث، حيث بلغ عدد هذه المدارس في تهامة 105 مدرسة موزعة على مناطقها وقراها، كما بلغ عدد المعلمين 164 معلماً، وهو ما يؤكد أن كثيراً من المدارس كان يوجد بها أكثر من معلم، وهو ما اتضح في مدرسة زبيد الأولية السابقة الذكر، التي كانت تحتوي على أربعة مدرسين وأربعة فصول، وبلغ عدد طلاب هذه المدارس في تهامة 6226طالباً ، أما عدد المفتشين فهم أربعة فقط، وهو عدد قليل جداً بالنسبة إلى عدد المدارس والمعلمين .

فضلاً عن هذه المدارس الأولية، فقد وجدت مدرسة حكومية للحضانة، ومدرستين لمحو الأمية في مدينة الحديدة، خصصت لمن لم يستطيع الالتحاق بالمدارس الصباحية، نظراً لانشغالهم بأعمالهم[1] .

2- مرحلة التعليم الابتدائي:

كانت المدارس في هذه المرحلة من التعليم قليلة جداً إذا ما قورنت بالمدارس الأولية خلال فترة الدراسة، ولذا اقتصر انتشارها على المدن، وبعض مراكز الألوية، ومدة الدراسة فيها ست سنوات، وتحتوي على ستة فصول، ولا اعتبار أيضاً للسن في قبول الطلاب في هذه المرحلة، كما في التعليم الأولي[2] .

بلغ عددها في نهاية الثلاثينات من القرن العشرين ثمان مدارس، وزادت في عهد الإمام أحمد، حيث وصل عددها حتى عام 1949 إلى ثلاثة وعشرون مدرسة ابتدائية، توزعت على

---

1 - البكري، مرجع سابق، ص 120 .

2 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص7.

مراكز المدن في الألوية، وكانت حصة تهامة من هذه المدارس ثلاث مدارس، توزعت على المدن التالية : الحديدة، وزبيد، وحيس، والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول يوضح عدد المدارس الابتدائية، وتوزيعها على مدن اليمن لعام 1949[1] .

اسم المدينة	عدد المدارس الابتدائية	اسم المدينة	عدد المدارس الابتدائية
مدينة صنعاء	2	مدينة معبر	1
مدينة تعز	1	مدينة حجة	2
مدينة الحديدة	1	مدينة قعطبة	1
مدينة حيس	1	مدينة يريم	1
مدينة زبيد	1	مدينة رداع	1
مدينة مناخة	1	مدينة النادرة	2
مدينة ذمار	2	مدينة إب	2
مدينة جبلة	1	مدينة الحجرية	1
مدينة مذيخرة	1	مدينة ذي السفال	1

كما أن هذه المدارس كانت تفتقر إلى التنظيم، حيث لا توجد برامج معينة لتنظيمها، وغالباً ماكان التعليم فيها وخاصة في الصفوف الأولى تكراراً للتعليم الأولي [2]. ويُعد القرآن الكريم، والتجويد والنحو، والعربي، والتاريخ، والحساب من أهم المواد التي تدرس في هذه المرحلة، أمّا المواد الحديثة كالجغرافيا، والهندسة، والصحة العامة، فإنها تدرس من الصف الرابع بصورة مبسطة، ويتوسع فيها من الصف الخامس والسادس الابتدائي [3]. يقوم بالتدريس في هذه المرحلة معلمون يمنيون، وهم من خريجي المدارس العلمية الدينية، وخريجي دار المعلمين، ومعلمون عرب من سوريا ومصر وفلسطين[4].

3- مرحلة التعليم المتوسط (الإعدادي):

اقتصر بناء مدارس هذا النوع من التعليم على المدن الرئيسية، كصنعاء، وتعز، والحديدة، وحجة، وقد اختلفت وتعددت سنوات الدراسة فيها، فلم تكن ثابتة طوال فترة الحكم الإمامي ، فعند

1 - من تقرير وفد المملكة المتوكلية اليمنية برئاسة يحي المضواحي، المقدم إلى المؤتمر الثقافي العربي الثاني، المنعقد بالقاهرة عام 1950. ؛ نقلاً عن محمد الشعبي، وثائق ودراسات، مطابع دار الكتاب، دمشق، ط1، 1983، ج2، ص94 -95.

2 - طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 7.

3 - البكري ، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 122 .

4 - سلطان، جميل : كيف يجري التعليم في اليمن، صحيفة الجمهور السورية، عدد خاص، 3 أغسطس / آب، 1957، ص13 .

بداية تأسيسها عام 1938 كانت مدة الدراسة فيها سنتين، ثم ثلاث سنوات في الأربعينات، ثم أربع سنوات، واستمر كذلك حتى عام 1956، حيث أُعيد نظام الثلاث سنوات[1] .

يلتحق بهذه المرحلة كل من أنهى المرحلة الابتدائية، ويسمح في حالات معينة لبعض طلبة التعليم الأولي بالالتحاق بالتعليم المتوسط، وذلك إذا أثبتوا جدارتهم من خلال امتحان يخضع له الطالب، كما يسمح لبعض الطلبة من التعليم الديني (الأهلي) بالانضمام إلى هذه المرحلة، وكان هذا الأمر مقيداً بأمر شريف من الإمام أو ولي عهده[2] .

أما عن المنهج الدراسي فكان غير محدد، حيث كان خاضعاً للتعليمات الإمامية التي تصدر بين آونة وأخرى، باعتماد هذه المادة أو تلك، وفي الغالب كان للمدرسين حق الخيار في البرامج الدراسية، وانتقاء الكتب المناسبة، فمن المناهج التي كانت تدرس في هذه المرحلة الديانة التي تحتوي على القرآن الكريم، والتجويد، والتفسير، والأحاديث، واللغة العربية، والرياضيات، والاجتماعيات، والعلوم العامة، أّما مادة اللغة الإنجليزية فتدرس في الصفين الأخيرين من هذه المرحلة وبصورة مبسطة [3] .

بلغ عدد مدارس هذا النوع من التعليم خلال فترة الدراسة خمس مدارس فقط، موزعة على المدن الرئيسية، وكان نصيب تهامة من هذه المدارس مدرسة واحدة فقط، وهي المدرسة السيفية في مدينة الحديدة التي تأسست عام 1947، على أثر مجيء البعثة المصرية حيث عمل البعض من أعضاء البعثة للتدريس فيها[4] .

أما أبرز من ّدرس فيها من اليمنيين: الأستاذ أحمد جابر عفيف، وعلي عبد العزيز نصر، والعزي سعيد عبد الله المصوعي، ومحمود أحمد الكتري[5] .

4- مرحلة التعليم الثانوي:

---

1 - البكري، مرجع سابق، ص128 .

2 - سلطان، مرجع سابق، ص 14. ؛ طاهر، واقع التعليم، مرجع سابق، ص 7.

3 - الذيفاني، التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 87 .

4 - كان أبرز من ّدرس في هذه المدرسة من المدرسين المصريين الأستاذ عبد الغفار الشريف مدرّس للمواد الاجتماعية واللغة الانجليزية، وعبد الله علي علام مدرساً للغة العربية، وحامد حميد أبو العمائم مدرساً للرياضيات والعلوم .

أنظر: صحيفة الإيمان، ع (198)، ربيع الأول 1367/ يناير/كانون الثاني 1948 ، ص2 .

5 - عفيف، أحمد جابر: شاهد على اليمن، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 2000، ص55.

أقتصر هذا النوع من التعليم أيضاً على المدن الرئيسية فقط، كان عدد مدارس هذه النوع أربع مدارس فقط، موزعة مابين صنعاء وتعز والحديدة وحجة بالتساوي . مدة الدراسة فيها أربع سنوات، وهي على مرحلتين: المرحلة الأولى سنة واحدة تحضيرية، يدخلها من يجتاز التعليم المتوسط ليتهيأ من خلالها الالتحاق بالتعليم الثانوي [1] . أما المرحلة الثانية فتستمر ثلاث سنوات، والقليل من الطلاب هم الذين يكملون هذه المرحلة، حيث كان أغلبهم يقطعون دراستهم، إمّا للانضمام إلى صفوف العمل لمساعدة أسرهم، أو للالتحاق بالمدارس العلمية الدينية في الألوية[2].

أمّا عن المواد التي كانت تدرس في هذه المرحلة، فكلن أغلبها دينية ولغوية، فضلاً إلى المواد الحديثة، كالرياضيات، واللغة الإنجليزية، والكيمياء والجغرافيا، والتاريخ، وكان للمدرسين العرب الفضل في إدخال هذه المواد إلى منهج هذه المرحلة، والذين قاموا بالتدريس فيها [3].

ومما تجدر ملاحظته أن هذا النوع من التعليم الثانوي قد عرفته تهامة قبل غيرها من مناطق اليمن، منذ فترة مبكرة من حكم الإمام يحي، وذلك عندما قام محمد البدر ابن الإمام يحي عندما كان والياً على لواء تهامة بتأسيس المدرسة الرشدية الثانوية عام 1928، وذلك بعد عودته من زيارة إيطاليا، ويبدوا أن سبب إنشائها يرجع إلى تأثر محمد البدر بما رآه في إيطاليا من تقدم وتطور حضاري، ولذا عمل بعد عودته على تأسيس هذه المدرسة لتكون نواة للتعليم الثانوي الحديث[4] .

كان أغلب طلاب هذه المدرسة من خريجي مدرسة الأيتام، والذين استقدموا من صنعاء إلى الحديدة للدراسة، كان على رأسهم عبد الله السلال[5]، وأحمد البراق، ومحمد مصلح الريدي، وأحمد

---

1 – طاهر، واقع التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 7.

2 – سلطان، كيف يجري التعليم في اليمن، مرجع سابق، ص 14.

3 – سالم، سيد مصطفى: مجلة الحكمة وحركة الإصلاح في اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط2، 1988، ص 176– 177.

4 – سالم، مجلة الحكمة، مرجع سابق، ص 177.

5 – عبدا لله السلال : ولد عام 1917في مدينة صنعاء من أسرة فقيرة الحال، تعلم في الكُتّاب القراءة والكتابة، ثم التحق بمدرسة الأيتام، وعندما افتتحت المدرسة الثانوية بالحديدة عام 1928م انتقل فيها للدر اسه وبعد إغلاق المدرسة أثناء الحرب اليمنية السعودية عاد السلال إلى صنعاء ، اُختير ضمن البعثة الأولى التي ذهبت للدراسة إلى العراق عام 1936م ، وكان لدراسته في العراق تأثير كبير على شخصيته وتكوينه الفكري ، حيث عمل بعد عودته إلى اليمن على نشر الثقافة الوطنية ، شارك الأحرار في حركة 1948م ، سجن أكثر من مرة ، وكان من ابرز رجال الحركة الوطنية، قاد ثورة 1962، وبعد قيام الثورة أصبح السلال أول رئيس للجمهورية العربية اليمنية، ونتيجة لظروف اليمن غادر السلال اليمن عام 1967م متجهاً إلى بغداد ثم إلى مصر، وفي الثمانينات عاد إلى اليمن يمارس دوره الوطني،

حسن الحورش، ظلت هذه المدرسة حتى عام 1934 حيث أغلقت بسبب الحرب اليمنية . السعودية، ودخول القوات السعودية إلى مدينة الحديدة [1] .

كما أسست مدرسة ثانوية أخرى في الحديدة عام 1949، وذلك في الدور الثاني لمبنى المدرسة السيفية المتوسطة، وكان أبرز من تولى مهمة التدريس فيها، الأستاذ أحمد جابر عفيف، والعزي مصوعي، ومحمود الكتري، وأحمد محمد هاجي، وظلت هذه المدرسة حتى قيام ثورة سبتمبر/أيلول1962[2] .

ومما تجدر ملاحظته أنه كان من الصعوبة الحصول على إحصائيات دقيقة بعدد الطلاب المسجلين في هذه المدارس، وأعداد المتخرجين، ويرجع ذلك لعدم وجود تسجيل كافي لهذه المعلومات، مما يدلل على أن السياسة التعليمية كانت غير قائمة على التخطيط ، بل كانت تقوم على العشوائية والتخبط .

أما ما يتعلق بالتعليم الفني والمهني فتعود بدايته إلى فترة الحكم العثماني في اليمن، حيث قام الوالي العثماني حسين حلمي بتأسيس مدرستين صناعيتين الأولى في صنعاء وسميت بمدرسة الصنائع، وجُلب لها الخبراء والمدرسين من اسطنبول، واشتملت على عدد من التخصصات(كالزخرفة، والنجارة، والخراطة) وكان مقرها مبنى المتحف الحربي الحالي في صنعاء، والثانية في الحديدة، لكن هاتين المدرستين لم تستمرا، حيث أنه بتسلم الإمام يحي مقاليد الحكم في اليمن بعد خروج العثمانيين عام 1918، أهملت هاتين المدرستين وقام الإمام يحي بتحويل المدرسة الصناعية في صنعاء إلى سجن سمي بسجن الصنائع، أمّا المدرسة الصناعية في الحديدة فقد أهملت وخُرب مبناها على أثر الحرب بين الإمام يحي والأدارسة في تهامة، بعدها لم تؤسس أي مدرسة فنية أو مهنية في تهامة خلال فترة الدراسة [3] .

ونظراً لحاجة السلطة الإمامية لعمال فنيين يصلحون لها أجهزة البرق والهاتف وغيرها من الأجهزة التي ورثتها عن العثمانيين، فقد أنشأ الإمام يحي مدرسة داخلية اسماها مدرسة الأيتام عام 1925 في صنعاء، وافتتح بها فرع لتعليم الصناعة عام 1927، وكان طلاب هذا الفرع من طلاب

توفي في مارس 1994، النظاري، جمال حزام : عبد الله السلال ودوره السياسي في اليمن، رسالة ماجستير (غير منشوره)، كلية التربية . ابن رشد، جامعة بغداد ، 1996م ، ص 7- 281

1 - البكري، مرجع سابق، ص 131- 132 .

2 - عفيف، مرجع سابق، ص 55- 56.

3 - الزبيري، محمد محمود : المنطلقات النظرية في فكر الثورة اليمنية ، دار العودة، بيروت، ط1 ، 1983، ص 13 .

مدرسة الأيتام المتفوقين، واُختير للتدريس فيه مدرسون من خريجي المدرسة الصناعية التي أسسها العثمانيون [1] .

وفي عام 1936 أسست أول مدرسة زراعية في صنعاء من قبل المهندس الزراعي السوري أحمد وصفي زكريا، وذلك بموجب تعاقد الإمام يحي معه لمدة ستة أشهر فقط ؛ وذلك لتعليم ونشر الأساليب الزراعية الحديثة، وطرق العناية بالأشجار والزروع النافعة [2] . وقد أفاد الطلاب من الدروس العملية والنظرية في كيفية زراعة بعض المحاصيل والخضروات، والتعرف على الأسمدة وأنواعها، وفوائدها وكيفية استخدامها، وقد أغلقت المدرسة بعد ستة أشهر من افتتاحها، على أثر عودة أحمد وصفي زكريا إلى سوريا[3] .

إن هذا الواقع التعليمي الذي كان سائداً في اليمن بشكل عام ومنطقة تهامة تحديداً ، إنّما يعبر عن الواقع التعليمي والظروف الصعبة التي كان يعانيها الوطن العربي بشكل عام، واليمن بشكل خاص خلال تلك الفترة بالرغم من أهمية موقع اليمن، ودوره الحضاري التاريخي الذي يفترض أن يحقق له تقدماً كبيراً ، إلاّ أنّه كان للاستعمار البريطاني، والحكومات المتوالية المتمثلة بالأئمة الزيديين، دور أساسي في تأخر اليمن، والمحافظة على هذا الواقع، إلى جانب الحفاظ على المجتمع القبلي، وذلك خدمة لمصالحها، وإبعاده عن التقدم الذي تحقق في بعض مناطق الوطن العربي نسبياً .

ويمكن القول: أنّه على الرغم من قلة هذه المدارس النظامية، وقلة طلابها، إلاّ أنها تركت أثراً كبيراً في تنوير المجتمع، حيث لم تقتصر هذه المدارس على المناهج المقررة، بل كان لمدرسيها اليمنيين والعرب دور فّعال في تغذية الطلبة بالأفكار المستنيرة، حيث كانت تمارس في هذه المدارس عدد من الأنشطة المختلفة من الندوات والأمسيات، وإقامة المسرحيات، وعمل الصحف واللوحات الحائطية المعبرة، وإقامة الأنشطة الرياضية والكشفية، وكان لخريجي هذه المدارس دور كبير في الإعداد والتهيئة لقيام ثورة سبتمبر 1962، كما شغل بعض منهم مهام وزارية بعد نجاح الثورة، ومن أبرزهم العزي مصوعي الذي شغل مديراً للتربية والتعليم في مدينة الحديدة، ثم مديراً

1 – البكري، مرجع سابق، ص140 .

2 – زكريا، رحلتي إلى اليمن، مرجع سابق، ص 73 .

3 – البكري، مرجع سابق، ص 146 .

للإعلام، والأستاذ أحمد جابر عفيف الذي تقلد عدة مناصب أبرزها وزيراً للتربية والتعليم في الجمهورية العربية اليمنية .

ثالثاً - الأوضاع الصحية في تهامة:

تحتل الخدمات الصحية في أي بلد أهمية قصوى تتصدر أولويات الخطط والبرامج التي تُعدها الحكومات سواء في البلدان الغنية أو الفقيرة، لما في ذلك من أهمية في توفير الرعاية الصحية للمواطنين في مختلف المراحل العمرية .

إلاّ أنّ واقع الأوضاع قبل ثورة سبتمبر/أيلول 1962 في اليمن ومنها تهامة، يختلف تماماً حيث ظل المجتمع اليمني عقوداً من الزمن تحت حكم إمامي متخلف لا يعنيه من وضع مواطنيه صحياً ولا معيشياً شيئاً، مما جعل من الأمراض المُعدية أكثر فتكاً بحياة المواطنين في مختلف المراحل العمرية، وفي مقدمة ذلك الأطفال والنساء .

إن الوضع الصحي الذي كانت تعيشه منطقة تهامة، ما هو إلاّ انعكاس للوضع الاقتصادي . الاجتماعي العام في اليمن، الذي تميز بعدم وجود فائض نقدي يمكن الأفراد والسلطة من إقامة هياكل اقتصادية حديثة، تنعكس على جميع القطاعات الخدمية، ومنها قطاع الشؤون الصحية،

فضلاً عن تدني دخل الفرد وعدم القدرة على مواجهة متطلبات الرعاية الصحية، كما كان للبنية الاجتماعية للمجتمع، وظروف العزلة الداخلية والخارجية التي فرضت على اليمن، دوراً في تردي الحالة الصحية . هذه العزلة جاءت نتيجة لعوامل التجزئة والاستعمار والتخلف الذي خيم سنين طويلة على أغلب بلدان الوطن العربي ومنها اليمن، ودعمها الحكام التابعون للاستعمار، مما أبقى شعب اليمن، وغيره من أبناء الوطن العربي يعانون من التخلف عن ركب الحضارة العالمية في جميع المجالات . ويبدو أنه لو كان هناك حكومات عربية نفذت التوجه في التعامل الاقتصادي العربي، وفتحت الأبواب أمام الأيدي العاملة العربية، لكان من الطبيعي تغير هذا الواقع، والقضاء على العزلة والتخلف التي عاشها اليمن خلال فترة الدراسة.

1- أسباب تدهور الوضع الصحي في تهامة :

لقد عانى اليمن ومنها تهامة في ظل النظام الإمامي تدهوراً في الخدمات الصحية، ويرجع ذلك لأسباب عدة منها :

أ- انعدام الرعاية والاهتمام بالمجال الصحي من قبل السلطة، وذلك من خلال عدم توفر الأدوية لكل المرضى، واحتكار هذه الأدوية من قبل فئة معينة للمتاجرة بها.

ب- انعدام وسائل الوقاية من الأمراض المُعدية، وعدم مكافحة كل ما يؤدي إلى انتشار الأمراض من بعوض وغيره، فضلاً عن تلوث المياه [1] .

ج- التخلف وضعف الوعي الصحي، والإيمان بالمعالجات المعتمدة على آليات فكرية متخلفة كالسحر، والشعوذة.

2- المشافي والمراكز الصحية:

أما عن عدد المشافي في عهد الإمام يحي، فقد بلغت ثلاث مستشفيات في طول البلاد وعرضها، موزعة على ثلاث مدن رئيسية، وهي صنعاء وتعز والحديدة، بحيث أن هذه المستشفيات كانت تفتقر لأبسط مقومات الحياة الصحية، وكان عدد الأطباء فيها ضئيل جداً بالنسبة لعدد السكان، حيث تشير بعض المصادر، بأن عددهم وصل إلى خمسة عشر طبيباً حتى عام 1949، ولا يوجد من بينهم طبيب يمني واحد[2] .

---

1 - العز عزي، اليمن من الإمامة إلى الجمهورية، مرجع سابق، ص91.

2 - العطار، مرجع سابق، ص 145- 148.

وبتسلم الإمام أحمد الحكم بعد أبيه ، تّم تأسيس بعض المراكز الصحية في كل من لواء حجة وذمار فضلاً عن مركزين في تعز، كما قام باستقدام عدد من الأطباء العرب والأجانب، وفيما يلي توضيح بعدد هذه المستشفيات والأطباء في اليمن ومنها تهامة حتى قيام ثورة سبتمبر/أيلول 1962 .

جدول يوضح عدد المستشفيات والأطباء لكل ألوية اليمن لعام 1962[1]

اسم المدينة	عدد المستشفيات	عدد الأسِرة	عدد الأطباء
صنعاء	1	700 سريراً	9
تعز	3	885	21
الحديدة (تهامة)	1	450	10
حجة	1	50	1
إب	1	50	1
ذمار	1	150	1
الإجمالي	8	2285	43

ومن خلال الجدول يتضح المستوى المتدني للأوضاع الصحية في اليمن خلال فترة الدراسة، حيث أن عدد لمستشفيات قليل جداً بالموازنة بينها وبين عدد السكان، والذين كانوا يقدرون بنحو خمسة ملايين نسمة، حيث أنه ووفقاً لهذه الأرقام فإن لكل 116,279 نسمة من السكان طبيباً واحداً ، ولكل 2188مواطن سريراً واحداً ، كما أن هذه المستشفيات والمراكز الصحية كانت مقتصرة على مراكز الألوية فقط، أما القرى والمراكز الثانوية فكانت تنعدم فيها الخدمات الصحية.

لقد كانت هذه المشافي تعيش في حالة من الازدراء والوضع المتردي، فالأدوية لم تكن متوافرة في صيدليات المشافي، باستثناء النزر اليسير، وكانت الأدوية وبعض الأجهزة الطبية لدى الإمام في مخازنه، ولا تصرف من المخازن إلاّ بموافقته، ومما يذكر أن مرض الجدري أنتشر في إحدى السنوات بين السكان، وكان العلاج الخاص به في مخازن الإمام ولم يعمل على إخراجه[2] .

1 – العزعزي، مرجع سابق ، ص 92 . ؛ العطار، مرجع سابق، ص 146– 149.

2 – معمر، عبدالله : الطب الشعبي والتطور الاجتماعي في اليمن ((دراسة لعلاقة البناء الاجتماعي بطرق العلاج))، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1 ، 1999 ، ص 124 .

فضلاً عن ذلك لم تكن الأدوية متوافرة بشكل كبير في الأسواق، وإذا وجدت فإن الفقر لا يُمكّن جميع المرضى من شرائها : ((فلا يكاد يقدر على شراء العلاج إلاّ خمسة من كل عشرين مريضاً، وهؤلاء الخمسة لن يستطيعوا شراء العلاج مرة ثانية، ولم يجدوا من يشرف عليهم)) [1].

ولبيان الحالة الصحية داخل هذه المشافي خلال فترة الدراسة، وبالتحديد في أوائل الخمسينات، تذكر الطبيبة الروسية كلودي فايان عند زيارتها لمشفى تعز عام 1950 –1951 هذه الحالة ما نصه : ((فوجدت منظراً مذهلاً ومفزعاً، رائحة كريهة، الأسِرة عبارة عن قوائم شُدّت عليها الحبال، وليس عليها أغطية، ... أجسام هزيلة شبه عارية،... كثيرون منهم مشرفون على الموت، ... لقد رأيت عشر حجرات للرجال على هذا المنوال، لقد كنت أشعر أنني تحت كابوس لعين، ... ولم يدلني أحد على الجناح المخصص للنساء، حتى عثرت عليه، حجرات منخفضة لا نوافذ لها، زرائب بكل معنى الكلمة، تنام فيها النساء الواحدة بجوار الأخرى على أرض قذرة، ومع الكثير منهن أطفالهن؛ وقد يُخّيل للإنسان أنه يستطيع أن يتصور فظاعة وشناعة كهذه، ولكن مشاهدة هؤلاء النسوة في هذه الزرائب أكثر سوءاً من كل ما قد يخطر على البال، ... ورأيت بأم عيني امرأة تحتضر (أي على وشك الموت)، وهي راقدة فوق برازها، رأيتها تنهض وتستند على كوعها وتناولني طفلها المبلل والمغبر اللون، وهي في النفس الأخير تتضرع وتتوسل)) [2] . كما تصف مشفى صنعاء بقولها بأن: ((المرضى ينتظرون إجراء العمليات الجراحية لكن دون جدوى)) [3].

ويُعد مشفى الحديدة الذي كان يسمى بالمشفى الأحمدي هو الوحيد في تهامة خلال فترة الدراسة، وكان في وضع أسوأ عمّا كان عليه مشفى تعز وصنعاء من حيث تجهيزاته السيئة، وقلة إمكانياته، وكان به خمسه أطباء ثلاثة روس، وواحد من إيطاليا، وآخر من سوريا[4] .

وفي نهاية الخمسينات وصل عدد الأطباء فيه إلى عشرة أطباء، لا يوجد من بينهم طبيب يمني واحد[5]. كانت خدمات هذا المشفى قاصرةً على سكان مدينة الحديدة، وبعض الفلاحين القاطنين بضواحي المدينة، أما في القرى والمراكز الأخرى فكان لا يوجد بها مراكز صحية، وهو ما جعل

---

1 – فايان،كنت طبيبة في اليمن، مرجع سابق، ص 156 .

2 – فايان، كنت طبيبة في اليمن، مرجع سابق، ص 49– 50 .

3 – المرجع نفسه، ص 97 .

4 – مقابلة شخصية مع الطبيب/ محمد عثمان حشابره في مشفى العلفي بالحديدة، بتاريخ 2009/5/20م .

5 – العطار، مرجع سابق، ص 146.

الكثير من السكان يعتمدون في علاجهم على الطب الشعبي التقليدي، مثل الكي بالنار، والحجامة، والتداوي بالأعشاب، والذي كان منتشراً بكثرة، وبخاصة في أوساط الفئات غير القادرة على الوصول إلى مشفى الحديدة، إما لصعوبة المواصلات، أو لعدم قدرتها المالية، وكذا التطبيب بالشعوذة [1] .

وبسبب موقع تهامة الساحلي، ونمط الحياة التي كان يعيشها المجتمع التهامي، من حيث سوء المسكن، وضيق مساحته، والذي كان عبارة عن كوخ دائري (عشة)، أوحجرة واحدة في المدينة، فضلاً عن مياه الشرب الملوثة وغير النقية، والتي كان مصدرها الآبار أو السيول، والينابيع، كل ذلك أدى إلى تردي الوضع الصحي في المنطقة، وانتشار الأمراض والأوبئة الاستوائية، كحمى المستنقعات، والزحارالأميبي، وتصف الطبيبة الروسية فايان هذه الحالة أثناء مرورها بإحدى قرى تهامة حيث تقول ما نصه : ((وجدت نساءاً وأطفالاً، ذوقامات قصيرة، منتفخة بطونهم، وأعضاؤهم ليست إلاّ هيكلاً عظمياً، وحمى الملاريا بادية على وجوههم)) [2] .

ونتيجة لذلك الوضع الصحي المتردي، وعدم توفر الرعاية الصحية من قبل السلطة، تفشت الأمراض، وانتشرت بين الناس بسرعة فائقة، وفتكت بالكثير منهم، وكانت النساء أكثر معاناة من هذه الأمراض، وخاصة في قرى وأرياف تهامة، وذلك لما كانت تقوم به المرأة في الريف من أعمال شاقة، تعرضها للكثير من الأمراض والعاهات، نتيجة لسوء التغذية وتدني مستوى المعيشة، وغياب الوعي الثقافي والصحي لديهم [3] .

فمن أهم الأمراض التي كانت منتشرة بين سكان تهامة، وخاصة في الأوساط الفقيرة، السل الرئوي الذي كان يتخذ شكل الوباء، حيث قدرت الإصابة به نحو 50% في عموم اليمن ومنها تهامة [4]، والأمراض التناسلية حيث وصل المصابون بها من 50 – 80% [5] .

كما انتشرت الأمراض الجلدية وكان أخطرها مرض الجدري والجذام، الذي انتشر بنسبة 2–3% بين السكان[1]، ومرض داء الفيل والبرص والجرب [2] . كما انتشرت أمراض الكلى والكساح، وأمراض العيون (الرمد)، والذي عانى من الإصابة منه ما يقارب من 80–90% من السكان[3].

---

1 – المرجع نفسه، ص 146– 147 .

2 – فايان ،كنت طبيبة في اليمن، مرجع سابق، ص 66 .

3 – الصياد ، أحمد : المرأة اليمنية وتحديات العصر، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط1، 1995، ص36 .

4 – جوهر، اليمن، مرجع سابق، ص 103.

5 – العطار، مرجع سابق، ص 149.

كما انتشرت في تهامة بعض الأمراض التي تتخذ شكل الوباء، كحمى المستنقعات، والزحارالأميبي، والتيفوئيد، والملاريا، والبلهارسيا، والكوليرا [4] .

وعانت المرأة التهامية فضلاً عن هذه الأمراض، من مرض النزيف وخاصة عند الولادة، مما كان يؤدي بالكثير منهن إلى الوفاة ، كما تُعد أمراض سوء التغذية من أهم المشاكل الأساسية التي عانى منها سكان تهامة، وخاصة النساء الحوامل والأطفال، وذلك نتيجة لحالة الفقر السائدة عند أغلبية السكان، حيث يؤدي سوء التغذية إلى فقر الدم (الأنيميا)، والذي كان يشكل خطورة كبيرة على صحة الأطفال والنساء، ويعرضهما للإصابة بالكثير من الأمراض، أهمها أمراض لين العظام عند الأطفال، ونخر الأسنان، والكساح، والقرحة الاستوائية، واختلال جهاز الهضم. فضلاً أن سوء التغذية من العوامل الرئيسة في انتشار أمراض السل، وبعض الأمراض المُعدية، كما كان يُعد من الأسباب الرئيسة في ارتفاع نسبة الوفيات، وخاصة عند الأطفال دون سن الخامسة من العمر [5] .

حيث تشير الطبيبة الروسية فايان أن نسبة الوفيات بين الأطفال خلال فترة الدراسة في سنتهم الأولى كان يصل مابين 40– 50%[6] .

وبناءً على تقرير منظمة اليونيسيف، يورد أحد الباحثين جدول بيانات تبين نسبة الوفيات من الأطفال دون السنة، خلال الخمسينات من القرن العشرين في اليمن ومنها تهامة .

جدول يوضح نسبة الوفيات العام، ووفيات الأطفال دون السنة خلال الخمسينات [7].

السنة	نسبة الوفيات العام لكل ألف	نسبة وفيات الأطفال الأقل من سنة لكل ألف
1950	16,4	158,2
1951	15,1	157
1952	10,9	139,8
1955	12,7	159,1

1 – العزعزي، اليمن من الإمامة إلى الجمهورية، مرجع سابق ، ص 91 .

2 – داء الفيل: هو عبارة عن انتفاخ وتقرحات تصيب القدمين بصورة غير طبيعية، أما البرص فهو مرض جلدي عبارة عن بقع بيضاء تصيب الجسد لعلة في صاحبه.

3 – جوهر، مرجع سابق، ص 103. ؛ العزعزي، مرجع سابق، ص 91 .

4 – العطار، مرجع سابق، ص 149.

5 – العطار، مرجع سابق، ص138– 139.

6 – فايان، مرجع سابق، ص 227 .

7 – العطار، مرجع سابق، ص 68.

151	13,4	1956
140,3	14	1957
137,7	12,4	1958

فعند النظر إلى الجدول السابق، نجد أن نسبة الوفيات تنخفض من سنة إلى أخرى، حيث انخفضت نسبة الوفيات العامة من 16,4 لكل ألف عام 1950 إلى 12,4 عام 1958، كما انخفضت نسبة وفيات الأطفال من 158,2 لكل ألف في عام 1950 إلى 137,7 عام 1958. ولعل ذلك راجع كما يبدو إلى تحسن في وسائل مكافحة الأوبئة، والأمراض المُعدية، وحدوث نوع من الاهتمام في المجال الصحي كما سبق أن أشرنا.

3- أساليب وطرق العلاج التقليدي في تهامة:

وإزاء هذه الأمراض التي كانت تصيب أغلب السكان في تهامة، والبلاد تعاني من قلة المشافي والأدوية الحديثة، ووسائل التشخيص، وخاصة في القرى والمراكز الريفية ، فضلاً عن الجهل الذي كان يخيم على عقول أغلب الناس، هذه الأغلبية لجأت لمداواة مرضاها بالعلاج التقليدي الشعبي، والذي كان على نوعين هما :

أ- العلاج بالأعشاب والكي والحجامة:

يُعد هذا الأسلوب من العلاج مقبول نوعاً ما لدى أغلب الأفراد، ويعتمد على استخدام النباتات الطبيعية الطبية، لعلاج بعض الأمراض، فمن النباتات الطبية التي كانت توصف لعلاج بعض الأمراض، أوراق شجرة السنى، التي كانت توصف لمرضى الإمساك، وذلك بعد تجفيفها وغليها بالماء، وشرب ماءها بعد تبريده، كما توصف أوراق شجرة المريمرة للتخلص من الصداع ووجع الرأس،كما استخدمت نباتات الشمار، والسدر، والأراك، والبكى، والقُطبى، للعديد من الأمراض مثل أمراض الكلى، والمثانة، وآلام المعدة ، والجروح كما استخدمت الحجامة كعلاج تقليدي للمصابين بالآم الظهر، والآم الرأس الدائم [1].

وفي حالة كسور ورضوض العظام، كان الطبيب الشعبي يستخدم التجبير لعلاج هذه الكسور وتقويمها ، كما يستخدم أوراق شجر العُلى، أوقصب الخيزران لربط الكسر، ويأمر المريض بشرب مادة الحلف بعد مزجها بالماء وشرب صفار البيض[2] .

1 - شوين، أرمن: الطب التقليدي في الجمهورية العربية اليمنية، تر/ أحمد الصائدي، مجلة دراسات يمنية، ع (13)، سبتمبر/أيلول 1983، ص 218- 220.؛ طاهر، علوي: الطب الشعبي في اليمن، مرجع سابق، ص 593- 594.

2 - معمر، الطب الشعبي والتطور الاجتماعي في اليمن، مرجع سابق، ص 144.

أما العلاج بالكي والذي يسمى (بالميسام)، فكان يُمارس بشكل واسع للتخلص من أمرض عدة : كالتخلص من مس الجن والشياطين، كما كان يستخدم عند الخوف المفاجئ للشخص (الفجعة)، والتي تؤدي إلى حالة خلل عام في الجسم، ينبغي تصحيحها بصدمة مضادة للتخلص من المرض، ويتم الكي لها وسط الرأس، أو نهايته أعلى الرقبة، كما كان يتم الكي في البطن لحالات الإسهال، وفي الكتفين من الخلف للبواسير، ولتورم الخصيتين يتم الكي لها في أصبع القدم الصغيرة[1] .

ب- الأسلوب التقليدي الغيبي:

وهو أسلوب يعتمد أغلبه في تفسير المرض وعلاجه على الخرافة والأسطورة، المتمثلة بالقوى الغيبية كالجن والشياطين، ومما ساعد على انتشار هذا الأسلوب التقليدي بين الناس خلال فترة الدراسة، هو انتشار الجهل بين أفراد المجتمع، والعزلة الداخلية والخارجية التي كانت تعيشها البلاد، مما أدى إلى عدم وجود وعي اجتماعي، فضلاً عن انتشار الأمراض، وعدم وجود أسلوب علاج حديث متوفر بشكل كبير، مما جعل أغلب الأفراد يبحثون في الطبيعة عن وسائل شفاء لأي مرض يصيبهم، كما كان للسلطة الحاكمة وأتباعها دور في نشر هذه الأفكار بين الناس، وذلك خدمة لمصالحها، حيث ساهمت الإمامة في ذلك من خلال إطلاق الإمام يحي ومن بعده الإمام أحمد بعض الإشاعات التي توهم الناس بأنهم يسيطرون على الجن، وإن الإمام يحكم من الجن كما يحكم من الإنس، حتى أصبح المواطن اليمني خلال فترة الدراسة مطارداً بشبح الإمام [2] .

وفيما يلي أبرز الأساليب العلاجية التقليدية لهذا النوع التي كانت تمارس في تهامة:

1- العلاج بالزار[3] :

يُعد الزار إحدى الوسائل الشعبية التقليدية لعلاج نوع من الأمراض ولاسيما النفسي والعصبي منها، وبصرف النظر عن النتائج التي يأتي بها الزار، وأساسها الخرافي، فهناك أمر لاشك فيه،

---

1 - المرجع نفسه، ص 146 .

2 - قاسم، غالب وآخرون : ابن الأمير وعصره، صورة من كفاح الشعب اليمني، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ، ط2، 1983، ص49 .

3 - الزار هو : أسلوب يستخدمه السحرة والمشعوذون، لمعالجة المرضى المصابون بمس شيطاني، حيث يستخدم المشعوذ لعلاج المريض الطبول والمزامير، وعند سماع المريض دقات الطبول ينهض مع المشعوذ لأداء رقصات سريعة، حتى يسقط على الأرض مغشياً عليه، عندها يقوم المشعوذ بالتحكيم واسترضاء الزار(الشيطان) الساكن في جسد المريض بطلبات يطلق عليها بالفدية، مقابل خروجه من جسد المريض .

هو أن هذا التقليد مرتبط بطريقة خاصة، حيث تستخدم فيه دقات طبول سريعة، وذلك في جلسة تسمى بجلسة الزار، وما إن يسمع المريض دقات الطبول حتى ينهض للرقص، حيث يستمر في الرقص إلى درجة الإغماء عليه والسقوط على الأرض، وبوقوعه على الأرض يقوم شيخ الزار بعلاج المريض، بالتحكيم واسترضاء الزار عن طريق التحاور معه وتلبية طلباته[1]، وبعد الاتفاق على المطلوب يخرج الزار من المريض متعهداً للشيخ بعدم عودته ثانية إلى جسد المريض[2] .

2- العلاج بالسحر :

يعد العلاج بالسحر من الأساليب التقليدية التي كانت تستخدم لعلاج الأمراض الناجمة عن عمل سحري من قبل شخص آخر، قصد به إحداث مكروه للمريض، وغالباً ما تكون هذه الحالات التي يتعامل معها الساحر، حالات تتعلق بقضايا الزواج، والحب بين الجنسين، أو كحالة الضعف الجنسي لدى بعض الأفراد، من الذين يعتقدون بأنها نتيجة عمل سحري، حيث يقوم المصاب بهذه الحالات بالذهاب إلى أحد السحرة، لفك السحر وإبطال مفعوله، ويقوم المعالج بهذه الوسيلة بإعطاء المصاب تميمة يكتب فيها طلاسم غير مفهومة، وأشكال خاصة تُربط على ساعده الأيمن، أو بالقراءة عليه لفك سحره .

3- العلاج بالمحو:

أسلوب تقليدي يقوم فيه المعالج بإعطاء المريض من مس شيطاني ورقة يكتب فيها كلام غير مفهوم، وأشكال خاصة حيث يأمر المريض بمحو هذه الكتابة في قليل من الماء، ثم شربها. وهذا الأسلوب كان منتشراً بشكل كبير في تهامة ، ولازال يمارس حتى وقتنا الحالي.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن الوضع الصحي في اليمن ومنها تهامة، كان يعاني من تدني في الخدمات الصحية، وقلة الإمكانيات وعدم وجود كادر يمني مؤهل في هذا المجال، فضلاً عن قلة المشافي، وكان نتيجة ذلك انتشار الأمراض، وارتفاع معدل الوفيات، وبخاصة عند الأطفال الرضع، وهو ما دفع أغلب السكان بالاتجاه نحو الأساليب العلاجية التقليدية المشار إليها فيما سبق.

---

1 - من أهم طلبات الزار الفدية التي يطلبها من المريض، وهي عبارة عن رأس من الغنم، يحدد الشيخ لونها، وكيفية ذبحها، كما يطلب بعض مشايخ الزار من المريض خاتما من الفضة، أو مبلغ من المال، كما يطلب من المريض الاحتماء (أي الحمية عن بعض المأكولات، وعدم الظهور على الناس لمدة معينة، غالباً ما تكون أربعين يوماً).أنظر: معمر: الطب الشعبي والتطور الاجتماعي في اليمن، مرجع سابق، ص 142- 143.

2 - المرجع نفسه، ص143.

الخـــاتمـــة :

من خلال دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تهامة مابين 1918 – 1962، ومن خلال تتبع دقائق هذا الموضوع الذي مازلنا نعايشه، فقد توصلنا إلى عدد من النتائج التي يمكن إبرازها في الآتي:

1- أن موقع تهامة الجغرافي على الشريط الساحلي للبحر الأحمر، وقربها من الساحل الشرقي الإفريقي، جعلها مدخلاً لأجناس كثيرة ومتنوعة، مما أثّر على تركيبة بنيتها الاقتصادية والاجتماعية، وعادات وتقاليد سكانها الأصلاء وقد لعب هذا العامل دوراً إيجابياً ومهماً في التاريخ الحضاري، حيث شهد اليمن ومنها تهامة أهم حضارات العالم، واستطاع أن يتواصل مع مشرق بلدان الوطن العربي ومغربه، إلى جانب انفتاحه على العالم الخارجي الآسيوي والإفريقي من جهة البحر الأحمر، إذ أنّ باب المندب بوابة بحرية لوصل قارات العالم، ولو قُيّض لليمن ظروف سياسية واقتصادية ملائمة لأعاد أمجاد حضارته العربية السمات .

2- أهمية منطقة تهامة زراعياً، نظراً لخصوبة تربتها، ومساحة أراضيها الواسعة، وكثرة أوديتها التي شكلت عامل جذب للاستقرار السكاني، الأمر الذي ساعد على وفرة إنتاجها الزراعي والحيواني، وتنوع محاصيلها الزراعية المتمثلة بالقطن، والذرة بأنواعها والسمسم والبطيخ والمانجو والموز والعديد من الخضروات .

3- ساد الواقع الاقتصادي في تهامة خلال فترة الدراسة النظام الإقطاعي(وإن تخلله بعض الاستثمارات الرأسمالية، من خلال الدور الأجنبي في البلاد ومصالحه). لكن اللافت أن الفلاحين لم يكونوا عبيداً للأرض وصاحبها، بحكم نظام القبيلة، وعلاقات القربى التي تحكمها، بل اعتمدت مبدأ المشاركة في المحصول أو الإجارة. إلى جانب تأثير الأعراف والتقاليد التي مازالوا يحافظون عليها إلى اليوم.

4- وجود ثلاثة أشكال للملكية الزراعية في تهامة، وهي الملكية الخاصة، وملكية الأوقاف، وأملاك الدولة، وشكّلت الملكية الخاصة القسم الأكبر بين الملكيات الأخرى، حيث تراوحت مساحتها مابين 50 – 54 % من أجمالي الأراضي الزراعية في تهامة.

5- إن الملكية في تهامة بأشكالها كافة ساهمت في تحديد مكانة الأفراد في المجتمع، مما ساهم في بروز الترتيب الفئوي بين المجتمع، وذلك أن مكانة الفرد في المجتمع كانت تتحدد بما يملكه من أراضي زراعية.

6- ظلت وسائل وأدوات الإنتاج في تهامة خلال فترة الدراسة تقليدية ومتخلفة، قياساً ببقية بلدان الوطن العربي حينذاك، وتمثل ذلك في الجمود شبه التام للقوى المنتجة، التي لم تكن تعرف سوى بعض الأدوات الإنتاجية التقليدية، كالمحراث، والمنجل، والعمل اليدوي، وغيرها من وسائل الإنتاج، مما نتج عنه قلة الإنتاج الزراعي، الذي كان يستهلك محلياً، حيث لم يحدث أي فائض اقتصادي يؤدي بدوره إلى حراك في التركيب الاجتماعي، حيث ظل المجتمع بتركيبته التقليدية حتى قيام ثورة سبتمبر/ أيلول 1962 .

7- كانت الضرائب سواء الزراعية أو الحيوانية، أو ضرائب السلع التجارية، المصدر الرئيس الذي يرفد خزينة الدولة بالأموال النقدية والعينية، ولذا شدّدت السلطة في تحصيلها من المزارعين، مستخدمة في ذلك طرقاً عدة لتقديرها وجبايتها، مما ألحق أضراراً قاسية بالفلاحين في تهامة، وقد أجبر بعضهم نتيجة هذه السياسة الضرائبية إلى الهجرة تاركين أراضيهم، مما نتج عنه تقلص الأراضي الزراعية، وقلة الإنتاج الزراعي .

8- سادت الصناعات التقليدية (الحرفية) في تهامة، القائمة على تلبية الحاجات المحلية، والمعتمدة على الموارد المحلية أيضاً، وتمثلت بصناعة المنسوجات، والصباغة، والصناعات الفخارية، والصناعات الجلدية، والخشبية، وصناعة استخراج زيت السمسم، وصناعة الحصير، وصناعة مواد وأدوات البناء. أما الصناعات الحديثة فكانت نادرة عدا معملان صغيران لحلج القطن في مدينة الحديدة، التي نتجت من استثمارات رؤوس أموال أجنبية.

9- تميزت التجارة في تهامة خلال فترة الدراسة بضيق أفقها، نتيجة عوامل وأسباب عدة منها : انعدام وسائل المواصلات الحديثة، وقلة الطرق المعبدة، وانعدام المؤسسات المالية والمصرفية، وهيمنة الأسرة الحاكمة وكبار التجار على التجارة الداخلية والخارجية، فضلاً عن العوامل الاجتماعية المتمثلة بالنظام القبلي، والاكتفاء الذاتي للمناطق، وقوانين الضرائب الباهظة.

10- أبرزت الدراسة أنواع السلع التجارية الصادرة من تهامة، والتي كانت عبارة عن صادرات زراعية وحيوانية، مما يعكس الاقتصاد البدائي المتداول بالمبادلة السلعية، وعدم وجود نقد خاص بالبلاد للتداول .

11- تميز إقليم تهامة بطول شريطه الساحلي على البحر الأحمر، مما جعله يشرف على عدد من موانئ اليمن الرئيسية، التي أعطت للمنطقة أهمية كبيرة، وأثرت على النشاط التجاري، من حيث التبادل التجاري مع البلدان المجاورة، أو من خلال التجارة الداخلية عبر الأسواق الأسبوعية الدائمة، التي انتشرت في أغلب مناطق تهامة، ومثّلت مراكز تجارية أسهمت في عملية التبادل التجاري لبعض المنتجات المحلية، والبضائع المستوردة وهو ما جعل لسكان هذا الإقليم نصيباً في التجارة منذ فترة مبكرة، حيث راجت تجارة البن منذ أواخر القرن السادس عشر، وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، الذي كان يزرع في الهضبة الوسطى والمنحدرات المطلة على تهامة، وكانت تهامة ممراً لنقل هذه السلعة إلى موانئ اليمن لتصديرها، فازدهر لذلك ميناء المخا، الذي كان يُعد الميناء الرئيسي لتصدير البن آنذاك، كما انتعشت بفضل تجارة البن بعض المدن التهامية، كبيت الفقيه، واللُحية والحديدة، وزبيد .

12- اتسم المجتمع اليمني ومنه المجتمع التهامي بغلبة المكون القبلي، وتأثيره الفاعل في الحياة الاقتصادية والسياسية، حيث مثّلت القبيلة إلى حدٍ كبير ثقافة وهوية وأسلوب الحياة عبر التاريخ اليمني.

13- كان للعامل الاقتصادي والسلالي دوره في تحديد التركيبة الاجتماعية للمجتمع في تهامة، التي تكونت من فئة السادة، والقضاة، والملاك والشيوخ، والتجار والحرفيون وأرباب المهن، والعبيد والخدم .

14- إنّ صبغة المجتمع التقليدية أبقت فئة الخدم من أفقر الفئات في المجتمع التهامي، حيث أنهم ظلوا يعيشون على هامش المجتمع، ويرجع ذلك إلى ارتفاع نسبة البطالة بينهم، وارتفاع معدل الإعالة في أوساطهم، لدرجة لجوئهم إلى مزاولة مهنة التسول.

15- تميز المجتمع التهامي بعادات وتقاليد متنوعة في الزواج ومراسيمه، والولادة والختان وحفلاتهما، والمآتم وعاداتها، والأعياد والمناسبات الدينية، والأطعمة والأشربة، والأزياء، وهي في أغلبها متأثرة بما تركه الحكم العثماني في المنطقة الذي ظل ما يقارب من أربعة قرون، مما أوجد تشابهاً في هذه العادات بين مناطق الوطن العربي، فضلاً عن تأثير الهجرات الإفريقية إلى تهامة عبر البحر الأحمر .

16- إنّ مستوى التعليم في تهامة خلال فترة الدراسة كان متدنياً إلى حدٍ كبير، واقتصر في أغلبه على التعليم الديني المرتبط بالمساجد والمدارس الملحقة بالمساجد، والرُبُط والكتاتيب الذي كان في

أغلبه شبيهاً بموضوع التعليم في أغلب أقطار الوطن العربي، مع اختلاف بسيط يرجع إلى خصوصية المجتمع اليمني الذي يغلب عليه الطابع القبلي .

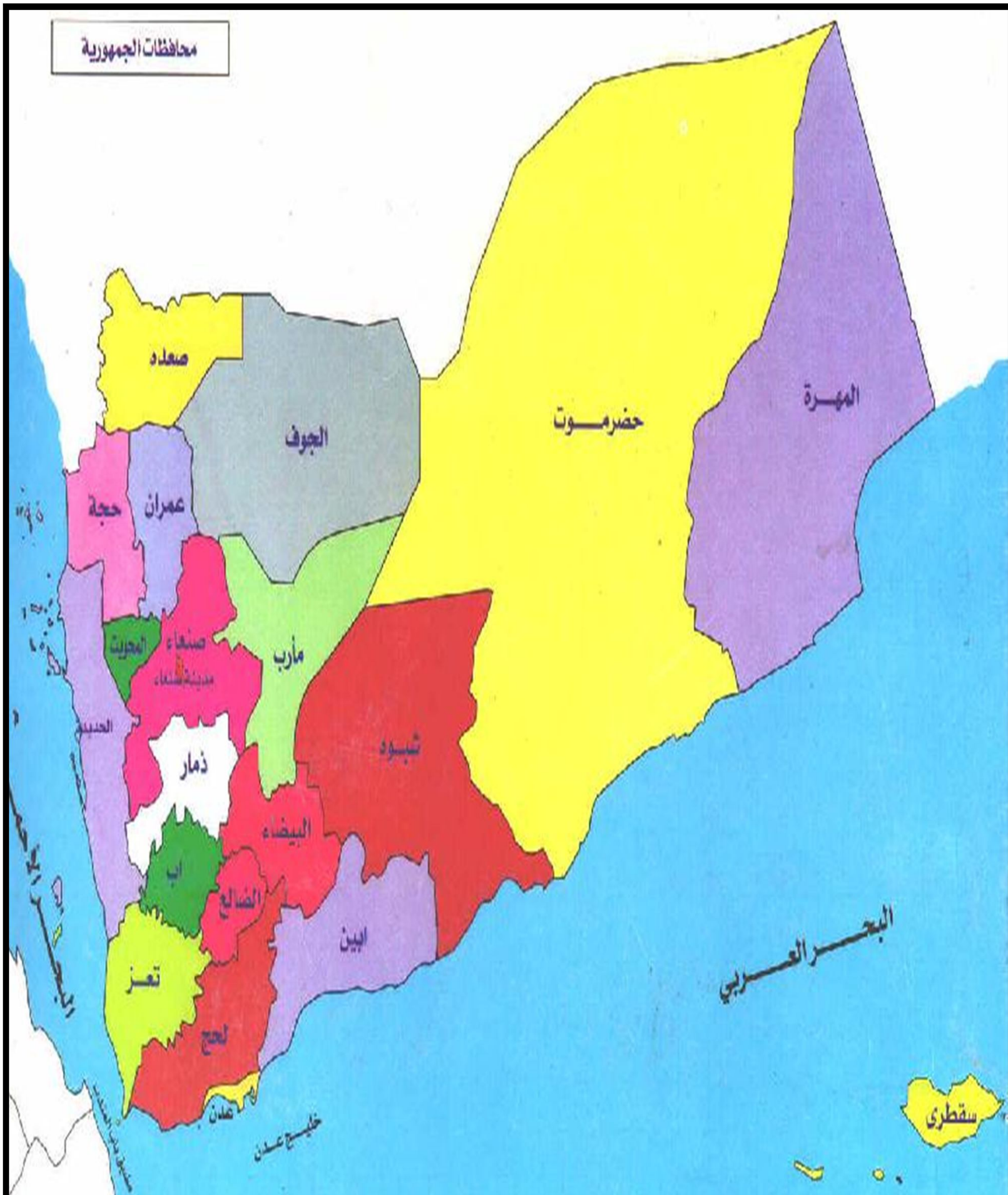
17- أدت العوامل السياسية، والاضطرابات التي مرت بها اليمن ومنها تهامة خلال فترة الدراسة، فضلاً عن سياسة السلطة التعليمية القائمة على مبدأ نشر الفكر الزيدي في أوساط الناس، دوراً مهماً في تكريس التعليم الديني، وغياب التعليم الحديث .

18- إنّ الوضع الصحي الذي كانت تعيشه منطقة تهامة خلال فترة الدراسة، والذي اتسم بالتخلف، ما هو إلاّ انعكاس للوضع الاقتصادي العام في اليمن، الذي تميز بعدم وجود فائض نقدي يمكّن الأفراد والسلطة من إقامة هياكل اقتصادية حديثة، تنعكس على جميع القطاعات الخدمية، ومنها الخدمات الصحية، فضلاً عن تدني مستوى دخل الفرد، وعدم القدرة على مواجهة متطلبات الرعاية الصحية، كما كان للبنية الاجتماعية، وظروف العزلة الداخلية والخارجية دوراً في تردي الحالة الصحية .

19- أن التخلف الاقتصادي والاجتماعي خلال الفترة الزمنية للدراسة لم يكن قاصراً على منطقة تهامة، بل كان سمة للمجتمع اليمني حينذاك.

قـائـمـة الـمـلاحـق :

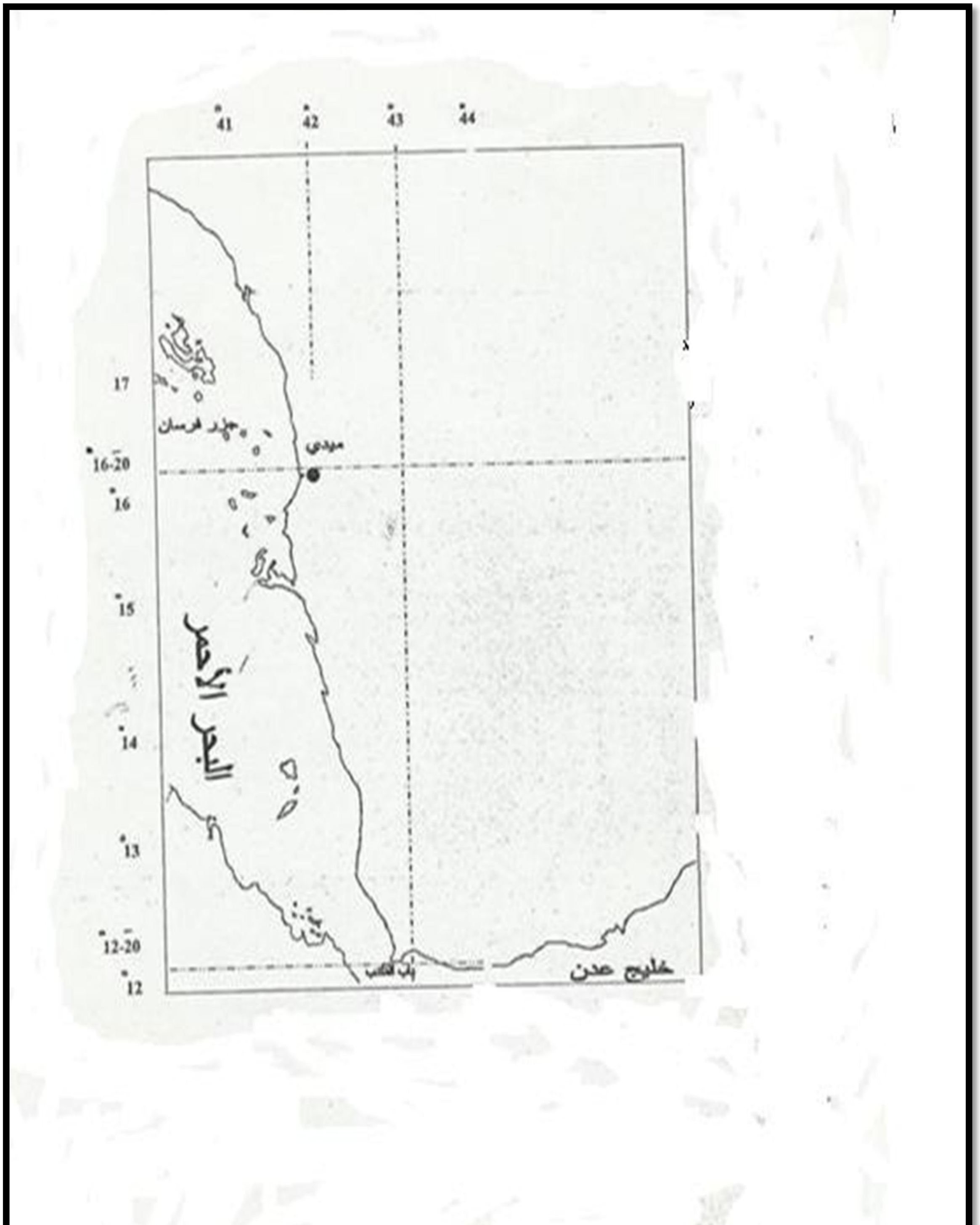
ملحق(1) خارطة توضح موقع اليمن وموقع تهامة منه .



المصدر: موقع الترويج السياحي اليمني.

Http:// www. Yementourism.com.

ملحق (2) خارطة توضح موقع تهامة فلكياً .



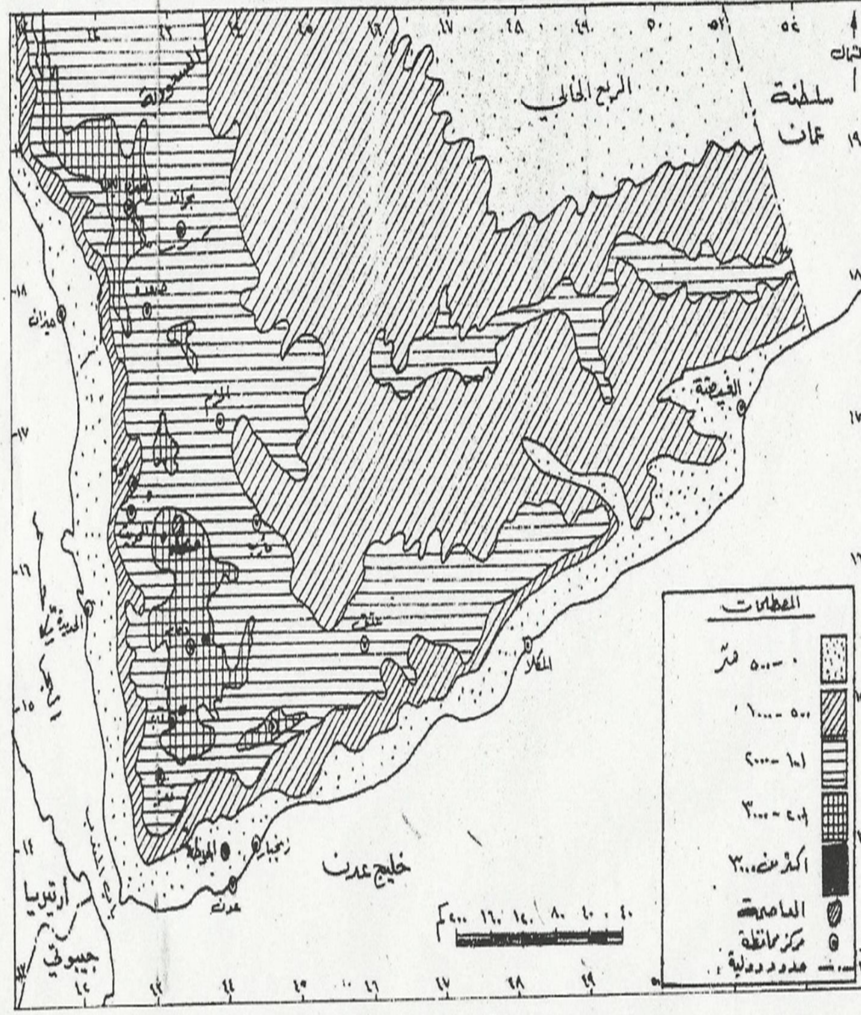
(عن : ونس ، أحمد عمر : 2008م ، شكل رقم (1) ، ص119).

ملحق (3) خارطة توضح موقع تهامة الجغرافي وحدودها الإدارية بالنسبة لليمن .



المصدر، موقع الترويج السياحي اليمني.
Http:// www. Yementourism.com.

ملحق (4) خارطة توضح تضاريس تهامة بالنسبة لتضاريس اليمن .



(عن العد يني ، مارش أحمد ، 2004م ، شكل (3))

ملحق (5) صورة توضح كيفية صناعة الأواني الفخارية في تهامة.



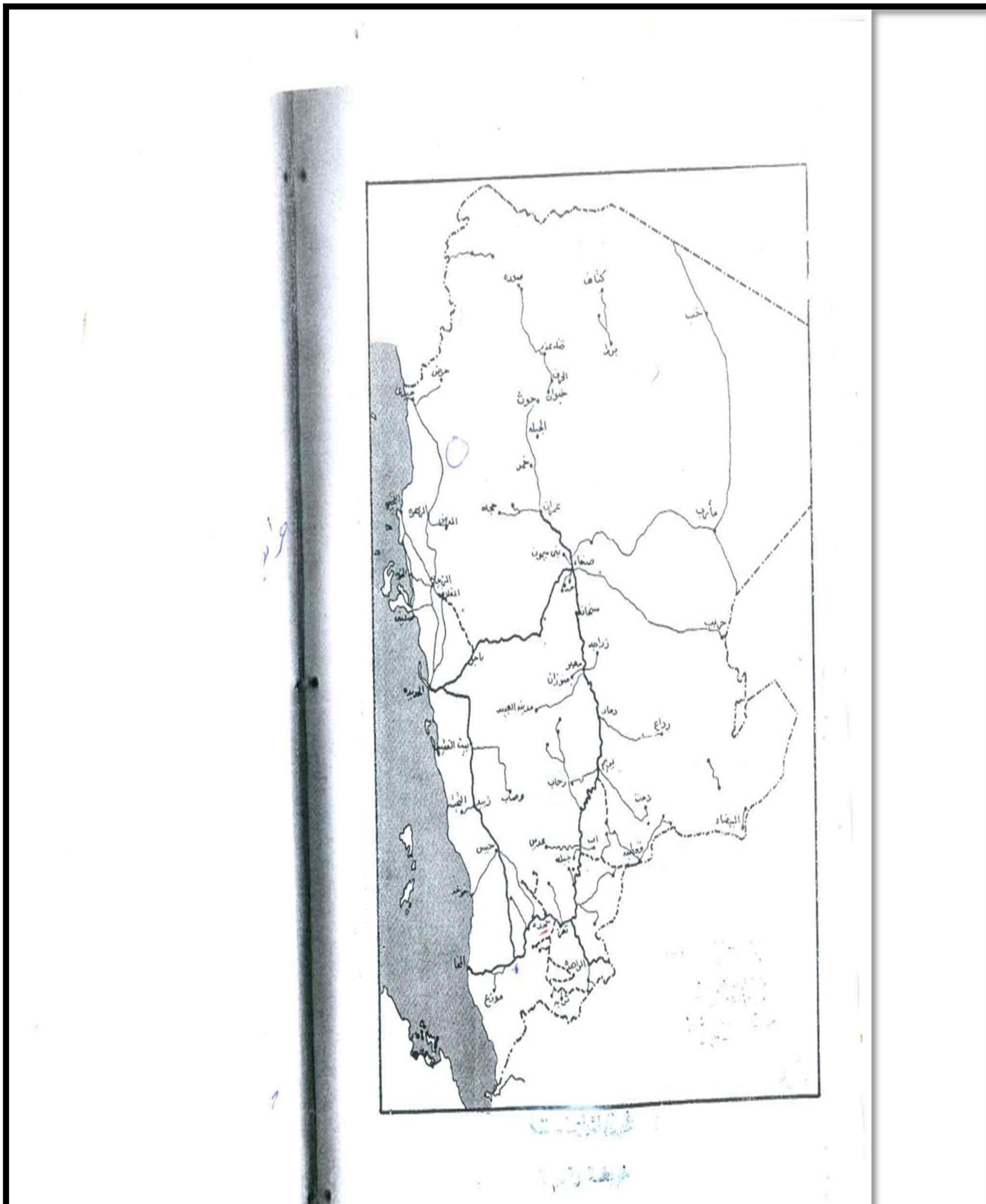
ملحق (6) صورة توضح شكل المحراق وتكويناته .



ملحق (7) صورة توضح كيفية صناعة الطوب الطيني (الآجر) الذي يستخدم في بناء البيوت في تهامة.



ملحق(8) خارطة توضح أهم الطرق البرية في تهامة .



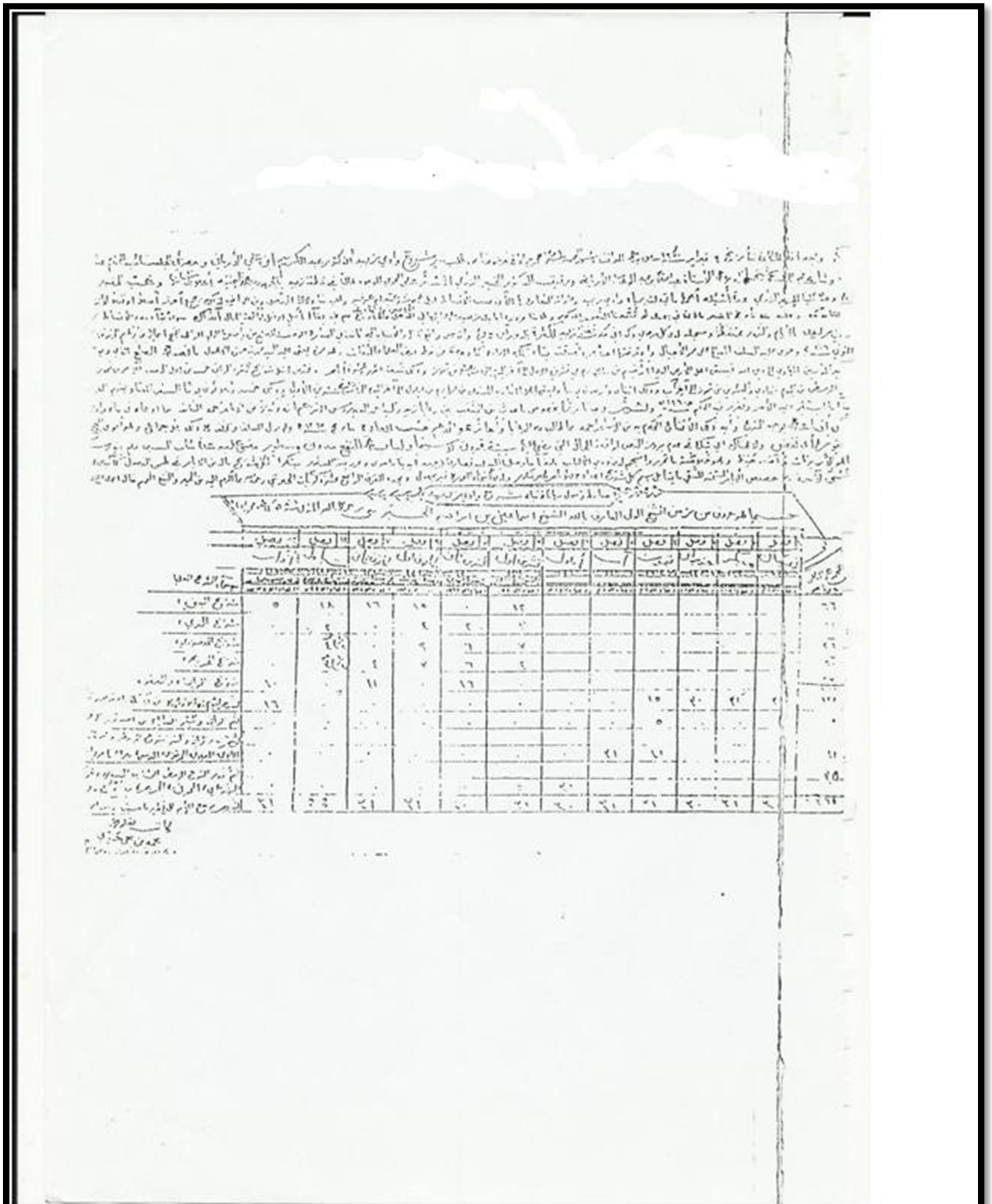
(عن جعفر، الدراسات الخاصة، شكل رقم (9)، ص 78)

ملحق(9) خارطة توضح مناطق توزيع القبائل في تهامة اليمن .



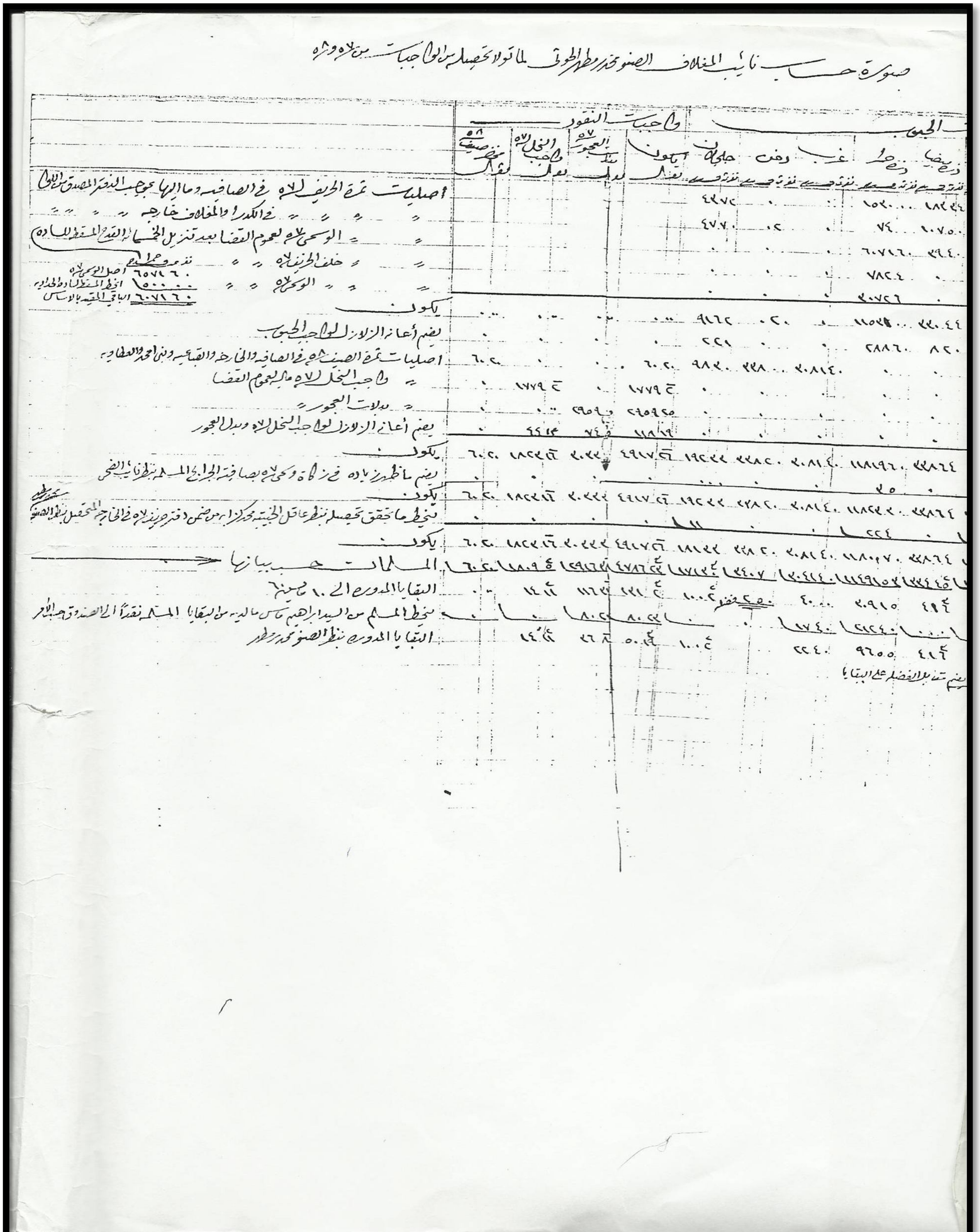
(عن جعفر، الدراسات الخاصة، شكل رقم (7)، ص64.)

ملحق (10) وثيقة توضح كيفية توزيع مياه السيول على الأراضي الزراعية في وادي زبيد.



(مكتبة الأشاعر، زبيد، محافظة الحديدة) .

ملحق (11) وثيقة توضح مقدار ضرائب منطقة المغلاف في تهامة من المحاصيل الزراعية ، لعام 1357/ 1938.


صورة حساب نائب المغلاف الصنو محمد مطهر الحوثي لما تولا تحصيله من الواجبات سنة ١٣٥٧ه

واجبات الحبوب

واجبات النقود

اصليات ثمرة الخريف في الصافيه وما اليها بموجب الدفتر المصدق

يكون

يضم أعانة الزلازل لواجب الحبوب

اصليات ثمرة الصيف في الصافيه والحارة والقباعيه وبني محمد والعطاوية

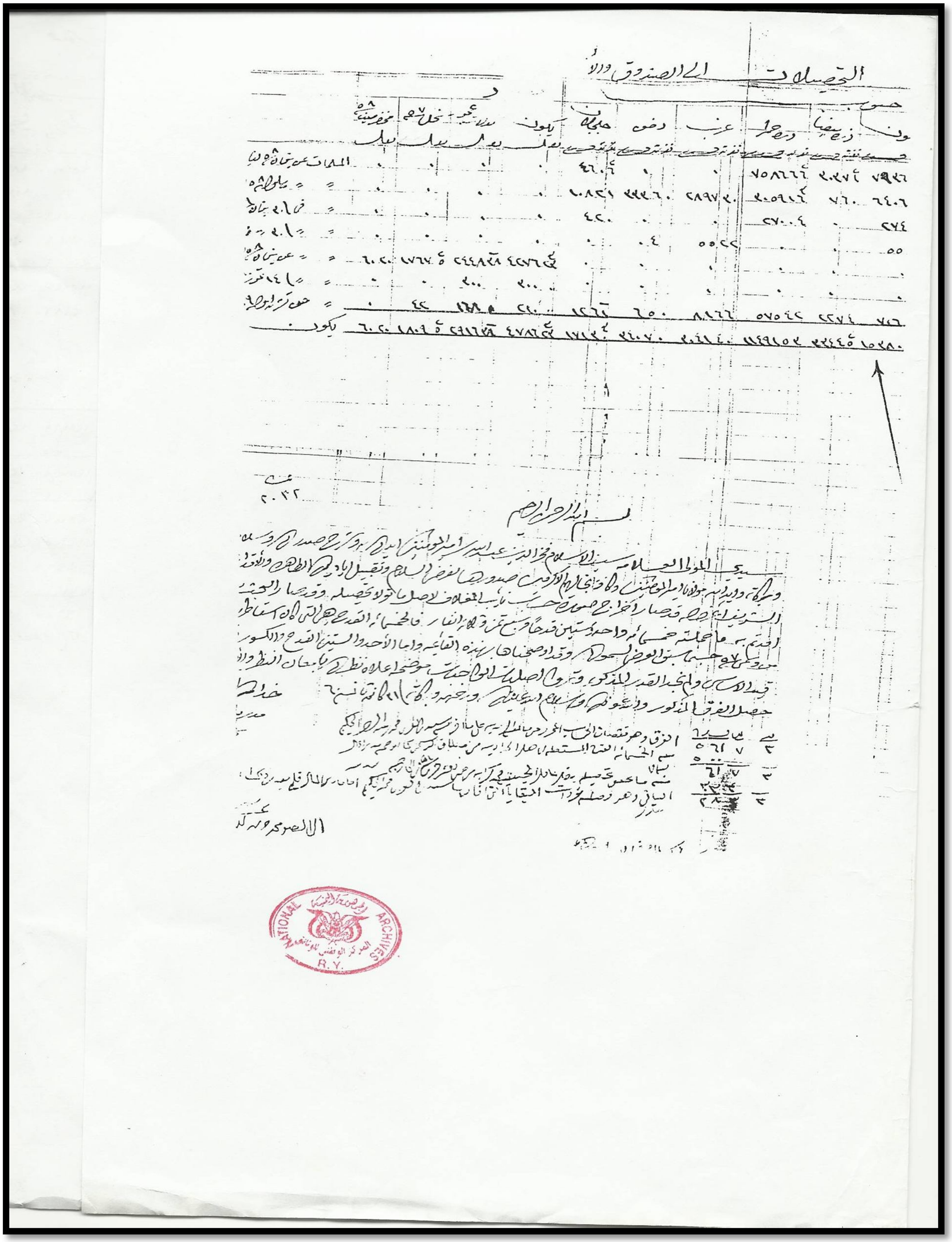
واجب النخل

يضم أعانة الزلازل لواجب النخل وبدل العجور

يكون

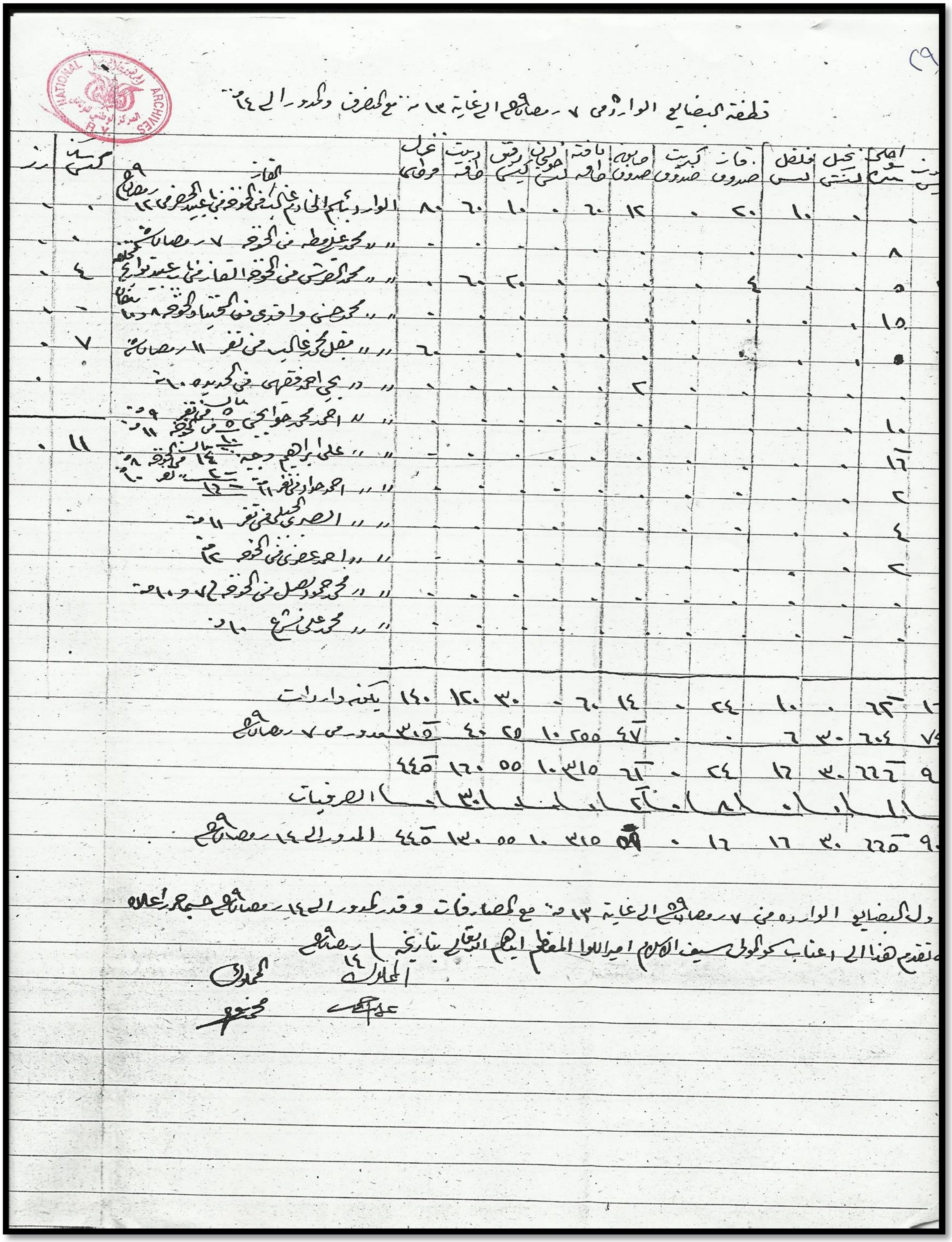
المركز الوطني للوثائق، صنعاء، محفظة(8).

تابع ملحق (11) لعام 1357/1938 .


التحصيلات الى الصندوق

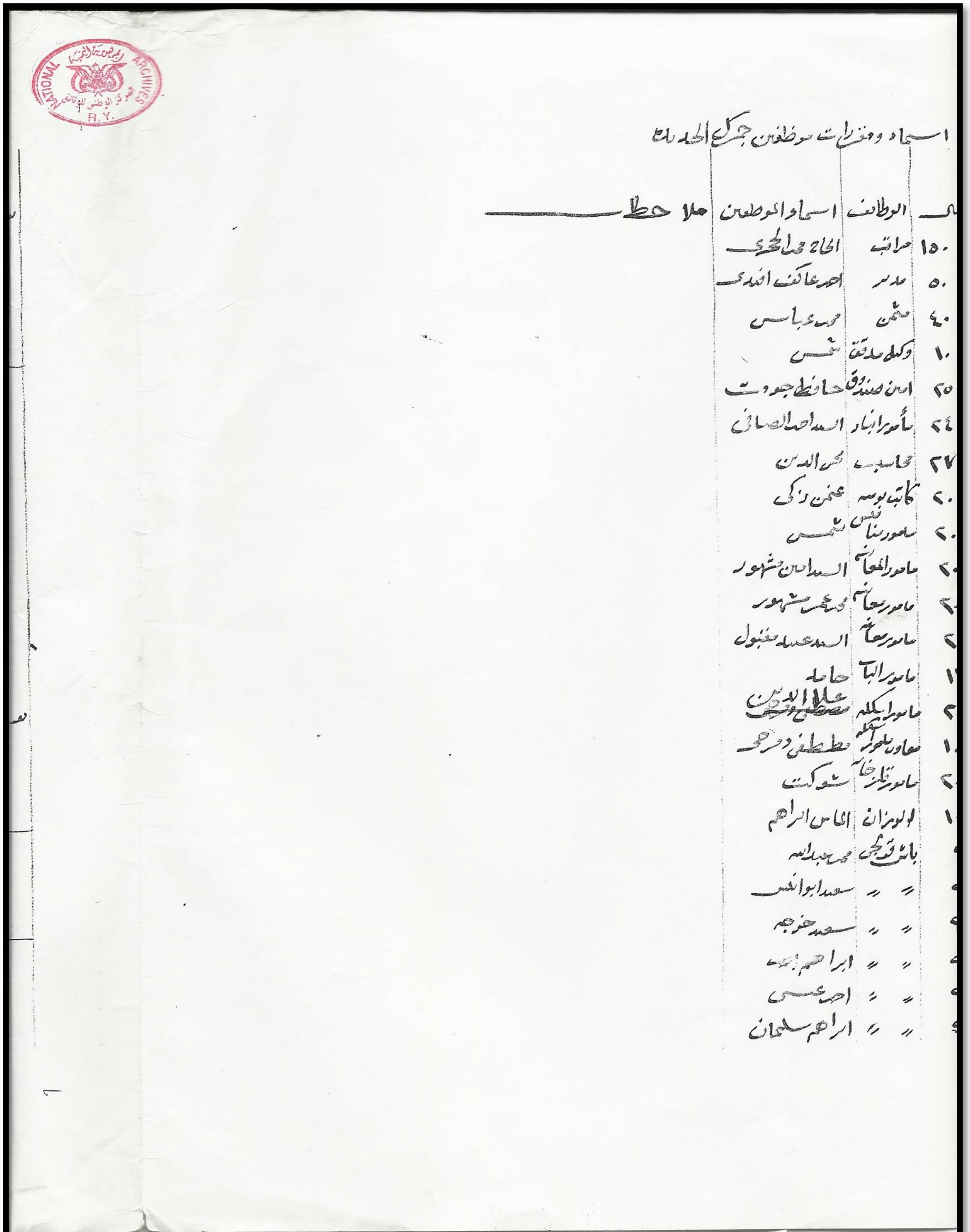
المركز الوطني للوثائق، صنعاء، محفظة (8).

ملحق (12) تقرير يوضح السلع الواردة إلى موانئ تهامة لعام 1359/ 1940.



المركز الوطني للوثائق، صنعاء، محفظة (8).

ملحق (13) وثيقة توضح أسماء ومقررات موظفي جمرك الحديدة والُلحية بتهامة



اسماء ومقررات موظفين جمرك الحديدة

المعاش	الوظائف	اسماء الموظفين	ملاحظات
١٥٠	مراقب	الحاج محمد الحجري	
٥٠	مدير	احمد عاكف افندي	
٤٠	مثمن	محمد عباس	
١٠	وكيل مدقق	شمس	
٢٥	امين صندوق	حافظ جودت	
٢٤	مأمور انبار	السيد احمد الصافي	
٢٧	محاسب	محي الدين	
٢٠	كاتب بوصله	عثمن زكي	
٢٠	مأمور سنابيس	شمس	
٢٠	مأمور المعاينه	السيد امين مشهور	
٢	مأمور معاينه	محمد شمس مشهور	
٢	مأمور معاينه	السيد عبده مقبول	
١	مأمور الباب	حامد	
٢	مأمور اسكله	علاء الدين	
١	معاون مأمور اسكله	مصطفى دمرجي	
٢	مأمور قلم خاص	شوكت	
١	الوزان	الماس ابراهيم	
	باش قوجي	محمد عبدالله	
	"	سعد ابو انس	
	"	سعد حزجه	
	"	ابراهيم احمد	
	"	احمد عيسى	
	"	ابراهيم سلمان	

المركز الوطني للوثائق، صنعاء، محفظة (8).

تابع ملحق (13) .

(١٠)

تابع جمرك الحديدة

بقشه	ريال	الوظائف	اسما الموظفين	
	٩	باش توجي	قاسم حسن	
	٩	" "	طاهر حسين	
	٨	اوطه جي	محمد بشر	
	١٥	باش توجي	الحاج عبدالله شداد	

جمرك اللحية

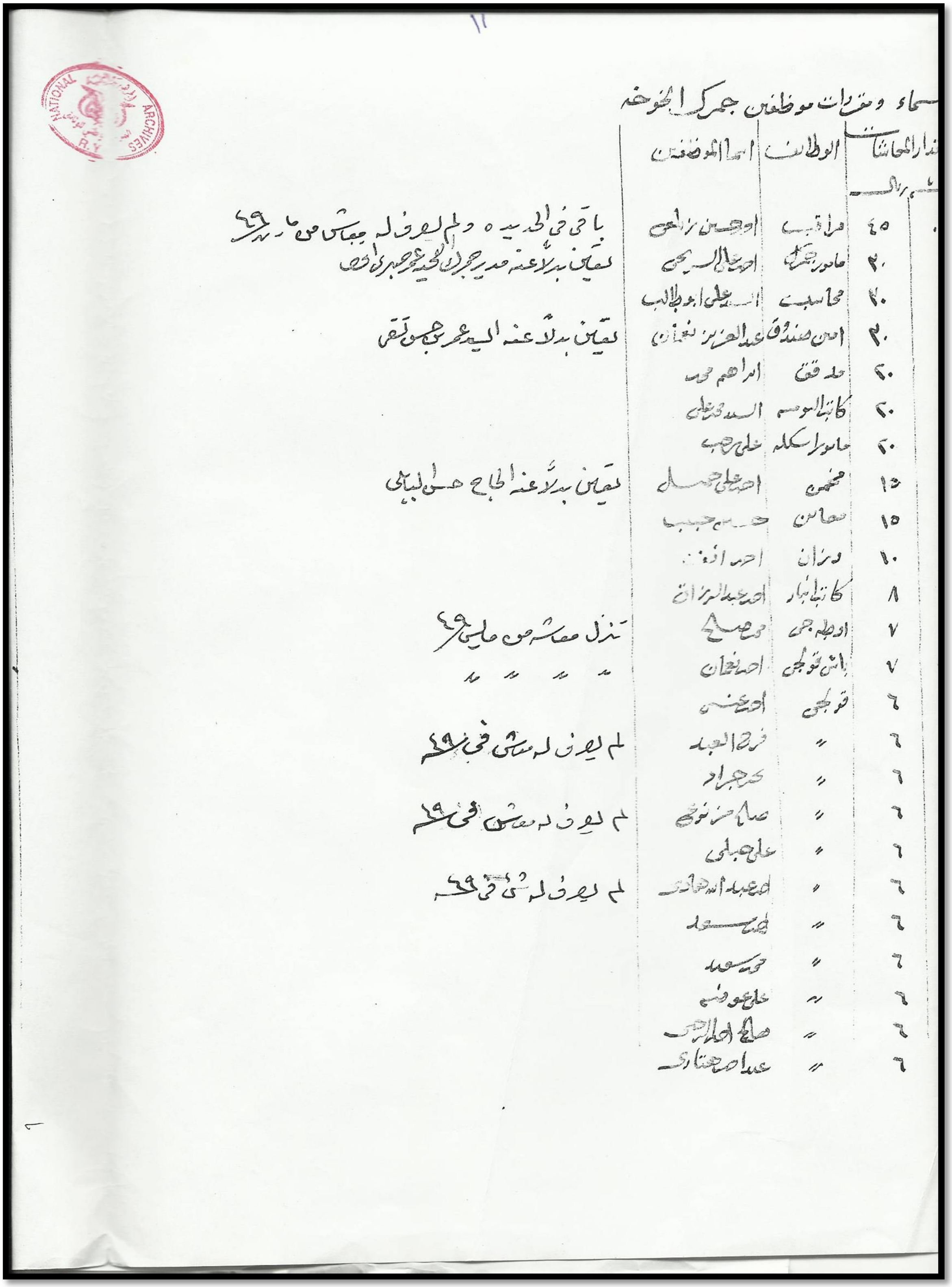
بقشه	ريال	الوظائف	اسما الموظفين	
	٥٥	مدير	عمر صبري	[illegible] بدلاً عن ابراهيم باليد
	١٥	مامور الخزينه	محمد فخر الدين	
	٧٢	اربعه توجيه	لكل واحد ثمانيه ريالات	

جمرك بن عباس

بقشه	ريال	الوظائف	اسما الموظفين
	٢٠	مامور	محمد يحيى راسم

المركز الوطني للوثائق، صنعاء، محفظة(8).

ملحق (14) وثيقة توضح أسماء ومقررات موظفي جمرك الخوخة في تهامة لعام 1349/1930 .

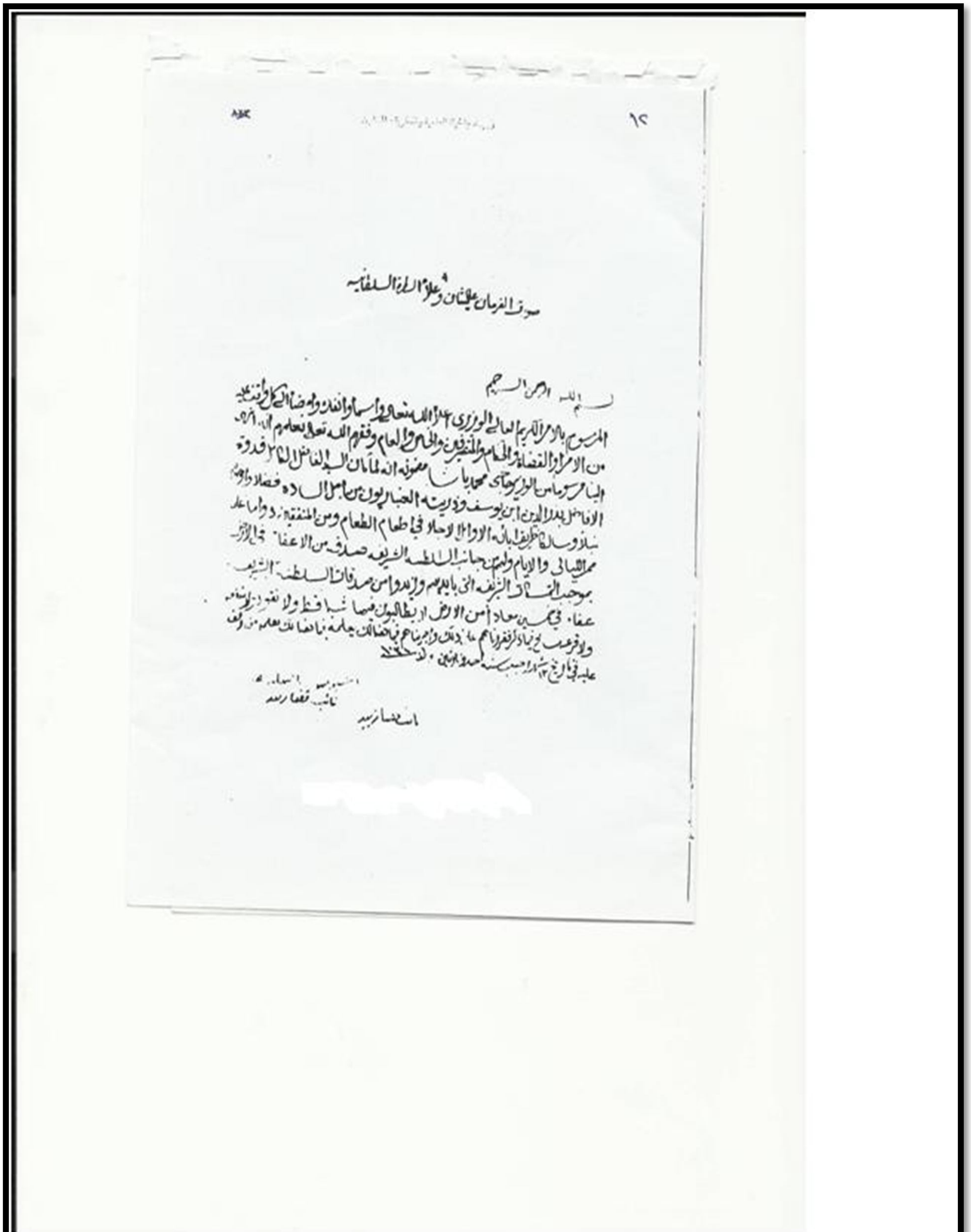


اسماء ومقررات موظفين جمرك الخوخه

مقدار المعاشات ريال	الوظائف	اسما الموظفين	
٤٥	مراقب	احمد حسن زاهي	باقي في الحديده ولم يصرف له معاش من محرم ٤٩ تعين بدلاً عنه مدير جمرك الحديده محمد صبري [illegible]
٢٠	مامور جمرك	احمد علي السرحي	
٢٠	محاسب	اسماعيل علي ابو طالب	
٢٠	امين صندوق	عبد العزيز نعمان	تعين بدلاً عنه السيد محمد حسين تقي
٢٠	مدقق	ابراهيم محمد	
٢٠	كاتب الرسوم	السيد محمد علي	
٢٠	مامور اسكله	علي رجب	
١٥	مخمن	احمد علي جمل	تعين بدلاً عنه الحاج حسن لبابي
١٥	معاين	حسن حبيب	
١٠	وزان	احمد افندي	
٨	كاتب انبار	احمد عبد الرزاق	
٧	اوطه جي	محمد صالح	تنزل معاشه من محرم ٤٩
٧	باش قولجي	احمد نعمان	" " " "
٦	قولجي	احمد حسن	
٦	"	فرج العبد	لم يصرف له معاش في محرم ٤٩
٦	"	محمد جراد	
٦	"	صالح زنوجي	لم يصرف له معاش في محرم ٤٩
٦	"	علي جبلي	
٦	"	احمد عبد الله هادي	لم يصرف له شي في محرم ٤٩
٦	"	محمد سعد	
٦	"	محمد سعيد	
٦	"	علي عوض	
٦	"	صالح احمد الرحبي	
٦	"	عبد الله احمد ختاري	

المركز الوطني للوثائق، صنعاء، محفظة(8).

ملحق (15) وثيقة توضح إعفاء أسرة آل الأنبا ري في زبيد من ضريبة بعض الأراضي الزراعية في عهد العثمانيين .



صورة الفرمان عليشان وعلامة الدولة السلطانية

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

المرسوم بالامر الكريم العالي الوزيري [illegible]

من الامرا والقضاة والحكام والمتصرفين والخاص والعام وفقهم الله تعالى [illegible]

الينا مرسوما من الوزير [illegible] محمد باشا [illegible]

الاماثل بدر الدين ابن يوسف وذريته [illegible]

[illegible] في طعام الطعام ومن [illegible]

مر الليالي والايام ولهم جانب السلطنة الشريفة صدقة من الاعفا [illegible]

بموجب [illegible] التي بايديهم [illegible] من صدقات السلطنة الشريفة

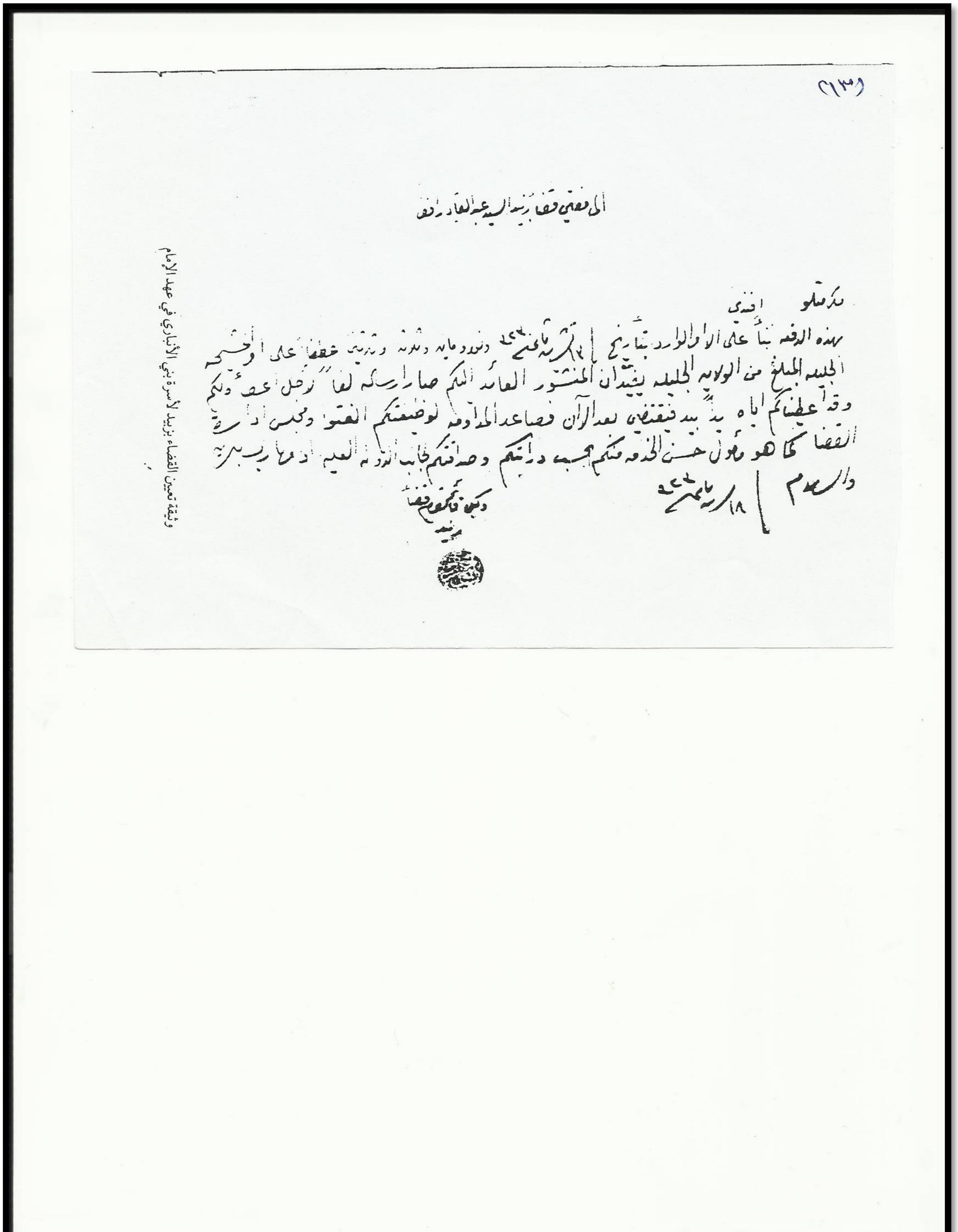
عفا في [illegible] من الارض [illegible]

[illegible]

[illegible]

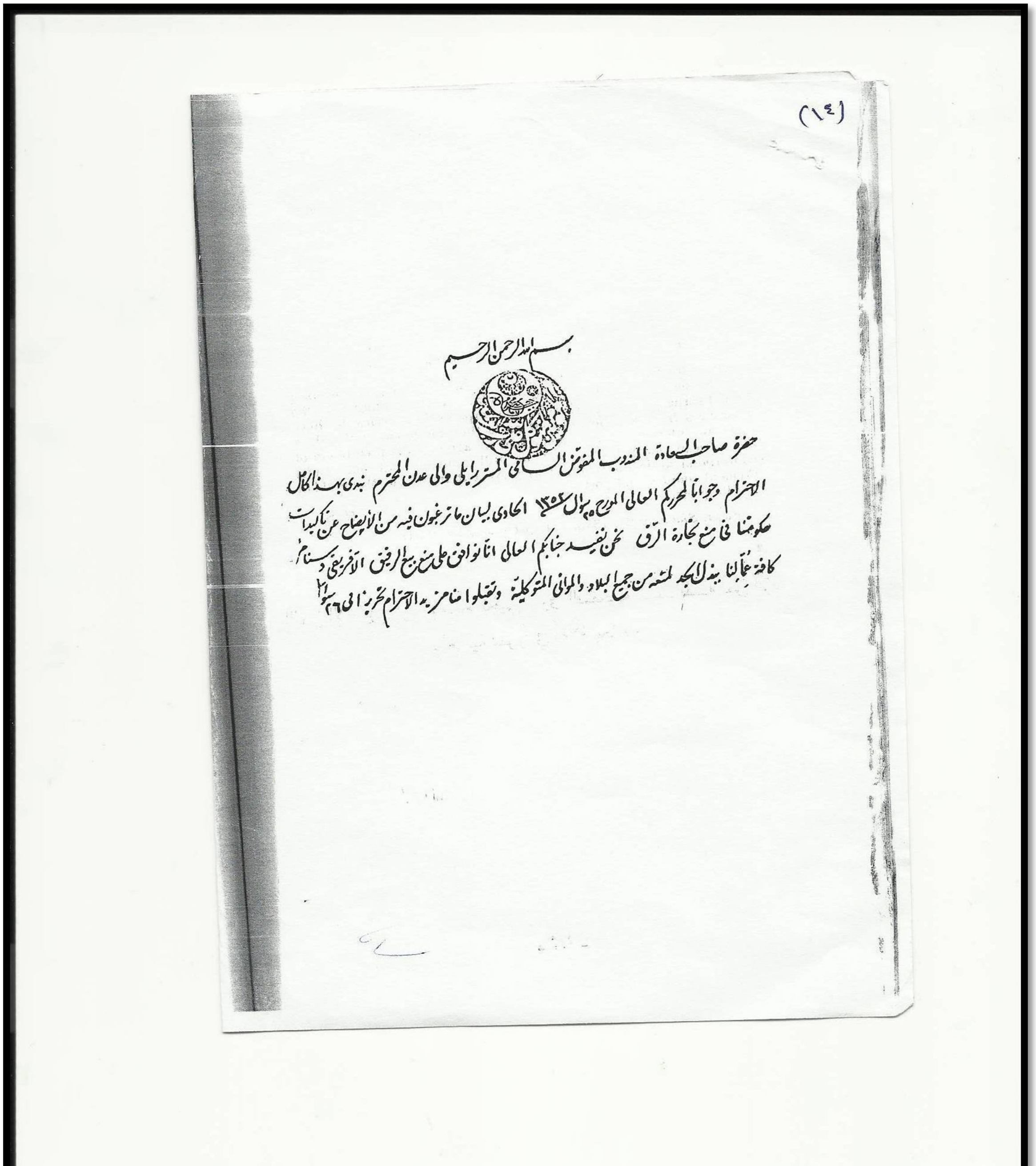
(مكتبة الاشاعر، زبيد، محافظة الحديدة).

ملحق (16) وثيقة توضح بعض الامتيازات التي نالتها أسرة آل الأنبا ري في زبيد



(مكتبة الأشاعر، زبيد، محافظة الحديدة)

ملحق (17) وثيقة توضح التزام الإمام يحي مع المفوض البريطاني في عدن بمنع تجارة العبيد في المملكة المتوكلية اليمنية لعام 1353/1934 .



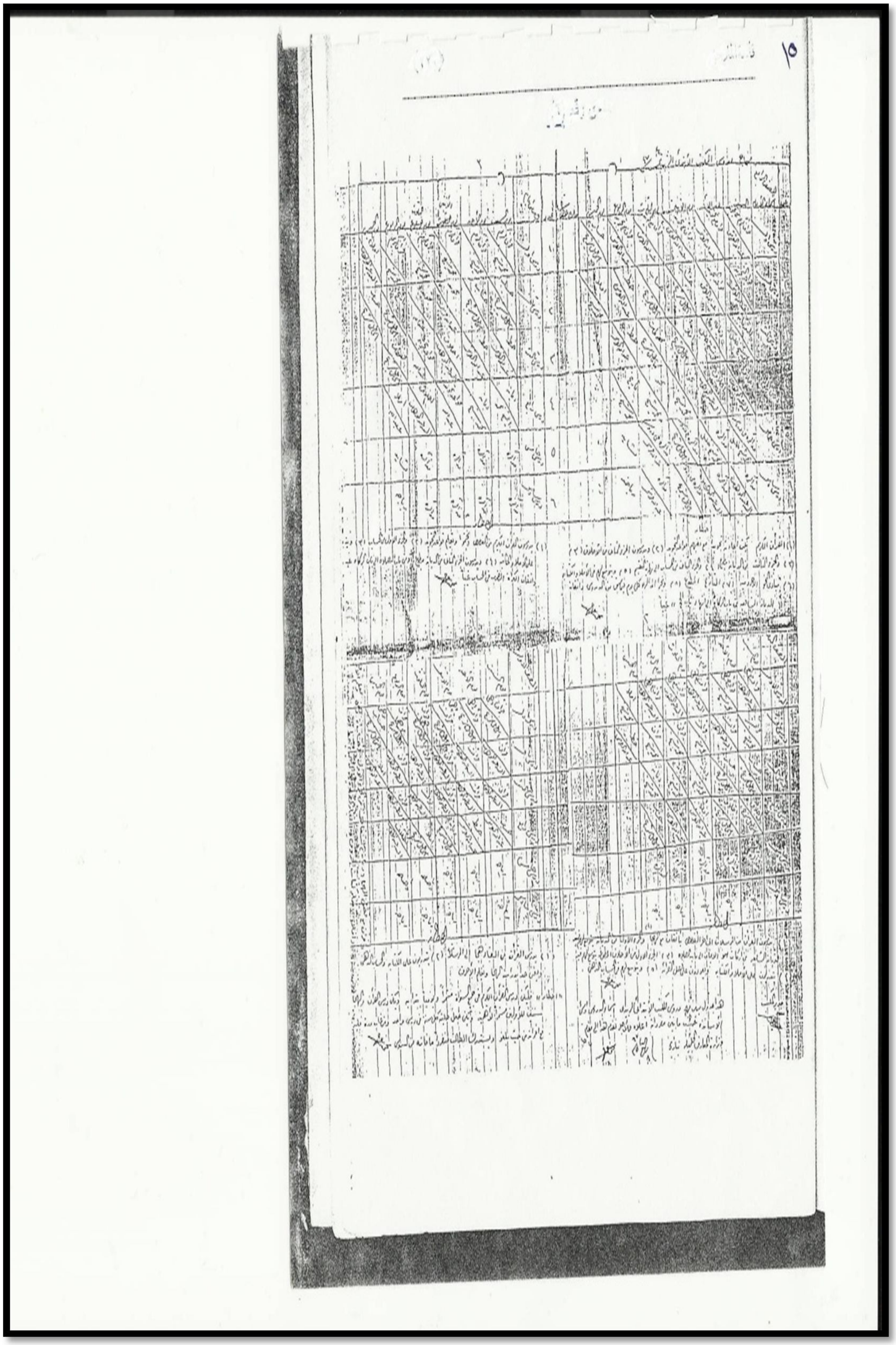
(١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السعادة المندوب المفوض السامي المستر رايلي والي عدن المحترم نبدي بهذا كامل الاحترام وجوابا لمحرركم العالي المورخ ٥ شوال ١٣٥٢ الحاوي لبيان ما ترغبون فيه من الإيضاح عن تأكيدات حكومتنا في منع تجارة الرق نحن نفيد جنابكم العالي انا نوافق على منع بيع الرقيق الافريقي وسنأمر كافة عمالنا ببذل الجد لمنعه من جميع البلاد والموانئ المتوكلية وتقبلوا منا مزيد الاحترام تحريرا في ٢٦ شوال

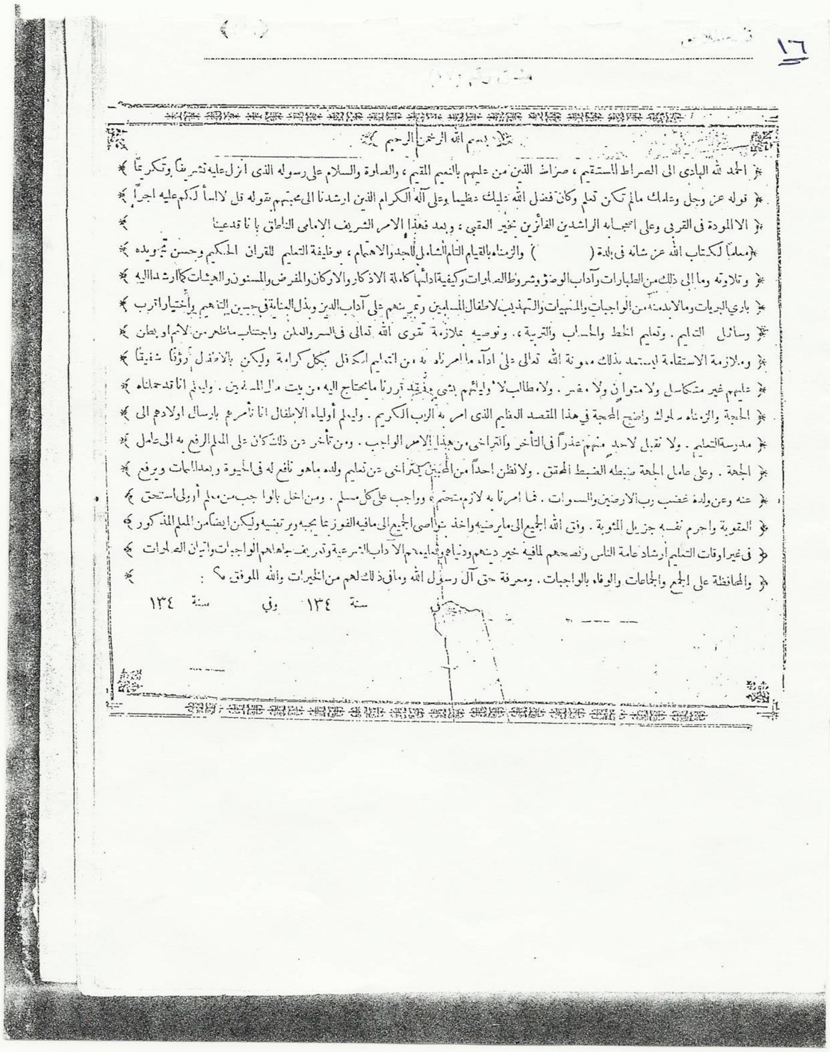
المركز الوطني للوثائق، صنعاء، محفظة (2).

ملحق (18) وثيقة توضح جدول الحصص الأسبوعي في مكتب زبيد الأولي المكون من أربعة فصول لعام 1928/1347.



المركز الوطني للوثائق، صنعاء، محفظة (8) .

ملحق (19) وثيقة توضح أمر الإمام يحي بجعل التعليم إجبارياً في المدارس الأولية.



١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادي الى الصراط المستقيم، صراط الذين من عليهم بالنعيم المقيم، والصلاة والسلام على رسوله الذي انزل عليه تشريفاً وتكريماً قوله عز وجل وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وعلى آله الكرام الذين ارشدنا الى محبتهم بقوله قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى وعلى اصحابه الراشدين الفائزين بخير العقبى، وبعد فبهذا الامر الشريف الامامي الناطق بانا قد عينا (معلماً) لكتاب الله عز شانه في بلدة (   ) والزمناه بالقيام التام الشامل للجد والاهتمام، بوظيفة التعليم للقران الحكيم وحسن تجويده وتلاوته وما الى ذلك من الطهارات وآداب الوضوء وشروط الصلوات وكيفية ادائها كاملة الاذكار والاركان والفرض والمسنون والهيئات كما ارشد الله بارئ البريات وما لابد منه من الواجبات والمنهيات والتهذيب لاطفال المسلمين وتمرينهم على آداب الدين وبذل العناية في تحسين التعليم واختيار اقرب وسائل التعليم. وتعليم الخط والحساب والتربية، ونوصيه بملازمة تقوى الله تعالى في السر والعلن واجتناب ما ظهر من الاثم وبطن وملازمة الاستقامة ليستمد بذلك معونة الله تعالى على اداء ما امرناه به من التعليم اكمل بكل كرامة وليكن بالاطفال رؤوفاً شفيقاً عليهم غير متكاسل ولا متوان ولا مقصر. ولا طالب لا ولياءهم بشيء بل قد قررنا ما يحتاج اليه من بيت مال المسلمين. وليعلم انا قد حملناه الحجة والزمناه سلوك واضح المحجة في هذا المقصد العظيم الذي امر به الرب الكريم. وليعلم أولياء الاطفال انا نأمرهم بارسال اولادهم الى مدرسة التعليم. ولا نقبل لاحد منهم عذراً في التأخر والتراخي من هذا الامر الواجب. ومن تأخر عن ذلك كان على المعلم الرفع به الى عامل الجهة. وعلى عامل الجهة ضبطه الضبط المحقق. ولا نظن احداً من المحبين يتراخى عن تعليم ولده ما هو نافع له في الحيوة وبعد الممات ويرفع عنه وعن ولده غضب رب الارضين والسموات. فما امرنا به لازم متحتم، وواجب على كل مسلم. ومن اخل بالواجب من معلم أو ولي استحق العقوبة واحرم نفسه جزيل المثوبة. وفق الله الجميع الى ما يرضيه واخذ بنواصي الجميع الى ما فيه الفوز بما يحبه ويرتضيه وليكن ايضاً من المعلم المذكور في غير اوقات التعليم ارشاد عامة الناس ونصحهم لما فيه خير دينهم ودنياهم وتعليمهم الآداب الشرعية وتعريفهم ما عليهم من الواجبات واتيان الصلوات والمحافظة على الجمع والجماعات والوفاء بالواجبات. ومعرفة حق آل رسول الله وما في ذلك لهم من الخيرات والله الموفق :

سنة ١٣٤   وفي   سنة ١٣٤

المركز الوطني للوثائق، صنعاء، محفظة(3)

قـائـمـة الـمـصـادر والـمـراجـع:

أولاً ــ الـوثـائـق:

1- الوثائق غير المنشورة:

أ- الوثائق المحفوظة في المركز الوطني للوثائق في صنعاء :

1- أمر الإمام يحي حميد الدين بجعل التعليم إجباري في مدارس التعليم الأولي(التحضيري).

2- تقرير يوضح السلع الواردة إلى موانئ تهامة لعام 1359هـ/ 1940م.

3- تقرير يوضح ضرائب منطقة المغلاف في تهامة للمحاصيل الزراعية لعام 1357هـ/ 1938م .

4- وثيقة توضح أسماء وأجور موظفي جمرك الحديدة واللحية .

5- وثيقة توضح أسماء وأجور موظفي جمرك الخوخة .

6- وثيقة توضح التزام الإمام يحي مع المفوض البريطاني في عدن بمنع تجارة العبيد في المملكة المتوكلية اليمنية .

7- وثيقة توضح جدول دروس الحصص الأسبوعي في مكتب زبيد الأولي المكون من أربعة فصول .

ب- وثائق حصل عليها الطالب من بعض الشخصيات المهتمة بالمنطقة:

8- وثيقة إعفاء أسرة آل الأنبا ري في زبيد من ضريبة بعض الأراضي الزراعية في تهامة .

9- وثيقة تعيين حكام زبيد من أسرة آل الأنبا ري .

10- وثيقة توضح كيفية توزيع مياه السيول على الأراضي الزراعية في وادي زبيد .

11- الأهدل، أبكر عبد الرحمن: **جواهر التيجان في أنساب قحطان وعدنان**، مخطوط غير منشور موجود في مكتبة الأشاعر بزبيد، ولدى الباحث نسخة مصورة منه .

12- الوصابي، حسين بن محمد: **الرحلة الحسينية في الديار اليمنية**، مخطوط غير منشور موجود في مكتبة المؤلف بزبيد .

2- الوثائق المنشورة:

1- تقرير وفد المملكة المتوكلية اليمنية حول الوضع التعليمي في اليمن، برئاسة يحي المضواحي المقدم إلى المؤتمر الثقافي العربي الثاني المنعقد بالقاهرة عام 1950، نقلاً عن محمد الشعيبي، وثائق ودراسات، مطابع دار الكتاب، دمشق،ط1، 1983، ج2 .

2- تقرير منظمة اليونسكو 1955- 1956، الإحصاء التربوي العالمي، نقلاً عن عبدالله الذيفاني، التعليم في اليمن، مركز عبادي للنشر والتوزيع، صنعاء، ط1، 1996.

3-تقرير الفريق اليمني المشارك للبعثة الأثرية الكندية في تهامة لعام 1996 .

4-الجهاز المركزي للإحصاء والتخطيط، **المسافات بين مركز المحافظة والمديريات**، محافظة الحديدة .

5-الجهاز المركزي للتخطيط **(نظم الحيازة والعلاقات الزراعية في اليمن)**، نشرة رقم 65 صنعاء، يناير/ كانون الثاني 1973 .

6-الجهاز المركزي للتخطيط، **دراسات اقتصادية وتخطيطية واجتماعية**، أغسطس/ آب، 1975.

7-رئاسة الجمهورية: **قانون بشأن الوقف**، صنعاء، 25 رمضان 1421هـ/ 1992م، مادة(4).

ثانياً ـ منشورات ذات صبغة وثائقية:

1-البحر، محمد بن الطاهر: **تحفة الدهر في نسب الأشراف بني البحر، ونسب من حقق نسبه وسيرته من أهل العصر**، تح/ عبد الله محمد الحبشي، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1425/ 2004 .

2-الوشلي، إسماعيل بن محمد: **نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن**، تح/ إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1429/2008، مج1،ج1.

3-مكرد، عبد الواحد عثمان، وآخرون : **الدليل الزراعي لسهل تهامة، الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي**، صنعاء، (د.ط)، 1998 .

ثالثاً ـ المقابلات الشخصية:

1- سلمان، صالح أحمد، أحد المختصين بصناعة القوارب في محافظة الحديدة بتاريخ 2009/4/15.

2- داود، سليمان ناجي، أحد صانعي الحصير في تهامة بتاريخ 23 /5 / 2009.

3- باجل، عبد الجبار، في منزله بمدينة حيس بتاريخ 7/6/ 2009 .

4- حشابره، محمد عثمان، في مشفى العلفي بالحديدة، بتاريخ 2009/5/20 .

5- الحضرمي،عرفات، في منزله بزبيد، بتاريخ 23/4/ 2009 .

6- الذبحاني، عبد الحبيب، في مبنى القلعة بزبيد، بتاريخ 15/5/ 2009 .

7- المزجاجي، عبد الرحمن، في منزله بزبيد، بتاريخ 20/ 6/ 2009 .

رابعاً ـ المذكرات الشخصية :

1- الأكوع، محمد بن علي: **صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي وقصة حياتي**، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، (د.ط)، (د.ت) .

2- **مذكرات أحمد محمد نعمان، سيرة حياته الثقافية والسياسية**، مراجعة وتحرير/ علي محمد زيد، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط2، 2004.

3- المقبلي، حسين محمد: **مذكرات المقبلي**، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1986.

خامساً ـ المصادر العربية :

1- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي: **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، تح / عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، (د.ط) ،(د.ت) .

ـ **الفضل المزيد على بغية المستفيد** ، تحقيق/ يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، (د.ط)، 1404/ 1983 .

2- ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب : **تاريخ المستبصر**، مراجعة / ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)،1417/ 1996 .

3- ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط (د.ت) مادة (تهـُم) ج12.

4- أبو عز الدين، نجيب: **عشرون عاماً في خدمة اليمن**، دار الباحث، بيروت، (د.ط)، 1990.

5- الأشرف، عمر بن رسول : **ملح الملاحة في معرفة** الفلاحة، تح/ عبدالله محمد المجاهد، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1987 .

6- الأفضل، العباس بن المجاهد : **بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين**، تح/ عبدالله المجاهد، مطابع الدار العربية، ط2، 2006، ج1.

7- آل يحي، سيف الدين سعيد: **تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن** للفترة (1940 - 1943)، دائرة التدريب والتطوير القتالي، العراق، ط1، 1986، ج1.

8- الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج1 .

9- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختار الصحاح**، ضبط وتصحيح / سميرة خلف الموالي، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، (د.ط)،(د.ت).

10- زبارة، محمد: **أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة**، المطبعة السلفية، القاهرة، (د.ط) ، 1376هـ .

ـ **نيل الحُسنيين بأنساب من باليمن من بيوت عِترة الحسنين وغيرها من بيوت العلم والزهد والصلاح والرئاسة اليمنية**، مكتبة المعارف، الطائف، (د.ط) ،(د.ت) .

11- الزبيري، محمد محمود: **الإمامة وخطرها على اليمن**،(د.ن) القاهرة،(د.ط)، 1416/ 1996

ـ **المنطلقات النظرية في فكر الثورة اليمنية**، دار العودة، بيروت، ط1، 1983.

12- زكريا، أحمد وصفي: **رحلتي إلى اليمن**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1406/1986.

13- السلال، عبد الله وآخرون، ثورة اليمن الدستورية ، دار الكلمة، صنعاء ،(د .ط)، (د.ت).

14- الطرابلسي، برهان الدين بن موسى(ت: 922هـ/1516م): **الإسعاف في أحكام الأوقاف**، دار الرائد العربي، بيروت،(د.ط)، 1401/1981 .

15- العظم، نزيه مؤيد: **رحلة في بلاد العربية السعيدة**، دار قتيبة، بيروت، ط2، 1405/ 1985، ج1 .

16- عفيف، أحمد جابر: **شاهد على اليمن**، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 2000.

17- غالب، محمد أنعم: **نظام الحكم والتخلف الاقتصادي في اليمن**، دار الهناء، القاهرة،(د.ط)، 1962 .

ـ **اليمن**، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط1، 1962.

18- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، دار الفكر، بيروت، ط1، 1415/ 1995، مادة (تهم) .

19- قاسم غالب وآخرون : **ابن الأمير وعصره**، صورة من كفاح الشعب اليمني، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ط2، 1983 .

20- مجهول: **نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف**، تح / محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط1،2003، ج1 .

21- مُطير، أحمد عثمان : **الدرة الفريدة في تاريخ مدينة الحديدة**، دار المصباح، الحديدة،(د.ط)، (د.ت) .

22- المقدسي، محمد بن أحمد : **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، تح/ دي جويه، مطبعة برلين، ليدن، ط2، 1327/ 1909.

23- الواسعي،عبد الواسع يحي: **تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن**، (د.ن)، القاهرة، (د.ط)، 1928 .

سادساً ـ المراجع العربية :

1- أباظه، فاروق عثمان: **عسير أثناء الحرب العالمية الأولى**، دار المعارف، القاهرة،(د.ط)، (د.ت) .

ـ **الحكم العثماني في اليمن** (1872 – 1918)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1986 .

2- أبو داهش، عبد الله: **الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية**، دار الأصالة، الرياض، (د.ط)، 1401هـ .

3- أبو غانم، فضل علي أحمد: **البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغير**، مكتبة الكاتب العربي، دمشق، (د.ط)، 1985.

4- الإرياني، مطهر علي: **الموسوعة اليمنية**، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412/ 1992، ج1 .

5- الأشعب، خالص: اليمن **((دراسة في البناء الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي))** ، دار الرشيد للنشر، العراق، (د.ط)، 1982/1402 .

6- الأشول، ناجى على: الجيش والحركة الوطنية في اليمن (1919ـ 1969)، دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، ط3، 2005 .

7- آغا، شاهر جمال: **جغرافية اليمن الطبيعية (الشطر الشمالي)** ، مكتبة الأنوار، دمشق، (د.ط) 1403/ 1983.

8- الأكوع، محمد علي: **حياة عالم وأمير وصفحة مجهولة من تاريخ اليمن المعاصر**، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط1، 1987 .

9- الأكوع، إسماعيل: **المدارس الإسلامية في اليمن**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1995 .

ـ **هجر العلم ومعاقله في اليمن**، بيروت، ط1، 1995، ج2 .

10- الأهدل، أبي القاسم: **الدّرة الخطيرة في تاريخ سادات المنيرة**، تح/ السيد محمد، (د.ن)،(د.م)، (د.ط)،(د.ت) .

11- الأهدل، أبي بكر بن أبي القاسم: **الأحساب العلية في الأنساب الأهدلية**، تح/ محمد طاهر الأهدل وآخرون، (د.ن)، (د.م)، ط1، (د.ت).

12- بازي، داود: **فنون العمارة التقليدية في مدينة زبيد**، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب – جامعة الحديدة بعنوان: ((زبيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي)) للفترة من 14- 17 ديسمبر/ كانون أول 2002 .

13- باعباد، علي هود: **التعليم في الجمهورية العربية اليمنية (ماضيه – حاضره – مستقبله)**، منشورات جامعة صنعاء، اليمن، ط3 ، 1988.

14- البردوني، عبد الله: **الثقافة والثورة في اليمن**، دار الفكر، دمشق، 1992 .

ـ ، **اليمن الجمهوري**، دار الفكر، بيروت، ط4، 1994.

15- البشري،إسماعيل محمد: **الحملة العثمانية على إمارة أبي عريش والسواحل اليمنية**،(1265هـ – 1849م)، دراسة وثائقية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1423 /2002.

16- البطريق، عبد الحميد: **من تاريخ اليمن الحديث** (1517- 1840)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، (د.ط)، 1969.

17- بركات، أحمد قائد: منطقة الصليف، **الموسوعة اليمنية**، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، ج2، (د.ت) .

18- بعكر، عبد الرحمن طيب: **ثمانون عاماً من حياة النعمان**، (د.ن)، (د.م)، ط1، 1990.

19- البلادي، عاتق غيث: **معجم معالم الحجاز**، دار مكة للطباعة، مكة المكرمة، ط1، 1401/ 1981، ج2 .

20- بن دغر ،أحمد عبيد: **اليمن تحت حكم الإمام أحمد (1948 – 1962)**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2005 .

21- بن بريك، أحمد: **اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر**(1869- 1914)، دار الثقافة العربية، الشارقة، ط1، 2001.

22- ترسيسي، عدنان: **اليمن وحضارة الغرب**، دار مكتبة الحياة، بيروت،(د.ط)، (د.ت).

23- جحاف، أمة الرزاق: **الحرف التقليدية والأزياء التقليدية**، ((ورقة عمل مقدمة إلى ندوة الحفاظ على مدينة زبيد التاريخية المنعقدة بجامعة الحديدة من الفترة 13 – 15 ديسمبر/ كانون الأول، 2004)) .

24- جعفر، محمد حلمي: **تهامة اليمن (الدراسات الخاصة)**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، (د.ط)، 1976.

25- الجعيدي، عبد الله سعيد: **الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت 1918 –** 1945، دار الثقافة العربية، الشارقة، ط1، 2001 .

26- جوهر، حسن محمد وآخرون: **اليمن**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت) .

27- الجوهري، محمد: **التراث الشعبي، وجهة نظر في تحديد موضوعات الدراسة**، مطبعة الجامعة، القاهرة، (د.ط)، 1973 .

28- الحجري، محمد بن احمد، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، تح / إسماعيل الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط3،2004 ، مج2، ج2 .

29- الحداد، عبد الله عبد السلام: **مدينة حيس اليمنية (تاريخها وآثارها الدينية)**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1999 .

30- الحداد، محمد يحي: التاريخ العام لليمن، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1986، ج5.

31- الحديثي، نزار عبد اللطيف: أهل اليمن في صدر الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1978.

32- الحسيني، عبد العزيز: **الحياة العلمية في الدولة الرسولية**، وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ط)، 1973 .

33- الحضرمي، عبد الرحمن: **زبيد مساجدها ومدارسها**، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق،(د.ط)، 2000 .

ـ **جامعة الاشاعر في زبيد**، الشركة اليمنية للطباعة والنشر، صنعاء، ط1، 1974

ـ **تهامة في التاريخ**، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 2005.

34- الحفيان، عوض إبراهيم عبد الرحمن: **الجغرافيا العامة للجمهورية اليمنية**، منشورات جامعة صنعاء، اليمن، ط1، 2004.

35- حماد، أسامه احمد: **مظاهر الحضارة في اليمن**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ط1، 1425/ 2004 .

36- الخطري، عبد القادر: **الإمامة وأسلحتها الفتاكة**، مطبعة الجمهورية، تعز،(د.ط)، 1962/1382 .

37- الخطيب، محمد: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1411/ 1991 .

38- داود بازي، **مظاهر الحياة الاجتماعية في زبيد**، بحث غير منشور .

39- الدهي، أحمد سعيد: **الحياة الاقتصادية لليمن الحديث**، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، صنعاء، ط1، (د.ت) .

40- الذيفاني، عبدالله: **التعليم في اليمن**، مركز عبادي للنشر، صنعاء، ط1، 1996 .

41- رسول، أحمد حبيب: **دراسات في الجغرافيا الاقتصادية والبشرية لليمن**، دار الكلمة، صنعاء،(د.ط)، 1985.

42- رميض، صباح مهدي: **إمارة عسير ((دراسة في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعلاقاتها العربية والدولية 1876 – 1932))** ، دار جوامع الكلم، دمشق، ط1، 1431/ 2011 .

43- الزوكه، محمد خميس: **في جغرافية العالم العربي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1986.

44- سالم، السيد عبد العزيز: **البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،(د.ط)، 1993/1413 .

45- سالم، سيد مصطفى: **تكوين اليمن الحديث(اليمن والإمام يحي 1904- 1948)**، دار الأمين، القاهرة، ط4، 1993.

ـ **مجلة الحكمة وحركة الإصلاح في اليمن**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط2، 1988.

46- السروري، محمد عبده: **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن**، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط1، 2004 .

47- سليمان، كرامة مبارك: **التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1994.

48- السنيدي، عبد العزيز: **المدارس اليمنية**، مطبعة السفير، الرياض، ط1، 2003/1424 .

49- شاكر، محمود: **شبه جزيرة العرب**، المكتب الإسلامي، دمشق، (د.ط)، 1396/ 1976 .

50- شجاب، محمد سالم: **معالم الزراعة في اليمن**، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط3، مج2، 2002.

51- الشرجبي، قائد: **القرية والدولة في المجتمع اليمني**، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1990 .

ـ **الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني**، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1986.

52- الشريف، عبد الله : **زبيد وظهيرها الزراعي من خلال المؤلفات ((قراءة جغرافية في العلاقة بين الريف والمدينة)**) ، المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب . جامعة الحديدة، 2002 .

53- الشعبيني، محمد مصطفى: **اليمن الدولة والمجتمع**، دار النهضة، (د.م)،(د.ط)، 1975.

54- الشماحي، عبدالله: **اليمن (الإنسان والحضارة)**، منشورات المدينة، بيروت، ط3، 1406/ 1985 .

55- شمسان، إيمان: **اليمن في العصر العباسي الأول ((132 – 203 هـ/ 750 – 818 م))** ، دار الثقافة العربية للنشر والتوزيع، الشارقة، در جامعة عدن، اليمن، ط1، 2001 .

56- شهاب، حسن صالح: **أضواء على تاريخ اليمن البحري**، دار العودة، بيروت، ط2، 1981.

57- الشهاري، محمد علي: **طريق الثورة اليمنية**، دار الهلال، القاهرة ،(د.ط)، 1966 .

58- الشيباني، عبد القادر: **الصناعات التقليدية في اليمن**، بحث غير منشور .

59- الصائدي، أحمد قائد: **المادة التاريخية في كتابات نيبورعن اليمن**، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1410 / 1990.

ـ **حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحي (1904 – 1948)**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، ط1، 1403 / 1983.

60- علي، صادق عبده: الحركات السياسية والاجتماعية في اليمن(1918 – 1967)، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ط1، 1992.

61- الصياد، أحمد: **المرأة اليمنية وتحديات العصر**، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط1، 1995 .

ـ **السلطة والمعارضة في اليمن المعاصر**، دار الصداقة، بيروت، (د.ط)، 1992 .

62- طاهر، علوي عبد الله: **الفولكلور اليمني**، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412 / 1992، ج2 .

63- الظاهري، محمد حسن: **الدور السياسي للقبيلة في اليمن (1962 – 1990)**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1996 .

64- عاكش، الحسن بن أحمد: **عقود الدرر بتراجم علماء القرن الثالث عشر**، تح / إسماعيل البشري، (د.ن)، (د.م) ،(د.ط)، 1418هـ .

65- عباس، شهاب محسن: **جغرافية اليمن الطبيعية**، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 1416/ 1996.

66- عبد الحافظ، عبد القوي: **وضع النخيل في الجمهورية العربية اليمنية**، تهامة والتنمية الزراعية، الهيئة العامة لتطوير تهامة،ع(4)، 1987.

67- عبده، على محمد: لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين، المعهد الفرنسي للأ ثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ط1، 2003، ج1 .

68- العبيكان، طرفة عبد العزيز، **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة**، (د.ن)، الرياض،(د.ط)، 1406/ 1996 .

69- العديني، مارش أحمد سعيد: **جغرافية الموانئ اليمنية**، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ، ط1، 1424/2003 .

70- العز عزي، عبد الله فارع عبده: **اليمن من الإمامة إلى الجمهورية**، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، صنعاء، ط1، 1422/ 2001.

71- العطار، محمد سعيد: **التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن**، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر، ط1، 1965.

72- العقيلي، محمد بن أحمد: **المعجم الجغرافي**، منشورات نادي جازان الأدبي، جازان، (د.ط)، 1399هـ .

ـ **تاريخ المخلاف السليماني**، منشورات دار اليمامة، الرياض، ط2، 1402هـ/ 1982، ج1 .

73- عمر، إبراهيم سمير: **الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1992.

74- عمر، سلطان أحمد: **نظرة في تطور المجتمع اليمني**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1970.

75- الُعري، عبدالله خادم: **الرقص الشعبي في تهامة (ضمن مسرحية فلكلور تهامي)** (د.ن)، (د.م)، ط2، 1997 .

ـ **النهضة الأدبية في اليمن**، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط1، (د.ت).

ـ **الشعر الشعبي المغنى في تهامة**، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 2004.

76- العمري، حسين: **الأمراء العبيد والمماليك في اليمن**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1409/ 1989 .

77- عوده، محمود: **القرية المصرية بين التاريخ وعلم الاجتماع**، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ط2، 1983.

78- العودي، حمود: **التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية ((دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني)**) عالم الكتب، القاهرة، (د.ط)، 1400/ 1980 .

79- فخري، أحمد: **اليمن ماضيها وحاضرها**، مراجعة عبد الحليم نور الدين، منشورات المدينة، بيروت، ط2، 1409/ 1988.

80- الفقيه، عيد روس علوي: **جغرافية الجمهورية اليمنية**، دار جامعة عدن، اليمن، ط1، 1997/1418.

81– المتوكل، إسماعيل محمد وآخرون : **الزراعة والمحاصيل في اليمن**، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط2، 2003 ، مج2 .

ـ الثروة الحيوانية في اليمن، **الموسوعة اليمنية**، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412/1992، ج1.

82– متولي، محمد، محمود أبو العلا : **جغرافية شبه جزيرة العرب(جغرافية اليمن الشمالي)**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط3، 1409/1988، ج3 .

83– المجاهد، عبد الله محمد: **إنتاج المحاصيل**، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، (د.ط)، 1986

84– المسعودي، عبد العزيز قائد: **القوى الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية، مكتبة السنحاني،** صنعاء، ط1، 1992 .

85– المصري، أحمد عطية: **النجم الأحمر فوق اليمن**، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط3، 1988.

86– مصطفى، إبراهيم، وآخرون : **المعجم الوسيط**، دار الدعوة ، تركيا، ط2، 1972، ج1.

87– معمر، عبدالله : **الطب الشعبي والتطور الاجتماعي في اليمن ((دراسة لعلاقة البناء الاجتماعي بطرق العلاج))** ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط1، 1999 .

88– المعمري، سلطان عبد العزيز: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والحروب القبلية في مجتمعات قبائل المنطقة الجنوبية الغربية من لواء تعز**، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب . جامعة تعز ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة بعنوان: ((تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور)) للفترة 25– 27 مايو/أيار 2009، النيل للطباعة الحديثة، تعز، 2010،ج3 .

89– المقحفي، إبراهيم بن أحمد: **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، دار الكلمة للطباعة والنشر، صنعاء، ط4،1422/2002، ج1 .

90– المقرمي، عبد الملك : **التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1991 .

91– مقشر، عبد الودود قاسم: **الزرانيق والحكم العثماني في اليمن**، مركز ذؤال للتراث والدراسات التاريخية، صنعاء، ط1 ، 1429/ 2008 .

92- المقطري، عبد العزيز أحمد: **النقود والسياسة النقدية في الاقتصاد اليمني الحديث** ، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1985 .

93- **الموسوعة اليمنية**، مؤسسة العفيف، صنعاء، ط1، 1412 / 1992، ج2 .

94- ناجي، سلطان: **التاريخ العسكري لليمن**،(د.ن) عدن،(د.ط)، 1976.

95- هارون، عبده علي: **الدر النضيد في تحديد معالم وآثار مدينة زبيد**، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، (د.ط)، 1425/ 2004 .

96- الهيتي، شاكر محمود عبد المنعم : **مؤسسات زبيد الثقافية في عهد الملك الأشرف الغساني (787 – 803 هـ)**، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب – جامعة الحديدة بعنوان (زبيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي) للفترة من 14 – 17 ديسمبر/كانون الأول، 2002 .

97- الهمداني، عبد الهادي حسين: التنمية الإدارية في الجمهورية اليمنية، دار النصر، دمشق، (د.ط)، 1990م .

98- ورو، هشام عبد الله: **من فنون الشعر الشعبي في تهامة**، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء،(د.ط)، 1425/ 2004 .

99- الوشلي، عبدالله قاسم: **المسجد ودوره التعليمي عبر العصور خلال الحلق العلمية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408/1988 .

100- وليد جرادات: **الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر**، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1407/1986.

101- الويسي، حسين بن علي: **اليمن الكبرى**، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1412 / 1991، ج1 .

102- اليماني، محمد أهدل: **القول الأعدل في تراجم بني الأهدل**، (د.ن)، (د.م)، ط1، (د.ت).

سابعاً ـ الرسائل والأطروحات الجامعية :

1- الأهجري، عبد الغني: **الحياة العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها**، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة المنصورة، 1429/ 2008 .

2- الأهدل، خالد يحي: **الشعر الشعبي اليمني في تهامة ((أشكاله الفنية وأبعاده الموضوعية))** ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء،(د.ت).

3- البكري، عبد الحميد: **التعليم في اليمن (1918 – 1962)**، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية، ابن رشد . جامعة بغداد، 1421/ 2000 .

4- حبيب، عبد الاله: **زبيد المعاصرة(دراسة اجتماعية واقتصادية 1962- 1980)**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة عدن، 2007.

5- حيدر، فاروق أحمد : **التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول**، رسالة دكتوراه(غير منشورة)، كلية التربية – جامعة عين شمس،(د.ت) .

6- حيدر، عبد الله: **المناخ وعلاقته بالأنشطة الصناعية والتلوث في البيئة الساحلية اليمنية**، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة دمشق، 2008 .

7- الدودحي، فيصل محمد علي: **الأرض والسلطة في اليمن المعاصر**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء، 2009 .

8- الشرفي، محمد شوعي حسن : **ثورة عام 1948م في اليمن**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية ابن رشد . جامعة بغداد، 1417هـ/ 1996 .

9- العبادي، عبد الله قائد حسن: **الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية**، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة أم القرى، 1416 / 1995.

10- عسيري، منيره : **النشاط الاقتصادي في منطقة زبيد**، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الدراسات العليا . جامعة الملك سعود، 1427هـ .

11- الغليسي، سعيد حميد: **اليمن الجمهوري ((الأوضاع السياسية والاجتماعية 1962-1970م))** ، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة صنعاء، 2008 .

- **دور القبيلة في الحياة السياسية اليمنية خلال فترة حكم المملكة المتوكلية اليمنية (1918-1962)**، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة صنعاء، 2003.

12- الفقيه، أحمد محمود:**السياسة الإدارية والمالية في عهد الإمام يحي**، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة صنعاء.

13- لطف، محمد: **الجهات الحيسية في العصر الرسولي**، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة عدن، 2008 .

14- مطهر، نجوى عبد اللطيف: **صراع القوى حول تهامة اليمن (1818- 1849م)**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة صنعاء، 2005.

15- المندعي، داوود: **تاريخ اليمن الاقتصادي من القرن الرابع إلى القرن السادس للهجرة**، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا . الجامعة الأردنية، 1418 / 1997.

16- ناشر، عدنان عبده: **التعليم في العهد العثماني والإمامي الملكي والبريطاني في اليمن إلى الثورة اليمنية 1962**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا . الجامعة الأردنية، 1994.

17- النظاري، جمال حزام : **عبد الله السلال ودوره السياسي في اليمن**، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية التربية . ابن رشد، جامعة بغداد، 1996م .

18- هائل، علي مصلح: **الأثر الثقافي في حركة المعارضة الوطنية اليمنية (1934 -1962م)**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب . جامعة عدن، 1428/ 2007.

19- هديل، طه حسين عوض: **الحياة الاجتماعية في اليمن**، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب . جامعة صنعاء، 2007 .

20- الوشلي، يحي أحمد حسين: **محافظة الحديدة (دراسة جغرافية)**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة صنعاء . كلية الآداب، 1989 .

ثامناً – الدوريات:

أ- الصحف:

1- صحيفة الإيمان، اليمن، العدد(175)، صفر 1366هـ/ 1947م.

2- صحيفة الإيمان، اليمن، العدد (198)، ربيع الأول 1367هـ/1948م.

3- صحيفة الجمهور السورية، سوريا، (عدد خاص) 3 أغسطس/ آب 1957م.

4- صحيفة فتاة الجزيرة، اليمن(عدن)، العدد(1333)، 16مايو/أيار 1960م.

5- صحيفة الثقافية، اليمن، العدد (11)، سبتمبر / أيلول 1999م.

6- صحيفة 26 سبتمبر، اليمن، العدد (1275)، 10اغسطس/ آب 2006م .

7- صحيفة الجمهورية، اليمن، العدد (140601)، 4 نوفمبر/تشرين ثاني 2009م.

ب- المجلات:

8- مجلة الإكليل، اليمن(صنعاء).

9- مجلة دراسات يمنية، اليمن(صنعاء).

10- مجلة المؤرخ العربي مصر(القاهرة) .

11- مجلة كلية الآداب والألسن، اليمن(جامعة ذمار).

12- مجلة زبيد، اليمن (زبيد) .

13- مجلة الغراء، اليمن (زبيد) .

14- مجلة المندى الأدبي الثقافي، اليمن(زبيد) .

15- مجلة تهامة، اليمن (جامعة الحديدة).

16- مجلة حوليات العفيف، اليمن(صنعاء).

17- مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت(جامعة الكويت) .

18- مجلة حوليات يمنية، اليمن(المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء).

19- مجلة اليمن الجديد، اليمن (صنعاء).

تاسعاً ـ البحوث والدراسات:

1- الأهدل، حسين بن أبي القاسم: **((كشف القناع في معرفة أحكام الزراع)**) ، تح / عبد الله الحبشي، مجلة الإكليل، ع(1)، السنة الأولى، صنعاء ، 1400/ 1980.

2- الأهدل،على مغربي: ((**أسواق تهامة الشعبية**)) ، صحيفة الجمهورية، ع (14658)، الجمعة 25 ديسمبر/ كانون الأول 2009.

3- بازي، داود : **((الأغنية الشعبية (أغاني المهد)))** ، مجلة الغراء، زبيد، ع(5-6) ، يوليو- ديسمبر/ تموز- كانون الأول، 2006 .

ـ **((مراسيم الاحتفاء بتخريج الصبي من المعلامة))** ، مجلة الغراء، زبيد، ع (7،8) يناير- يونيو / كانون الثاني ـ حزيران 2007 .

ـ **((الرقص الشعبي في مدينة زبيد))** ، صحيفة الثقافية، ع (11)، سبتمبر/ أيلول، 1999.

4- بحر، نجاة حسن عبده: **((أغاني المرأة اليمنية في تهامة))** ، مجلة زبيد، الجمهورية اليمنية، ع(1)، مايو /أيار 2009 .

5- بولدري، جون: ((**أهم الأحداث في تاريخ الحديدة**)) ، تر/ محمد عزي صالح وآخرون، مجلة الإكليل، صنعاء، ع(5)،1401 /1981 .

6- بونفان، بول: **أحياء زبيد ((ملاحظات في التاريخ الاجتماعي))** ، مجلة حوليات يمنية، صادرة عن المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2002 .

7- جحاف، أمة الرزاق: **((البعد الاجتماعي في الأزياء الشعبية اليمنية))** ، مجلة حوليات العفيف، صنعاء، ع (3) 2003 .

8- جولوبوفسكايا، إيلينا: **((حول مسألة الفئات الدنيا في الهيكل الاجتماعي للمجتمع اليمني))** ، تر/ قائد محمد طربوش، مجلة دراسات يمنية، ع (17)، 1984 .

9- الحبشي، عبد الله محمد: **((ظهور القهوة في اليمن))** ، مجلة اليمن الجديد، صنعاء، ع(124).

10- الحلو، صادق ياسين: **((المدرسة الشمسية في ذمار ودور بعض من علمائها وطلبتها في التعليم والحركة الوطنية في اليمن في العصر الحديث))** ، مجلة كلية الآداب والألسن، جامعة ذمار، ع (8) .

11- الحلوة، محمد إبراهيم: التحديث السياسي في اليمن الشمالي، مجلة دراسات يمنية،ع(13)، سبتمبر/أيلول، 1983 .

12- حمودي، خالد جليل: ((**الفخار والخزف الإسلامي**)) ، مجلة المتحف العربي، ع(3)، مارس/آذار، 1987 .

13- الخطابي، أروى أحمد: **((تجارة البن في اليمن**)) ، مجلة الإكليل، وزارة الثقافة، صنعاء، ع (29- 30)، يناير، مارس/ كانون الثاني، آذار، 2006 .

14- خليفة، ربيع حامد: ((**مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء**)) ، مجلة الإكليل، ع (2)، السنة السادسة، 1988 .

15- الزيلعي، أحمد عمر: ((**بنو الزيلعي العقيليون وانتشارهم في تهامة))** ، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، ع (12)، مارس 2004 .

16- السبيطلي، محمد: **((المجتمع والدولة في عيون القضاة)**) ، مجلة حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2006 .

17- سعيد، شائف عبده: ((**الحياة الاقتصادية في اليمن**)) ، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، ع(41)،1990/1411 .

18- سلطان، جميل: ((**كيف يجري التعليم في اليمن))** ، صحيفة الجمهور السورية، (عدد خاص)، 3أغسطس/ آب، 1957.

19- سيف، عبد العزيز قائد: **((نظام الرهائن في عهد الأئمة))** ، مجلة اليمن الجديد، سبتمبر/ أيلول 1989.

20- شاهر، خالد عبد الجليل: **((البنية الاجتماعية التقليدية في اليمن))** ، مجلة دراسات يمنية، ع(43)، 1411/ 1991.

21- شجاب، محمد سالم: **((قبيلة الزرانيق وحركتهم التاريخية**)) ، مجلة اليمن الجديد، صنعاء، ع(12)، ديسمبر/كانون الأول، 1987 .

22- الشلالي، صباح حمود : ((**تراث الفن المعماري والفضاء الداخلي لمدينة وريف زبيد**)) ، مجلة تهامة، جامعة الحديدة، ع (8) ، يوليو/ تموز 2007.

23- شوين، أرمن: **((الطب التقليدي في الجمهورية العربية اليمنية))** ، تر/ أحمد الصائدي، مجلة دراسات يمنية، ع (13)، سبتمبر/أيلول 1983.

24- الصائدي، أحمد قائد: ((**العلاقات التجارية اليمنية- الألمانية للفترة (1927 -1940م)** على ضوء إرشيف وزارة الخارجية الألمانية)) ، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، ع (49)، 1413 / 1993 .

25- الصوفي، نبيل: ((**الخادم غالب الوجيه عاشق الحرية))** ، مجلة المنتدى الأدبي الثقافي، زبيد، 1428/ 2007 .

26- طاهر، علوي عبد الله: ((**واقع التعليم في اليمن قبل ثورة 26 سبتمبر 1962م**)) ، مجلة الإكليل، صنعاء، وزارة الإعلام والثقافة، ع (1)، السنة الخامسة، 1986.

27- المعلمي، أحمد عبد الرحمن: **((الشريعة المتوكلية أو القضاء في اليمن**)) ، مجلة الإكليل، ع(5)، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ، 1401/ 1981 .

28- المقداد، محمد بن عبد الوهاب: **((قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون في فضل مسجد الاشاعر))** ، تح/ عبد الرحمن الحضرمي، مجلة الإكليل،ع (3-4) السنة الأولى، صنعاء، 1401/ 1981 .

29- ناجي، سلطان: ((**الحقوق الاجتماعية للمرأة في المجتمع اليمني))** ، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ع(1)، السنة(3) ابريل/نيسان، 1980.

عاشراً ـ المصادر والمراجع المترجمة :

1- أبونتي، سلفاتور: **مملكة الإمام يحي**، تر/ طه فوزي، مطبعة السعادة، مصر، (د.ط)، 1366 /1947 .

2- أستون، فرانسين: **تهامة**، تر/ يوسف محمد عبدالله، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1412/ 1992، ج1 .

3- أنكارين، **مذكرات دبلوماسي في اليمن**، تر/ قائد محمد طربوش، ومحمد إسماعيل سليمان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1993 .

4- أوبالا نس، إدجار: **اليمن الثورة والحرب**، تر/عبد الخالق محمد لاشين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1990 .

5- بونفان، بول: العمارة في زبيد، **الموسوعة اليمنية**، تر/ علي محمد زيد، (د.ط)،(د.ت)،ج3.

ـ : **فن الزخرفة الخشبية في صنعاء**، تر/ محمد العروسي، (د.ط)، 1996 .

6- جولوبوفسكايا، إيلينا: **ثورة 26 سبتمبر في اليمن**، تر/ قائد محمد طربوش، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1982/1402 .

7- دوستال، ولتر: **الأسواق في اليمن**، تر/ أحمد قائد بركات، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1412 / 1992، ج1 .

8- فايان، كلودي: **كنت طبيبة في اليمن**، تر/ محسن العيني، دار العودة، بيروت، ط2، 1987 .

9- فلادلين أ.جوساروف، وآخرون: **اقتصاد الجمهورية العربية اليمنية**، تر /أحمد علي سلطان، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، (د.ط)، 1972.

10- ماكروا، أريك: **اليمن والغرب(1571 -1962م)**، تر/ حسين عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، ط2 ،1987 .

11- مجموعة من المؤلفين السوفيت، **تاريخ اليمن المعاصر(1917- 1982م)**، تر/ محمد على البحر، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ط) ، (د.ت) .

12- هنتس، فالتر: **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، تر / كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمّان، ط2، (د.ت) .

13- هولفريتر، هانز: **اليمن من الباب الخلفي**، تر/ خيري حماد، دار العودة، بيروت،(د.ط) 1986 .

الحادي عشر ـ المصادر والمراجع الأجنبية:

1- Basic Chronology for a history of the Yemen, Middle East journal, 1963, vol. 17.

2- Basic data on The Economy of Yemen, Washington, 1960.

3- Dr- Keel – The Bronze Agesitealal - Midammen Rerortes, director , Archeological misslon, Canada , Toronto, December, 2005 .

4- Ingram's, H, the Yemen Imams, Rulers and Revolutions London 1963 .

5- Pocok, Richard – Description of the East and some other countries- volum the first observation on Egypt – missing editor.

6- Robert, Stookey, Yemen politic of the Yemen Arab Republic.

7- Sergeant, R.B ((The interplay between tribal Affinities and religious (Zaydi) authority in the Yemen.

8- Tesco V.V : survey of the Agricultural potential of the Wadi Zabid , Yarland Tenure and Water Rights, Report, Budapest 1971 .

9- Wenner, W, Manfred, Modern Yemen (1918- 1966), Baltimore 1967.

10- Whalen, N. M (1993 – 1994) is the Early Man found his way through Bab AL -Mandab strait from Africa to Yemen.

11- George, H,P : A historical Gogrophy of British Empire seven Edition , London 1924 .

الثاني عشر ـ شبكة المعلومات الدولية (مواقع الإنترنت) .

الفقيه، عبد الله: البنية الاجتماعية وانقسام النخبة الحاكمة في اليمن
Http//www. Alahale. Net, 25/2/2011
Http//www.Yemen ,nice, in of tursmses. Day 27/3/2010
الأهدل، علـي مغربـي: الملابـس والأزيـاء فـي تهامـة، صـحيفة الجمهوريـة، ع(14488)، يوليـو/ تموز 2009 ، ص11 .
Http:// www. Algomhoriah.net
موقع الترويج السياحي اليمني.
Http:// www. Yementourism.com.

Abstract:

The importance of the study is because It will take up a new historical reading of the Tihama region of Yemen, about the economic and social situation between 1918 – 1962.

particularly due to its strategic geographic location on the Red Sea, making it an approach to many and varied races besides the native people of Yemen thus affected its socio-economic structure. Moreover, Understanding the economic and social situation (Its Infrastructure) fully reflects the reality of the Tihama including the real-life political, intellectual and even military.

This research aims at studying the history of the economic situation of the Tihama region during the reign of the family Hamid Al-Din, and its reflection on the socio-economic structure in the Tihama.

In addition to the study of the categories that formed the society, and their conditions in the prevailed economic situation, and its effects on the aspects of public life, at weddings and grief events, and relations among its members, and position of each class of society, It also aims at clarifying the methods of social life that was practiced by the community during that period, in order to know the hows and whys the standards of living for all segments of society.

I also aims at finding out the education, health and social services,

The nature of research required to divid it into an introduction, preface, and two main sections, each includes two chapters and a number of detailed sub-items for each chapter

And a conclusion included the most important search results.
The conclusion provided a summary of the research as a whole, in terms of its importance, and the reasons for his choice, and its objectives, problematic, and the approach taken in the study, as well as the difficulties faced by the researcher, the most important sources and references adopted.
While the preface was devoted to study the geo-strategic region in terms of the label, and the strategic location and its importance, terrain and climate, then the entrance to the historic period preceding our study; the period between (1918-1962).
The first section came entitled: ((economic life in the Tihama of Yemen between 1918 to 1962)) and contained two chapters according to the nature of the subject
The first chapter study the structure of economic life in the Tihama of Yemen, tackling the forms of agricultural property in the Tihama, and the ways in which the agricultural lands are invested.
It also discussed the agricultural tools, and irrigation system.
It concentrated on the agricultural taxes, forms, and methods of appreciating and collecting these taxes, and how this affect on the living conditions of peasants during that period.

Chapter II studied the fields of economic life in the Tihama, with an emphasis on the importance of various economic fields of agriculture, industry and trade and its impact on the life of the community. This chapter also discussed the crafts in the Tihama.

The second section, entitled by: ((the social life in the Tihama of Yemen from 1918 to 1962)).

Republic of Arab Syrian
Damascus University
Faculty of Arts and Humanities
Department of History

Economic and Social life in Tihamh of Yemen 1918 - 1962

Dissertation Submitted to obtain a Dictor at in History of the Arabs the Modern and Contemporary.

Supervision by Professor Dr.
***Samar Bahlawan*.**

By the student
Ali Mosleh Mohamed Hael

2012 – 1433